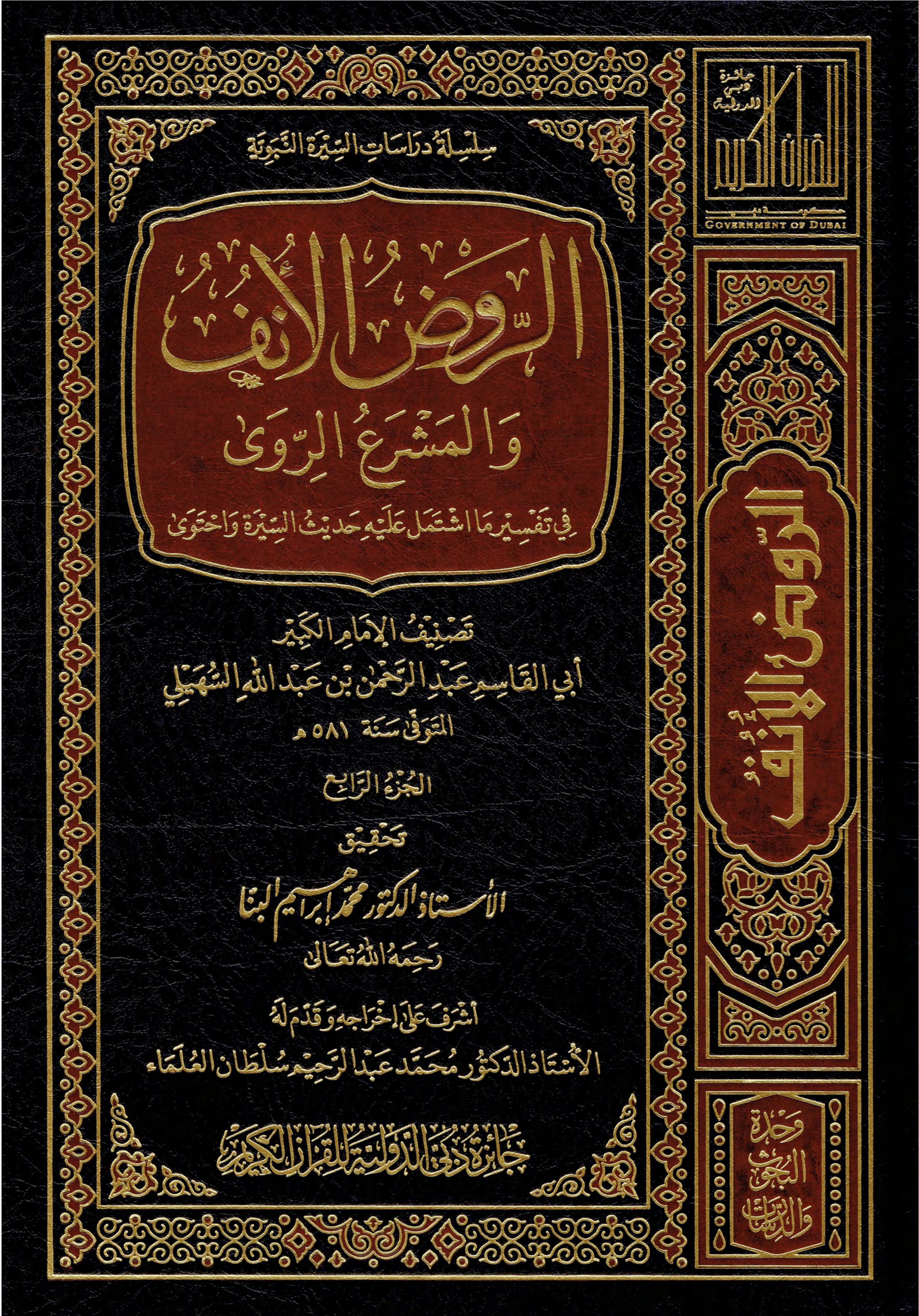
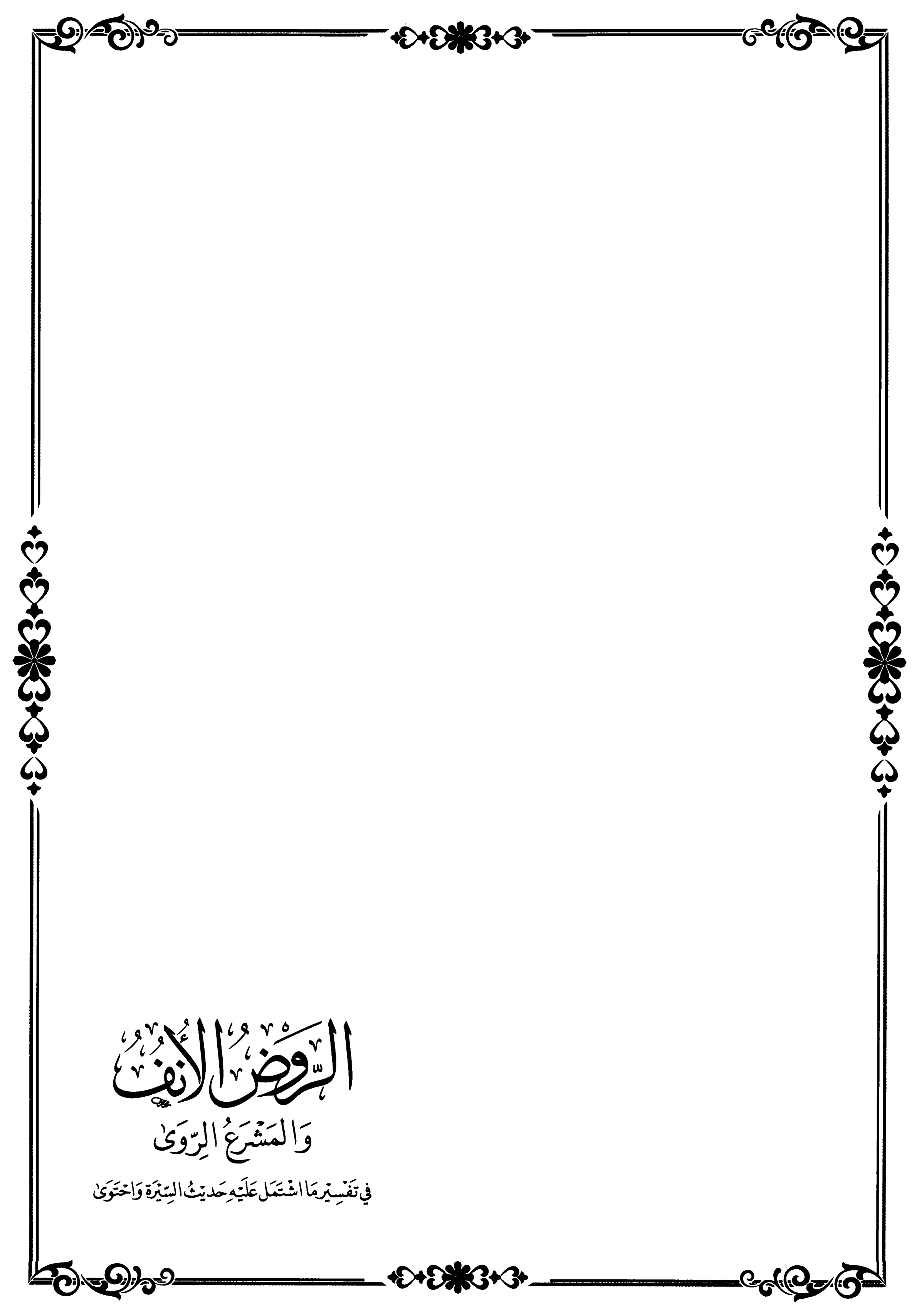

سلسلة دراسات السيرة النبوية
الروض الأنف
والمشرع الروى
في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى
تصنيف الإمام الكبير
أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي
المتوفى سنة ٥٨١ هـ
الجزء الرابع
تحقيق
الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم البنا
رحمه الله تعالى
أشرف على إخراجه وقدم له
الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحيم سلطان العلماء
جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم
جائزة دبي الدولية
القرآن الكريم
GOVERNMENT OF DUBAI
الروض الأنف
وحدة البحوث والدراسات


الروض الأنف
والمشرع الروى
في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى

الرّوض الأنف والمشرع الرِّوى في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى

تصنيف الإمام الكبير : أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي

تحقيق : الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم البنّا

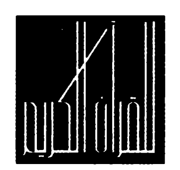
الطبعة الأولى : ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

طبع بموجب إذن طباعة من المجلس الوطني للإعلام بدولة الإمارات العربية المتحدة

رقم (MC-03-01-2218168) تاريخ (٣٠/ ٠٣/ ٢٠٢١م)

الترقيم الدولي (ISBN) : 978-9948-8664-3-5







ص.ب: ٤٢٠٤٢ دبي - الإمارات العربية المتحدة

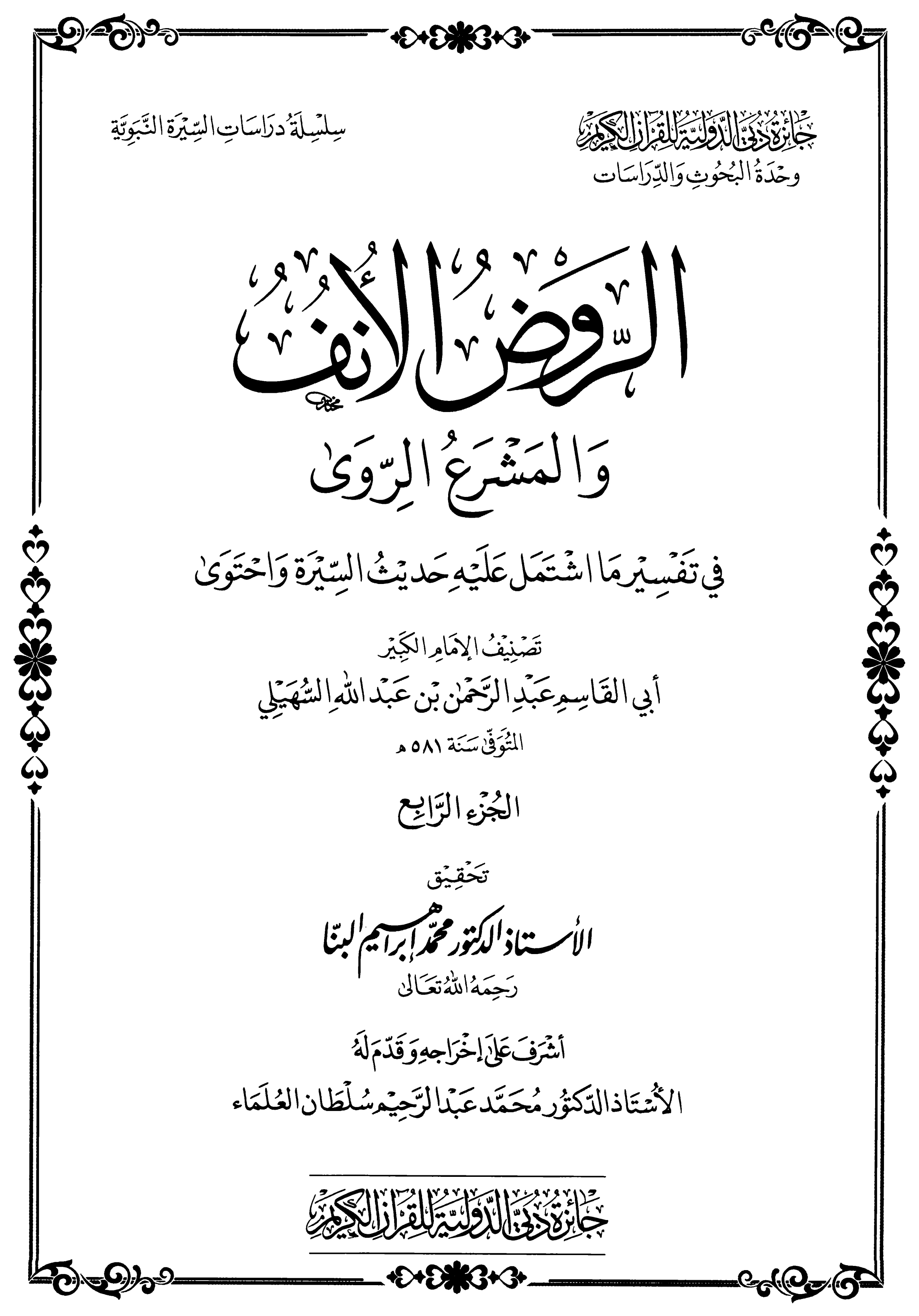
هاتف: ٢٦١٠٦٦٦ ٤ ٩٧١ +

فاكس: ٢٦١٠٠٨٨ ٤ ٩٧١ +

الموقع على الإنترنت : www.quran.gov.ae

البريد الإلكتروني : research@quran.gov.ae



جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم
وحدة البحوث والدراسات

سلسلة دراسات السيرة النبوية

الروض الأنف

والمشرع الروى

في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى

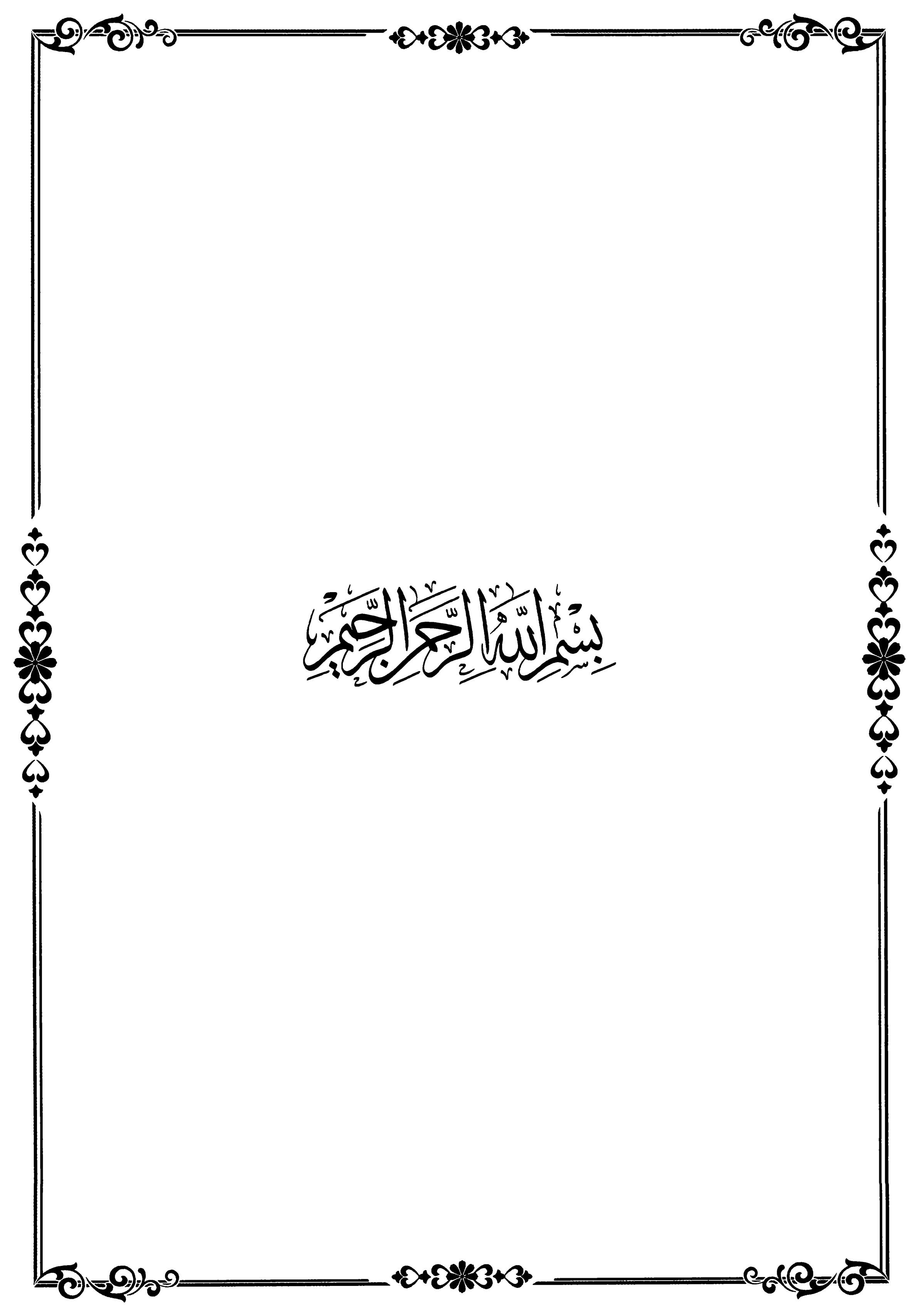
تصنيف الإمام الكبير
أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي
المتوفى سنة ٥٨١ هـ

الجزء الرابع

تحقيق
الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم البنا
رحمه الله تعالى

أشرف على إخراجه وقدم له
الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحيم سلطان العلماء

جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم


بسم الله الرحمن الرحيم

كِفايةُ اللهِ أمرَ المستهزِئينَ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فأقامَ رَسُولُ الله ﷺ على أمْرِ اللهِ تَعالى صابِرًا مُحْتَسِبًا، مُؤَدِّيًا إلى قَوْمِهِ النَّصِيحةَ على ما يَلْقى مِنْهُمْ مِنَ التَّكْذِيبِ والأذى والاِسْتِهْزاءِ. وكانَ عُظَماء المُسْتَهْزِئِين - كَما حَدَّثَنِي يَزِيدُ بنُ رُومانَ، عَنْ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ - خَمْسةَ نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِمْ، وكانُوا ذَوِي أَسْنانٍ وشَرَفٍ في قَومِهِمْ.

[المستهزئون بِالرَّسُولِ مِنْ بَنِي أسَدٍ]

مِنْ بَنِي أَسَدِ بن عَبْدِ العُزّى بنِ قُصَيٍّ بنِ كِلابٍ: الأَسْوَدُ بنُ المُطَّلِبِ ابنِ أسَدٍ أبو زَمْعةَ، وكانَ رَسُولُ الله ﷺ - فيما - بَلَغَنِي قَدْ دَعا عَلَيْهِ لِما كانَ يَبْلُغُهُ مِنْ أذاهُ واسْتِهْزائِهِ بِهِ، فقالَ: اللهُمَّ أعْمِ بَصَرَهُ، وأثْكِلْهُ ولَدَه.

[المسْتهزِئون بِالرَّسُولِ مِنْ بَنِي زُهْرةَ]

وَمِنْ بَنِي زُهْرةَ بنِ كِلابٍ: الأَسْوَدُ بنُ عَبْدِ يَغُوثَ بنِ وهْبِ بنِ عَبْدِ مَنافِ ابنِ زُهرةَ.

[المسْتَهْزِئُونَ بِالرَّسُولِ مِنْ مَخْزُومٍ]

وَمِنْ بَنِي مَخْزُومِ بن يَقَظَةَ بنِ مُرّةَ: الوَلِيدُ بنُ المُغِيرةِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ.

[المستهزئون بِالرَّسُولِ مِنْ سَهْمٍ]

وَمِنْ بَنِي سَهْمِ بنِ عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبٍ: العاصِ بنُ وائِلِ بنِ هِشامٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: العاصِ بنُ وائِلِ بنِ هاشِمِ بنِ سُعَيْدِ بنِ سَهْمٍ.

[المسْتَهْزِئون بِالرَّسُولِ مِنْ خُزاعةَ]

وَمِنْ بَنِي خُزاعةَ: الحارِثُ بنُ الطُّلاطِلَةِ بنِ عَمْرِو بنِ الحارِثِ بنِ عَبْدِ عَمْرِو بنِ لُؤَيِّ بنِ مَلَكانَ.

فَلَمّا تَمادَوْا في الشَّرِّ، وأَكْثَرُوا بِرَسُولِ الله ﷺ الاِسْتِهْزاءَ، أَنْزَلَ الله تَعالى عَلَيْهِ: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ * ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر: ٩٤-٩٦].

[ما أصاب المستهزئين]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي يَزِيدُ بنُ رُومانَ، عَنْ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ، أَوْ غَيْرِهِ مِنَ العُلَماءِ: أَنَّ جِبْرِيلَ أَتى رَسُولَ الله ﷺ، وهُمْ يَطُوفُونَ بِالبَيْتِ، فقامَ وقامَ رَسُولُ الله ﷺ إلى جَنْبِهِ، فمَرَّ بِهِ الأَسْوَدُ بنُ المُطَّلِبِ، فرَمى في وجْهِهِ بِوَرَقةٍ خَضْراءَ، فعَمِيَ. ومَرَّ بِهِ الأَسْوَدُ بنُ عَبْدِ يَغُوثَ، فأَشارَ إلى بَطْنِهِ، فاسْتَسْقى بَطْنُهُ فماتَ مِنْهُ حَبَنًا. ومَرَّ بِهِ الوَلِيدُ بنُ المُغِيرةِ، فأَشارَ إلى أَثَرِ جُرْحٍ بِأَسْفَلِ كَعْبِ رِجْلِهِ، كانَ أَصابَهُ قَبْلَ ذلك بِسِنِينَ، وهُوَ يَجُرُّ سَبَلَهُ، وذلك أَنَّهُ مَرَّ بِرَجُلٍ مِنْ خُزاعةَ وهُوَ يَرِيشُ نَبْلًا لَهُ، فتَعَلَّقَ سَهْمٌ مِنْ نَبْلِهِ بِإِزارِهِ، فخَدَشَ في رِجْلِهِ ذلك الخَدْشَ، ولَيْسَ بِشَيْءٍ، فانْتَقَضَ بِهِ فقَتَلَهُ. وَمَرَّ بِهِ العاصِ بنُ وائِلٍ، فأَشارَ إلى أَخْمَصِ رِجْلِهِ وخَرَجَ على حِمارٍ لَهُ يُرِيدُ الطّائِفَ، فرَبَضَ بِهِ على شُبارِقةٍ، فدَخَلَتْ في أَخْمَصِ رِجْلِهِ شَوْكةٌ فقَتَلَتْهُ.

وَمَرَّ بِهِ الحارِثُ بنُ الطُّلاطِلةِ، فأَشارَ إلى رَأْسِهِ، فامْتَخَضَ قَيْحًا، فقَتَلَهُ.

فَصْلٌ

وذكرَ حَديثَ المُسْتَهْزِئينَ الّذينَ أنْزَلَ اللهُ فيهِمْ: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [الحجر: ٩٥]، وذكرَ فيهم الحارثَ بنَ الطُّلاطِلة[١]، والطُّلاطِلة: أمُّه، قالها أبو الوليدِ الوَقَّشِيُّ. والطُّلاطِلةُ في اللّغةِ: الدّاهِيةُ. وقالَ أبو عُبَيْدٍ: كُلُّ داءٍ عُضالٍ فهُو: طُلاطِلةٌ.

وذَكَرَ في نَسَبِهِ عَبْدَ عَمْرِو بنَ مِلْكانَ، ومِلكان بالضّبْطَيْنِ جَميعًا، وفي «حاشِيةِ الشّيْخِ الحافِظِ أبي بَحْرٍ»، قالَ: قد تَقَدّمَ مِنْ[٢] قَوْلِ ابنِ حَبيبٍ النَّحْويِّ[٣]: أنّ النّاسَ لَيْسَ فيهم مَلَكان بفتح الميم واللّام إلّا مَلَكانُ بنُ جَرْمِ ابنِ زَبّانَ بنِ حُلْوانَ بنِ عِمْرانَ بنِ الحافِ بنِ قُضاعةَ، ومَلَكانُ بنُ عبّادِ بنِ عِياضِ بنِ عُقْبةَ بنِ السَّكُونِ، والسَّكُونُ بنُ أشْرَسَ، وإخْوةُ عَدِيٍّ هم: تُجِيبُ، عُرِفوا بأمِّهم تُجيبَ بِنْتِ دُهْمِ بنِ ثَوْبانَ، وهُمْ مِنْ كِنْدةَ، وكُلُّ مَنْ في النّاسِ غَيْرِهِما [مِلْكانُ][٤] مَكْسُورَ الميمِ ساكِنَ اللّامِ.

وقالَ مَشايِخُ خُزاعةَ: في خُزاعةَ «مَلَكانُ» بِفَتْحِ اللام، قالَ القاضِي - يَعْنِي ابنَ حَبِيبٍ -: مَلَكانُ بنُ أفْصى بنِ حارثةَ بنِ ثعلبةَ بنِ عَمْرِو بنِ عامِرٍ. وقال القاضي: وقالَ غَيْرُ ابنِ حَبِيبٍ كالّذِي[٥] يَخْرُجُ مِنْ عِبارَتِهِ: إنّ الّذِي في خُزاعةَ إنّما هُو مَلَكانُ بنُ أفْصى، مِثْلُ: مَلَكانَ بنِ عَدِيٍّ بنِ عَبْدِ مَناة الرِّباب[٦] الّذِينَ

---

(١) في «تـاج العـروس» (طلل): «والذي في «الروض» للسهيلي: هو الحارث بن إسحاق، والطُّلاطِلة أمه، قاله أبو الوليد الوَقَّشي».

(٢) في (أ): «في».

(٣) انظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (ص: ٢١٧٩-٢١٨٠).

(٤) ما بين المعقوفين ليس في (ب).

(٥) في (ب): «فالذي».

(٦) كذا في (ب)، (ف)، وفي غيرهما: «بن الرباب».

مِنْهُمْ ذُو الرُّمّةِ الشّاعِرُ، ومِثْلُ[1]: مَلَكانَ بنِ ثورِ بنِ عَبْدِ مَناةَ مِن[2] الرِّبابِ أيْضًا، رَهْطِ سُفيانَ بنِ سَعِيدٍ الثَّوريِّ[3].

وذكرَ في المُسْتَهْزِئينَ الأسْودَ بنَ عَبْدِ يَغُوثَ الزُّهْرِيَّ، رُوِيَ أنّهُ لمّا أنْزَلَ اللهُ: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [الحجر: ٩٥]، نزلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلامُ فحنى ظَهْرَ الأسْودِ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خالي خالي، فقالَ لَهُ جِبْرِيلُ: خَلِّ عَنْك، ثم حناهُ حتّى قتلَهُ»[4]، ذكرَهُ الدّارقطنيُّ.

* * *

(١) في (أ): «وقيل»، وفي (ج): «وهم».

(٢) في (أ): «بن الرباب».

(٣) انظر في هذا: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (٤: ٢١٧٩)، و«جمهرة أنساب العرب» لابن حزم: (ص: ١٩٨، ٢٠٠، ٢٤٠).

(٤) أخرجه البلاذري في «أنساب الأشراف» (١: ١٣٢) عن عكرمة. وانظر: «نسب قريش» لمصعب بن الزبير: (ص: ٢٦٢). (ج)

قِصّةُ أبي أُزَيْهِرٍ الدَّوْسِيِّ

[وَصاتُهُ لِبَنِيهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا حَضَرَتِ الوَلِيدَ الوَفاةُ دَعا بَنِيهِ، وكانُوا ثَلاثةً: هِشامَ بنَ الوَلِيدِ، والوَلِيدَ بنَ الوَلِيدِ، وخالِدَ بنَ الوَلِيدِ، فقالَ لَهُمْ: أيْ بَنِيَّ، أُوصِيكُمْ بِثَلاثٍ، فلا تُضَيِّعُوا فيهِنَّ: دَمِي في خُزاعةَ فلا تَطُلُّنَّهُ، واللهِ إنِّي لَأَعْلَمُ أنَّهُمْ مِنْهُ بُرَآءُ، ولَكِنِّي أخْشى أنْ تُسَبُّوا بِهِ بَعْدَ اليَوْمِ، ورِبايَ في ثَقِيفٍ، فلا تَدَعُوهُ حَتّى تَأْخُذُوهُ، وعُقْرِي عِنْدَ أبي أُزَيْهِرٍ، فلا يَفُوتَنَّكُمْ بِهِ. وكانَ أبو أُزَيْهِرٍ قَدْ زَوَّجَهُ بِنْتًا له، ثُمَّ أمْسَكَها عَنْهُ، فلَمْ يُدْخِلْها عَلَيْهِ حَتّى ماتَ.

[مُطالَبةُ بَنِي مَخْزُومٍ خُزاعةَ بِدَمِ أبي أُزَيْهِرٍ]

فَلَمّا هَلَكَ الوَلِيدُ بنُ المُغِيرةِ، وثَبَتْ بَنُو مَخْزُومٍ على خُزاعةَ يَطْلُبُونَ مِنْهُمْ عَقْلَ الوَلِيدِ، وقالُوا: إنَّما قَتَلَهُ سَهْمُ صاحِبِكُمْ وكانَ لِبَنِي كَعْبٍ حِلْفٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ بنِ هاشِمٍ، فأبَتْ عَلَيْهِمْ خُزاعةُ ذلك، حَتّى تَقاوَلُوا أشْعارًا، وغَلُظَ بَيْنَهُمُ الأمْرُ، وكانَ الَّذي أصابَ الوَلِيدَ سَهْمُهُ رَجُلًا مِنْ بَنِي كَعْبِ بنِ عَمْرٍو، مِنْ خُزاعةَ، فقالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أبي أُمَيّةَ بنِ المُغِيرةِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عمرَ بنِ مَخْزُومٍ:

إنِّي زَعِيمٌ أنْ تَسِيرُوا فتَهْرُبُوا ... وأنْ تَتْرُكُوا الظَّهْرانَ تَعْوِي ثَعالِبُهْ

وَأنْ تَتْرُكُـوا ماءً بِجِزْعَـةِ أطْرِقا وأنْ تَسْـألُوا: أيُّ الأراكِ أطايِبُهْ؟
فَإنّـا أنـاسٌ لا تُطَـلُّ دِماؤُنـا ولا يَتَعالى صاعِدًا مَـنْ نُحارِبُهْ

وَكانَتِ الظَّهْرانُ والأراكُ مَنازِلَ بَنِي كَعْبٍ، مِنْ خُزاعَةَ.

فأجابَهُ الجَوْنُ بنُ أبي الجَوْنِ، أخُو بَنِي كَعْبِ بنِ عَمْرٍو الخُزاعِيُّ، فقالَ:

واللهِ لا نُـؤْتِي الوَلِيـدَ ظُلامـةً ولَمّـا تَـرَوْا يَوْمًا تَـزُولُ كَواكِبُهْ
وَيُصْرَعُ مِنْكُمْ مُسْمِنٌ بَعْدَ مُسْمِنٍ وتُفْتَحُ بَعْدَ المَوْتِ قَسْرًا مَشـارِبُهْ
إذا ما أكَلْتُـمْ خُبْزَكُـمْ وخَزِيرَكُمْ فكُلُّكُـمُ بـاكِي الوَلِيـدِ ونادِبُـهْ

ثُمَّ إنَّ النّاسَ تَرادُّوا وعَرَفُوا أنَّما يَخْشى القَوْمُ السُّبَّةَ، فأعْطَتْهُمْ خُزاعةُ بَعْضَ العَقْلِ، وانْصَرَفُوا عَنْ بَعْضٍ، فلَمّا اصْطَلَحَ القَوْمُ قالَ الجَوْنُ بنُ أبي الجَوْنِ:

وَقائِلةٍ لَمّـا اصْطَلَحْنـا تَعَجُّبًا لِمـا قَـدْ حَمَلْنـا لِلْوَلِيـدِ وقائِلِ
ألَمْ تُقْسِـمُوا تُؤْتُوا الوَلِيدَ ظُلامةً ولَمّا تَـرَوْا يَوْمًا كَثِـيرَ البَلابِلِ؟
فَنَحْنُ خَلَطْنا الحَرْبَ بِالسِّلْمِ فاسْتَوَتْ فـأمَّ هَـواهُ آمِنًـا كُلُّ راحِـلِ

ثُمَّ لَمْ يَنْتَهِ الجَوْنُ بنُ أبي الجَوْنِ حَتّى افْتَخَرَ بِقَتْلِ الوَلِيدِ، وذَكَرَ أنَّهُمْ أصابُوهُ، وكانَ ذلك باطِلًا، فلَحِقَ بِالوَلِيدِ وَبِوَلَدِهِ وقَوْمِهِ مِنْ ذلك ما حَذِرَهُ، فقالَ الجَوْنُ بنُ أبي الجَوْنِ:

ألا زَعَـمَ المُغِـيرةُ أنَّ كَعْبًا بِمَكّـةَ مِنْهُـمُ قَـدْرٌ كَثِيرُ
فَلا تَفْخَرْ مُغِـيرةُ أنْ تَراها بِها يَمْـشِي المُعَلْهَجُ والمَهِيرُ
بِهـا آباؤُنـا وبِهـا وُلِدْنـا كَمـا أرْسى بِمَثْبَتِـهِ ثَبِـيرُ
وَما قـالَ المُغِـيرةُ ذاكَ إلّا لِيَعْلَـمَ شَـأْنَنا أوْ يَسْـتَثِيرُ

فَإِنَّ دَمَ الوَلِيدِ يُطَلُّ إِنّا نَطُلُّ دِماءَ أَنْتَ بِها خَبِيرُ
كَساهُ الفاتِكُ المَيْمُونُ سَهْمًا زُعافًا وهْوَ مُمْتَلِئٌ بَهِيرُ
فَخَرَّ بِبَطْنِ مَكّةَ مُسْلَحِبًّا كَأَنَّهُ عِنْدَ وجْبَتِهِ بَعِيرُ
سَيَكْفيني مِطالَ أبي هِشامٍ صِغارٌ جَعْدةُ الأَوْبارِ خُورُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: تَركْنا مِنْها بَيْتًا واحِدًا أَقْذَعَ فيهِ.

[مَقْتَلُ أبي أُزَيْهِرٍ وثَوْرةُ بَنِي عَبْدِ مَنافٍ لِذلك]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ عَدا هِشامُ بنُ الوَلِيدِ على أبي أُزَيْهِرٍ، وهُوَ بِسُوقِ ذِي المَجازِ وكانَتْ عِنْدَ أبي سُفيانَ بنِ حَرْبٍ عاتِكةُ بِنْتُ أبي أُزَيْهِرٍ، وكانَ أبو أُزَيْهِرٍ رَجُلًا شَرِيفًا في قَوْمِهِ، فقَتَلَهُ بِعُقْرِ الوَلِيدِ الَّذي كانَ عِنْدَهُ، لِوَصِيّةِ أبيهِ إيّاهُ، وذلك بَعْدَ أنْ هاجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى المَدِينةِ ومَضى بَدْرٌ، وأُصِيبَ بَهْ مَنْ أُصِيبَ مِنْ أشْرافِ قُرَيْشٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، فخَرَجَ يَزِيدُ بنُ أبي سُفيانَ، فجَمَعَ بَنِي عَبْدِ مَنافٍ، وأبو سُفيانَ بِذِي المَجازِ، فقالَ النّاسُ: أُخْفِرَ أبو سُفيانَ في صِهْرِهِ، فهُوَ ثائِرٌ بِهِ.

فلَمّا سَمِعَ أبو سُفيانَ بِالَّذِي صَنَعَ ابنُهُ يَزِيدُ ـ وكانَ أبو سُفيانَ رَجُلًا حَلِيمًا مُنْكَرًا، يُحِبُّ قَوْمَهُ حُبًّا شَدِيدًا ـ انْحَطَّ سَرِيعًا إلى مَكّةَ، وخَشِيَ أنْ يَكُونَ بَيْنَ قُرَيْشٍ حَدَثٌ في أبي أُزَيْهِرٍ، فأتى ابنَهُ وهُوَ في الحَدِيدِ، في قَوْمِهِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنافٍ والمُطَيَّبِينَ، فأخَذَ الرُّمْحَ مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ على رَأْسِهِ ضَرْبةً هَدَّهُ مِنْها، ثُمَّ قالَ لَهُ: قَبَّحَكَ اللهُ! أتُرِيدُ أنْ تَضْرِبَ قُرَيْشًا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ في رَجُلٍ مِنْ دَوْسٍ؟ سَنُؤْتِيهِمُ العَقْلَ إنْ قَبِلُوهُ، وأطْفَأَ ذلك الأمْرَ.

فانْبَعَثَ حسّانُ بنُ ثابِتٍ يُحَرِّضُ في دَمِ أبي أُزَيْهِرٍ، ويُعَيِّرُ أبا سُفيانَ خُفْرَتَهُ ويُجَبِّنُهُ، فقالَ:

غَدا أَهْلُ ضَوْجَيْ ذِي المَجازِ كِلَيْهِما ... وجارُ ابنُ حَرْبٍ بِالمُغَمَّسِ ما يَغْدُو

وَلَمْ يَمْنَعِ العَيْرُ الضَّرُوطُ ذِمارَهُ ... وما مَنَعَتْ مَخْزاةَ والِدِها هِنْدُ

كَساكَ هِشامُ بنُ الوَلِيدِ ثِيابَهُ ... فأبْلِ وأخْلِفْ مِثْلَها جُدُدًا بَعْدُ

قَضى وطَرًا مِنْهُ فأصْبَحَ ماجِدًا ... وأَصْبَحْتَ رَخْوًا ما تُخِبُّ وما تَعْدُو

فَلَوْ أَنَّ أَشْياخًا بِبَدْرٍ تَشاهَدُوا ... لَبَلَّ نِعالَ القَوْمِ مُعْتَبِطٌ وَرْدُ

فَلَمّا بَلَغَ أبا سُفيانَ قَوْلُ حَسّانَ قالَ: يُرِيدُ حَسّانُ أَنْ يَضْرِبَ بَعْضَنا بِبَعْضٍ في رَجُلٍ مِنْ دَوْسٍ! بِئْسَ واللهِ ما ظَنَّ!

[مُطالَبَةُ خالِدٍ بِرِبا أبيهِ، وما نَزَلَ في ذلك]

وَلَمّا أَسْلَمَ أَهْلُ الطّائِفِ كَلَّمَ رَسُولَ اللهِ ﷺ خالِدُ بنُ الوَلِيدِ في رِبا الوَلِيدِ، الَّذي كانَ في ثَقِيفٍ؛ لِما كانَ أبوهُ أَوْصاهُ بِهِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فذَكَرَ لِي بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّ هَؤُلاءِ الآياتِ مِنْ تَحْرِيمِ ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا بِأَيْدِي النّاسِ نَزَلْنَ في ذلك مِنْ طَلَبِ خالِدٍ الرِّبا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٧٨] إلى آخِرِ القِصّةِ فيها.

[ثَوْرَةُ دَوْسٍ لِلْأَخْذِ بِثَأْرِ أبي أُزَيْهِرٍ، وحَدِيثُ أُمِّ غَيْلانَ]

وَلَمْ يَكُنْ في أبي أُزَيْهِرٍ ثَأْرٌ نَعْلَمُهُ، حَتّى حَجَزَ الإسْلامُ بَيْنَ النّاسِ، إلّا أَنَّ ضِرارَ بنَ الخَطّابِ بنِ مِرْداسٍ الفِهْرِيَّ خَرَجَ في نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ إلى أَرْضِ

دَوْسٍ، فنَزَلُوا على امْرَأةٍ يُقالُ لَهَا: أُمُّ غَيْلانَ، مَوْلاةٌ لِدَوْسٍ، وكانَتْ تَمْشُطُ النِّساءَ، وتُجَهِّزُ العَرائِسَ، فأرادَتْ دَوْسٌ قَتْلَهُمْ بِأبِي أُزَيْهِرٍ، فقامَتْ دُونَهُمْ أُمُّ غَيْلانَ ونِسْوةٌ مَعَها، حَتّى مَنَعَتْهُمْ، فقالَ ضِرارُ بنُ الخَطّابِ في ذلك:

جَزى اللهُ عَنّا أُمَّ غَيْلانَ صالِحًا ... ونِسْوَتَها إذْ هُنَّ شُعْثٌ عَواطِلُ
فَهُنَّ دَفَعْنَ المَوْتَ بَعْدَ اقْتِرابِهِ ... وقَدْ بَرَزَتْ لِلثّائِرِينَ المَقاتِلُ
دَعَتْ دَعْوةً دَوْسًا فسالَتْ شِعابُها ... بِعِزٍّ وأدَّتْها الشِّراجُ القَوابِلُ
وَعَمْرًا جَزاهُ اللهُ خَيْرًا فما ونى ... وما بَرِدَتْ مِنْهُ لَدَيَّ المَفاصِلُ
فَجَرَّدْتُ سَيْفي ثُمَّ قُمْتُ بِنَصْلِهِ ... وعَنْ أيِّ نَفْسٍ بَعْدَ نَفْسِي أُقاتِلُ؟

قالَ ابنُ هِشامٍ: حَدَّثَنِي أبو عُبَيْدَةَ: أنَّ الَّتِي قامَتْ دُونَ ضِرارٍ أُمُّ جَمِيلٍ، ويُقالُ: أُمُّ غَيْلانَ، قالَ: ويَجُوزُ أنْ تَكُونَ أُمُّ غَيْلانَ قامَتْ مَعَ أُمِّ جَمِيلٍ فيمَنْ قامَ دُونَهُ.

[أُمُّ جَمِيلٍ وعُمَرُ بنُ الخَطّابِ]

فَلَمّا قامَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ أتَتْهُ أُمُّ جَمِيلٍ، وهِيَ تُرى أنَّهُ أخُوهُ: فلَمّا انْتَسَبَتْ لَهُ عَرَفَ القِصّةَ، فقالَ: إنِّي لَسْتُ بِأخِيهِ إلّا في الإسْلامِ، وهُوَ غازٍ، وقَدْ عَرَفْتُ مِنَّتَكِ عَلَيْهِ، فأعْطاها على أنَّها ابنةُ سَبِيلٍ.

[ضِرارٌ وعُمَرُ بنُ الخَطّابِ]

قالَ الرّاوِي: قالَ ابنُ هِشامٍ: وكانَ ضِرارٌ لَحِقَ عُمَرَ بنَ الخَطّابِ يَوْمَ أُحُدٍ، فجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِعَرْضِ الرُّمْحِ ويَقُولُ: انْجُ يا ابنَ الخَطّابِ لا أقْتُلُكَ، فكانَ عُمَرُ يَعْرِفُها لَهُ بَعْدَ إسْلامِهِ.

فَصْلٌ

وذكرَ وفاةَ الولِيدِ بنِ المُغِيرةِ، وقَوْلَهُ لِبَنِيهِ: «وعُقْرِي عِنْدَ أَبِي أُزَيْهِرٍ الدَّوْسِيِّ لا تَدَعُوهُ».

العُقْرُ: دِيةُ الفَرْجِ المَغْصُوبِ، وأَصْلُهُ في البِكْرِ مِنْ أجْلِ التَّدْمِيةِ، ومِنْهُ: عَقَرَ السَّرْجُ الفَرَسَ: إذا أدْماهُ، وبَيْضةُ العُقْرِ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُمْ كانُوا يَقِيسُونَ بِالبَيْضةِ البِكْرَ؛ لِيَعْرِفُوا بُكُورَتَها، وقِيلَ: عُقْرٌ بِضَمِّ العَيْنِ؛ لِأَنَّهُ بِمَعْنى: بُضْعٍ.

وذَكَرَ قَتْلَ هِشامِ بنِ الوليدِ لأبي أُزَيْهِرٍ، وخَبَرَ أُمِّ غَيْلانَ مَعَ ضِرارٍ حِينَ أجارَتْهُ، ومِنْ تَمامِ الخَبَرِ: أنّ دَوْسًا لَمّا بَلَغَها مَقْتَلُ أَبِي أُزَيْهِرٍ الدَّوْسِيِّ، وثَبَتْ على رِجالٍ مِنْ قُرَيْشٍ كانُوا عِنْدَهُمْ، فقَتَلُوا مِنْهُمْ بُجَيْرَ بنَ العَوّامِ أخا الزُّبَيْرِ، وأرادُوا قَتْلَ ضِرارِ بنِ الخَطّابِ، فأجارَتْهُ أُمُّ غَيْلانَ وابنُها عَوْفٌ، قالَ ضِرارٌ: لَقد أدْخَلَتْنِي بَيْنَ دِرْعِها[1] وبَدَنِها، حتّى إنّي لأَجِدُ تَسْبِيدَ رَكَبِها، والتّسْبِيدُ: مَوْضِعُ الحلْق مِن الشَّعْرِ، وكانَ الّذِي قَتَلَ بُجَيْرًا صُفيحُ بنُ سَعْدٍ أَوْ مَلِيحُ بنُ سَعْدٍ جَدُّ أَبِي هُرَيْرةَ لِأُمِّهِ؛ لِأنّ أُمَّهُ أميمةُ بنتُ مَلِيحٍ أو صُفَيحٍ.

فَصْلٌ

وذكرَ شِعْرَ عَبْدِ اللهِ بنِ أَبِي أُمَيّةَ بنِ المُغِيرةِ، وفيهِ: [من الطويل]

وأنْ تَتْرُكُوا ماءً بِجزْعةِ أطْرِقا

والجِزْعةُ والجَزْعُ بِمَعْنًى واحِدٍ، وهُو: مُعْظَمُ الوادِي. وقالَ ابنُ الأعْرابِيِّ: هُو ما انْثَنى مِنْهُ، و«أطْرِقا»: اسْمُ عَلَمٍ لِمَوْضِعٍ، سُمِّيَ بِفِعْلِ الأمْرِ للاثْنَيْنِ، فهُو

---

(١) في (ب): «ذراعيها». والدِّرع: قميص المرأة. والرَّكَبُ ـ بالتحريك ـ: الفَرْج.

مَحْكِيٌّ لا يُعْرَبُ. وقِيلَ: إنّ أصْلَ تَسْمِيَتِهِ بذَلِكَ: أنّ ثَلاثَةَ نَفَرٍ مَرُّوا بِه خائِفِينَ، فسَمِعَ أحَدُهُمْ صَوْتًا، فقالَ لِصاحِبَيْهِ: أطْرِقا؛ أيْ: أنْصِتا؛ حتّى نَرى ما هَذا الصَّوْتُ؟ فسُمِّيَ المَكانُ بأطْرِقا، واللهُ أعْلَمُ.

وذكَرَ شِعْرَ الجَوْنِ بنِ أبِي الجَوْنِ، وفيهِ: [من الطويل]

أَلَمْ تُقْسِمُوا تُؤْتُوا الوليدَ ظُلامةً؟

أرادَ: أن تُؤتُوا، ومعناه: ألّا تُؤْتوا؛ كَما جاءَ في التّنْزِيلِ: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦]؛ أي: ألّا تضِلُّوا في قَوْلِ طائِفَةٍ، ومَعْناهُ عِنْدِي: كَرِهَ لَكُمْ أنْ تَضِلُّوا، وقد قَدَّمْنا في الجزءِ قبلَ هذا كلامًا على «أنْ»، ومقتضاها، وشيئًا من أسْرارِها فيهِ غُنْيَةٌ، وإذا كانَ الكَلامُ مَحْمُولًا على معناها فالنّصْبُ جائِزٌ، والرّفْعُ جائِزٌ أيْضًا؛ كَما أنْشَدُوا[1]: [من الطويل]

ألا أيُّهَذا الزّاجِرِي أحْضُرَ الوغى

بِنَصْبِ: «أحضُرَ» ورَفْعِهِ، وأنْشَدَ سِيبَوْيه[2]: [من الطويل]

ونَهْنَهْتُ نَفْسِي بَعْدَما كِدْتُ أفْعَلَهْ

يُرِيدُ: أنْ أفعلَه. وإذا رَفَعْتَ في هَذا المَوْضِعِ لَمْ يُذْهِبِ الرّفْعُ مَعْنى «أنْ»؛ فقد حَكى سِيبَوَيْهِ: «مُرْهُ يَحْفِرُها»، وقَدّرَهُ تَقْدِيرَيْنِ؛ أحَدُهُما: أنْ يُرِيدَ الحالَ؛

---

(١) البيت لطَرَفة بن العبد من معلقته، وهو في «ديوانه» (ص: ٥٠)، وعجزه:

وأنْ أشهدَ اللذّاتِ هل أنتَ مُخْلِدي؟

وهو من شواهد «الكتاب» (٣: ١٠٠)، و«أمالي السهيلي» (ص: ٨٣).

(٢) البيت نُسب في «الكتاب» (١: ٣٠٧) إلى عامر بن جوين الطائي؛ كما نُسب إلى غيره، وصدره:

فلمْ أرَ مِثلَها خُباسةَ واحِدٍ

وانظر: «أمالي السهيلي» (ص: ٨٤٠).

أيْ: مُرْهُ حافِرًا لَها، والثّانِي: أنْ يُرِيدَ: مُرْهُ أنْ يَحْفِرَها، وارْتَفَعَ الفِعْلُ لَمّا ذَهَبَتْ «أنْ» مِن اللّفْظِ[١].

وبَيّنَ ابنُ جِنّي الفَرْقَ بَيْنَ التّقْدِيرَيْنِ، وقالَ: «إذا نَوَيْتَ «أنْ» فالفِعْلُ مُسْتَقْبَلٌ، وإذا لَمْ تَنْوِها فالفِعْلُ حاضِرٌ».

وههنا مَسْألةٌ مسموعةٌ مِن العَرَبِ ذكرَها الطّبَرِيُّ[٢]، قالَ: «العَرَبُ تَقُولُ لِمَنْ تَوجّهَ في أمْرٍ: تَصْنَعَ[٣] ماذا؟ وتَفْعَلَ ماذا؟ [على تَقْدِيرِ: تُرِيدُ أنْ تَصْنَعَ ماذا؟][٤] فإذا قالُوا: تُرِيدُ ماذا؟ لَمْ يَكُنْ إلّا رَفْعًا؛ لِأنّ المَعْنى الّذِي يَجْلِبُ مَعْنى «أن» النّاصِبةِ لَيْسَ في قَوْلِهِ: تُرِيدُ؛ إذْ لا يَسْتَقِيمُ أنْ تَقُولَ: تُرِيدُ أنْ تُرِيدَ ماذا؟ يَعْنِي: أنّ الإرادةَ لا تُرادُ.

وذكرَ شِعْرَ الجَوْنِ بنِ أبي الجَوْنِ أيْضًا، وفيهِ: [من الوافر]

بِها يَمشِي المُعَلْهَجُ والمَهِيرُ

المَهِيرُ: ابنُ الممهورةِ الحُرّةِ. والمُعَلْهَجُ: المُتَرَدِّدُ في الإماءِ؛ كَأنّهُ مَنْحُوتٌ من أصْلَيْنِ: مِن العِلْجِ؛ لِأنّ الأَمةَ عِلْجةٌ، ومِن اللَّهَجِ؛ كأنّ واطِئَ الأمةِ قد لَهِجَ بِها، فنَحَتَ لَفْظَ «المُعَلْهَجِ» مِنْ هَذَيْنِ اللّفْظَيْنِ.

وفيهِ: [من الوافر]

كَما رَسا بِمَثْبَتِهِ ثَبِيرُ

---

(١) «الكتاب» (٣: ٩٩).

(٢) «تفسير الطبري» (٥: ٤٨). (ج)

(٣) في (أ)، (ب): «يصنع، يفعل، يريد».

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

كَذا صَحَّتِ الرِّوايةُ في «رَسا» بِالتّخْفيفِ، وهُو زِحافٌ [داخِلٌ على زِحافٍ؛ لِأنّ تَسْكِينَ اللّامِ مِنْ «مُفاعَلَتُنْ» في الوافِرِ زِحافٌ][1]، ولَكِنّهُ حَسَنٌ كَثِيرٌ، فلَمّا كَثُرَ شَبَّهَهُ هَذا الشّاعِرُ بـ«مَفاعِيلُن»[2]؛ لِأَنّهُ على وزْنِهِ، و«مَفاعِيلُنْ»[3] يَحْسُنُ حَذْفُ الياءِ فيها[4] في الطّوِيلِ، فيصِيرُ «فَعُولُنْ» «مَفاعِلُنْ»؛ فلِذَلِكَ[5] أَدْخَلَ هَذا الشّاعِرُ الزِّحافَ على «مُفاعَلْتُنْ»؛ لأنها بعد السُّكون في وزنِ «مَفاعيلُن»[6] الّتِي يُحْذَفُ ياؤُها حَذْفًا مُسْتَحْسَنًا، فتَدَبّرْهُ؛ فإنّهُ مَلِيحٌ في عِلْمِ العَرُوضِ[7].

فَصْلٌ

وأنشدَ لحسّانَ[8]: [من الطويل]

غَدا أَهْلُ ضَوْجَيْ ذِي المَجازِ بِسُحْرةٍ

ضَوْجُ الوادِي: جانِبُهُ، وذُو المَجازِ: سُوقٌ عِنْدَ عَرَفَةَ، كانَت العَرَبُ إذا حَجّتْ قامَتْ[9] بِسُوقِ عُكاظِ شَهْرَ شَوّالٍ، ثُمّ تَنْتَقِلُ إلى سُوقِ مِجَنّةَ فتُقِيمُ فيهِ

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٢) في (أ)، (ج): «بمفاعيل».

(٣) في (أ)، (ج): «ومفاعيل».

(٤) في (ف): «منها».

(٥) في (ف): «فكذلك».

(٦) في (ف): «مفاعلن».

(٧) هـذا الزحـاف الداخـل على الزحـاف يسمِّيـه العروضيُّـون: العَقْـل، وهو حـذف الخامس المتحرك، وفيه تصير «مُفاعلَتُن» «مُفاعِلُن».

(٨) البيت في «ديوانه» (ص: ٣٥٧)، وفيه يروى:

غدا أهلُ حِضْنَيْ ذي المجازِ بسُحْرةٍ وجارَ ابنُ حربٍ بالمُحصَّبِ ما يَغْدُو

(٩) في (ف): «أقامت».

عِشْرِينَ يَوْمًا مِنْ ذِي القَعْدةِ، ثُمّ تَنْتَقِلُ إلى سُوقِ ذِي المَجازِ فتُقِيمُ فيهِ إلى أيّامِ الحَجِّ، وكانُوا يَتَفاخَرُونَ في سُوقِ عُكاظٍ إذا اجْتَمَعُوا، ويُقالُ: عَكَظَ الرّجُلُ صاحِبَهُ: إذا فاخَرَهُ وغَلَبَهُ بِالمُفاخَرةِ، فسُمِّيتْ عُكاظٌ بذلك.

وقولُهُ: [من الطويل]

لَبَلَّ نِعالَ القَوْمِ مُعْتَبِطٌ وَرْدُ[1]

يَعْنِي: الدَّمَ العَبِيطَ[2].

فَصْلٌ

وذكَرَ ما أنْزَلَ اللهُ في الرِّبا الآياتِ مِنْ سُورةِ البَقَرةِ، وقد قَدَّمْنا في حَدِيثِ بُنْيانِ الكَعْبةِ مِنْ قَوْلِهِمْ: «لا تُنْفِقُوا فيها رِبًا، ولا مَهْرَ بَغِيٍّ»، وأنّ في ذَلِكَ دَلِيلًا على قِدَمِ تَحْرِيمِهِ[3] في شرعِ إبْراهِيمَ وغَيْرِهِ مِن الأنْبياءِ عليهم السَّلام؛ وذَلِكَ أنّهُ مِنْ أقْبَحِ الأفعالِ[4]؛ لِما فيهِ مِنْ هَدْمِ جانِبِ المُرُوءةِ، وإيثارِ الحِرْصِ، مَعَ بُعْدِ الأمَلِ، ونِسْيانِ بَغْتةِ الأجَلِ، على التَّوْسِعةِ وحُسْنِ المُعامَلةِ، ومَنْ تَأمّلَ أبْوابَ الرِّبا لاحَ لَهُ سِرُّ التَّحْرِيمِ مِنْ جِهةِ الجَشَعِ المانِعِ مِنْ حُسْنِ المُعاشَرةِ، والذَّرِيعةِ إلى تَرْكِ القَرْضِ، وما في التَّوْسِعةِ مِنْ مَكارِمِ الأخْلاقِ؛ ولِذَلِكَ قالَ سُبْحانَهُ: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٧٩]؛ غَضَبًا مِنْهُ على أهْلِهِ، ولهذه النُّكْتةِ قالَتْ عائِشةُ رضي الله عنها لِأُمِّ مَحَبّةَ مَوْلاةِ زَيْدِ بنِ أرْقَمَ: «أبْلِغِي زَيْدًا ـ تَعْنِي: زَيْدَ بنَ أرْقَمَ ـ أنْ قد أبْطَلَ جِهادَهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ»،

(١) في «الديوان»: «نحور القوم».
(٢) أي: طَرِيّ. ووَرْدٌ: أحمر اللون.
(٣) بعده في (ف): «عليهم».
(٤) في (ف): «الأعمال».

حِينَ ذكرَتْ لَها عنه مَسْألةً مِن البُيُوعِ تُشْبِهُ الرِّبا، فقالَتْ: أبْطَلَ جِهادَهُ، ولَمْ تَقُلْ: أبطلَ صَلاتَهُ ولا صِيامَهُ؛ لِأنّ السَّيِّئاتِ لا تُحْبِطُ[١] الحَسَناتِ، ولَكِنْ خَصّتِ الجِهادَ بالإبْطالِ؛ لِأنّهُ حَرْبٌ لِأعْداءِ اللهِ، وآكِلُ الرِّبا قد أَذِنَ بِحَرْبٍ مِن اللهِ[٢]، فهُو ضِدُّهُ، ولا يَجْتَمِعُ الضِّدّانِ، وهَذا مَعْنًى ذكرَهُ أبو الحَسَنِ بنُ بَطّالٍ في «شَرْحِ الجامعِ»[٣]، وتِلْكَ المَسْألةُ مَذْكُورةٌ في «المُدَوَّنةِ»[٤]، لَكِنّ إسْنادَها إلى عائِشةَ ضَعِيفٌ.

❊ ❊ ❊

(١) بعده في (ف): «الأعمال».

(٢) بعده في (ف): «ورسوله».

(٣) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال: (٦: ٢١٩). (ج)

(٤) «المدوّنة» لمالك بن أنس: (٣: ١٦١). (ج)

وَفاةُ أبي طالبٍ وخَدِيجةَ

[صَبرُ الرَّسُولِ على إيذاءِ المُشْركين]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ النَّفَرُ الَّذينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ في بَيْتِهِ: أبا لَهَبٍ، والحَكَمَ بنَ أبي العاصِ بنِ أُمَيّةَ، وعُقْبَةَ بنَ أبي مُعَيْطٍ، وعَدِيَّ بنَ حَمْراءَ الثَّقَفيَّ، وابنَ الأَصْداءِ الهُذَلِيَّ، وكانُوا جِيرانَهُ لَمْ يُسْلِمْ مِنْهُمْ أحَدٌ إلّا الحَكَمُ ابنُ أبي العاصِ، فكانَ أحَدُهُمْ فيما ذُكِرَ لِي يَطْرَحُ عَلَيْهِ ﷺ رَحِمَ الشّاةِ وهُوَ يُصَلِّي، وكانَ أحَدُهُمْ يَطْرَحُها في بُرْمَتِهِ إذا نُصِبَتْ لَهُ، حَتّى اتَّخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِجْرًا يَسْتَتِرُ بِهِ مِنْهُمْ إذا صَلّى، فكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذا طَرَحُوا عَلَيْهِ ذلك الأذى، كَما حَدَّثَني عُمَرُ بنُ عَبْدِ الله بنِ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوةَ ابنِ الزُّبَيْرِ، يَخْرُجُ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ على العُودِ، فيقِفُ بِهِ على بابِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: يا بَنِي عَبْدِ مَنافٍ، أيُّ جِوارٍ هذا؟! ثُمَّ يُلْقِيهِ في الطَّرِيقِ.

[طَمَعُ المُشْرِكِينَ في الرَّسُولِ بَعْدَ وفاةِ أبي طالِبٍ وخَدِيجَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ إنَّ خَدِيجةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ وأبا طالِبٍ هَلَكا في عامٍ واحِدٍ، فتَتابَعَتْ على رَسُولِ اللهِ ﷺ المَصائِبُ بِهُلْكِ خَدِيجةَ، وكانَتْ لَهُ وزِيرَ صِدْقٍ على الإسْلامِ، يَشْكُو إلَيْها، وبِهُلْكِ عَمِّهِ أبي طالِبٍ، وكانَ لَهُ عَضُدًا وحِرْزًا في أمْرِهِ، ومَنَعَةً وناصِرًا على قَوْمِهِ، وذلك قَبْلَ مُهاجَرِهِ إلى المَدِينةِ بِثَلاثِ سِنِينَ. فلَمّا هَلَكَ أبو طالِبٍ، نالَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ مِنَ

الأذى ما لَمْ تَكُنْ تَطْمَعُ بِهِ في حَياةِ أبي طالِبٍ، حَتّى اعْتَرَضَهُ سَفيهٌ مِنْ سُفَهاءِ قُرَيْشٍ، فنَثَرَ على رَأْسِهِ تُرابًا!

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَني هِشامُ بنُ عُرْوةَ، عَنْ أبيهِ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ، قالَ: لَمّا نَثَرَ ذلك السَّفيهُ على رَأْسِ رَسُولِ الله ﷺ ذلك التُّرابَ، دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْتَهُ والتُّرابُ على رَأْسِهِ، فقامَتْ إلَيْهِ إحْدى بَناتِهِ، فجَعَلَتْ تَغْسِلُ عَنْهُ التُّرابَ وهِيَ تَبْكِي، ورَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ لَها: «لا تَبْكِي يا بُنَيّةُ، فإنَّ اللهَ مانِعٌ أباكَ». قالَ: ويَقُولُ بَيْنَ ذلك: ما نالَتْ مِنّي قُرَيْشٌ شَيْئًا أكْرَهُهُ، حَتّى ماتَ أبو طالِبٍ.

[المُشْرِكُونَ عِنْدَ أبي طالِبٍ لَمّا ثَقُلَ بِهِ المَرَضُ، يَطْلُبُونَ عَهْدًا بَيْنَهُمْ وبَيْنَ الرَّسُولِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمّا اشْتَكى أبو طالِبٍ، وبَلَغَ قُرَيْشًا ثِقَلُهُ، قالَتْ قُرَيْشٌ بَعْضُها لِبَعْضٍ: إنَّ حَمْزةَ وعُمَرَ قَدْ أسْلَما، وقَدْ فشا أمْرُ مُحَمَّدٍ في قَبائِلِ قُرَيْشٍ كُلِّها، فانْطَلِقُوا بِنا إلى أبي طالِبٍ، فلْيَأْخُذْ لَنا على ابنِ أخِيهِ، ولْيُعْطِهِ مِنّا، واللهِ ما نَأْمَنُ أنْ يَبْتَزُّونا أمْرَنا.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَني العَبّاسُ بنُ عَبْدِ الله بن مَعْبَدِ بنِ عَبّاسٍ عَنْ بَعْضِ أهْلِهِ، عَنِ ابنِ عَبّاسٍ، قالَ: مَشَوْا إلى أبي طالِبٍ فكَلَّمُوهُ، وهُمْ أشْرافُ قَوْمِهِ: عُتْبةُ بنُ رَبِيعةَ، وشَيْبةُ بنُ رَبِيعةَ، وأبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ، وأُمَيّةُ ابنُ خَلَفٍ، وأبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ، في رِجالٍ مِنْ أشْرافِهِمْ، فقالُوا: يا أبا طالِبٍ، إنَّكَ مِنّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ، وقَدْ حَضَرَكَ ما تَرى، وتَخَوَّفْنا عَلَيْكَ، وقَدْ عَلِمْتَ الَّذي بَيْنَنا وبَيْنَ ابنِ أخِيكَ، فادْعُهُ، فخُذْ لَهُ مِنّا، وخُذْ لَنا مِنْهُ؛ لِيَكُفَّ عَنّا،

ونَكُفَّ عَنْهُ، ولِيَدَعَنا ودِينَنا، ونَدَعَهُ ودِينَهُ، فبَعَثَ إلَيْهِ أبو طالِبٍ، فجاءَهُ، فقالَ: يا ابنَ أخِي: هَؤُلاءِ أشْرافُ قَوْمِكَ، قَدِ اجْتَمَعُوا لَكَ، لِيُعْطُوكَ، ولِيَأْخُذُوا مِنْكَ. قالَ: فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «نَعَمْ، كَلِمةً واحِدةً تُعْطُونِيها تَمْلِكُونَ بِها العَرَبَ، وتَدِينُ لَكُمْ بِها العَجَمُ». قالَ: فقالَ أبو جَهْلٍ: نَعَمْ وأبيكَ، وعَشْرَ كَلِماتٍ، قالَ: «تَقُولُونَ: لا إلَهَ إلّا اللهُ، وتَخْلَعُونَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ». قالَ: فصَفَّقُوا بِأيْدِيهِمْ، ثُمَّ قالُوا: أتُرِيدُ يا مُحَمَّدُ أنْ تَجْعَلَ الآلِهَةَ إلَهًا واحِدًا؟! إنَّ أمْرَكَ لَعَجَبٌ! قالَ: ثُمَّ قالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إنَّهُ واللهِ ما هذا الرَّجُلُ بِمُعْطِيكُمْ شَيْئًا مِمّا تُرِيدُونَ، فانْطَلِقُوا وامْضُوا على دِينِ آبائِكُمْ، حَتّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُ.

قالَ: ثُمَّ تَفَرَّقُوا.

[طَمَعُ الرَّسُولِ في إسْلامِ أبي طالِبٍ، وحَدِيثُ ذلك]

فَقالَ أبو طالِبٍ لِرَسُولِ الله ﷺ: واللهِ يا ابنَ أخِي، ما رَأيْتُكَ سَألْتَهُمْ شَطَطًا. قالَ: فلَمّا قالَها أبو طالِبٍ طَمِعَ رَسُولُ الله ﷺ في إسْلامِهِ، فجَعَلَ يَقُولُ لَهُ: «أيْ عَمِّ، فأنْتَ فقُلْها أسْتَحِلَّ لَكَ بِها الشَّفاعةَ يَوْمَ القِيامةِ». قالَ: فلَمّا رَأى حِرْصَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَيْهِ، قالَ: يا ابنَ أخِي، واللهِ لَوْلا مَخافةُ السُّبّةِ عَلَيْكَ وعلى بَنِي أبيكَ مِنْ بَعْدِي، وأنْ تَظُنَّ قُرَيْشٌ أنِّي إنَّما قُلْتُها جَزَعًا مِنَ المَوْتِ لَقُلْتُها، لا أقُولُها إلّا لِأسُرَّكَ بِها. قالَ: فلَمّا تَقارَبَ مِنْ أبي طالِبٍ المَوْتُ قالَ: نَظَرَ العَبّاسُ إلَيْهِ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ، قالَ: فأصْغى إلَيْهِ بِأُذُنِهِ، قالَ: فقالَ يا ابنَ أخِي، واللهِ لَقَدْ قالَ أخِي الكَلِمةَ الَّتِي أمَرْتَهُ أنْ يَقُولَها، قالَ: فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَمْ أسْمَعْ».

[ما نَزَلَ فيمَنْ طَلَبُوا العَهْدَ على الرَّسُولِ عِنْدَ أبي طالِبٍ]

قالَ: وأنْزَلَ اللهُ تَعالى في الرَّهْطِ الَّذينَ كانُوا اجْتَمَعُوا إلَيْهِ، وقالَ لَهُمْ ما قالَ، ورَدُّوا عَلَيْهِ ما رَدُّوا: ﴿ صٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ * بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ إلى قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ * وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [ص: ٥-٧]؛ يَعْنُونَ: النَّصارى، لِقَوْلِهِمْ: إنَّ اللهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ، ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾. ثُمَّ هَلَكَ أبو طالِبٍ.

فَصْلٌ
وفاةُ أبي طالِبٍ

ذكرَ ابنُ إسْحاقَ وفاةَ أبي طالِبٍ إلى آخِرِ القِصّةِ، وفيها قالَ العَبّاسُ: واللهِ لَقد قالَ أخِي الكَلِمةَ الّتِي أمَرْتَهُ بِها، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لم أسْمَعْ».

قالَ الفقيهُ الحافظُ أبو القاسمِ رضي الله عنه: شَهادةُ العَبّاسِ لَوْ أدّاها بعدما أسْلَمَ كانَتْ مَقْبُولةً، ولَمْ تُرَدَّ بِقَوْلِهِ عليه السلام: «لَمْ أسْمَعْ»؛ لِأنّ الشّاهِدَ العَدْلَ إذا قالَ: سَمِعْتُ، وقالَ مَنْ هُو أعْدَلُ مِنْهُ: لَمْ أسْمَعْ، أُخِذَ بِقَوْلِ مَنْ أثْبَتَ السَّماعَ؛ لِأنّ عَدَمَ السّماعِ يَحْتَمِلُ أسْبابًا مَنَعَتِ الشّاهِدَ مِن السَّمْعِ، ولَكِنّ العَبّاسَ شَهِدَ بِذَلِكَ قَبْلَ أنْ يُسْلِمَ، مَعَ أنّ الصّحِيحَ مِن الأثَرِ قد أثْبَتَ لِأبِي طالِبٍ الوفاةَ على الكُفْرِ والشِّرْكِ، وأثْبَتَ نُزُولَ هَذِهِ الآيةِ فيهِ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: ١١٣]، وثَبَتَ في «الصّحِيحِ» أيْضًا أنّ العَبّاسَ قالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: إنّ أبا طالِبٍ كانَ يَحُوطُك، ويَنْصُرُك، ويَغْضَبُ لَك، فهَلْ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ؟ قالَ: «نَعَمْ، وجَدْتُهُ في غَمَراتٍ مِن النّارِ، فأخْرَجْته إلى

ضَحْضاحٍ»(١)، وفي «الصّحيحِ» أيْضًا مِنْ طَرِيقِ أبِي سَعِيدٍ، أنّهُ ﷺ قالَ: «لَعَلّهُ تَنْفَعُهُ شَفاعَتِي يَوْمَ القِيامةِ، فيُجْعَلَ في ضَحْضاحٍ مِن النّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِماغُهُ»(٢). وفي رِوايةٍ أُخْرى: «كما يغلي المِرجَلُ»، وفي «جامعِ البخاريِّ»: «كما يَغْلِي المِرْجَلُ» [أو «القُمْقُمُ»، وفي روايةِ أبي ذرٍّ الهرويِّ: «كَما يَغْلِي المِرْجَلُ](٣) بِالقُمْقُمِ»(٤)، وهِيَ مُشْكِلةٌ، وقالَ بَعْضُ أهلِ العلمِ: القُمْقُمُ: هُو البُسْرُ الأخْضَرُ يُطْبَخُ في المِرْجَلِ؛ اسْتِعْجالًا لِنُضْجِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ أَهْلُ الحاجةِ. وفي رِوايةِ يُونُسَ عَنِ ابنِ إسْحاقَ زِيادةٌ، وهِيَ أنّهُ قالَ: «يَغْلِي مِنْها دِماغُهُ حتّى يَسِيلَ على قَدَمَيْهِ»(٥).

ومِنْ بابِ النّظَرِ في حِكْمةِ اللهِ تعالى، ومُشاكَلةِ الجَزاءِ لِلْعَمَلِ: أنّ أبا طالِبٍ كان مع رسولِ اللهِ ﷺ بجملتِهِ متحزِّبًا لَهُ، إلّا أنّهُ كان مُثَبِّتًا لِقَدَمَيْهِ(٦) على مِلّةِ عَبْدِ المُطّلِبِ، حتّى قالَ عِنْدَ المَوْتِ: أنا على مِلّةِ عَبْدِ المُطّلِبِ، فسُلِّطَ العَذابُ على قدَميهِ خاصّةً؛ لتثبيتِهِ إياهما على مِلّةِ آبائِهِ. ثَبّتَنا اللهُ على الصّراطِ(٧) المُسْتَقِيمِ.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه، رقم (٢٠٩)، من حديث العبّاس رضيَ الله عنه. (ج)

(٢) أخرجه الشيخان، «فتح الباري»، كتاب مناقب الأنصار: (٧: ١٩٣)، ومسلم، كتاب الإيمان: (١: ١٩٤-١٩٥). والضحضاح: ما يبلغ الكعب من الماء.

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٤) «فتح الباري»، كتاب الرقاق: (١١: ٤١٧).

والقُمقُم: إناء صغير من نحاس، صغير الرأس، يُغلى فيه الماء. والمِرجل: القِدْرُ من الطين المطبوخ أو النحاس. فهما بمعنًى واحد، وهذا ما يرجِّح الرواية الأولى: «أو القمقم» على الثانية: «بالقمقم».

(٥) «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٢٢٣).

(٦) في (ف): «لقدمه».

(٧) في (ف): «السراط».

وذكرَ قَوْلَ اللهِ عزَّ وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]، وقد اسْتَغْفَرَ رسولُ اللهِ[١] ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، فقالَ: «اللهُمّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فإنّهُمْ لا يَعْلَمُونَ»، وذَلِكَ حِينَ جَرَحَ المُشْرِكُونَ وجْهَهُ، وقَتَلُوا عَمَّهُ وكَثِيرًا مِنْ أصْحابِهِ! ولا يَصِحُّ أنْ تكُونَ الآيةُ التي نزلَتْ في عَمّهِ ناسِخةً لِاسْتِغْفارِهِ يَوْمَ أُحُدٍ؛ لِأنّ وفاةَ عَمّهِ كانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ بِمَكّةَ، ولا يَنْسَخُ المُتَقَدِّمُ المُتَأَخِّرَ.

وقد أُجِيبَ على[٢] هَذا السّؤالِ بِأجْوِبةٍ، منها: أنْ قِيلَ: اسْتِغْفارُهُ لِقَوْمِهِ مَشْرُوطٌ بِتَوْبَتِهِمْ مِنَ الشّرْكِ؛ كَأَنّهُ أرادَ الدُّعاءَ لَهُمْ بِالتّوْبةِ حتّى يُغْفَرَ لَهُمْ. ويُقَوِّي هذا القَوْلَ رِوايةُ مَنْ رَوى: «اللهُمّ اهْدِ قَوْمِي؛ فإنّهُمْ لا يَعْلَمُونَ»، وقد ذكرَها ابنُ إسْحاقَ، رَواها عنه بَعْضُ رُواةِ الكِتابِ بهَذا اللّفْظِ.

وقيل: أرادَ مغفرةً تصرِفُ عنهم عُقوبةَ الدُّنيا من المَسخِ والخَسفِ، وغيرِ ذلك.

ووجهٌ ثالِثٌ: وهُو أنْ تكُونَ الآيةُ تَأخَّرَ نُزُولُها، فنزلَتْ بِالمَدِينةِ ناسِخةً [لِلاسْتِغْفارِ لِلْمُشْرِكِينَ، فيكُونُ سَبَبُ نُزُولِها مُتَقَدِّمًا، ونُزُولُها مُتَأَخِّرًا، لاسِيّما وهِيَ في سُورةِ بَراءةَ، وبَراءةُ[٣] مِنْ آخِرِ ما نزلَ، فتَكُونُ على هَذا ناسِخةً][٤] للاستغفارَينِ جَمِيعًا.

وفي «الصّحِيحِ» أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ على أبِي طالِبٍ عِنْدَ مَوْتِهِ وعِنْدَهُ

---

(١) «رسول الله» ليس في: (ف).

(٢) في (ف): «عن».

(٣) «وبراءة» سقط من: (ف).

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

أبو جَهْلٍ، وعَبْدُ اللهِ بنُ أبِي أُمَيَّةَ، فقالَ: «يا عَمِّ، قُلْ: لا إلَهَ إلّا اللهُ، كَلِمةً أشْهَدُ لَك بها عِنْدَ اللهِ»، فقالَ لَهُ أبو جَهْلٍ وابنُ أبِي أُمَيَّةَ: أتَرْغَبُ عَنْ مِلّةِ عَبْدِ المُطّلِبِ؟! فقالَ: أنا على مِلّةِ عَبْدِ المُطّلِبِ[١].

وظاهِرُ [هذا][٢] الحَدِيثِ يَقْتَضِي أنّ عَبْدَ المُطّلِبِ ماتَ على الشِّرْكِ، ووجَدْتُ في بَعْضِ كُتُبِ المَسْعُودِيِّ اخْتِلافًا في عَبْدِ المُطّلِبِ، وأنّهُ [قد][٣] قيل فيهِ: ماتَ مُسْلِمًا؛ لِما رَأى مِن الدّلائِلِ على نُبُوّةِ مُحَمّدٍ ﷺ وعَلِمَ أنّهُ لا يُبْعَثُ إلّا بِالتّوْحِيدِ، فاللهُ أعْلَمُ، غَيْرَ أنّ في «مُسْنَدِ البَزّارِ»، وفي كِتابِ النَّسَوِيِّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بنِ عمرو، أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ لِفاطِمةَ، وقد عَزّتْ قَوْمًا مِن الأنْصارِ عَنْ مَيّتِهِمْ: «لَعَلّكِ بَلَغْتِ مَعَهُم الكُدى»[٤]، ويُرْوى: «الكُرى» بِالرّاءِ؛ يَعْنِي: القُبُورَ، فقالَتْ: لا، فقالَ: «لَوْ كُنْتِ بلَغتِ مَعَهُم الكُدى» أوْ كَما قالَ، «ما رأيتِ الجَنّةَ حتّى يَراها جَدُّ أبِيكِ»[٥]. وقد خرَّجَهُ أبو داوُدَ[٦]، ولَمْ يَذْكُرْ فيهِ: «حتّى يَدْخُلَها جَدُّ أبِيكِ»، وكَذَلِكَ لَمْ يَذْكُرْ فيهِ: «ما دَخَلْتِ الجَنّةَ».

وفي قَوْلِهِ: «جَدُّ أبِيكِ»، ولَمْ يَقُلْ: جَدُّكِ؛ يَعْنِي: أباهُ، تقويةٌ لِلْحَدِيثِ الضّعِيفِ الّذِي قَدّمْنا ذِكْرَهُ: «أنّ اللهَ أحْيا أُمَّهُ وأباهُ، وآمَنا بِهِ»، فاللهُ أعْلَمُ.

---

(١) «فتح الباري»، كتاب الجنائز: (٣: ٢٢٢)، ومسلم، كتاب الإيمان: (١: ٥٤).

(٢) ما بين المعقوفين ليس في (أ).

(٣) ما بين المعقوفين ليس في (ب).

(٤) في «النهاية»، مادة: (كدى): «الكُدى؛ أراد: المقابر؛ وذلك لأنها كانت في مواضع صلبة. وهي جمع: كُدْية. ويُروى بالراء». وفي مادة: (كرا)، قال: «هي القبور، جمع: كُرْية أو كُروة، من كَرَيتُ الأرض وكَرَوْتُها: إذا حفرتَها كالحُفْرة من حَفَرتُ».

(٥) «سنن النسائي»، كتاب الجنائز: (٤: ٢٧-٢٨).

(٦) «سنن أبي داود»، كتاب الجنائز: (٣: ١٩٢).

ويَحْتَمِلُ أنْ يَكُونَ أرادَ تَخْوِيفَها بِقَوْلِهِ: «حتّى يَدْخُلَها جَدُّ أبيكِ»، فتَتَوهَّمُ[١] أنّهُ الجَدُّ الكافِرُ، ومِنْ جُدُودِهِ ﷺ: إسْماعِيلُ وإبْراهِيمُ؛ لأنّ قَوْلَهُ عَلَيْهِ السّلامُ حَقٌّ، وبُلُوغَها[٢] مَعَهُم الكُدى لا يُوجِبُ خُلُودًا في النّارِ، فهَذا مِنْ لَطِيفِ الكِنايةِ، فافهَمْهُ.

وحُكِيَ عن هشامِ بنِ السّائِبِ الكلبيِّ أوِ أبيهِ، أنّهُ قالَ: لمّا حَضَرَتْ أبا طالِبٍ الوفاةُ، جَمَعَ إلَيْهِ وُجُوهَ قُرَيْشٍ، فأوْصاهُمْ، فقالَ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أنْتُمْ صَفْوَةُ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ، وقَلْبُ العَرَبِ، فيكُم السَّيِّدُ المُطاعُ، وفيكُم المُقْدِمُ الشُّجاعُ، والواسِعُ الباعِ، واعْلَمُوا أنّكُمْ لَمْ تَتْرُكُوا لِلْعَرَبِ في المَآثِرِ نَصِيبًا إلّا أحْرَزْتُمُوهُ، ولا شَرَفًا إلّا أدْرَكْتُمُوهُ، فلَكُمْ بِذَلِكُمْ على النّاسِ الفَضِيلةُ، ولَهُمْ بِهِ إلَيْكُم الوسِيلةُ، [والنّاسُ لَكُمْ حِزْبٌ][٣]، وعلى حَرْبِكُمْ إلْبٌ[٤]، وإنّي أُوصِيكُمْ بِتَعْظِيمِ هَذِهِ البَنِيّةِ؛ فإنّ فيها مَرْضاةً لِلرّبِّ، وقِوامًا لِلْمَعاشِ، وثَباتًا لِلْوطْأةِ.

صِلُوا[٥] أرْحامَكُمْ ولا تَقْطَعُوها؛ فإنّ في صِلةِ الرّحِمِ مَنْسَأةً في الأجَلِ، وزِيادةً في العَدَدِ، واتْرُكُوا البَغْيَ والعُقُوقَ؛ ففيهِما هَلَكَةُ[٦] القُرُونِ قَبْلَكُمْ، أجِيبُوا الدّاعِيَ، وأعْطُوا السّائِلَ؛ فإنّ فيهِما شَرَفَ الحَياةِ والمماتِ، عَلَيْكُمْ بِصِدْقِ الحَدِيثِ، وأداءِ الأمانةِ؛ فإنّ فيهِما مَحَبّةً في الخاصِّ، ومَكْرُمةً في العامِّ، وإنّي أوصيكُمْ بمحمَّدٍ خيرًا؛ فإنه الأمينُ في قُرَيْشٍ، والصِّدِّيقُ في العَرَبِ، وهُو

---

(١) كذا في (أ)، (ف). وفي (ب)، (د)، (هـ): «فيتوهم»، وفي (ج): «فتوهم».

(٢) في (ف): «وبلوغهما».

(٣) ما بين المعقوفين ليس في: (ب).

(٤) الإلب: القوم المجتمعون على عداوة إنسان.

(٥) في (ب): «وصلوا».

(٦) في (ف): «هلكت».

الجامِعُ لِكُلِّ ما[١] أُوصِيكُمْ بِهِ، وقد جاءَ بِأَمْرٍ قَبِلَهُ الجَنانُ، وأَنْكَرَهُ اللِّسانُ مَخافَةَ الشَّنَآنِ، وايْمُ اللهِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إلى صَعالِيكِ العَرَبِ، وأَهْلِ البِرِّ في الأَطْرافِ، والمستضعَفين مِن النّاسِ، قد أجابُوا دَعْوتَهُ، وصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وعَظَّمُوا أَمْرَهُ، فخاضَ بِهِمْ غَمَراتِ المَوْتِ، فصارَتْ رُؤَساءُ قُرَيْشٍ وصَنادِيدُها[٢] أَذْنابًا، ودُورُها خَرابًا، وضُعَفاؤُها أَرْبابًا، وإذا أَعْظَمُهُمْ عَلَيْهِ أَحْوجُهُمْ إِلَيْهِ، وأَبْعَدُهُمْ مِنْهُ أَحْظاهُمْ عِنْدَهُ، قد مَحَضَتْهُ العَرَبُ وِدادَها، وأَصْفَتْ لَهُ فُؤادَها، وأَعْطَتْهُ قِيادَها.

دُونَكُمْ يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ابنَ أَبِيكُمْ، كُونُوا لَهُ وُلاةً، ولِحِزْبِهِ حُماةً، واللهِ لا يَسْلُكُ أَحَدٌ مِنْكُمْ سَبِيلَهُ إِلّا رَشَدَ، ولا يَأْخُذُ أَحَدٌ بِهَدْيِهِ إِلّا سَعِدَ، ولَوْ كانَ لِنَفْسِي مُدَّةٌ، ولِأَجَلِي تَأْخِيرٌ، لَكَفَفْتُ[٣] عنه الهزاهِزَ[٤]، ولَدَفعتُ عنه الدَّواهِيَ. ثُمَّ هَلَكَ.

فَصْلٌ

وذكَرَ ما أَنْزَلَ اللهُ تَعالى في قَوْلِهِمْ: ﴿أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٦]، وذكَرَ بَعْضُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ[٥] أَنَّ قَوْلَهُم: ﴿ٱمْشُواْ﴾ مِن المَشاءِ، لا مِن المَشْيِ، والمَشاءُ: نَماءُ المالِ وزِيادَتُهُ، يُقالُ: مَشى الرَّجُلُ وأَمْشى: إذا نَما ماشيتُه ومالُهُ[٦]، قالَ الشّاعِرُ[٧]: [من الوافر]

---

(١) في (ب): «لما أوصيكم».

(٢) في (ف): «وصناديدهم».

(٣) في (ف): «لكفيت».

(٤) الهَزاهِزُ: جمع هَزْهَزة، وهي الفتنة يهتز فيها الناس ويُبتلَوْن.

(٥) في (ف): «أهل العلم بالتفسير».

(٦) في (ف): «ماله وماشيته».

(٧) النابغة الذبياني، «ديوانه» صنعة ابن السكيت: (ص: ٢٥٧). وأثرى: كثُر ماله. وتَخْلِجُه: تجذبه.

وكُلُّ فتًى وإنْ أَمْشى وأثرى سَـتَخْلِجُهُ عن الدُّنيا مَنُونُ

وقالَ الرّاجِزُ[١]: [من الرجز]

والشّاةُ لا تَمْشِي على الهَمَلَّعِ

أيْ: لا تكْثُرُ، والهَمَلَّعُ: الذِّئْبُ، وقالَهُ الخَطّابِيُّ[٢] في مَعْنى الآيةِ؛ كَأَنَّهُمْ أرادُوا: أنّ المَشاءَ والبَرَكةَ في صَبْرِهِمْ على آلِهَتِهِمْ. وحَمْلُها على المَشْيِ أظْهَرُ في اللّغةِ، واللهُ أعْلَمُ.

وذكرَ تَتابُعَ المَصائِبِ على رَسُولِ اللهِ ﷺ بمَوْتِ خَدِيجةَ، ثُمّ بِمَوْتِ عَمِّهِ، وذكرَ الزُّبَيْرُ في حَدِيثٍ أسْنَدَهُ، أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ على خَدِيجةَ وهِيَ في المَوْتِ، فقالَ: «تكْرَهِينَ ما أرى منكِ يا خديجةُ؟ وقد يجعلُ اللهُ في الكُرْهِ خيرًا، أشَعَرْتِ أنّ اللهَ قد أعْلَمَنِي أنّهُ سيُزَوِّجُنِي مَعَكِ في الجَنّةِ مَرْيَمَ ابنةَ[٣] عِمْرانَ، وكَلْثَمَ أُخْتَ مُوسى، وآسِيةَ امْرَأةَ فِرْعَوْنَ؟ فقالَتْ: آللهُ أعْلَمَك بهَذا يا رَسُولَ اللهِ؟ قال[٤]: نَعَمْ. فقالَتْ: بِالرِّفاءِ والبَنِينَ»[٥]. وذُكِرَ أيْضًا في الحَدِيثِ، أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أطْعَمَ خديجةَ من عنبِ الجنةِ.

* * *

---

(١) البيت في «اللسان»: هملع، وفيه يروى:

لا تأمُريني ببناتِ أسـفعِ فالشاةُ لا تمشي مع الهَمَلَّعِ

(٢) «غريب الحديث» للخطابي: (٣: ٢٠٦-٢٠٧).

(٣) في (ف): «بنت». (٤) في (ف): «فقال».

(٥) أخرجه الطبراني (٢٢/ ٤٥١، رقم ١١٠٠)، قال الهيثمي في «المجمع»: منقطع الإسناد، وفيه محمد بن الحسن بن زبالة، وهو ضعيف.

سَعْيُ الرَّسُولِ ﷺ إلى ثَقِيفٍ يَطْلُبُ النُّصْرةَ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمّا هَلَكَ أبو طالِبٍ نالَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ مِنَ الأذى ما لَمْ تَكُنْ تَنالُ مِنْهُ في حَياةِ عَمِّهِ أبي طالِبٍ، فخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ إلى الطّائِفِ، يَلْتَمِسُ النُّصْرةَ مِنْ ثَقِيفٍ، والمَنَعةَ بِهِمْ مِنْ قَوْمِهِ، ورَجاءَ أنْ يَقْبَلُوا مِنْهُ ما جاءَهُمْ بِهِ مِنَ الله عَزَّ وجَلَّ، فخَرَجَ إلَيْهِمْ وحْدَهُ.

[نُزُولُ الرَّسُولِ بِثَلاثةٍ مِنْ أشْرافِهِمْ، وتَحْرِيضُهُمْ عَلَيْهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي يَزِيدُ بنُ زِيادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ كَعْبٍ القُرَظِيِّ، قالَ: لَمّا انْتَهى رَسُولُ الله ﷺ إلى الطّائِفِ، عَمَدَ إلى نَفَرٍ مِنْ ثَقِيفٍ، هُم يَوْمَئِذٍ سادةُ ثَقِيفٍ وأشْرافُهُمْ، وهُمْ إخْوةٌ ثَلاثةٌ: عَبْدُ يالِيلَ بنُ عَمْرِو بنِ عُمَيْرٍ، ومَسْعُودُ بنُ عَمْرِو بنِ عُمَيْرٍ، وحَبِيبُ بنُ عَمْرِو بنِ عُمَيْرِ بنِ عَوْفِ ابنِ عُقْدةَ بنِ غِيَرةَ بنِ عَوْفِ بنِ ثَقِيفٍ، وعِنْدَ أحَدِهِمُ امْرَأةٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي جُمَحَ، فجَلَسَ إلَيْهِمْ رَسُولُ الله ﷺ، فدَعاهُمْ إلى الله، وكَلَّمَهُمْ بِما جاءَهُمْ لَهُ مِنْ نُصْرَتِهِ على الإسْلامِ، والقِيامِ مَعَهُ على مَنْ خالَفَهُ مِنْ قَوْمِهِ، فقالَ لَهُ أحَدُهُمْ: هُوَ يَمْرُطُ ثِيابَ الكَعْبةِ إنْ كانَ الله أرْسَلَكَ. وقالَ الآخَرُ: أما وجَدَ الله أحَدًا يُرْسِلُهُ غَيْرَكَ! وقالَ الثّالِثُ: والله لا أُكَلِّمُكَ أبَدًا؛ لَئِنْ كُنْتَ رَسُولًا مِنَ الله كَما تَقُولُ، لَأنْتَ أعْظَمُ خَطَرًا مِنْ أنْ أرُدَّ عَلَيْكَ الكَلامَ، ولَئِنْ كُنْتَ تَكْذِبُ على الله، ما يَنْبَغِي لِي أنْ أُكَلِّمَكَ. فقامَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ عِنْدِهِمْ وقَدْ يئس من خَبرِ ثَقِيفٍ، وقَدْ قالَ لَهُمْ فيما ذُكِرَ لِي: «إذا فعَلْتُمْ

ما فعَلْتُمْ فاكْتُمُوا عَنِّي»، وكَرِهَ رَسُولُ الله ﷺ أنْ يَبْلُغَ قَوْمَهُ عَنْهُ، فيُذْئِرَهُمْ ذلك عَلَيْهِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: قالَ عَبِيدُ بنُ الأبْرَصِ:

وَلَقَدْ أتاني عَـنْ تَمِيمٍ أنَّهُمْ ذَئِرُوا لِقَتْـلى عامِرٍ وتَعَصَّبُوا

فَلَمْ يَفْعَلُوا، وأغْرَوْا بِهِ سُفَهاءَهُمْ وعَبِيدَهُمْ، يَسُبُّونَهُ ويَصِيحُونَ بِهِ، حَتّى اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النّاسُ، وألْجَؤُوهُ إلى حائِطٍ لِعُتْبَةَ بنِ رَبِيعةَ وشَيْبَةَ بنِ رَبِيعةَ، وهُما فيهِ، ورَجَعَ عَنْهُ مِنْ سُفَهاءِ ثَقِيفٍ مَنْ كانَ يَتْبَعُهُ، فعَمَدَ إلى ظِلِّ حَبَلَةٍ مِنْ عِنَبٍ، فجَلَسَ فيهِ وابنا رَبِيعةَ يَنْظُرانِ إلَيْهِ، ويَرَيانِ ما لَقِيَ مِنْ سُفَهاءِ أهْلِ الطّائِفِ، وقَدْ لَقِيَ رَسُولُ الله ﷺ فيما ذُكِرَ لِي المَرْأةَ الَّتِي مِنْ بَنِي جُمَحَ، فقالَ لَها: ماذا لَقِينا مِنْ أحْمائِكِ؟

خروجُ النبيِّ ﷺ إلى الطّائِفِ

وسَنَذْكُرُ السَّبَبَ في تَسْمِيَتِها بِالطّائِفِ، وأنَّ الدَّمُونَ رَجُلٌ مِن الصَّدِفِ[١] مِنْ حَضْرَمَوْتَ، نزلَها فقالَ [لِأهْلِها][٢]: ألا أبنِي لَكُمْ حائِطًا يُطِيفُ بِبَلْدَتِكُمْ؟ فبَناهُ، فسُمِّيَت: الطّائِفَ، وقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ مِمّا سَنَذْكُرُهُ[٣].

وقَوْلُهُ: «فيُذْئِرُهم عَلَيْهِ»، قد فسّرَهُ ابنُ هِشامٍ، وأنْشَدَ[٤]: [من الكامل]

---

(١) الصَّدِفُ: مِخلاف باليمن منسوبٌ إلى القبيلة. «معجم البلدان» (٣: ٣٩٧). (ج)

(٢) ما بين المعقوفين ليس في (ب).

(٣) انظر: (٧: ١٩٩).

(٤) البيت لعَبيد بن الأبرص، وهو في «ديوانه» (ص: ٦)، وفيه: «وتغضبوا».

ذَئِرُوا لِلْقَتْلى عامرٍ وتَعَصَّبُوا[١]

وفي الحَدِيثِ: لَمّا نَهى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ ضَرْبِ النِّساءِ، قالَوا: ذَئِرَ النِّساءُ على أَزْواجِهِنّ[٢]، وقد فَسّرَهُ أبو عُبَيْدٍ بِالنُّشُوزِ على الأَزْواجِ، وأَنْشَدَ البَيْتَ الّذِي أَنْشَدَهُ ابنُ هِشامٍ[٣]، ومَعْنى كَلامِهِما واحِدٌ.

وذكرَ ما لَقِيَ مِنْ أَشْرافِ ثَقِيفٍ، وذكرَ مُوسى بنُ عُقْبَةَ زِيادةً في الحَدِيثِ حِينَ أَغْرَوْا بِهِ سُفَهاءَهُمْ، قالَ: وكانَ يَمْشِي بَيْنَ سِماطَيْنِ[٤] مِنْهُمْ، فكُلّما نَقَلَ قَدَمًا، رَجَمُوا عَراقِيبَهُ بِالحِجارةِ، حتّى اخْتَضَبَتْ نَعْلاهُ بِالدِّماءِ، وذكرَ التَّيْمِيُّ[٥] كَما ذكرَ ابنُ عُقْبَةَ، وزادَ قالَ: كانَ إذا أَذْلَقَتْهُ[٦] الحِجارةُ قَعَدَ إلى الأَرْضِ، فيأْخُذُونَ بِعَضُدَيْهِ فيقِيمُونَهُ، فإذا مَشى رَجَمُوهُ وهُمْ يَضْحَكُونَ، حتّى انْتَهى إلى المَوْضِعِ الّذِي ذكرَهُ ابنُ إسْحاقَ مِنْ حائطِ عُتْبةَ وشَيْبةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فجَلَسَ إلى ظِلِّ حَبَلةٍ، والحَبَلةُ: الكَرْمةُ، اشْتُقَّ اسْمُها مِن الحَبَلِ؛ لِأَنّها تَحْمِلُ بِالعِنَبِ؛ ولِذَلِكَ فُتِحَ حَمْلُ الشّجَرةِ والنّخْلةِ، فقِيلَ: حَمْلٌ بِالفَتْحِ[٧] تَشْبِيهًا بِحَمْلِ المَرْأةِ، وقد يُقالُ فيهِ: حِمْلٌ بِالكَسْرِ [تَشْبِيهًا بِالحِمْلِ الّذِي على الظّهْرِ، ومَنْ قالَ في الكَرْمةِ: حَبْلةٌ بِسُكُونِ الباءِ، فلَيْسَ بِالمَعْرُوفِ،

---

(١) في (ف): «وتغضبوا».

(٢) أخرجه أبو داود وابن ماجه في كتاب النكاح، أبو داود: (٢: ٢٤٥)، وابن ماجه: (ص: ٦٣٨-٦٣٩).

(٣) «غريب الحديث» لأبي عبيد: (١: ٨٤-٨٥).

(٤) السماط: الصف.

(٥) في (ف): «التميمي».

(٦) أذلقته الحجارة؛ أي: بلغت منه الجَهْد حتى قَلِقَ.

(٧) في (ف): «بفتح الحاء».

وقد][1] قالَ أبو الحَسَنِ بنُ كَيْسانَ في نهيِ النَّبي ﷺ عن بَيْعِ حَبَلِ الحَبَلَةِ[2]: إنَّهُ بَيْعُ العِنَبِ قَبْلَ أنْ يَطِيبَ؛ كَما جاءَ في الحَدِيثِ الآخَرِ مِنْ نَهْيِهِ عَنْ بَيْعِ الثمَرِ قَبْلَ أنْ يَبْدُوَ صَلاحُه، وهُو قَوْلٌ غَرِيبٌ لَمْ يَذْهَبْ إلَيْهِ أحَدٌ في تَأْوِيلِ الحَدِيثِ[3].

وقد قالَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ في الأَرَضِينَ الّتِي افْتُتِحَتْ في زَمانِهِ ـ وقد قِيلَ لَهُ: اقسِمْها على الّذِينَ افْتَتَحُوها ـ فقالَ: واللهِ لَأَدَعَنَّها حتّى يُجاهِدَ بِها حَبَلُ الحَبَلَةِ. يُرِيدُ: أوْلادَ ما في البُطُونِ. ذكرَهُ أبو عُبَيْدٍ في كِتابِ «الأمْوالِ»[4].

والقَوْلُ الّذِي ذكرَهُ أبو الحَسَنِ في حَبَلِ الحَبَلَةِ وقَعَ في كِتابِ «الألْفاظِ» لِيَعْقُوبَ، وإنّما أشْكَلَ عَلَيْهِ وعلى غَيْرِهِ دُخُولُ الهاءِ في الحَبَلَةِ، حتّى قالُوا فيهِ أقْوالًا كُلُّها هَباءٌ، فمِنْهُمْ مَنْ قالَ: إنّما قالَ: الحَبَلَةُ؛ لِأنّها بَهِيمةٌ أوْ جَنِينةٌ، ومِنْهُمْ مَنْ قالَ: دَخَلَتْ لِلْجَماعةِ، ومِنْهُمْ مَنْ قالَ: لِلْمُبالَغةِ، وهَذا كُلُّهُ يَنْعَكِسُ عَلَيْهِمْ بقَوْلِهِ: حَبَلُ الحَبَلَةِ؛ فإنّهُ لَمْ يُدْخِلِ التّاءَ إلّا في أحَدِ اللّفْظَيْنِ دُونَ الآخَرِ، ويُبْطِلُ أيْضًا على مَنْ قالَ: أرادَ مَعْنى البَهِيمةِ بِحَدِيثِ عُمَرَ المُتَقَدِّمِ، وإنّما النّكْتةُ في ذلك[5]: أنّ الحبَلَ ما دامَ حَبَلًا لا يُدْرى: أذَكَرٌ هُو أمْ أُنْثى، فيُعبَّر عنه بالمصدر

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٢) أخرجه الشيخان في كتاب البيوع، «فتح الباري» (٤: ٣٥٦)، ومسلم: (٣: ١١٥٣).

(٣) ذكر في «فتح الباري» (٤: ٣٥٨): أنَّ ما ادَّعاه السُّهيلي من تفرد ابن كَيْسان بهذا القول، ليس كذلك، بل حكاه ابن السكيت في كتاب «الألفاظ»، ونقله القرطبي عن المبرد. هذا ولم يذكر السهيلي أنَّ ابن كيسان تفرَّدَ بهذا القول، بل وصفه بأنه قول غريب غير معروف في تأويل الحديث، وهي أقوال أربعة جمعها ابن حجر، بدليل أنه ستأتي نسبة هذا القول أيضًا إلى يعقوب وغيره.

(٤) «الأموال» (ص: ٦٣-٦٤).

(٥) في (ف): «ذاك».

من حَبِلَتِ المرأةُ حَبَلًا: إذا حَمَلتْ، فإذا ولدَتِ الحبلَ وعُلِمَ: أذكرٌ هو أم أُنثى، لَمْ يُسَمَّ حَبَلًا، فإذا كانَتْ أُنْثى، وبَلَغَتْ حَدَّ الحَمْلِ فحَبِلَتْ، فذلكَ الحَبَلُ هُو[1] الّذي نُهِيَ عَنْ بَيْعِهِ، والأوّلُ قد عُلِمَتْ أُنوثَتُهُ بَعْدَ الوِلادةِ، فعَبّرَ عنه بالحَبَلَةِ، وصارَ مَعْنى الكَلامِ: أنّهُ نَهى عَنْ بَيْعِ حَبَلِ الجَنِينةِ التي كانتْ حبَلًا لا يُعرَف ما هي، ثُمّ عُرِفَ بَعْدَ الوضْعِ، وكَذَلِكَ في الآدَمِيِّينَ، فإذَنْ لا يُقالُ لَها: حَبلَةٌ إلّا بَعْدَ المعرفةِ بأنها أُنثى، وعِنْدَ ذِكْرِ الحَبَلِ الثّاني؛ لِأنّ هَذِهِ الأُنْثى قَبْلَ أنْ تَحْبَلَ وهِيَ صَغِيرةٌ: رِخْلٌ[2]، وتُسَمّى: حائِلًا وأشْباهَ ذَلِكَ، وقد زالَ عنها اسْمُ الحَبَلِ، فإذا حَبِلَتْ، وذكرَ حَبَلها وازْدَوجَ ذكرهُ مَعَ الحالةِ الأُولى الّتِي كانَتْ فيها حَبَلًا، فُرِّقَ بَيْنَ اللّفْظَيْنِ بتاءِ التّأْنِيثِ، وخُصَّ اللّفْظُ الّذِي هُو عِبارةٌ عَن الأُنْثى بالتّاءِ دُونَ اللّفْظِ الّذِي لا يُدْرى ما هُو: أذَكَرٌ أمْ أُنْثى. وقد كانَ[3] المَعْنى قَرِيبًا، والمَأْخَذُ سَهْلًا لا يَحْتاجُ إلى هَذِهِ الإطالةِ، لَوْلا ما قَدّمْناهُ مِنْ تَخْلِيطِهِمْ في تَأْوِيلِ هَذا الكَلامِ الفَصِيحِ البَلِيغِ الّذِي لا يَقْدِرُ قدرَهُ في البَلاغةِ إلّا عالِمٌ بِجَوْهَرِ الكَلامِ.

* * *

(١) «هو» ليست في (ف).

(٢) الرِّخلُ: الأنثى من ولد الضأن، والحائل: كل أنثى لا تَحبِل، والأنثى من ولد الناقة ساعة يولَد.

(٣) في (ف): «وكان».

[تَوَجُّهُهُ ﷺ إلى رَبِّهِ بِالشَّكْوى]

فَلَمّا اطْمَأَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ قالَ فيما ذُكِرَ لِي: «اللهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وقِلَّةَ حِيلَتِي، وهَوانِي على النّاسِ، يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ المُسْتَضْعَفِينَ، وأَنْتَ رَبِّي، إلى مَنْ تَكِلُنِي؟ إلى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي؟ أَمْ إلى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟ إنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فلا أُبالِي، ولَكِنَّ عافيتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وجْهِكَ الَّذي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُماتُ، وصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيا والآخِرةِ؛ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سُخْطُكَ، لَكَ العُتْبى حَتّى تَرْضى، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلّا بِكَ».

فَصْلٌ

وذكَرَ دُعاءَهُ عَلَيْهِ السّلامُ عِنْدَ الشِّدّةِ، وقَوْلَهُ: «اللهُمّ إنّي أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوّتي، وقِلّةَ حِيلَتِي...» إلى آخِرِ الدُّعاءِ، وفيهِ: «أَعُوذُ بِنُورِ وجْهِك الّذِي أَشْرَقَتْ لهُ الظّلُماتُ، [وصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيا والآخِرةِ»، ويُسْأَلُ عَنْ معنى[1] النُّورِ هُنا[2]، ومَعْنى الوجْهِ، وإشْراقِ الظُّلُماتِ][3]. أما الوجْهُ إذا جاءَ ذِكْرُهُ في الكِتابِ والسُّنّةِ، فهُو يَنْقَسِمُ في الذِّكْرِ إلى مَوْطِنَيْنِ: مَوْطِنِ[4] تَقَرُّبٍ واسْتِرْضاءٍ

(١) «معنى» ليست في (ف).

(٢) في (ب): «هذا النور»، وفي (هـ): «النور ههنا».

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٤) «موطن» ليست في (ف).

بعَمَلٍ؛ كَقَوْلِهِ[١]: ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الأنعام: ٥٢]، وكقولِه: ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [الليل: ٢٠]، فالمَطْلُوبُ في هَذا المَوْطِنِ: رِضاهُ وقَبُولُهُ لِلْعَمَلِ، وإقْبالُهُ على العَبْدِ العامِلِ، وأصْلُهُ: أنّ مَنْ رَضِيَ عَنْك أقْبَلَ عَلَيْك، ومَنْ غَضِبَ عَلَيْك أعْرَضَ عَنْك ولَمْ يُرِك وجْهَهُ، فأفادَ قَوْلُهُ: «بِوجْهِك» ههُنا مَعْنى الرِّضا والقَبُولِ والإقْبالِ، ولَيْسَ بِصِلةٍ في الكَلامِ كَما قالَ أبو عُبَيْدةَ؛ لِأنّ قَوْلَهُ [ذَلِكَ[٢] هُراءٌ][٣] مِن القَوْلِ، ومَعْنى الصِّلةِ عِنْدَهُ: أنّها كَلِمةٌ لا تُفيدُ إلّا تأكيدًا للكلام، وهَذا قَوْلُ مَنْ غَلُظَ طَبْعُهُ، وبَعُدَ بِالعُجْمةِ عَنْ فَهْمِ البَلاغةِ قَلْبُهُ، كَذَلِكَ قالَ هُو ومَنْ قَلَّدَهُ [في قَوْلِهِ تَعالى][٤]: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]؛ أيْ: يَبْقى رَبُّك، و﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨]؛ أيْ: إلّا إيّاهُ، فعلى هَذا القولِ قد خَلا ذِكْرُ الوجْهِ مِنْ حِكْمةٍ، وكَيْفَ تَخْلُو كَلِمةٌ [مِنْهُ][٥] مِن الحِكْمةِ وهُو الكتاب الحكيم؟! ولكنْ هذا هو الموطِنُ الثاني مِنْ مَواطِنِ ذِكْرِ الوجْهِ، والمَعْنيُّ بِهِ: ما ظَهَرَ إلى القُلُوبِ والبَصائِرِ مِنْ أوْصافِ جَلالِهِ ومجدِه.

والوجهُ لغةً: ما ظهر من الشّيء مَعْقُولًا كانَ أوْ مَحْسُوسًا، تَقُولُ: هَذا وجْهُ المَسْألةِ، ووجْهُ الحَديثِ؛ أي: الظّاهِرُ إلى رَأْيِك مِنْهُ، وكَذَلِكَ وجهُ الثَّوْبِ: ما ظَهَرَ إلى بَصَرِك مِنْهُ، والبَصائِرُ لا تُحِيطُ بِأوْصافِ جَلالِهِ، وما يَظْهَرُ لَها مِنْ ذَلِكَ أقَلُّ مِمّا يَغِيبُ عنها، وهُو الظّاهِرُ الباطِنُ[٦] ـ تَعالى وجَلّ ـ وكَذَلِكَ في الجَنّةِ نَظَرُ أهْلِها

---

(١) في (أ)، (هـ): «يريدون وجه الله» وهو من الآية ٣٨ من سورة الروم.

(٢) مكانه في (أ): «هذا».

(٣) ما بين المعقوفين ليس في (ب).

(٤) ما بين المعقوفين ليس في (ف).

(٥) ما بين المعقوفين ليس في (أ).

(٦) في (ف): «والباطن».

إلى وجْهِهِ سُبْحانَهُ إنّما هُو نَظَرٌ إلى ما يَرَوْنَ مِنْ ظاهِرِ جَلالِهِ إلَيْهِمْ عِنْدَ تَجَلِّيهِ، ورَفْعِ الحِجابِ دُونَهُمْ، وما لا يُدْرِكُونَ مِنْ ذَلِكَ الجَلالِ أَكْثَرُ مِمّا أَدْرَكُوا[١].

وقَوْلُهُ سُبْحانَهُ: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]، لَمّا كانَت السّمواتُ والأَرْضُ قد أَظهَرَتْ مِنْ قُدْرَتِهِ وسُلْطانِهِ ما أَظهَرَتْ، أَخْبَرَ تَعالى أَنّ فناءَها لا يُغَيِّرُ ما عُلِمَ مِنْ سُلْطانِهِ، وظَهَرَ إلى البَصائِرِ مِنْ جَلالِهِ؛ فقد كانَ ذَلِكَ الجَلالُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَها، وهُو باقٍ بَعْدَ فَنائِها كَما كانَ في القِدَمِ، فهُو ذُو الجَلالِ والإكْرامِ. قالَ[٢] الحَسَنُ: مَعْناهُ: تَجَلّلَ بِالبَهاءِ، وأَكْرَمَ مَنْ شاءَ بِالنَّظَرِ إلى وجْهِهِ.

وأَمّا الأَشْعَرِيُّ فذَهَبَ في مَعْنى الوجْهِ إلى ما ذَهَبَ إليهِ في مَعْنى العَيْنِ واليَدِ، وأَنّها صِفاتُ اللهِ سبحانه، لَمْ تُعْلَمْ مِنْ جِهةِ المعقُولِ[٣]، ولكن مِنْ جِهةِ الشَّرْعِ المَنْقُولِ.

وهَذِهِ عُجْمةٌ أَيْضًا؛ فإنّهُ نزلَ بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، فقد فهِمَتْهُ العَرَبُ لَمّا نزلَ بِلِسانِها، [ولَيْسَ][٤] في لُغَتِها أَنّ الوجْهَ صِفةٌ، ولا أَشكلَ على المُؤْمِنِ مِنْهُمْ ولا على الكافِرِ مَعْنى هَذِهِ الآيِ الّتِي احْتِيجَ آخِرَ الزّمانِ إلى الكلام فيها مَعَ العُجْمانِ؛ لِأَنّ المُؤْمِنَ لَمْ يَخْشَ على عَقِيدَتِهِ شَكًّا ولا تَشْبِيهًا، فلَمْ يَسْتَفْسِرْ أَحَدٌ مِنْهُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، ولا سَأَلَهُ عَنْ هَذِهِ الآيِ الّتِي هِيَ اليَوْمَ مُشْكِلةٌ عِنْدَ عَوامِّ النّاسِ، ولا الكافِرُ في ذَلِكَ الزّمانِ لَمْ يَتَعَلّقْ بها في مَعْرِضِ المُناقَضةِ والمُجادَلةِ؛ كَما فعَلُوا في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن

---

(١) في (أ): «أدركوه».

(٢) في (ف): «وقال».

(٣) كذا في (ب)، (هـ). وفي غيرهما: «العقول».

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾[١] [الأنبياء: ٩٨]، ولا قالَ أحَدٌ مِنْهُمْ: يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أنَّ اللهَ لا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ، ثُمّ يُثْبِتُ لَهُ وجْهًا ويَدَيْنِ إلى غَيْرِ ذَلِكَ، فدَلَّ على أنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا في الآيةِ[٢] إشْكالًا، وتَلَقَّوْا مَعانِيَها على غَيْرِ التَّشْبيهِ، وعَرَفُوا مِنْ سَمانةِ الكَلامِ، ومَلاحةِ الِاسْتِعارةِ فيه أنّهُ مُعْجِزٌ، فلَمْ يَتَعاطَوْا لَهُ مُعارَضةً، ولا تَوهّمُوا فيهِ مُناقَضةً. وقد أمْلَيْنا في مَعْنى اليَدَ والعَيْنِ مَسْألةً بَدِيعةً جِدًّا، فلْتُنْظَرْ هُنالِكَ[٣]، والحمدُ لله.

وأمّا النُّورُ فعِبارةٌ عَن الظُّهُورِ وانْكِشافِ الحَقائِقِ الإلَهِيّةِ، وبهِ أشْرَقَتِ الظُّلُماتُ؛ أيْ: أشْرَقَتْ مَحالُّها، وهِيَ القُلُوبُ الّتِي كانَتْ فيها ظُلُماتُ الجَهالاتِ والشُّكُوكِ، فاسْتَنارَتِ القُلُوبُ بنُورِ اللهِ. وقد قالَ المُفَسِّرُونَ في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾ [النور: ٣٥]؛ أيْ: مَثَلُ نُورهِ في قَلْبِ المُؤْمِنِ ﴿ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾، [فهُو إذًا نُورُ الإيمانِ والمَعْرِفةِ: المُجْلِي لِكُلِّ ظُلْمةٍ وشَكٍّ][٤]، قالَ كَعْبٌ: المِشْكاةُ مَثَلٌ لِفَمِهِ، والمِصْباحُ مَثَلٌ لِلِسانِهِ، والزُّجاجةُ: مَثَلٌ لِصَدْرِهِ، أوْ قال: لِقَلْبِهِ؛ أيْ: لقَلْبِ مُحَمّدٍ ﷺ.

وقالَ: «أعُوذُ بِنُورِ وجْهِك»، ولَوْ قالَ: أعوذُ بِنُورِك لَحَسُنَ، ولَكِنْ تَوسّلَ إلَيْهِ بما أوْدَعَ قَلْبَهُ مِنْ نُورِهِ، [فتَوسّلَ إلى نِعْمَتِهِ بنِعْمَتِهِ][٥]، وإلى فضْلِهِ ورَحْمَتِهِ بفَضْلِهِ ورَحْمَتِهِ. وقد تَكُونُ الظُّلُماتُ ههُنا أيْضًا: الظُّلُماتِ المَحْسُوسةَ، وإشْراقُها: دلالاتُها على خالِقِها، وكَذَلِكَ الأنْوارُ المَحْسُوسةُ، الكُلُّ دالٌّ عَلَيْهِ،

(١) أتممت الآية في (أ).

(٢) في (ف): «في هذه الآي».

(٣) انظر: «نتائج الفكر» للسهيلي: (ص: ٢٩٢) وما بعدها.

(٤) ما بين المعقوفين مكانه في (ب)، (د)، (ف) بعد أثر كعب الآتي.

(٥) مكانه في (أ): «فتوسل به إلى نعمته».

فهُو نُورُ النّورِ؛ أيْ: مُظْهِرُهُ، ومُنَوِّرُ الظّلُماتِ؛ أيْ: جاعِلُها نُورًا[1] في حُكْمِ الدَّلالة عليه سبحانه.

[قِصّةُ عَدّاسٍ النّصْرانِيِّ مَعَهُ ﷺ]

قالَ: فلَمّا رَآهُ ابنا رَبيعةَ؛ عُتْبةُ وشَيْبةُ، وما لَقِيَ، تَحَرَّكَتْ لَهُ رَحِمُهُما، فدَعَوا غُلامًا لَهُما نَصرانِيًّا، يُقالُ لَهُ عَدّاسٌ، فقالا لَهُ: خُذْ قِطْفًا مِنْ هذا العِنَبِ، فضَعْهُ في هذا الطَّبَقِ، ثُمَّ اذْهَبْ بِهِ إلى ذلك الرَّجُلِ، فقُلْ لَهُ يَأْكُلُ مِنْهُ.

فَفَعَلَ عَدّاسٌ، ثُمَّ أقْبَلَ بِهِ حَتّى وضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ، ثُمَّ قالَ لَهُ: كُلْ، فلَمّا وضَعَ رَسُولُ الله ﷺ فيهِ يَدَهُ، قالَ: «بِاسْمِ اللهِ»، ثُمَّ أكَلَ، فنَظَرَ عَدّاسٌ في وجْهِهِ، ثُمَّ قالَ: واللهِ إنَّ هذا الكَلامَ ما يَقُولُهُ أهْلُ هَذِهِ البِلادِ، فقالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «ومِنْ أهْلِ أيِّ البِلادِ أنْتَ يا عَدّاسُ؟ وما دِينُكَ؟» قالَ: نَصْرانِيٌّ، وأنا رَجُلٌ مِنْ أهْلِ نِينَوى، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مِنْ قَرْيةِ الرَّجُلِ الصّالِحِ يُونُسَ بنِ مَتّى»، فقالَ لَهُ عَدّاسٌ: وما يُدْرِيكَ ما يُونُسُ ابنُ مَتّى؟ فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ذاكَ أخِي، كانَ نَبِيًّا وأنا نَبِيٌّ»، فأكَبَّ عَدّاسٌ على رَسُولِ الله ﷺ يُقَبِّلُ رَأْسَهُ ويَدَيْهِ وقَدَمَيْهِ.

قالَ: يَقُولُ ابنا رَبيعةَ أحَدُهُما لِصاحِبِهِ: أمّا غُلامُكَ فقَدْ أفْسَدَهُ عَلَيْكَ. فلَمّا جاءَهُما عَدّاسٌ، قالا لَهُ: ويْلَكَ يا عدّاسُ! ما لَك تُقَبِّلُ رَأْسَ هذا الرَّجُلِ ويَدَيْهِ وقَدَمَيْهِ؟ قالَ: يا سَيِّدِي ما في الأرْضِ شَيْءٌ خَيْرٌ مِنْ هذا، لَقَدْ أخْبَرَنِي بِأمْرٍ ما يَعْلَمُهُ إلّا نَبِيٌّ، قالا لَهُ: ويْحَكَ يا عَدّاسُ، لا يَصْرِفَنَّكَ عَنْ دِينِكَ؛ فإنَّ دِينَكَ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ.

---

(١) في (ب): «نورًا في نور في حكم».

فَصْلٌ

وذكرَ خَبرَ عَدّاسٍ غُلامِ عُتْبةَ بنِ ربيعةَ وشَيْبةَ بنِ رَبيعةَ حِينَ جاءَه بالقِطْفِ مِنْ عِنْدِهما... إلى آخرِ القِصّةِ، وفيهِ قَبُولُ هَدِيّةِ المُشْرِكِ، وألا[1] يُتَورَّعَ عَنْ طَعامِهِ، وسَيأْتِي اسْتِقْصاءُ ذَلِكَ إنْ شاءَ اللهُ.

وزادَ التَّيْمِيُّ فيها: أنّ عَدّاسًا حِينَ سَمِعَهُ يَذْكُرُ يُونُسَ بنَ مَتّى قالَ: واللهِ لَقد خَرَجْتُ مِنْها ـ يَعْنِي: من نِينَوى ـ وما فيها عَشَرةٌ يَعْرِفُونَ: ما مَتّى؟ فمِنْ أيْنَ عَرَفْتَ أنْتَ مَتّى، وأنْتَ أُمِّيٌّ، وفي أُمّةٍ أُمِّيّةٍ؟! فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هو أخِي؛ كانَ نَبِيًّا، وأنا نَبِيّ».

وذَكَرُوا أيْضًا أنّ عَدّاسًا هذا لمّا أرادَ سَيِّداهُ الخُرُوجَ إلى بَدْرٍ، أمَراهُ بالخُرُوجِ مَعَهُما، فقالَ لَهُما: أقِتالَ ذَلِكَ الرّجُلِ الّذِي رَأيْتُهُ بحائِطِكُما تُرِيدانِ؟ واللهِ ما تَقُومُ لَهُ الجِبالُ! فقالا لَهُ[2]: ويْحَك يا عدّاس! قد سحركَ بلِسانِه.

وعندما لَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أهْلِ الطّائِفِ ما لَقِيَ، ودَعا بالدُّعاءِ المُتَقَدِّمِ، نزلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ ومَعَهُ مَلَكُ الجِبالِ؛ [كَما][3] رَوى البُخارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ يُوسُفَ، [أخبرنا ابنُ وهبٍ][4] عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابنِ شِهابٍ، قالَ: حَدّثَنِي عُرْوةُ، أنّ عائِشةَ زَوْجَ النّبِيِّ ﷺ حَدّثَتْهُ أنّها قالَتْ لِلنّبِيّ ﷺ: «هَلْ أتى عَلَيْكَ يَوْمٌ كان أشدَّ عَلَيْك مِنْ يوم أُحُدٍ؟ فقالَ: لَقد لَقِيتُ مِنْ قَوْمِك، وكانَ أشَدّ ما لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبةِ؛ إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي على [ابنِ عَبْدِ يالِيلَ][5] بنِ عَبْدِ كُلالٍ،

(١) في (ف): «ولا».

(٢) «له» ليس في (ف).

(٣) ما بين المعقوفين ليس في: (أ).

(٤) من البخاري.

(٥) ما بين المعقوفين سقط من: (أ).

فلَمْ يُجِبنِي إلى ما أَرَدْتُ، فانْطَلَقْتُ على وجْهِي وأنا مَهْمُومٌ، فلَمْ أَسْتَفِقْ إلّا وأنا بقَرْنِ الثَّعالِبِ(١)، فرَفَعْتُ رَأْسِي، فإذا أنا بِسَحابةٍ قد أَظَلَّتْنِي، فنَظَرْتُ فإذا فيها جِبْرِيلُ عليه السلام، فنادانِي فقالَ: إنّ الله قد سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِك لَك، وما رَدُّوا عَلَيْك، وقد بَعَثَ إلَيْك مَلَكَ الجِبالِ لِتَأْمُرَهُ بما شِئْتَ فيهِمْ، فنادانِي مَلَكُ الجِبالِ، فسَلَّمَ عَلَيّ ثم قالَ: يا مُحَمّدُ، ذَلِكَ لكَ، فما شِئتَ؟ إنْ شِئْتَ [أنْ](٢) أُطْبِقَ عَلَيْهِم الأَخْشَبَيْنِ. فقالَ النّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أرْجُو أنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»(٣). هَكَذا قالَ في الحَدِيثِ: ابنُ عَبْدِ كُلالٍ، وهُو خِلافُ ما نَسَبَهُ ابنُ إسْحاقَ(٤).

* * *

(١) قَرنُ الثّعالب هو قرن المنازل، وهو مِيقاتُ أهل نجد. «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي: (٤: ١٠٩). (ج)

(٢) ما بين المعقوفين سقط من: (ف)، (أ)، (ب).

(٣) «فتح الباري»، كتاب بدء الخلق: (٦: ٣١٢-٣١٣).

(٤) انظر: «سيرة ابن هشام» (١: ٤١٩).

[أمْرُ الجِنِّ الَّذينَ اسْتَمَعُوا لَهُ وآمَنُوا بِهِ]

قالَ: ثُمَّ إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ انْصَرَفَ مِنَ الطّائِفِ راجِعًا إلى مَكّةَ، حِينَ يَئِسَ مِنْ خَيْرِ ثَقِيفٍ، حَتّى إذا كانَ بِنَخْلةَ قامَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ يُصَلِّي، فمَرَّ بِهِ النَّفَرُ مِنَ الجِنِّ الَّذينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ تبارَكَ وتَعالى، وهُمْ فيما ذُكِرَ لِي سَبْعةُ نَفَرٍ مِنْ جِنِّ أهْلِ نَصِيبِينَ، فاسْتَمَعُوا لَهُ، فلَمّا فرَغَ مِنْ صَلاتِهِ ولَّوْا إلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ، قَدْ آمَنُوا وأجابُوا إلى ما سَمِعُوا. فقَصَّ الله خَبَرَهُمْ عَلَيْهِ ﷺ، قالَ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [الأحقاف: ٢٩] إلى قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأحقاف]. وقالَ تبارَكَ وتَعالى: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الجن: ١] إلى آخِرِ القِصّةِ مِنْ خَبَرِهِمْ في هَذِهِ السُّورةِ.

فَصْلٌ

وذكرَ وفْدَ جِنِّ[1] نَصِيبِينَ، وما أنْزَلَ اللهُ فيهِمْ، وقد أمْلَيْنا في أوّلِ المَبْعَثِ مِنْ هَذا الكِتابِ طَرَفًا مِنْ أخْبارِهِمْ، وبَيّنّا هُنالِكَ أسماءَهُمْ[2].

ونَصِيبِينُ: مَدِينةٌ بِالشّامِ، أثْنى عَلَيْها رَسُولُ اللهِ ﷺ، رُوِيَ أنّهُ قالَ: «رُفِعتْ

(١) في نسخة البنا رحمه الله: «وفد جن وفد»، والمثبت من (ف). (ج)
(٢) انظر: (٢: ٢٦٤).

إِلَيَّ[١] نَصِيبِينُ حتّى رَأَيْتُها، فدَعَوْتُ [اللهَ][٢] أَنْ يَعْذُبَ نَهْرُها، ويَنْضُرَ شَجَرُها، ويكثُرَ مطرُها»[٣].

وتَقَدّمَ في أسْمائِهِمْ ما ذكرَهُ ابنُ دُرَيْدٍ، قالَ: هُمْ: منشى، وماشى، وشاصِر، وماصِر، والأحْقَب، لَمْ[٤] يَزِدْ على تَسْمِيةِ هَؤُلاءِ، وقد ذَكَرْنا تَمامَ أَسْمائِهِمْ فيما تَقَدّمَ.

وفي «الصّحِيحِ»[٥] أنّ الّذِي آذَنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بالجِنّ لَيْلةَ الجِنّ شَجَرةٌ، وأنّهُمْ سَأَلُوهُ[٦] الزّادَ، فقالَ: «كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ يَقَعُ في يَدِ أَحَدِهِمْ أَوْفَرَ ما يَكُونُ لَحْمًا، وكُلُّ بَعْرٍ عَلَفٌ لِدَوابّهِمْ». زادَ ابنُ سَلّامٍ في «تَفْسِيرِهِ»: أنّ البَعْرَ يَعُودُ خَضِرًا لِدَوابّهِمْ، ثُمّ نَهى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُسْتَنْجى بِالعَظْمِ والرَّوْثِ، وقالَ: «إنّهُ زادُ إِخْوانِكُمْ مِن الجِنّ»، ولَفْظُ الحَدِيثِ في «كِتابِ مُسْلِمٍ» كَما قَدّمْناهُ: «كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ»[٧]، ولَفْظُهُ في «كِتابِ أَبِي داوُدَ»: «كُلُّ عَظْمٍ لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ»[٨]، وأَكْثَرُ الأحادِيثِ تَدُلُّ على مَعْنى رِوايةِ أَبِي داوُدَ. وقالَ بَعْضُ العُلَماءِ[٩]: رِوايةُ مُسْلِمٍ في الجِنِّ المُؤْمِنِينَ، والرِّوايةُ الأُخْرى في

---

(١) في (أ): «لي».
(٢) ما بين المعقوفين ليس في (أ).
(٣) انظر: «معجم البلدان»: نصيبين.
(٤) في (ف): «ولم».
(٥) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح، والقراءة على الجن: (١: ٣٣٢-٣٣٣).
(٦) في (ف): «سألوا».
(٧) مسلم، كتاب الأشربة: (٣: ١٥٩٨).
(٨) لم نقف عليه في «سنن أبي داود». (ج)
(٩) في (ب): «بعض رواة الحديث».

حَقِّ الشَّياطِينِ مِنْهُمْ، وهَذا قَوْلٌ صَحِيحٌ تَعْضُدُهُ الأحادِيثُ إلّا أنّا نَكْرَهُ الإطالةَ، وفي هَذا رَدٌّ على مَنْ زَعَمَ أنّ الجِنّ لا تأْكُلُ ولا تشْرَبُ، وتَأوّلُوا قَوْلَهُ ﷺ: «إنّ الشّيْطانَ يأْكُلُ بِشِمالِهِ، ويَشْرَبُ بِشِمالِهِ» على غَيْرِ ظاهِرِهِ.

وهُمْ ثَلاثةُ أصْنافٍ كَما جاءَ في حَدِيثٍ آخَرَ: صِنْفٌ على صُورِ[1] الحَيّاتِ، وصِنْفٌ على صُورِ الكِلابِ [سُودٌ][2]، وصِنْفٌ رِيحٌ طَيّارةٌ، أوْ قال: هفّافة ذوو[3] أجْنِحةٍ، وزادَ بَعْضُ الرُّواةِ في الحَدِيثِ: «وصِنْفٌ يَحِلُّونَ[4] ويَظْعَنُونَ»[5]، وهُم السَّعالِي، ولَعَلّ هَذا الصّنْفَ الطّيّارَ هُو الّذِي لا يَأْكُلُ ولا يَشْرَبُ، إنْ صَحّ القَوْلُ المُتَقَدِّمُ، واللهُ أعْلَمُ.

ورُوِّينا في حَدِيثٍ سَمِعْته يُقْرَأُ على الشّيْخِ الحافِظِ أبِي بَكْرٍ [محمَّدِ][6] بنِ العَرَبِيّ، بِسَنَدِهِ إلى جابِرِ بن عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، قالَ: «بَيْنا أنا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَمْشِي، إذْ جاءَتْ حَيّةٌ فقامَتْ إلى جَنْبِهِ، وأدْنَتْ فاها مِنْ أُذُنِهِ، وكأنها تُناجِيهِ، أوْ نَحو هَذا، فقالَ النّبِيُّ ﷺ: نَعَمْ، فانْصَرَفَتْ، قالَ جابِرٌ: فسَألْتُه، فأخْبَرَنِي أنّهُ رَجُلٌ مِن الجِنّ، وأنّهُ قالَ [لَهُ][7]: مُرْ أُمّتَك لا يَسْتَنْجُوا بِالرَّوْثِ، ولا بِالرِّمّةِ؛ فإنّ اللهَ سبحانه جَعَلَ لَنا في ذَلِكَ رِزْقًا».

---

(١) في (ف): «صورة».

(٢) ما بين المعقوفين ليس في (ب).

(٣) في النسخ: «ذو» والمثبت من (أ).

(٤) في (ب): «يرتحلون».

(٥) أخرجه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٧: ٣٨١)، رقم (٢٩٤١) من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه. (ج)

(٦) من (ب).

(٧) ما بين المعقوفين ليس في (د)، (أ).

عَرْضُ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَفْسَهُ على القَبائِلِ

[عَرْضُ الرَّسُولِ نَفْسَهُ على العَرَبِ في مَواسِمِهِمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ مَكَّةَ، وقَوْمُهُ أشَدُّ ما كانُوا عَلَيْهِ مِنْ خِلافِهِ وفِراقِ دِينِهِ، إلّا قَلِيلًا مُسْتَضْعَفِينَ مِمَّن آمن بِهِ، فكانَ رَسُولُ الله ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ في المَواسِمِ إذا كانَتْ، على قَبائِلِ العَرَبِ يَدْعُوهُمْ إلى الله، ويُخْبِرُهُمْ أنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، ويَسْألُهُمْ أنْ يُصَدِّقُوهُ ويَمْنَعُوهُ حَتّى يُبَيِّنَ لَهُمُ اللهُ ما بَعَثَهُ بِهِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي مِنْ أصْحابِنا مَنْ لا أتَّهِمُ، عَنْ زَيْدِ بنِ أسْلَمَ، عَنْ رَبِيعةَ بنِ عَبّادٍ الدِّيلِيِّ، أوْ مَنْ حَدَّثَهُ أبو الزِّنادِ عَنْهُ، قالَ ابنُ هِشامٍ: رَبِيعةُ بنُ عَبّادٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي حُسَيْنُ بنُ عَبْدِ الله بنِ عُبَيْدِ اللهِ بنِ عَبّاسٍ، قالَ:

سَمِعْتُ رَبِيعةَ بنَ عَبّادٍ، يُحَدِّثُهُ أبِي، قالَ: إنِّي لَغُلامٌ شابٌّ مَعَ أبِي بِمِنًى، ورَسُولُ اللهِ ﷺ يَقِفُ على مَنازِلِ القَبائِلِ مِنَ العَرَبِ، فيَقُولُ: «يا بَنِي فُلانٍ، إنِّي رَسُولُ اللهِ إلَيْكُمْ، يَأْمُرُكُمْ أنْ تَعْبُدُوا اللهَ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وأنْ تَخْلَعُوا ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ هَذِهِ الأنْدادِ، وأنْ تُؤْمِنُوا بِي، وتُصَدِّقُوا بِي، وتَمْنَعُونِي، حَتّى أُبَيِّنَ عَنِ الله ما بَعَثَنِي بِهِ». قالَ: وخَلْفَهُ رَجُلٌ أحْوَلُ وضِيءٌ،

لَهُ غَدِيرَتانِ، عَلَيْهِ حُلَّةٌ عَدَنِيَّةٌ، فإذا فرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ وما دَعا إلَيْهِ، قالَ ذلك الرَّجُلُ: يا بَنِي فُلانٍ، إنَّ هذا إنَّما يَدْعُوكُمْ أنْ تَسْلُخُوا اللّاتَ والعُزّى مِنْ أعْناقِكُمْ، وحَلْفاءَكُمْ مِنَ الجِنِّ مِنْ بَنِي مالِكِ بنِ أُقَيْشٍ، إلى ما جاءَ بِهِ مِنَ البِدْعةِ والضَّلالةِ، فلا تُطِيعُوهُ، ولا تَسْمَعُوا مِنْهُ.

قالَ: فقُلْتُ لِأبي: يا أبَتِ، مَنْ هذا الَّذي يَتْبَعُهُ ويَرُدُّ عَلَيْهِ ما يَقُولُ؟ قالَ: هذا عَمُّهُ عَبْدُ العُزّى بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، أبو لَهَبٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: قالَ النّابِغةُ:

كَأنَّكَ مِنْ جِمالِ بَنِي أُقَيْشٍ ... يُقَعْقَعُ خَلْفَ رِجلَيْـهِ بِشَنِّ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنا ابنُ شِهابٍ الزُّهْرِيُّ: أنَّهُ أتى كِنْدةَ في مَنازِلِهِمْ، وفيهِمْ سَيِّدٌ لَهُمْ يُقالُ لَهُ: مُلَيْحٌ، فدَعاهُمْ إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ، وعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ، فأبَوْا عَلَيْهِ.

[عَرْضُ الرَّسُولِ نَفْسَهُ على بَنِي كَلْبٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ حُصَيْنٍ: أنَّهُ أتى كَلْبًا في مَنازِلِهِمْ، إلى بَطْنٍ مِنْهُمْ يُقالُ لَهُمْ: بَنُو عَبْدِ اللهِ، فدَعاهُمْ إلى اللهِ وعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ، حَتّى إنَّهُ لَيَقُولُ لَهُمْ: «يا بَنِي عَبْدِ اللهِ، إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ قَدْ أحْسَنَ اسْمَ أبيكُمْ»، فلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ ما عَرَضَ عَلَيْهِمْ.

[عَرْضُ الرَّسُولِ نَفْسَهُ على بَنِي حَنِيفةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي بَعْضُ أصْحابِنا عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ كَعْبِ بنِ مالِكٍ: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أتى بَنِي حَنِيفةَ في مَنازِلِهِمْ، فدَعاهُمْ إلى اللهِ وعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ، فلَمْ يَكُنْ أحَدٌ مِنَ العَرَبِ أقْبَحَ عَلَيْهِ رَدًّا مِنْهُمْ.

[عَرْضُ الرَّسُولِ نَفْسَهُ على بَنِي عامِرٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ أَنَّهُ أتى بَنِي عامِرِ بنِ صَعْصَعةَ، فدَعاهُمْ إلى الله عَزَّ وجَلَّ، وعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ، فقالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقالُ لَهُ: بَيْحَرةُ بنُ فِراسٍ. قالَ ابنُ هِشامٍ: فِراسُ بنُ عَبْدِ الله بنِ سَلَمةَ الخَيْرِ بنِ قُشَيْرِ بنِ كَعْبِ بنِ رَبِيعةَ بنِ عامِرِ بنِ صَعْصَعةَ: واللهِ، لَوْ أَنِّي أَخَذْتُ هذا الفَتى مِنْ قُرَيْشٍ، لَأَكَلْتُ بِهِ العَرَبَ، ثُمَّ قالَ: أرَأَيْتَ إنْ نَحْنُ بايَعْناكَ على أمْرِكَ، ثُمَّ أظْهَرَكَ اللهُ على مَنْ خالَفَكَ، أيَكُونُ لَنا الأمْرُ مِنْ بَعْدِكَ؟ قالَ: الأمْرُ إلى اللهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشاءُ. قالَ: فقالَ لَهُ: أفَنُهْدِفُ نُحُورَنا لِلْعَرَبِ دُونَكَ، فإذا أظْهَرَكَ اللهُ كانَ الأمْرُ لِغَيْرِنا؟! لا حاجةَ لَنا بِأمْرِكَ، فأبَوْا عَلَيْهِ. فَلَمّا صَدَرَ النّاسُ رَجَعَتْ بَنُو عامِرٍ إلى شَيْخٍ لَهُمْ، قَدْ كانَتْ أدْرَكَتْهُ السِّنُّ، حَتّى لا يَقْدِرَ أنْ يُوافِيَ مَعَهُمُ المَواسِمَ، فكانُوا إذا رَجَعُوا إلَيْهِ حَدَّثُوهُ بِما يَكُونُ في ذلك المَوْسِمِ، فلَمّا قَدِمُوا عَلَيْهِ ذلك العامَ سَألَهُمْ عَمّا كانَ في مَوْسِمِهِمْ، فقالُوا: جاءَنا فتًى مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ أحَدُ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ، يَزْعُمُ أنَّهُ نَبِيٌّ، يَدْعُونا إلى أنْ نَمْنَعَهُ ونَقُومَ مَعَهُ، ونَخْرُجَ بِهِ إلى بِلادِنا. قالَ: فوَضَعَ الشَّيْخُ يَدَيْهِ على رَأْسِهِ، ثُمَّ قالَ: يا بَنِي عامِرٍ، هَلْ لَها مِنْ تَلافٍ؟ هَلْ لِذُنابَاها مِنْ مَطْلَبٍ؟ والَّذِي نَفْسُ فُلانٍ بِيَدِهِ، ما تَقَوَّلَها إسْماعِيلِيٌّ قَطُّ، وإنَّها لَحَقٌّ، فأيْنَ رَأْيُكُمْ كانَ عَنْكُمْ؟!

[عَرْضُ الرَّسُولِ نَفْسَهُ على العَرَبِ في المَواسِمِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فكانَ رَسُولُ الله ﷺ على ذلك مِنْ أمْرِهِ، كُلَّما اجْتَمَعَ لَهُ النّاسُ بِالمَوْسِمِ أتاهُمْ يَدْعُو القَبائِلَ إلى الله عز وجل وإلى الإسْلامِ،

ويَعْرِضُ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ وما جاءَ بِهِ مِنَ اللهِ مِنَ الهُدى والرَّحْمَةِ، وهُوَ لا يَسْمَعُ بِقادِمٍ يَقْدَمُ مَكَّةَ مِنَ العَرَبِ، لَهُ اسْمٌ وشَرَفٌ، إلّا تَصَدّى لَهُ، فدَعاهُ إلى الله عز وجل، وعَرَضَ عَلَيْهِ ما عِنْدَهُ.

فَصْلٌ

وذكرَ عَرْضَهُ نَفْسَهُ ﷺ على القَبائِلِ؛ لِيُؤْمِنُوا بِهِ، ولِيَنْصُرُوهُ قَبيلةً قَبيلةً، فذكرَ بَنِي حَنِيفةَ، واسْمُ حَنِيفـةَ: أُثـالُ بنُ لُجَيْمٍ ـ ولُجَيْمٌ: تَصْغِيرُ اللُّجَمِ، وهِيَ دُوَيْبّةٌ؛ قالَه قُطْرُبٌ، وأَنْشَدَ[1]: [من المتقارب]

لَها ذَنَبٌ مثلُ ذيلِ العَرُوسِ إلى سَـبّةٍ مِثْلِ جُحْرِ اللُّجَمْ

ـ ابنِ صَعْبِ بنِ عَلِيّ بنِ بَكْـرِ بنِ وائِـلٍ[2]. وسُمِّيَ حَنِيفةَ؛ لِحَنَفٍ كانَ في رِجْلَيْهِ[3]، وقِيـلَ: بَلْ حَنِيفةُ أُمُّهُمْ، وهِيَ بِنْتُ كاهِلِ بنِ أَسَدٍ، عُرِفُوا بها، وهُمْ أَهْلُ اليَمامةِ، وأَصْحابُ مُسَيْلِمةَ الكَذّابِ، وقد أَمْلَيْنا في أوّلِ الكِتابِ سَبَبَ نُزُولِهِم اليَمامةَ، وأوّلَ مَنْ نزلَها مِنْهُمْ[4].

وذكرَ بَيْحَرةَ بنَ فِراسٍ العامِرِيَّ، وقَوْلَهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَفَتُهْدَفُ نُحُورُنا لِلْعَرَبِ دُونَـك؟ تُهْـدَفُ؛ أَيْ: تَجْعَلُها هَدَفًا لِسِهامِهِمْ، والهَدَفُ: الغَرَضُ.

وذكرَ قَوْلَ الشّيْخِ: هَلْ لَها[5] مِنْ تَلافٍ؟ أَيْ: تَدارُك، وهو تفاعُلٌ مِنْ:

---

(١) هو عَدِيُّ بن زيد، والبيت في «ديوانه» (ص: ١٦٩)، و«اللسـان» (لجـم)، يصف فرسًا. والسبة: الاست.

(٢) «جمهرة ابن حزم» (ص: ٣٠٩، ٤٦٩)، و«جمهرة الكلبي» (ص: ٥٣٨).

(٣) في (أ)، (ج): «رجله».

(٤) انظر: (١: ١٤٦).

(٥) مكانه في (ب): «هل لك».

تَلافيتُهُمْ[١]. وهَلْ لِذُناباها مِنْ مَطْلَبٍ؟ مَثَلٌ ضربَهُ لِما فاته مِنْها، وأصْلُهُ: مِنْ ذُنابى الطّائِرِ إذا أفْلَتَ مِن الحِبالةِ، فطَلَبْتَ[٢] الأخْذَ بِذُناباهُ، وقالَ: ما تَقَوّلَها[٣] إسْماعِيلِيٌّ قَطّ؛ أيْ: ما ادّعى النّبُوّةَ كاذبًا[٤] أحدٌ من بني إسماعيل.

فَصْلٌ

وذكرَ عَرْضَ[٥] نَفْسِهِ على كِنْدةَ، وهم بنو ثَوْرِ بنِ مُرّةَ بنِ أُدَدٍ بنِ زَيْدِ بنِ مِهْسَعٍ[٦] بنِ عَمْرِو بنِ عَرِيبِ بنِ زَيْدِ بنِ كَهْلانَ بنِ سَبأٍ على أحَدِ الأقْوالِ بَيْنَ النّسّابِينَ في كِنْدةَ، وسُمِّيَ كِنْدةَ؛ لِأنّهُ كَنَدَ أباهُ؛ أيْ: عَقّهُ، وسَمّى ابنَهُ: مُرْتِعًا؛ لِأنّهُ كانَ يَجْعَلُ لِمَنْ أتاهُ مِنْ قومه مَرْتَعًا، فهم بنو مُرْتِعِ بن ثَوْرٍ، وقد قِيلَ: إنّ ثَوْرًا هُو مُرْتِعٌ، وكِنْدةُ أبوهُ[٧].

فَصْلٌ

وذكرَ غَيْرُ ابنِ إسْحاقَ ما لَمْ[٨] يَذْكُرِ ابنُ إسْحاقَ مِمّا[٩] رَأيْتُ إمْلاءَ بَعْضِهِ

(١) في (ب): «تلافيهم».
(٢) في (د)، (ب): «فطلب».
(٣) في (أ)، (ب): «يقولها».
(٤) في (ب): «أحد كاذبًا».
(٥) في (ف): «عرضه».
(٦) في (د)، (هـ): «مُهَيسع»، والمثبت عن (ف)، (ب)، (أ). وفي «تاج العروس»: «وهاسِعٌ وهُسَعُ كزُفَر وزُبَير ومِنبر: أبناء الهميسع بن حِميَر بن سبأ»، والمثبت يوافق وزن (منبر). على أنَّ في «خزانة الأدب» (١: ٣٣٠): «هميسع».
(٧) انظر: «الأغاني» (٩: ٣١٩٧)، و«شرح القصائد السبع الطوال» لابن الأنباري: (ص: ٤).
(٨) في (ب): «مما لم... ما رأيت».
(٩) في (ف): «ومما».

في هَذا الكِتابِ تَتِمَّةً[١] لِفائِدَتِهِ.

ذكرَ قاسِمُ بنُ ثابتٍ والخطّابيُّ عَرْضَ[٢] نَفْسِهِ على بَنِي ذُهْلِ بنِ ثَعْلَبَةَ، ثُمّ على بَنِي شَيْبانَ بنِ ثَعْلَبَةَ، فذكرَ الخَطّابِيُّ وقاسِمٌ جَمِيعًا ما كانَ مِنْ كَلامِ أَبِي بَكْرٍ مَعَ دَغْفَلِ بنِ حَنْظَلَةَ الذُّهْلِيِّ، وزادَ قاسِمٌ تكْمِلةَ الحَدِيثِ، فرَأَيْنا أنْ نَذْكُرَ زِيادَةَ قاسِمٍ؛ فإنّها مِمّا يلِيقُ بِهَذا الكِتابِ، قالَ: ثُمّ دَفَعْنا إلى مَجْلِسٍ آخَرَ عَلَيْهِم السَّكِينةُ والوَقارُ، فتَقَدَّمَ أبو بَكْرٍ رسولَ الله ﷺ، فسَلّمَ، قالَ عَلِيّ: وكانَ أبو بَكْرٍ في كُلِّ خَيْرٍ مُقَدَّمًا[٣]، فقالَ: مِمّنِ القَوْمُ؟ فقالُوا[٤]: مِنْ شَيْبانَ بنِ ثَعْلَبَةَ، فالتَفَتَ أبو بَكْرٍ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقالَ: بِأَبِي أَنْتَ وأُمّي، هَؤُلاءِ غُرَرٌ في قَوْمِهِمْ، وفِيهِمْ مَفْرُوقُ بنُ عمرٍو، وهانِئُ بنُ قَبِيصةَ، ومُثَنّى بنُ حارِثَةَ، والنّعْمانُ بنُ شَرِيكٍ.

وكانَ مَفْرُوقُ بنُ عَمْرٍو قد غَلَبَهُمْ جَمالًا ولِسانًا، وكانَتْ[٥] لَهُ غَدِيرَتانِ تَسْقُطانِ على تَرِيبَتَيْهِ[٦]، وكانَ أَدْنى القَوْمِ مَجْلِسًا مِنْ أَبِي بكر، فقال له أبو بَكْرٍ رضي الله عنه: فكَيْفَ العَدَدُ فيكُمْ؟ فقالَ لَهُ[٧] مَفْرُوقٌ: إنّا لَنَزِيدُ على الأَلْفِ، ولَنْ تُغْلَبَ[٨] أَلْفٌ مِنْ قِلّةٍ. فقالَ أبو بَكْرٍ: فكَيْفَ المَنَعةُ فيكُمْ؟ فقالَ

---

(١) في (ف): «لتممة».

(٢) في (ف): «عرضه».

(٣) في (ب): «متقدمًا».

(٤) في (ف): «قالوا».

(٥) في (ب)، (ج): «وكان».

(٦) في (ب): «تريبته». والتَّرِيبة: واحدة الترائب، وهي عظام الصدر مما يلي الترقوتين وموضع القلادة.

(٧) «له» ليس في (ف).

(٨) في (ف): «يغلب».

مَفْرُوقٌ: عَلَيْنا الجَهْدُ، ولِكُلِّ قَوْم جَدٌّ. فقال أبو بكر: فكيف الحرْبُ بَيْنَكُمْ وبَيْنَ عَدُوِّكُمْ؟ فقالَ مَفْرُوقٌ: إنّا لَأشَدُّ ما نكُون غَضَبًا لَحِينَ[١] نَلْقى، وإنّا لأَشَدُّ ما نكُونُ لِقاءً حِينَ نَغْضَبُ، وإنّا لَنُؤْثِرُ الجِيادَ على الأوْلادِ، والسِّلاحَ على اللِّقاحِ، والنَّصْرُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، يُدِيلُنا مَرّةً ويُدِيلُ عَلَيْنا، لعلّكَ أخو قريش؟ فقالَ أبو بكر: أوَقد بَلَغَكُمْ أنّهُ رَسُولُ اللهِ؟ فها هُو ذا. فقالَ مَفْرُوقٌ: قد بَلَغنا أنّهُ يَذْكُرُ ذَلِكَ، فإلامَ تَدْعُو إلَيْهِ يا أخا قُرَيْشٍ؟

فتَقَدَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فقالَ: «أدْعُو إلى شَهادةِ أنْ لا إلَهَ إلّا اللهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأنّي رَسُولُ اللهِ، وإلى أنْ تُؤْوُونِي وتَنْصُرُونِي؛ فإنّ قُرَيْشًا قد ظاهَرَتْ على أمْرِ اللهِ، وكَذّبَتْ رَسُولَهُ، واسْتَغْنَتْ بِالباطِلِ عَن الحَقّ، واللهُ هُو الغَنِيُّ الحَمِيدُ».

فقالَ مَفْرُوقٌ: وإلامَ تَدْعُو أيْضًا يا أخا قُرَيْشٍ؟ فتَلا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

فقالَ مفروق: إلامَ تَدْعُو أيْضًا يا أخا قُرَيْشٍ؟ فتلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

فقالَ مَفْرُوقٌ: دَعَوْتَ واللهِ يا أخا قُرَيْشٍ إلى مَكارِمِ الأخْلاقِ، ومَحاسِنِ الأعْمالِ، ولَقد أفِكَ قَوْمٌ كَذَّبُوك وظاهَرُوا عليك.

---

(١) في (ج): «حين». ومضروب على اللام في (أ)، واللام في «لحين» بمعنى: في.

وكأنه أرادَ أن يَشرَكَهُ في الكلام هانئُ بنُ قَبِيصة، فقال: وهذا هانئُ بنُ قَبِيصة شيخُنا، وصاحبُ دينِنا، فقال هانئ: قد سَمِعْتُ مَقالَتَك يا أخا قُرَيْشٍ، وإنّي أرى أنّ تَرْكَنا دِينَنا واتِّباعَنا إيّاكَ على دِينِك لِمَجْلِسٍ جَلَسْتَهُ إلَيْنا لَيسَ لَهُ أوّلٌ ولا آخِرٌ زَلّةٌ في الرّأْيِ، وقِلّةُ نَظَرٍ في العاقِبةِ، وإنّما تكُونُ الزَّلّةُ مَعَ العَجَلةِ، ومِنْ ورائِنا قَوْمٌ نكْرَهُ أنْ نَعْقِدَ عَلَيْهِمْ عَقْدًا، ولَكِنْ تَرْجِعُ ونَرْجِعُ، وتَنْظُرُ ونَنْظُرُ.

وكَأنّهُ أحَبَّ أنْ يَشْرَكَهُ في الكَلامِ المُثَنّى بن حارثة، فقالَ: وهَذا المُثَنّى ابنُ حارِثةَ شَيْخُنا وصاحِبُ حَرْبِنا، فقالَ المُثَنّى له[1]: قد سَمِعْتُ مَقالَتَك يا أخا قريش، والجواب: هو جوابُ هانئ بنِ قَبِيصةَ في تَرْكِنا دِينَنا، واتّباعِنا إيّاكَ على دينك لِمَجْلِسٍ جَلَسْتَه إلَيْنا لَيسَ لَهُ أوّلٌ ولا آخِرٌ، وإنّا[2] إنّما نَزَلْنا بَيْنَ صَرَيَي[3] اليَمامةِ والسَّمامةِ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ما هَذانِ الصَّرَيانِ؟» فقالَ: أنْهارُ كِسْرى، ومِياهُ العَرَبِ، فأمّا ما كانَ مِنْ أنْهارِ كِسْرى، فذَنْبُ صاحِبه غَيْرُ مَغْفُور، وعُذْرُهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ، وأمّا ما كانَ مِنْ مِياهِ العَرَبِ، فذَنْبُهُ[4] مَغْفُورٌ، وعُذْرُهُ مَقْبُولٌ، وإنّما[5] نَزَلْنا على عَهْدٍ أخَذَهُ عَلَيْنا كِسْرى: ألا نُحْدِثَ حَدَثًا، ولا نُؤْوِيَ مُحْدِثًا، وإنّي أرى أن هَذا الأمْرَ الّذِي تَدْعُونا إلَيْهِ هُو مِمّا تكْرَهُهُ المُلُوكُ، فإنْ أحْبَبْتَ أنْ نُؤْوِيَك ونَنْصُرَكَ مِمّا يَلِي مِياهَ العَرَبِ، فعَلْنا.

فقالَ [رَسُولُ اللهِ][6] ﷺ: «ما أسَأْتُمْ في الرّدّ إذْ أفْصَحْتُمْ بِالصِّدْقِ، وإنّ

---

(١) في (ف): «فقال له المثنى».

(٢) «وإنا» ليس في (ف).

(٣) الصَّرَيان: تثنية صَرًى. ويُروى: الصِّيران، تثنية صِير. انظر: «النهاية» لابن الأثير: (٣: ٦٦).

(٤) في (ف): «فذنب صاحبه».

(٥) في (أ): «ولما»، وفي (ج): «وإنا إنما».

(٦) ما بين المعقوفين ليس في (أ).

دِينَ اللهِ سبحانه لَنْ يَنْصُرَهُ إلّا مَنْ حاطَهُ مِنْ جَمِيعِ جَوانِبِهِ، أَرَأَيْتُمْ إِنْ لَمْ تَلْبَثُوا إلّا قَلِيلًا حتّى يُورِثَكُم اللهُ أَرْضَهُمْ وديارهم وأَمْوالَهُمْ، ويُفْرِشَكُمْ نِساءَهُمْ، أَتُسَبِّحُونَ اللهَ وتُقَدِّسُونَهُ؟» فقالَ النُّعْمانُ بنُ شَرِيكٍ: اللهُمّ لَكَ ذا، فتَلا رسول الله ﷺ: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، ثُمّ نَهَضَ النَّبيّ ﷺ فأَخَذَ بِيَدَيّ، فقالَ: «يا أبا بَكْرٍ، يا أبا حسنٍ، أيّةُ[١] أخْلاقٍ في الجاهِلِيّةِ؟! ما أَشْرَفَها! بِها يَدْفَعُ اللهُ بَأْسَ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ، وبِها يَتَحاجَزُونَ فيما بَيْنَهُمْ».

قالَ: ثُمّ دَفَعْنا إلى مَجْلِسِ الأَوْسِ والخَزْرَجِ، فما نَهَضْنا حتّى بايَعُوا رسولَ الله ﷺ، وكانُوا صُدُقًا صُبُرًا[٢].

وذُكِر في حَدِيثٍ مُسْنَدٍ إلى طارِقٍ، قالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرّتَيْنِ: رَأَيْتُهُ بِسُوقِ ذِي المَجازِ يَعْرِضُ نَفْسَهُ على القَبائِلِ، يَقُولُ: «يا أَيُّها النّاسُ، قُولُوا: لا إلَهَ إلّا اللهُ تُفْلِحُوا»، وخَلْفَهُ رَجُلٌ لَهُ غَدِيرَتانِ يَرْجُمُهُ بِالحِجارةِ حتّى أَدْمى كَعْبَيْهِ، يَقُولُ: يا أَيُّها النّاسُ، لا تَسْمَعُوا مِنْهُ؛ فإِنّهُ كَذّابٌ. فسَأَلْتُ عنه، فقِيلَ: هُو غُلامُ عَبْدِ المُطّلِبِ، قُلْتُ: ومَنِ الرّجُلُ الذي يَرْجُمُهُ؟ فقِيلَ لِي: هُو عَمُّهُ عَبْدُ العُزّى أبو لَهَبٍ، وذكرَ الحَدِيثَ بِطُولِهِ. خَرّجَهُ الدّارَقُطْنِيّ[٣]، ووقَعَ أَيْضًا في «السّيرةِ» مِنْ رِوايةِ يونس.

---

(١) كذا في (د) وفي غيرها: «ايه».

(٢) كذا ضبط في (أ). وفي (ب): «صُدَقاء صُبَراء». وصدقاء: جمع صديق، وصُبَراء: جمع صَبِير، وهو زعيم القوم. فأما صُدُق وصُبُر: فجمع صَدُوق وصَبُور.

(٣) «سنن الدارقطني» (٣: ٤٦٢)، رقم (٢٩٧٦) من حديث طارق بن عبد الله المحاربي رضي الله عنه. (ج)

[سُوَيْدُ بنُ صامِتٍ ورَسُولُ الله ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ الأنْصارِيُّ ثُمَّ الظَّفَرِيُّ، عَنْ أشْياخٍ مِنْ قَوْمِهِ، قالُوا: قَدِمَ سُوَيْدُ بنُ صامِتٍ، أخُو بَنِي عَمْرِو ابنِ عَوْفٍ مَكَّةَ حاجًّا أوْ مُعْتَمِرًا، وَكانَ سُوَيْدٌ إنَّما يُسَمِّيهِ قَوْمُهُ فيهِمُ: الكامِلَ؛ لِجَلَدِهِ وشِعْرِهِ وشَرَفِهِ ونَسَبِهِ، وهُوَ الَّذي يَقُولُ:

ألا رُبَّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقًا ولَوْ تَرى ... مَقالَتَهُ بِالغَيْبِ ساءَكَ ما يَفْرِي
مَقالَتُهُ كالشُّهْدِ ما كانَ شاهِدًا ... وبِالغَيْبِ مَأْثُورٌ على ثُغْرةِ النَّحْرِ
يَسُرُّكَ بادِيهِ وتَحْتَ أدِيمِهِ ... نَمِيمةُ غِشٍّ تَبْتَرِي عَقَبَ الظَّهْرِ
تُبِينُ لَكَ العَيْنانِ ما هُوَ كاتِمٌ ... مِنَ الغِلِّ والبَغْضاءِ بِالنَّظَرِ الشَّزْرِ
فَرِشْنِي بِخَيْرٍ طالَما قَدْ بَرَيْتَنِي ... فخَيْرُ المَوالِي مَنْ يَرِيشُ ولا يَبْرِي

وَهُوَ الَّذي يَقُولُ: ونافَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، ثُمَّ أحَدَ بَنِي زِعْبِ بنِ مالكٍ مئةَ ناقةٍ إلى كاهِنةٍ مِنْ كُهّانِ العَرَبِ، فقَضَتْ لَهُ. فانْصَرَفَ عَنْها هُوَ والسُّلَمِيُّ لَيْسَ مَعَهُما غَيْرُها، فلَمّا فرَّقَتْ بَيْنَهُما الطَّرِيقُ، قالَ: مالي يا أخا بَنِي سُلَيْمٍ، قالَ: أبْعَثُ إلَيْكَ بِهِ، قالَ: فمَنْ لِي بِذلك إذا فُتَّنِي بِهِ؟ قالَ: أنا، قالَ: كَلّا، والَّذي نَفْسُ سُوَيْدٍ بِيَدِهِ، لا تُفارِقُنِّي حَتّى أُوتى بِمالِي، فاتَّخَذا فضَرَبَ بِهِ الأرْضَ، ثُمَّ أوْثَقَهُ رِباطًا، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِ إلى دارِ بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، فلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ حَتّى بَعَثَتْ إلَيْهِ سُلَيْمٌ بِالَّذي لَهُ، فقالَ في ذلك:

لا تَحْسَبَنِّي يا ابنَ زِعْبِ بنِ مالِكٍ ... كَمَنْ كُنْتَ تُرْدِي بِالغُيُوبِ وتَخْتِلُ

تَحَوَّلْتَ قِرْنًا إذْ صُرِعْتَ بِعِزَّةٍ ... كذلكَ إنَّ الحازِمَ المُتَحَوِّلُ
ضَرَبْتُ بِهِ إبْطَ الشَّمالِ فلَمْ يَزَلْ ... على كُلِّ حالٍ خَدُّهُ هُوَ أسْفَلُ

في أشْعارٍ كَثِيرةٍ كانَ يَقُولُها.

فَصْلٌ

وذكرَ حَدِيثَ سُوَيْدِ بنِ صامِتٍ[1] وشِعْرَهُ، وفي الشِّعْرِ: [من الطويل]

وبِالغَيْبِ مَأْثُورٌ على ثُغْرةِ النَّحْرِ

يَعْنِي: السَّيْفَ. ومَأْثُورٌ: مِن الأَثْرِ وهُو: فِرِنْدُ السَّيْفِ، يُقالُ فيهِ: أَثْرٌ وأُثُرٌ. قالَ الشّاعِرُ[2]: [من الوافر]

خِفافًا كُلُّها يَتْقِي بِأَثْرِ

أرادَ: يَتَّقِي، وسُوَيْدٌ هذا: هُو الكامِلُ، وهُو ابنُ الصّامتِ بنِ عطيّةَ بنِ حَوْطِ ابنِ حَبِيبِ بنِ عَوْفِ[3] بنِ [عَمْرِو بنِ عَوْفِ بنِ][4] مالِكِ بنِ الأَوْسِ، [وأُمُّهُ لَيْلى بِنْتُ عَمْرٍو النَّجّارِيّةُ أُخْتُ سَلْمى بِنْتِ عَمْرِو [بنِ عوفِ بنِ مالِكِ بنِ

---

(١) في (هـ): «الصامت».

(٢) هو خفاف بن نُدبة، والبيت في «اللسان» (أثر). وصدره:
جلاها الصَّيقَلُونَ فأَخْلَصُوها
و«يَتْقِي» مخفَّف «يتَّقي»، ويقال أيضًا: تَقَيْتُه أَتْقِيهِ. أي: كلها يستقبلك بفرنده، فإذا نظر الناظر إليها اتصل شعاعُها بعينه، فلم يتمكَّن من النظر إليها.

(٣) كذا في النسخ، وأحسب أنَّ «بن عوف» زيادة. انظر: «جمهرة ابن حزم» (ص: ٣٢٧)، وترجمة سويد في «أسد الغابة» (٢: ٤٨٩)، وترجمة ابنه جلاس في «أسد الغابة» (١: ٣٤٦). وفي هذه المصادر نجد أن الصامت بن خالد بن عطية.

(٤) ما بين المعقوفين ليس في: (أ)، (هـ).

الأوسِ][1] أُمِّ عبدِ المطَّلبِ بنِ هاشِمٍ.

فسُويْدٌ هَذا ابنُ خالةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وبِنْتُ سُويْدٍ هِيَ أُمُّ عاتِكةَ أُخْتُ سَعِيدِ ابنِ زَيْدٍ، امْرَأَةُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فهُو جَدُّها لِأُمِّها، واسْمُ أُمِّها: زَيْنَبُ، وقِيلَ: حليسة[2] بِنْتُ سُويْدٍ، هَذا[3] ذكرَهُ الزُّبَيْرُ بنُ أبِي بَكْرٍ.

فَتَصَدّى لَهُ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ سَمِعَ بِهِ، فدَعاهُ إلى اللهِ وإلى الإسْلامِ، فقالَ لَهُ سُوَيْدٌ: فلَعَلَّ الَّذي مَعَكَ مِثْلُ الَّذي مَعِي، فقالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «وما الَّذي مَعَكَ؟» قالَ: مَجَلّةُ لُقْمانَ، يَعْنِي: حِكْمةَ لُقْمانَ، فقالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «اعْرِضْها عَلَيَّ»، فعَرَضَها عَلَيْهِ، فقالَ لَهُ: «إنَّ هذا لَكَلامٌ حَسَنٌ، والَّذِي مَعِي أفْضَلُ مِنْ هذا، قُرْآنٌ أنْزَلَهُ الله تَعالى عَلَيَّ، هُوَ هُدًى ونُورٌ». فتَلا عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ القُرْآنَ، ودَعاهُ إلى الإسْلامِ، فلَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ، وقالَ: إنَّ هذا لَقَوْلٌ حَسَنٌ. ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، فقَدِمَ المَدِينةَ على قَوْمِهِ، فلَمْ يَلْبَثْ أنْ قَتَلَتْه الخَزْرَجُ، فإن كانَ رِجالٌ مِنْ قَوْمِهِ لَيَقُولُونَ: إنّا لَنَراهُ قَدْ قُتِلَ وهُوَ مُسْلِمٌ.

وكانَ قَتْلُهُ قَبْلَ يَوْمِ بُعاثَ.

فَصْلٌ

وذكرَ مَجَلّةَ لُقْمانَ، وهِيَ الصَّحِيفةُ، وكَأنّها مَفْعَلةٌ مِن الجَلالِ والجَلالةِ، أمّا الجَلالةُ فمِنْ صِفةِ المَخْلُوقِ، والجَلالُ مِنْ صِفةِ اللهِ سبحانه، وقد أجازَ

(١) ما بين المعقوفين ليس في: (ف)، (د)، (ج).

(٢) في (أ): «خليسة».

(٣) في (ب): «هكذا».

بَعْضُهُمْ أنْ يُقالَ في المخلوق: جَلالٌ وجَلالةٌ، وأنشد[١]: [من الطويل]

فلا ذا جَـلالٍ هِبْنَـهُ لِجَلالِهِ ولا ذا ضَياعٍ هُنَّ يَتْرُكْنَ لِلْفَقْرِ

ولُقْمانُ يقال: كانَ نُوبِيًّا مِنْ أهْلِ أيْلةَ. وهُو لُقْمانُ بنُ عَنْقا بنِ سُرُون[٢] فيما ذَكَرُوا، وابنُهُ الّذِي ذُكِرَ في القُرْآنِ هُو ثارانُ فيما ذكرَ الزَّجّاجُ وغَيْرُهُ[٣]، وقد قِيلَ في اسْمِهِ غَيْرُ ذَلِكَ، ولَيْسَ بِلُقْمانَ بنِ عادٍ الحِمْيَرِيِّ.

إسْلامُ إياسِ بنِ مُعاذٍ وقِصّةُ أبي الحَيْسَرِ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي الحُصَيْنُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَمْرِو بنِ سَعْدِ ابنِ مُعاذٍ، عَنْ مَحْمُودِ بنِ لَبِيدٍ، قالَ: لَمّا قَدِمَ أبو الحَيْسَرِ، أنَسُ بنُ رافِعٍ، مَكّةَ ومَعَهُ فِتْيةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ، فيهِمْ إياسُ بنُ مُعاذٍ، يَلْتَمِسُونَ الحِلْفَ مِنْ قُرَيْشٍ على قَوْمِهِمْ مِنَ الخَزْرَجِ، سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ الله ﷺ، فأتاهُمْ فجَلَسَ إلَيْهِمْ، فقالَ لَهُمْ: «هَلْ لَكُمْ في خَيْرٍ مِمّا جِئْتُمْ لَهُ؟» فقالُوا لَهُ: وما ذاكَ؟ قالَ: «أنا رَسُولُ اللهِ، بَعَثَنِي إلى العِبادِ أدْعُوهُمْ إلى أنْ يَعْبُدُوا اللهَ ولا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وأنْزَلَ عَلَيَّ الكِتابَ». قالَ: ثُمَّ ذَكَرَ لَهُمُ الإسْلامَ، وتَلا عَلَيْهِمُ القُرْآنَ. قالَ: فقالَ إياسُ بن مُعاذٍ وكانَ غُلامًا حَدَثًا: أيْ قَوْمِ، هذا واللهِ خَيْرٌ مِمّا

---

(١) البيت لهُذْبة بن خشرم، شاعر حجازي، وكان يروي للحطيئة. والبيت في «الأغاني» (٢٤: ٨٥٠٤)، و«خزانة الأدب» (٩: ٣٣٧). وفيهما يُروى صدره:

فـلا تتّقي ذا هيبـةٍ لجلالهِ

(٢) كذا في (د)، (هـ)، و«التعريف والإعلام» للسهيلي (تحت الطبع)، وفي (ب): «مروان»، وفي (ج): «سروق».

(٣) «المعارف» لابن قتيبة: (ص: ٥٥)، و«تفسير القرطبي» (١٤: ٦٢).

جِئْتُمْ لَهُ. قالَ: فيأْخُذُ أبو الحَيْسَرِ، أَنَسُ بنُ رافِعٍ، حَفْنَةً مِنْ تُرابِ البَطْحاءِ، فضَرَبَ بِها وجْهَ إياسِ بنِ مُعاذٍ، وقالَ: دَعْنا مِنْكَ، فلَعَمْرِي لَقَدْ جِئْنا لِغَيْرِ هذا. قالَ: فصَمَتَ إياسٌ، وقامَ رَسُولُ الله ﷺ عَنْهُمْ، وانْصَرَفُوا إلى المَدِينةِ، وكانَتْ وقْعةُ بُعاثَ بَيْنَ الأوْسِ والخَزْرَجِ.

قالَ: ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إياسُ بنُ مُعاذٍ أنْ هَلَكَ. قالَ مَحْمُودُ بنُ لَبِيدٍ: فأخْبَرَنِي مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ: أَنَّهُمْ لَمْ يَزالُوا يَسْمَعُونَهُ يُهَلِّلُ اللهَ تعالى ويُكَبِّرُهُ ويَحْمَدُهُ ويُسَبِّحُهُ حَتّى ماتَ، فما كانُوا يَشُكُّونَ أنْ قَدْ ماتَ مُسْلِمًا، لَقَدْ كانَ اسْتَشْعَرَ الإسْلامَ في ذلك المَجْلِسِ، حِينَ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ ما سَمِعَ.

فَصْلٌ

وذكرَ قُدُومَ أَبِي الحَيْسَرِ أَنَسِ بنِ رافعٍ يطلبُ الحِلْفَ، وذلكَ بسببِ الحربِ الّتِي كانَتْ بَيْنَ الأوْسِ والخَزْرَجِ، وهِيَ حَرْبُ بُعاثَ[1] المَذْكُورةُ، ولَهُمْ فيها أيّامٌ مَشْهُورةٌ هَلَكَ فيها كَثِيرٌ مِنْ صَنادِيدِهِمْ وأشْرافِهِمْ. وبُعاثُ: اسْمُ أرْضٍ بِها عُرِفَتْ.

❊ ❊ ❊

(١) في (ج)، (هـ): «بغاث، بالغين المعجمة»، وكذلك ذُكرت في «كتاب العين» (٤: ٤٠٢): «بغاث»، ويقول ياقوت في «معجم البلدان» (١: ٤٥١): «وحكاه صاحب «كتاب العين» بالغين المعجمة ولم يسمع في غيره». وبُعاث: موضع في نواحي المدينة.

بَدْءُ إسْلامِ الأنْصارِ

[رَسُولُ اللهِ ورَهْطٌ مِنَ الخَزْرَجِ عِنْدَ العَقَبةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا أرادَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ إظْهارَ دِينِهِ، وإعْزازَ نَبِيِّهِ ﷺ، وإنْجازَ مَوْعِدِهِ لَهُ، خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في المَوْسِمِ الَّذي لَقِيَهُ فيهِ النَّفَرُ مِنَ الأنْصارِ، فعَرَضَ نَفْسَهُ على قَبائِلِ العَرَبِ، كَما كانَ يَصْنَعُ في كُلِّ مَوْسِمٍ. فبَيْنَما هُوَ عِنْدَ العَقَبةِ لَقِيَ رَهْطًا مِنَ الخَزْرَجِ أرادَ اللهُ بِهِمْ خَيْرًا.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ، عَنْ أشْياخٍ مِنْ قَوْمِهِ، قالُوا: لَمّا لَقِيَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قالَ لَهُمْ: مَنْ أنْتُمْ؟ قالُوا: نَفَرٌ مِنَ الخَزْرَجِ، قالَ: أمِنْ مَوالِي يَهُودَ؟ قالُوا: نَعَمْ، قالَ: أفَلا تَجْلِسُونَ أُكَلِّمُكُمْ؟ قالُوا: بَلى. فجَلَسُوا مَعَهُ، فدَعاهُمْ إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ، وعَرَضَ عَلَيْهِمُ الإسْلامَ، وتَلا عَلَيْهِمُ القُرْآنَ. قالَ: وكانَ مِمّا صَنَعَ اللهُ بِهِمْ في الإسْلامِ، أنَّ يَهُودَ كانُوا مَعَهُمْ في بِلادِهِمْ، وكانُوا أهْلَ كِتابٍ وعِلْمٍ، وكانُوا هُمْ أهْلَ شِرْكٍ وأصْحابَ أوْثانٍ، وكانُوا قَدْ غَزَوْهُمْ بِبِلادِهِمْ، فكانُوا إذا كانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ قالُوا لَهُمْ: إنَّ نَبِيًّا مَبْعُوثٌ الآنَ، قَدْ أظَلَّ زَمانُهُ، نَتَّبِعُهُ، فنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عادٍ وإرَمَ.

فلَمّا كَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُولَئِكَ النَّفَرَ، ودَعاهُمْ إلى اللهِ عز وجل، قالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: يا قَوْمِ، تَعَلَّمُوا واللهِ إنَّهُ لَلنَّبِيُّ الَّذي تَوَعَّدَكُمْ بِهِ يَهُودُ، فلا تَسْبِقُنَّكُمْ إلَيْهِ. فَأجابُوهُ فيما دَعاهُمْ إلَيْهِ، بِأنْ صَدَّقُوهُ وقَبِلُوا مِنْهُ ما عَرَضَ

عَلَيْهِمْ مِنَ الإسْلامِ، وقالُوا: إنّا قَدْ تَرَكْنا قَوْمَنا، ولا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ العَداوةِ والشَّرِّ ما بَيْنَهُمْ، فعَسى أنْ يَجْمَعَهُمُ اللهُ بِكَ، فسَنَقْدَمُ عَلَيْهِمْ، فنَدْعُوهُمْ إلى أمْرِكَ، وتَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الَّذي أجبناكَ إلَيْهِ مِنْ هذا الدِّينِ، فإنْ يَجْمَعْهُمُ الله عَلَيْهِ فلا رَجُلَ أعَزُّ مِنْكَ. ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْ رَسُولِ الله ﷺ راجِعِينَ إلى بِلادِهِمْ، وقَدْ آمَنُوا وصَدَّقُوا.

بَدْءُ إسْلامِ الأنْصارِ

ولَمْ يكُنِ «الأنصارُ»(١) اسمًا [لهم](٢) في الجاهليةِ، حتى سَمّاهُم اللهُ بِهِ في الإسْلام، وهُمْ: بَنُو الأوْسِ والخَزْرَجِ، والخَزْرَجُ: الرِّيحُ البارِدةُ. وقالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ الجَنُوبُ خاصّةً. ودُخُولُ الألِفِ واللّامِ في «الأوْسِ» على حَدّ دُخُولِها في «التَّيْمِ» جَمْعُ: تَيْمِيٍّ، وهُو مِنْ بابِ: رُومِيّ ورُوم؛ لِأنَّ الأوْسَ هِيَ العَطِيّةُ والعِوضُ، ومِثْلُ هَذا إذا كانَ عَلَمًا لا يَدْخُلُهُ الألِفُ واللّامُ(٣)، ألا تَرى أنّ كُلَّ أوْسٍ في العَرَبِ غَيْرِ هَذا فإنّهُ بِغَيْرِ ألِفٍ ولامٍ؟ كَأوْسِ بنِ حارثةَ الطّائيِّ وغيره، وكَذَلِكَ أوْسٌ وأُوَيْسٌ: اسمٌ للذِّئْبِ(٤)، قالَ الرّاجِزُ(٥): [من الرجز]

يا لَيْتَ شِعْرِي عنهُ والأمْرُ عَمَمْ ... مــا فعَلَ اليَوْمَ أُوَيْــسٌ بِالغَنَمْ؟

---

(١) في (أ)، (هـ): «للأنصار».

(٢) ما بين المعقوفين ليس في (أ).

(٣) انظر: «الكتاب» لسيبويه: (٢: ٩٣)، و«شرح الكافية» للرضي: (٣: ٢٤٦) وما بعدها، و«المقاصد الشافية شرح خلاصة الكافية» للشاطبي: (١: ٣٨٠) وما بعدها.

(٤) في (ف): «الذئب».

(٥) هو عمرو ذو الكلب الهذلي. انظر نسبه وأخباره في: «الأغاني» (٢١: ٩١٠٠)، و«ديوان الهذليين» (٣: ١١٣). والرجز في «اللسان» (أوس).

وأَبوهُمْ حارِثةُ بنُ ثَعْلَبَةَ، وهُو أيْضًا والدُ خُزاعة على أحَدِ القَوْلَيْنِ[1]. وأُمّهُمْ: قَيْلةُ بِنْتُ كاهِلِ بنِ عُذْرةَ، قُضاعِيّةٌ. ويُقالُ: هِيَ بِنْتُ جَفْنةَ، واسمُ جَفْنةَ: عُلبةُ بنُ عَمْرِو بنِ عامِرٍ، وقِيلَ: بِنْتُ يُثَيْعِ[2] بنِ الهُونِ بنِ خُزَيْمةَ بنِ مُدْرِكةَ، قالَهُ الزُّبَيْرُ بنُ أبِي بَكْرٍ في كِتابِ «أَخْبارِ المَدِينةِ» له.

والأَنْصارُ: جَمْعُ ناصِرٍ على غَيْرِ[3] قِياسٍ في جمع فاعل، ولكن على تَقْدِيرِ حَذْفِ الألِفِ مِنْ ناصِرٍ؛ لِأنّها زائِدةٌ، فالِاسْمُ على تَقْدِيرِ حَذْفِها: ثُلاثِيّ، والثّلاثِيّ يُجْمَعُ على أفْعالٍ، وقد قالُوا في نَحْوِهِ: صاحِبٌ وأَصْحابٌ، وشاهِدٌ وأَشْهادٌ.

وذكرَ قَوْلَ النّبِيّ ﷺ لِلنّفَرِ مِن الأَنْصارِ: «أَمِنْ مَوالِي يَهُودَ أَنْتُمْ؟»؛ أيْ: مِنْ حُلَفائِهِمْ، والمَوْلى يَجْمَعُ: الحَلِيفَ وابنَ العَمّ والمُعْتِقَ [والمُعْتَقَ][4]؛ لِأنّهُ مَفْعَلٌ مِن الوِلايةِ، وجاءَ على وزْنِ مَفْعَلٍ؛ لِأنّهُ مَفْزَعٌ ومَلْجَأٌ لِولِيّهِ، فجاءَ على وزْنِ ما هُو في مَعْناهُ؛ ولذلك تقولُ في المؤمنِ: هو وليُّ الله، ولا تقول: هو مولى الله.

وذكرَ النّفَرَ القادِمِينَ في العامِ الثّانِي الّذِينَ بايَعُوهُ بَيْعةَ النِّساءِ، [وقد ذكرَ اللهُ بَيْعةَ النِّساءِ في القُرْآنِ، فقالَ: ﴿يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الممتحنة: ١٢] الآيةَ، فأرادَ بِبَيْعةِ النّساءِ][5]: أنّهُ[6] لَمْ يُبايِعُوهُ على القِتالِ، وكانَتْ

---

(١) انظر: «جمهرة ابن حزم» (ص: ٣٣٢).

(٢) انظر ضبط (يثيع) في: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (١: ٢٩٧)، و«تاج العروس» (يثع).

(٣) «غير» ليست في (ف).

(٤) ما بين المعقوفين ليس في: (أ).

(٥) ما بين المعقوفين سقط من: (أ).

(٦) في (ب): «أنهم».

مُبايَعَتُهُ[١] لِلنّساءِ: أنْ يَأْخُذَ عَلَيْهِنّ العَهْدَ والمِيثاقَ، فإذا أَقْرَرْنَ بِأَلْسِنَتِهِنّ قالَ: «قد بايَعْتُكُنّ»، وما مَسّتْ يَدُهُ يَدَ امْرَأَةٍ في مُبايَعةٍ، كَذَلِكَ قالَتْ عائِشَةُ، وقد رُوِيَ أَنّهُنّ كُنّ يَأْخُذْنَ بِيَدِهِ في البَيْعةِ مِنْ فوْقِ ثَوْبٍ، وهُو قَوْلُ عامِرٍ الشَّعْبِيّ، ذكَرَهُ عنه ابنُ سَلّامٍ في «تَفْسِيرِهِ»، والأوّلُ أَصَحّ.

وقد ذكرَ أبو بَكْرٍ مُحَمّدُ بنُ الحَسَنِ المُقْرِئُ النّقّاشُ في صِفةِ بَيْعةِ النّساءِ وجْهًا ثالِثًا أَوْرَدَ فيهِ آثارًا، وهُو أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كانَ يَغْمِسُ يَدَهُ في إناءٍ، وتَغْمِسُ المَرْأَةُ يَدَها فيهِ عِنْدَ المُبايَعةِ، فيكُونُ ذَلِكَ عَقْدًا[٢] لِلْبَيْعةِ، ولَيْسَ هَذا بِالمَشْهُورِ، ولا هُو عِنْدَ أَهْلِ الحَدِيثِ بِالثَّبْتِ، غَيْرَ أنّ ابنَ إسْحاقَ أَيْضًا قد ذكَرَهُ في رِوايةِ يونُسَ عن أبانَ بنِ أَبِي صالِحٍ.

* * *

(١) في (أ): «مبايعة».

(٢) في (أ): «عقد البيعة».

[أسماءُ الرَّهْطِ الخَزْرَجِيِّينَ الَّذينَ التَقَوْا بِالرَّسُولِ عِنْدَ العَقَبةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وهُمْ ـ فيما ذُكِرَ لِي ـ سِتَّةُ نَفَرٍ مِنَ الخَزْرَجِ، مِنْهُمْ مِنْ بَنِي النَّجّارِ، وهُوَ تَيْمُ اللهِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي مالِكِ بنِ النَّجّارِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عَمْرِو ابنِ الخَزْرَجِ بنِ حارِثَةَ بنِ عَمْرِو بنِ عامِرٍ: أَسْعَدُ بنُ زُرارةَ بنِ عُدَسَ بنِ عُبَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ غَنْمِ بنِ مالِكِ بنِ النَّجّارِ، وهُوَ أبو أُمامةَ، وعَوْفُ بنُ الحارِثِ بنِ رِفاعةَ بنِ سَوادِ بنِ مالِكِ بنِ غَنْمِ بنِ مالِكِ بنِ النَّجّارِ، وهُوَ ابنُ عَفْراءَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وعَفْراءُ بِنْتُ عُبَيْدِ بنِ ثَعْلَبةَ بنِ عُبَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ غَنْمِ بن مالِكِ بنِ النَّجّارِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي زُرَيْقِ بنِ عامِرِ بنِ زُرَيْقِ بنِ عَبْدِ حارِثَةَ بنِ مالِكِ بن غَضْبِ بنِ جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ: رافِعُ بنُ مالِكِ بنِ العَجْلانِ بنِ عَمْرِو بنِ عامِرِ بنِ زُرَيْقٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: عامِرُ بنُ الأَزْرَقِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي سَلِمةَ بنِ سَعْدِ بنِ عَلِيِّ بنِ سارِدةَ بنِ تَزِيدَ ابن جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي سَوادِ بنِ غَنْمِ بنِ كَعْبِ بنِ سَلِمةَ: قُطْبةُ ابنُ عامِرِ بنِ حَدِيدةَ بنِ عَمْرِو بنِ غَنْمِ بنِ سَوادٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: عَمْرُو بنُ سَوادٍ، ولَيْسَ لِسَوادٍ ابنٌ يُقالُ لَهُ: غَنْمٌ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي حَرامِ بنِ كَعْبِ بنِ غَنْمِ بنِ كَعْبِ بنِ سَلِمةَ: عُقْبةُ بنُ عامرِ بنِ نابِي بنِ زَيْدِ بنِ حَرامٍ.

وَمِنْ بَنِي عُبَيْدِ بنِ عَدِيِّ بنِ غَنْمِ بنِ كَعْبِ بنِ سَلِمةَ: جابرُ بنُ عَبْدِ اللهِ ابنِ رِئابِ بنِ النُّعْمانِ بنِ سِنانِ بنِ عُبَيْدٍ.

فَلَمّا قَدِمُوا المَدِينةَ إلى قَوْمِهِمْ ذَكَرُوا لَهُمْ رَسُولَ الله ﷺ ودَعَوْهُمْ إلى الإسْلامِ حَتّى فشا فيهِمْ، فلَمْ يَبْقَ دارٌ مِنْ دُورِ الأنْصارِ إلّا وفيها ذِكْرٌ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ.

العَقَبةُ الأُولى ومُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ

حَتّى إذا كانَ العامُ المُقْبِلُ وافى المَوْسِمَ مِنَ الأنْصارِ اثْنا عَشَرَ رَجُلًا، فلَقَوْهُ بِالعَقَبةِ. قالَ: وهِيَ العَقَبةُ الأُولى، فبايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ على بَيْعةِ النِّساءِ، وذلك قَبْلَ أنْ تُفْتَرَضَ عَلَيْهِمُ الحَرْبُ.

[رِجالُ العَقَبةِ الأُولى مِنْ بَنِي النَّجّارِ]

مِنْهُمْ مِنْ بَنِي النَّجّارِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي مالِكِ بنِ النَّجّارِ: أَسْعَدُ بنُ زُرارةَ بنِ عُدَسَ بنِ عُبَيْدِ بنِ ثَعْلَبةَ بنِ غَنْمِ بنِ مالِكِ بنِ النَّجّارِ، وهُوَ أبو أُمامةَ، وعَوْفٌ، ومُعاذٌ ابنا الحارِثِ بنِ رِفاعةَ بنِ سَوادِ بنِ مالِكِ بنِ غَنْمِ بنِ مالِكِ ابنِ النَّجّارِ، وهُما ابنا عَفْراءَ.

[رِجالُ العَقَبةِ الأُولى مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ]

وَمِنْ بَنِي زُرَيْقِ بنِ عامرٍ: رافِعُ بنُ مالِكِ بنِ العَجْلانِ بنِ عَمْرِو بنِ عامِرِ بنِ زُرَيْقٍ، وذَكْوانُ بنُ عَبْدِ قَيْسِ بنِ خَلَدةَ بنِ مُخْلِدِ بنِ عامِرِ بنِ زُرَيْقٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ذَكْوانُ، مُهاجِرِيٌّ أنْصارِيٌّ.

[رِجالُ العَقَبةِ الأُولى مِنْ بَنِي عَوْفٍ]

وَمِنْ بَنِي عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي غَنْمِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ، وهُمُ القَواقِلُ: عُبادةُ بنُ الصّامِتِ بنِ قَيْسِ بنِ أصْرَمَ بنِ فِهْرِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ غَنْمٍ، وأبو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وهُوَ يَزِيدُ بنُ ثَعْلَبَةَ بنِ خَزْمَةَ بنِ أصْرَمَ بنِ عَمْرِو بنِ عَمّارةَ، مِنْ بَنِي غُصَيْنَةَ، مِنْ بَلِيٍّ، حَلِيفٌ لَهُمْ.

[مَقالةُ ابنِ هِشامٍ في اسْمِ القَواقِلِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وإنَّما قِيلَ لَهُمُ: القَواقِلُ؛ لِأنَّهُمْ كانُوا إذا اسْتَجارَ بِهِمُ الرَّجُلُ دَفَعُوا لَهُ سَهْمًا، وقالُوا لَهُ: قَوْقِلْ بِهِ بِيَثْرِبَ حَيْثُ شِئْتَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: القَوْقَلةُ: ضَرْبٌ مِنَ المَشْيِ

[رِجالُ العَقَبةِ مِنْ بَنِي سالِمٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي سالِمِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمْرِو بنِ الخَزْرَجِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي العَجْلانِ بنِ زَيْدِ بنِ غَنْمِ بنِ سالِمٍ: العَبّاسُ بنُ عُبادةَ بنِ نَضْلةَ بنِ مالِكِ بنِ العَجْلانِ.

[رِجالُ العَقَبةِ مِنْ بَنِي سَلِمةَ، بِلامٍ مَكْسُورةٍ]

وَمِنْ بَنِي سَلِمةَ بنِ سَعْدِ بنِ عَلِيِّ بنِ أَسَدِ بنِ سارِدةَ بنِ تَزِيدَ بنِ جُشَمَ ابنِ الخَزْرَجِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي حَرامِ بنِ كَعْبِ بنِ غَنْمِ بنِ سَلِمةَ: عُقْبةُ بنُ عامِرِ ابنِ نابِي بنِ زَيْدِ بنِ حَرامٍ.

[رِجالُ العَقَبةِ مِنْ بَنِي سَوادٍ]

وَمِنْ بَنِي سَوادِ بنِ غَنْمِ بنِ كَعْبِ بنِ سَلِمةَ: قُطْبةُ بنُ عامِرِ بنِ حَدِيدةَ ابنِ عَمْرِو بنِ غَنْمِ بنِ سَوادٍ.

[رِجالُ العَقَبةِ مِنَ الأوْسِ]

وَشَهِدَها مِنَ الأوْسِ بنِ حارِثةَ بنِ ثَعْلَبةَ بنِ عَمْرِو بنِ عامِرٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ بنِ جُشَمَ بنِ الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ عَمْرِو بنِ مالِكِ بنِ الأوْسِ: أبو الهَيْثَمِ بنُ التَّيِّهانِ، واسْمُهُ: مالِكٌ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: التَّيِّهانُ: يُخَفَّفُ ويُثَقَّلُ؛ كَقَوْلِهِ: مَيْتٌ ومَيِّتٌ.

[رِجالُ العَقَبةِ الأُولى مِنْ بَنِي عَمْرٍو]

وَمِنْ بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفِ بنِ مالِكِ بنِ الأوْسِ: عُوَيْمُ بنُ ساعِدةَ.

[عَهْدُ الرَّسُولِ على مُبايِعِي العَقَبةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي يَزِيدُ بنُ أبِي حَبِيبٍ، عَنْ أبِي مَرْثَدِ بنِ عَبْدِ اللهِ اليَزَنِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عُسَيْلةَ الصُّنابِحِيِّ، عَنْ عُبادةَ بنِ الصّامِتِ، قالَ: كُنْتُ فيمَنْ حَضَرَ العَقَبةَ الأُولى، وكُنّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فبايَعْنا رَسُولَ اللهِ ﷺ على بَيْعةِ النِّساءِ، وذلك قَبْلَ أنْ تُفْتَرَضَ الحَرْبُ؛ على ألّا نُشْرِكَ باللهِ شَيْئًا، ولا نَسْرِقَ، ولا نَزْنِيَ، ولا نَقْتُلَ أوْلادَنا، ولا نَأْتِيَ بِبُهْتانٍ نَفْتَرِيهِ مِنْ بَيْنِ أيْدِينا وأرْجُلِنا، ولا نَعْصِيَهُ في مَعْرُوفٍ، فإنْ وفيتُمْ فلَكُمُ الجَنّةُ، وَإنْ غَشِيتُمْ مِنْ ذلك شَيْئًا فأمْرُكُمْ إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ إنْ شاءَ عَذَّبَ وإنْ شاءَ غَفَرَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وذَكَرَ ابنُ شِهابٍ الزُّهْرِيُّ، عَنْ عائِذِ اللهِ بنِ عَبْدِ اللهِ الخَوْلانِيِّ أبي إدْرِيسَ: أنَّ عُبادةَ بنَ الصّامِتِ حَدَّثَهُ أنَّهُ قالَ: بايَعْنا رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ العَقَبةِ الأُولى على ألّا نُشْرِكَ باللهِ شَيْئًا، ولا نَسْرِقَ، ولا نَزْنِيَ، ولا نَقْتُلَ أوْلادَنا، ولا نَأْتِيَ بِبُهْتانٍ نَفْتَرِيهِ مِنْ بَيْنِ أيْدِينا وأرْجُلِنا، ولا نَعْصِيَهُ في مَعْرُوفٍ، فإنْ وفيتُمْ فلَكُمُ الجَنّةُ، وإنْ غَشِيتُمْ مِنْ ذلك شَيْئًا فأُخِذْتُمْ بِحَدِّهِ في الدُّنْيا فهُوَ كَفّارةٌ لَهُ، وإنْ سُتِرْتُمْ عَلَيْهِ إلى يَوْمِ القِيامةِ فأمْرُكُمْ إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ، إنْ شاءَ عَذَّبَ، وإنْ شاءَ غَفَرَ.

[إرْسالُ الرَّسُولِ مُصْعَبًا مَعَ وفْدِ العَقَبةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا انْصَرَفَ عَنْهُ القَوْمُ، بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُمْ مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرِ بنِ هاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ عَبْدِ الدّارِ بنِ قُصَيٍّ، وأمَرَهُ أنْ يُقْرِئَهُمُ القُرْآنَ، ويُعَلِّمَهُمُ الإسْلامَ، ويُفَقِّهَهُمْ في الدِّينِ، فكانَ يُسَمّى المُقْرِئَ بِالمَدِينةِ مُصْعَبٌ، وكانَ مَنْزِلُهُ على أسْعَدَ بنِ زُرارةَ بنِ عُدَسَ، أبي أُمامةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ: أنَّهُ كانَ يُصَلِّي بِهِمْ، وذلك أنَّ الأوْسَ والخَزْرَجَ كَرِهَ بَعْضُهُمْ أنْ يَؤُمَّهُ بَعْضٌ.

أوَّلُ جُمُعةٍ أُقِيمَتْ بِالمَدِينةِ

[أسْعَدُ بنُ زُرارةَ وإقامةُ أوَّلِ جُمُعةٍ بِالمَدِينةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ أبي أُمامةَ بنِ سَهْلِ بنِ حُنَيْفٍ، عَنْ أبيهِ أبي أُمامةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ كَعْبِ بنِ مالِكٍ، قالَ: كُنْتُ قائِدَ أبي

كَعْبِ بن مالِكٍ، حِينَ ذَهَبَ بَصَرُهُ، فكُنْتُ إذا خَرَجْتُ بِهِ إلى الجُمُعةِ، فسَمِعَ الأذانَ بِها، صَلّى على أبي أُمامةَ أسْعَدَ بنِ زُرارةَ. قالَ: فمَكَثَ حِينًا على ذلك لا يَسْمَعُ الأذانَ لِلْجُمُعةِ إلّا صَلّى عَلَيْهِ واسْتَغْفَرَ لَهُ. قالَ: فقُلْتُ في نَفْسِي: واللهِ إنَّ هذا بِي لَعَجْزٌ ألّا أسْألَهُ ما لَهُ إذا سَمِعَ الأذانَ لِلْجُمُعةِ صَلّى على أبي أُمامةَ أسْعَدَ بنِ زُرارةَ؟ قالَ: فخَرَجْتُ بِهِ في يَوْمِ جُمُعةٍ كَما كُنْتُ أخْرُجُ، فلَمّا سَمِعَ الأذانَ لِلْجُمُعةِ صَلّى عَلَيْهِ واسْتَغْفَرَ لَهُ. قالَ: فقُلْتُ لَهُ: يا أبَتِ، ما لَكَ إذا سَمِعْتَ الأذانَ لِلْجُمُعةِ صَلَّيْتَ على أبي أُمامةَ؟ قالَ: فقالَ: أيْ بُنَيَّ، كانَ أوَّلَ مَنْ جَمَّعَ بِنا بِالمَدِينةِ في هَزْمِ النَّبِيتِ، مِنْ حَرّةِ بَنِي بَياضةَ، يُقالُ لَهُ: نَقِيعُ الخَضِماتِ، قالَ قُلْتُ: وكَمْ أنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قالَ: أرْبَعُونَ رَجُلًا.

[أسْعَدُ بنُ زُرارةَ، ومُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ، وإسْلامُ سَعْدِ بنِ مُعاذٍ وأُسَيْدِ بنِ حُضَيْرٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللهِ بنُ المُغِيرةِ بنِ مُعَيْقِيبٍ، وعَبْدُ اللهِ ابنُ أبي بَكْرِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَمْرِو بنِ حَزْمٍ: أنَّ أسْعَدَ بنَ زُرارةَ خَرَجَ بِمُصْعَبِ ابنِ عُمَيْرٍ يُرِيدُ بِهِ دارَ بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ، ودارَ بَنِي ظَفَرٍ، وكانَ سَعْدُ بنُ مُعاذِ ابنِ النُّعْمانِ بنِ امْرِئِ القَيْسِ بنِ زَيْدِ بنِ عَبْدِ الأشْهَلِ ابنَ خالةِ أسْعَدَ بنِ زُرارةَ، فدَخَلَ بِهِ حائِطًا مِنْ حَوائِطِ بَنِي ظَفَرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: واسْمُ ظَفَرٍ: كَعْبُ بنُ الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ عَمْرِو بن مالِكِ بنِ الأوْسِ ـ قالا: على بِئْرٍ يُقالُ لَهَا: بِئْرُ مَرَقٍ، فجَلَسا في الحائِطِ، واجْتَمَعَ إلَيْهِما رِجالٌ مِمَّنْ أسْلَمَ، وسَعْدُ بنُ مُعاذٍ وأُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ يَوْمَئِذٍ سَيِّدا قَوْمِهِما مِنْ بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ، وكِلاهُما مُشْرِكٌ على دِينِ قَوْمِهِ، فلَمّا

سَمِعا بِهِ قالَ سَعْدُ بنُ مُعاذٍ لِأُسَيْدِ بنِ حُضَيْرٍ: لا أبا لَكَ، انْطَلِقْ إلى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ قَدْ أَتَيا دارَيْنا لِيُسَفِّها ضُعَفاءَنا، فازْجُرْهُما وانْهَهُما عَنْ أنْ يَأْتِيا دارَيْنا، فإنَّهُ لَوْلا أنَّ أَسْعَدَ بنَ زُرارةَ مِنِّي حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ كَفيتُكَ ذلك، هُوَ ابنُ خالَتِي، ولا أجِدُ عَلَيْهِ مُقَدَّمًا. قالَ: فأَخَذَ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ حَرْبَتَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ إلَيْهِما، فلَمّا رَآهُ أَسْعَدُ بن زُرارةَ، قالَ لِمُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ: هذا سَيِّدُ قَوْمِهِ قَدْ جاءَكَ، فاصْدُقِ اللهَ فيهِ، قالَ مُصْعَبٌ: إنْ يَجْلِسْ أُكَلِّمْهُ. قالَ: فوَقَفَ عَلَيْهِما مُتَشَتِّمًا، فقالَ: ما جاءَ بِكُما إلَيْنا تُسَفِّهانِ ضُعَفاءَنا؟ اعْتَزِلانا إنْ كانَتْ لَكُما بِأنْفُسِكُما حاجةٌ، فقالَ لَهُ مُصْعَبٌ: أوَتَجْلِسُ فتَسْمَعَ، فإنْ رَضِيتَ أمْرًا قَبِلْتَهُ، وإنْ كَرِهْتَهُ كُفَّ عَنْكَ ما تَكْرَهُ؟ قالَ: أنْصَفْتَ، ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ، وجَلَسَ إلَيْهِما، فكَلَّمَهُ مُصْعَبٌ بِالإسْلامِ، وقَرَأَ عَلَيْهِ القُرْآنَ، فقالا: فيما يُذْكَرُ عَنْهُما: واللهِ لَعَرَفْنا في وجْهِهِ الإسْلامَ قَبْلَ أنْ يَتَكَلَّمَ؛ في إشْراقِهِ وتَسَهُّلِهِ، ثُمَّ قالَ: ما أحْسَنَ هذا الكَلامَ وأجْمَلَهُ! كَيْفَ تَصْنَعُونَ إذا أرَدْتُمْ أنْ تَدْخُلُوا في هذا الدِّينِ؟ قالا لَهُ: تَغْتَسِلُ فتَطَّهَّرُ وتُطَهِّرُ ثَوْبَيْكَ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهادةَ الحَقِّ، ثُمَّ تُصَلِّي. فقامَ فاغْتَسَلَ وطَهَّرَ ثَوْبَيْهِ، وتَشَهَّدَ شَهادةَ الحَقِّ، ثُمَّ قامَ فرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قالَ لَهُما: إنَّ ورائِي رَجُلًا إنِ اتَّبَعَكُما لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ أحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ، وسَأُرْسِلُهُ إلَيْكُما الآنَ، سَعْدُ بنُ مُعاذٍ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ وانْصَرَفَ إلى سَعْدٍ وقَوْمِهِ وهُمْ جُلُوسٌ في نادِيهِمْ، فلَمّا نَظَرَ إلَيْهِ سَعْدُ بنُ مُعاذٍ مُقْبِلًا قالَ: أحْلِفُ بالله لَقَدْ جاءَكُمْ أُسَيْدٌ بِغَيْرِ الوَجْهِ الَّذي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ. فلَمّا وقَفَ على النّادِي قالَ لَهُ سَعْدٌ: ما فعَلْتَ؟ قالَ: كلّمتُ الرجلَيْنِ، فواللهِ ما رَأَيْتُ بِهِما بَأْسًا، وقَدْ نَهَيْتُهُما، فقالا: نَفْعَلُ ما أحْبَبْتَ، وقَدْ حُدِّثْتُ أنَّ بَنِي حارِثَةَ قَدْ خَرَجُوا إلى أَسْعَدَ بنِ زُرارةَ لِيَقْتُلُوهُ،

وذلك أنَّهُمْ قَدْعَرَفُوا أنَّهُ ابنُ خالَتِكَ، لِيُخْفِرُوكَ.

قالَ: فقامَ سَعْدٌ مُغْضَبًا مُبادِرًا؛ تَخَوُّفًا لِلَّذِي ذُكِرَ لَهُ مِنْ بَنِي حارِثَة، فأخَذَ الحَرْبَةَ مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ قالَ: واللهِ ما أراكَ أغْنَيْتَ شَيْئًا. ثُمَّ خَرَجَ إلَيْهِما، فلَمّا رَآهُما سَعْدٌ مُطْمَئِنَّيْنِ، عَرَفَ سَعْدٌ أنَّ أُسَيْدًا إنَّما أرادَ مِنْهُ أنْ يَسْمَعَ مِنْهُما، فوَقَفَ عَلَيْهِما مُتَشَتِّمًا، ثُمَّ قالَ لِأسْعَدَ بنِ زُرارَةَ: يا أبا أُمامَةَ، أما واللهِ، لَوْلا ما بَيْنِي وبَيْنَكَ مِنَ القَرابَةِ ما رُمْتَ هذا مِنِّي، أتَغْشانا في دارَيْنا بِما نَكْرَهُ؟ وقَدْ قالَ أسْعَدُ بن زُرارةَ لِمُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ: أيْ مُصْعَبُ، جاءَكَ واللهِ سَيِّدُ مَنْ وراءَهُ مِنْ قَوْمِهِ، إنْ يَتَّبِعْكَ لا يَتَخَلَّفْ عَنْكَ مِنْهُمُ اثْنانِ، قالَ: فقالَ لَهُ مُصْعَبٌ: أوَتَقْعُدُ فتَسْمَعَ، فإنْ رَضِيتَ أمْرًا ورَغِبْتَ فيهِ قَبِلْتَهُ، وإنْ كَرِهْتَهُ عَزَلْنا عَنْكَ ما تَكْرَهُ؟

قالَ سَعْدٌ: أنْصَفْتَ. ثُمَّ رَكَزَ الحَرْبَةَ وجَلَسَ، فعَرَضَ عَلَيْهِ الإسْلامَ، وقَرَأ عَلَيْهِ القُرْآنَ، قالا: فعَرَفْنا واللهِ في وجْهِهِ الإسْلامَ قَبْلَ أنْ يَتَكَلَّمَ؛ لِإشْراقِهِ وتَسَهُّلِهِ، ثُمَّ قالَ لَهُما: كَيْفَ تَصْنَعُونَ إذا أنْتُمْ أسْلَمْتُمْ ودَخَلْتُمْ في هذا الدِّينِ؟ قالا: تَغْتَسِلُ فتَطَّهَّرُ وتُطَهِّرُ ثَوْبَيْكَ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهادةَ الحَقِّ، ثُمَّ تُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، قالَ: فقامَ فاغْتَسَلَ وطَهَّرَ ثَوْبَيْهِ، وتَشَهَّدَ شَهادةَ الحَقِّ، ثُمَّ رَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أخَذَ حَرْبَتَهُ، فأقْبَلَ عامِدًا إلى نادِي قَوْمِهِ ومَعَهُ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ.

قالَ: فلَمّا رَآهُ قَوْمُهُ مُقْبِلًا، قالُوا: نَحْلِفُ باللهِ لَقَدْ رَجَعَ إلَيْكُمْ سَعْدٌ بِغَيْرِ الوَجْهِ الَّذي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فلَمّا وقَفَ عَلَيْهِمْ قالَ: يا بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ، كَيْفَ تَعْلَمُونَ أمْرِي فيكُمْ؟ قالُوا: سَيِّدُنا وَأوْصَلُنا، وأفْضَلُنا رَأْيًا، وأيْمَنُنا نَقِيبةً، قالَ: فإنَّ كَلامَ رِجالِكُمْ ونِسائِكُمْ عَلَيَّ حَرامٌ حَتّى تُؤْمِنُوا باللهِ وبرسولِهِ.

قالا: فواللهِ ما أمْسى في دارِ بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ رَجُلٌ ولا امْرَأةٌ إلّا مُسْلِمًا ومُسْلِمةً، ورَجَعَ أسْعَدُ ومُصْعَبٌ إلى مَنْزِلِ أسْعَدَ بنِ زُرارةَ، فأقامَ عِنْدَهُ يَدْعُو النّاسَ إلى الإسْلامِ، حَتّى لَمْ تَبْقَ دارٌ مِنْ دُورِ الأنْصارِ إلّا وفيها رِجالٌ ونِساءٌ مُسْلِمُونَ، إلّا ما كانَ مِنْ دارِ بَنِي أُمَيّةَ بنِ زَيْدٍ، وخَطْمةَ ووائِلٍ وواقِفٍ، وتِلْكَ أوْسُ اللهِ، وهُمْ مِنَ الأوْسِ بنِ حارِثةَ، وذلك أنَّهُ كانَ فيهِمْ أبو قَيْسِ ابنُ الأسْلَتِ، وهُوَ صَيْفِيٌّ، وكانَ شاعِرًا لَهُمْ قائِدًا يَسْتَمِعُونَ مِنْهُ ويُطِيعُونَهُ، فوَقَفَ بِهِمْ عَنِ الإسْلامِ، فلَمْ يَزَلْ على ذلك حَتّى هاجَرَ رَسُولُ الله ﷺ إلى المَدِينةِ، ومَضى بَدْرٌ وأُحُدٌ والخَنْدَقُ، وقالَ فيما رَأى مِنَ الإسْلامِ، وما اخْتَلَفَ النّاسُ فيهِ مِنْ أمْرِهِ:

أرَبَّ النّاسِ أشْياءٌ ألَمَّتْ ... يُلَفُّ الصَّعْبُ مِنْها بِالذَّلُولِ
أرَبَّ النّاسِ أمّا إذْ ضَلِلْنا ... فيسِّرْنا لِمَعْرُوفِ السَّبِيلِ
فَلَوْلا رَبُّنا كُنّا يَهُودًا ... وما دِينُ اليَهُودِ بِذِي شُكُولِ
وَلَوْلا رَبُّنا كُنّا نَصارى ... مَعَ الرُّهْبانِ في جَبَلِ الجَلِيلِ
وَلَكِنّا خُلِقْنا إذْ خُلِقْنا ... حَنِيفًا دِينُنا عَنْ كُلِّ جِيلِ
نَسُوقُ الهَدْيَ تَرْسُفُ مُذْعِناتٍ ... مُكَشَّفةَ المَناكِبِ في الجُلُولِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: أنْشَدَنِي قَوْلَهُ: «فلَوْلا رَبُّنا»، وقَوْلَهُ: «لَوْلا رَبُّنا»، وقَوْلَهُ: «مُكَشَّفةَ المَناكِبِ في الجُلُولِ»، رَجُلٌ مِنَ الأنْصارِ، أوْ مِنْ خُزاعةَ.

أمْرُ العَقَبةِ الثّانِيةِ

[مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ والعَقَبةُ الثّانِيةُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ إنَّ مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرٍ رَجَعَ إلى مَكّةَ، وخَرَجَ مَنْ

خَرَجَ مِنَ الأنْصارِ مِنَ المُسْلِمِينَ إلى المَوْسِمِ مَعَ حُجّاجِ قَوْمِهِمْ مِنْ أهْلِ الشِّرْكِ، حَتّى قَدِمُوا مَكّةَ، فواعَدُوا رَسُولَ الله ﷺ العَقَبةَ، مِنْ أوْسَطِ أيّامِ التَّشْرِيقِ، حِينَ أرادَ الله بِهِمْ ما أرادَ مِنْ كَرامَتِهِ، والنَّصْرِ لِنَبِيِّهِ، وإعْزازِ الإسْلامِ وأهْلِهِ، وإذْلالِ الشِّرْكِ وأهْلِهِ.

[البَراءُ بنُ مَعْرُورٍ وصَلاتُهُ إلى الكَعْبةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي مَعْبَدُ بنُ كَعْبِ بنِ مالِكِ بنِ أبي كَعْبِ بنِ القَيْنِ، أخُو بَنِي سَلِمةَ، أنَّ أخاهُ عَبْدَ الله بنَ كَعْبٍ ـ وكانَ مِنْ أعْلَمِ الأنْصارِ ـ حَدَّثَهُ أنَّ أباهُ كَعْبًا حَدَّثَهُ، وكانَ كَعْبٌ مِمَّنْ شَهِدَ العَقَبةَ وبايَعَ رَسُولَ الله ﷺ بِها، قالَ: خَرَجْنا في حُجّاجِ قَوْمِنا مِنَ المُشْرِكِينَ، وقَدْ صَلَّيْنا وفَقِهْنا، ومَعَنا البَراءُ بنُ مَعْرُورٍ، سَيِّدُنا وكَبِيرُنا، فلَمّا وجَّهْنا لِسَفَرِنا، وخَرَجْنا مِنَ المَدِينةِ، قالَ البَراءُ لَنا: يا هَؤُلاءِ، إنِّي قَدْ رَأيْت رَأيًا، فواللهِ ما أدْرِي أتُوافِقُونَنِي عَلَيْهِ، أمْ لا؟ قالَ: قُلْنا: وما ذاكَ؟ قالَ: قَدْ رَأيْتُ ألّا أدَعَ هَذِهِ البَنِيّةَ مِنِّي بِظَهْرٍ ـ يَعْنِي: الكَعْبةَ ـ وأنْ أُصَلِّيَ إلَيْها. قالَ: فقُلْنا، واللهِ ما بَلَغَنا أنَّ نَبِيَّنا ﷺ يُصَلِّي إلّا إلى الشّامِ، وما نُرِيدُ أنْ نُخالِفَهُ. قالَ: فقالَ: إنِّي لَمُصَلٍّ إلَيْها. قالَ: فقُلْنا لَهُ: لَكِنّا لا نَفْعَلُ. قالَ: فكُنّا إذا حَضَرَتِ الصَّلاةُ صَلَّيْنا إلى الشّامِ، وصَلّى إلى الكَعْبةِ، حَتّى قَدِمْنا مَكّةَ. قالَ: وقَدْ كُنّا عِبنا عَلَيْهِ ما صَنَعَ، وأبى إلّا الإقامةَ على ذلك، فلَمّا قَدِمْنا مَكّةَ قالَ لِي: يا ابنَ أخِي، انْطَلِقْ بِنا إلى رَسُولِ الله ﷺ، حَتّى نَسْألَهُ عَمّا صَنَعْتُ في سَفَرِي هذا؛ فإنَّهُ واللهِ لَقَدْ وقَعَ في نَفْسِي مِنْهُ شَيْءٌ؛ لِما رَأيْتُ مِنْ خِلافِكُمْ إيّايَ فيهِ.

قالَ: فخَرَجْنا نَسْألُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، وكُنّا لا نَعْرِفُهُ، ولَمْ نَرَهُ قَبْلَ

ذلك، فلَقِينا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكّةَ، فسَألْناهُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، فقالَ: هَلْ تَعْرِفانِهِ؟ فقُلْنا: لا، قالَ: فهَلْ تَعْرِفانِ العَبّاسَ بن عَبْدِ المُطَّلِبِ عَمَّهُ؟ قالَ: قُلْنا: نَعَمْ ـ قالَ: وقَدْ كُنّا نَعْرِفُ العَبّاسَ، كانَ لا يَزالُ يَقْدَمُ عَلَيْنا تاجِرًا ـ قالَ: فإذا دَخَلْتُما المَسْجِدَ فهُوَ الرَّجُلُ الجالِسُ مَعَ العَبّاسِ. قالَ: فدَخَلْنا المَسْجِدَ فإذا العَبّاسُ جالِسٌ ورَسُولُ الله ﷺ جالِسٌ مَعَهُ، فسَلَّمْنا ثُمَّ جَلَسْنا إلَيْهِ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ لِلْعَبّاسِ: هَلْ تَعْرِفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ يا أَبا الفَضْلِ؟ قالَ: نَعَمْ، هذا البَراءُ بنُ مَعْرُورٍ، سَيِّدُ قَوْمِهِ، وهذا كَعْبُ بنُ مالِكٍ. قالَ: فواللهِ ما أَنْسى قَوْلَ رَسُولِ الله ﷺ: آلشاعِرُ؟ قالَ: نَعَمْ. قالَ: فقالَ لَهُ البَراءُ بنُ مَعْرُورٍ: يا نَبِيَّ الله، إنِّي خَرَجْتُ في سَفَرِي هذا، وقَدْ هَدانِي اللهُ لِلْإسْلامِ، فرَأَيْتُ أَلّا أَجْعَلَ هَذِهِ البَنِيّةَ مِنِّي بِظَهْرٍ، فصَلَّيْتُ إلَيْها، وقَدْ خالَفَنِي أَصْحابِي في ذلك، حَتّى وقَعَ في نَفْسِي مِنْ ذلك شَيْءٌ، فماذا تَرى يا رَسُولَ الله؟ قالَ: قَدْ كُنْتَ على قِبْلةٍ لَوْ صَبَرْتَ عَلَيْها. قالَ: فرَجَعَ البَراءُ إلى قِبْلةِ رَسُولِ الله ﷺ، وصَلّى مَعَنا إلى الشّامِ. قالَ: وأَهْلُهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ صَلّى إلى الكَعْبةِ حَتّى ماتَ، ولَيْسَ ذلك كَما قالُوا، نَحْنُ أَعْلَمُ بِهِ مِنْهُمْ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وقالَ عَوْنُ بنُ أَيُّوبَ الأَنْصارِيُّ:

وَمِنّا المُصَلِّي أَوَّلَ النّاسِ مُقْبِلًا ... على كَعْبةِ الرَّحْمَنِ بَيْنَ المَشاعِرِ

يَعْنِي: البَراءَ بنَ مَعْرُورٍ. وهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

[إسْلامُ عَبْدِ الله بنِ عَمْرٍو]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي مَعْبَدُ بنُ كَعْبٍ، أَنَّ أَخاهُ عَبْدَ الله بنَ كَعْبٍ حَدَّثَهُ أَنَّ أَباهُ كَعْبَ بنَ مالِكٍ حَدَّثَهُ، قالَ كَعْبٌ: ثُمَّ خَرَجْنا إلى الحَجِّ، وواعَدْنا

رَسُولَ الله ﷺ بِالعَقَبةِ مِنْ أَوْسَطِ أَيّامِ التَّشْرِيقِ، قالَ: فلَمّا فرَغْنا مِنَ الحجِّ، وكانَتِ اللَّيْلةُ الَّتِي واعَدْنا رَسُولَ الله ﷺ لَها، ومَعَنا عَبْدُ الله بنُ عَمْرِو بنِ حرامٍ؛ أبو جابرٍ، سَيِّدٌ مِنْ ساداتِنا، وشَرِيفٌ مِنْ أشْرافِنا، أَخَذْناهُ مَعَنا، وكُنّا نَكْتُمُ مَنْ مَعَنا مِنْ قَوْمِنا مِنَ المُشْرِكِينَ أمْرَنا، فكَلَّمْناهُ وقُلْنا لَهُ: يا أبا جابِرٍ، إنَّكَ سَيِّدٌ مِنْ ساداتِنا، وشَرِيفٌ مِنْ أشْرافِنا، وإنّا نَرْغَبُ بِكَ عَمّا أنْتَ فيهِ أنْ تَكُونَ حَطَبًا لِلنّارِ غَدًا، ثُمَّ دَعَوْناهُ إلى الإسْلامِ، وأخْبَرْناهُ بِمِيعادِ رَسُولِ الله ﷺ إيّانا العَقَبةَ. قالَ: فأسْلَمَ وشَهِدَ مَعَنا العَقَبةَ، وكانَ نَقِيبًا.

قالَ: فنِمْنا تَلِكَ اللَّيْلةَ مَعَ قَوْمِنا في رِحالِنا، حَتّى إذا مَضى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنا مِنْ رِحالِنا لِمَعادِ رَسُولِ الله ﷺ، نَتَسَلَّلُ تَسَلُّلَ القَطا مُسْتَخْفِينَ، حَتّى اجْتَمَعْنا في الشِّعْبِ عِنْدَ العَقَبةِ، ونَحْنُ ثَلاثةٌ وسَبْعُونَ رَجُلًا، ومَعَنا امْرَأتانِ مِنْ نِسائِنا: نُسَيْبةُ بِنْتُ كَعْبٍ، أُمُّ عُمارةَ، إحْدى نِساءِ بَنِي مازِنِ بنِ النَّجّارِ، وأسْماءُ بِنْتُ عَمْرِو بنِ عَدِيِّ بنِ نابِي، إحْدى نِساءِ بَنِي سَلِمةَ، وهِيَ أُمُّ مَنِيعٍ.

[العَبّاسُ يَتَوَثَّقُ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ]

قالَ: فاجْتَمَعْنا في الشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ الله ﷺ، حَتّى جاءَنا ومَعَهُ عَمُّهُ العَبّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وهُوَ يَوْمَئِذٍ على دِينِ قَوْمِهِ، إلّا أنَّهُ أحَبَّ أنْ يَحْضُرَ أمْرَ ابنِ أخِيهِ ويَتَوَثَّقَ لَهُ، فلَمّا جَلَسَ كانَ أوَّلَ مُتَكَلِّمٍ العَبّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فقالَ: يا مَعْشَرَ الخَزْرَجِ ـ قالَ: وكانَتِ العَرَبُ إنَّما يُسَمُّونَ هذا الحَيَّ مِنَ الأنْصارِ: الخَزْرَجَ، خَزْرَجَها وأوْسَها ـ إنَّ مُحَمَّدًا ﷺ مِنّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ وقَدْ مَنَعْناهُ مِنْ قَوْمِنا، مِمَّنْ هُوَ على مِثْلِ رَأْيِنا فيهِ، فهُوَ في عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ ومَنَعةٍ في بَلَدِهِ، وإنَّهُ قَدْ أبى إلّا الانْحِيازَ إلَيْكُمْ، واللُّحُوقَ بِكُمْ، فإنْ كُنْتُمْ

تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وافُونَ لَهُ بِما دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ، ومانِعُوهُ مِمَّنْ خالَفَهُ، فأَنْتُمْ وما تَحَمَّلْتُمْ مِنْ ذلك، وإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ مُسْلِمُوهُ وخاذِلُوهُ بَعْدَ الخُرُوجِ بِهِ إِلَيْكُمْ فمِنَ الآنَ فدَعُوهُ؛ فإِنَّهُ في عِزٍّ ومَنَعةٍ مِنْ قَوْمِهِ وبَلَدِهِ. قالَ: فقُلْنا لَهُ: قَدْ سَمِعْنا ما قُلْتَ، فتَكَلَّمْ يا رَسُولَ اللهِ، فخُذْ لِنَفْسِكَ ولِرَبِّكَ ما أَحْبَبْتَ.

[عَهْدُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ على الأَنْصارِ]

قالَ: فتَكَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فتَلا القُرْآنَ، ودَعا إلى اللهِ، ورَغَّبَ في الإِسْلامِ، ثُمَّ قالَ: «أُبايِعُكُمْ على أَنْ تَمْنَعُونِي مِمّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِساءَكُمْ وأَبناءَكُمْ». قالَ: فأَخَذَ البَراءُ بنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ، ثُمَّ قالَ: نَعَمْ، والَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ نَبِيًّا، لَنَمْنَعَنَّكَ مِمّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنا، فبايِعْنا يا رَسُولَ اللهِ، فنَحْنُ واللهِ أَبناءُ الحُرُوبِ، وأَهْلُ الحَلْقةِ، ورِثْناها كابِرًا عَنْ كابِرٍ. قالَ: فاعْتَرَضَ القَوْلَ والبَراءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، أَبو الهَيْثَمِ بنُ التَّيِّهانِ، فقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ بَيْنَنا وبَيْنَ الرِّجالِ حِبالًا، وإِنّا قاطِعُوها، يَعْنِي: اليَهُودَ، فهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فعَلْنا ذلك ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللهُ أَنْ تَرْجِعَ إلى قَوْمِكَ وتَدَعَنا؟ قالَ: فتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قالَ: «بَلِ الدَّمَ الدَّمَ، والهَدْمَ الهَدْمَ، أَنا مِنْكُمْ وأَنْتُمْ مِنِّي، أُحارِبُ مَنْ حارَبْتُمْ، وأُسالِمُ مَنْ سالَمْتُمْ».

قالَ ابن هِشام: ويُقالُ: الهَدْمَ الهَدْمَ: يَعْنِي الحُرْمةَ. أَيْ: ذِمَّتِي ذِمَّتُكُمْ، وحُرْمَتِي حُرْمَتُكُمْ.

قالَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ: وقَدْ كانَ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا؛ لِيَكُونُوا على قَوْمِهِمْ بِما فيهِمْ». فأَخْرَجُوا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا، تِسْعةً مِنَ الخَزْرَجِ، وثَلاثةً مِنَ الأَوْسِ.

أَسماءُ النُّقَباءِ الِاثْنَيْ عَشَرَ وتَمامُ خَبَرِ العَقَبةِ

[نُقَباءُ الخَزْرَجِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: مِنَ الخَزْرَجِ ـ فيما حَدَّثَنا زِيادُ بنُ عَبْدِ اللهِ البَكّائِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ إسْحاقَ المُطَّلِبِيِّ ـ: أبو أُمامةَ أَسْعَدُ بنُ زُرارةَ بنِ عُدَسَ بنِ عُبَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ غَنْمِ بنِ مالِكِ بنِ النَّجّارِ، وهُوَ تَيْمُ اللهِ بنُ ثَعْلَبَةَ بنِ عَمْرِو بنِ الخَزْرَجِ، وسَعْدُ بنُ الرَّبيعِ بنِ عَمْرِو بنِ أبي زُهَيْرِ بنِ مالِكِ بنِ امْرِئِ القَيْسِ بنِ مالِكِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ كَعْبِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، وعَبْدُ اللهِ بنُ رَواحةَ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ امْرِئِ القَيْسِ بنِ عَمْرِو بنِ امْرِئِ القَيْسِ الأكْبَرِ بنِ مالِكٍ الأغَرِّ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ كَعْبِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، ورافِعُ بنُ مالِكِ بنِ العَجْلانِ بنِ عَمْرِو بنِ عامِرِ بنِ زُرَيْقِ بنِ عَبْدِ حارِثةَ بنِ مالِكِ بنِ غَضْبِ بنِ جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ، والبَراءُ بنُ مَعْرُورِ بنِ صَخْرِ بنِ خَنْساءَ بنِ سِنانِ بنِ عُبَيْدِ بنِ عَدِيِّ بنِ غَنْمِ بنِ كَعْبِ ابنِ سَلِمةَ بنِ سَعْدِ بنِ عَلِيِّ بنِ أَسَدِ بنِ سارِدةَ بنِ تَزيدَ بنِ جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ، وعَبْدُ اللهِ بنُ عَمْرِو بنِ حَرامِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ حَرامِ بنِ كَعْبِ بنِ غَنْمِ بنِ كَعْبِ بنِ سَلِمةَ بنِ سَعْدِ بنِ عَلِيِّ بنِ أَسَدِ بنِ سارِدةَ بنِ تَزيدَ بنِ جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ، وعُبادةُ بنُ الصّامِتِ بنِ قَيْسِ بنِ أَصْرَمَ بنِ فِهْرِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ غَنْمِ ابنِ سالِمِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: هُوَ غَنْمُ بنُ عَوْفٍ، أَخُو سالِمِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وسَعْدُ بنُ عُبادةَ بنِ دُلَيْمِ بنِ حارِثةَ بنِ أبي حَزِيمةَ بنِ

ثَعْلَبَةَ بن طَرِيفِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ ساعِدَةَ بنِ كَعْبِ بنِ الخَزْرَجِ، والمُنْذِرُ بنُ عَمْرِو بنِ خُنَيْسِ بنِ حارِثَةَ بنِ لَوْذانَ بنِ عَبْدِ وُدِّ بنِ زَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ الخَزْرَجِ بنِ ساعِدَةَ بنِ كَعْبِ بنِ الخَزْرَجِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: ابنُ خُنَيْسٍ.

[نُقَباءُ الأَوْسِ]

وَمِنَ الأَوْسِ: أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرِ بنِ سِماكِ بنِ عَتِيكِ بنِ رافِعِ بنِ امْرِئِ القَيْسِ بنِ زَيْدِ بنِ عَبْدِ الأَشْهَلِ، وسَعْدُ بنُ خَيْثَمَةَ بنِ الحارِثِ بنِ مالِكِ بنِ كَعْبِ بنِ النَّحّاطِ بنِ كَعْبِ بنِ حارِثَةَ بنِ غَنْمِ بنِ السَّلْمِ بنِ امْرِئِ القَيْسِ ابنِ مالِكِ بنِ الأَوْسِ، ورِفاعَةُ بنُ عَبْدِ المُنْذِرِ بنِ زُبَيْرِ بنِ زَيْدِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ زَيْدِ بنِ مالِكِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفِ بنِ مالِكِ بنِ الأَوْسِ.

[شِعْرُ كَعْبٍ في حَصْرِ النُّقَباءِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وأَهْلُ العِلْمِ يَعُدُّونَ فيهِمْ أَبا الهَيْثَمِ بنَ التَّيِّهانِ، ولا يَعُدُّونَ رِفاعَةَ. وقالَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ يَذْكُرُهُمْ، فيما أَنْشَدَنِي أبو زَيْدٍ الأَنْصارِيُّ:

أَبْلِغْ أُبَيًّا أَنَّهُ فالَ رَأْيُهُ ... وحانَ غَداةَ الشِّعْبِ والحَيْنُ واقِعُ
أَبَى اللهُ ما مَنَّتْكَ نَفْسُكَ إِنَّهُ ... بِمِرْصادِ أَمْرِ النّاسِ راءٍ وسامِعُ
وَأَبْلِغْ أبا سُفيانَ أَنْ قَدْ بَدا لَنا ... بِأَحْمَدَ نُورٌ مِنْ هُدى اللهِ ساطِعُ
فَلا تَرْغَبَنْ في حَشْدِ أَمْرٍ تُرِيدُهُ ... وأَلِّبْ وجَمِّعْ كُلَّ ما أَنْتَ جامِعُ
وَدُونَكَ فاعْلَمْ أَنَّ نَقْضَ عُهُودِنا ... أَباهُ عَلَيْكَ الرَّهْطُ حِينَ تَتابَعُوا
أَباهُ البَراءُ وابنُ عَمْرٍو كِلاهُما ... وأَسْعَدُ يَأْباهُ عَلَيْكَ ورافِعُ
وَسَعْدٌ أَباهُ السّاعِدِيُّ ومُنْذِرٌ ... لِأَنْفِكَ إِنْ حاوَلْتَ ذلك جادِعُ

وَما ابنُ رَبِيــعٍ إنْ تَناوَلْتَ عَهْدَهُ بِمُسْـلِمِهِ لا يَطْمَعَنْ ثَــمَّ طامِعُ
وَأَيْضًا فَــلا يُعْطِيكَهُ ابنُ رَواحةٍ وإخْفارُهُ مِــنْ دُونِهِ السُّــمُّ ناقِعُ
وَفاءً بِــهِ والقَوْقَلِيُّ بْــنُ صامِتٍ بِمَنْدُوحــةٍ عَمّــا تُحــاوِلُ يافِعُ
أبــو هَيْثَــمٍ أيْضًــا وفِيٌّ بِمِثْلِها وفاءً بِما أعْطــى مِنَ العَهْدِ خانِعُ
وَما ابنُ حُضَيْرٍ إنْ أرَدْتَ بِمَطْمَعٍ فهَلْ أنْتَ عَنْ أُحْمُوقةِ الغَيِّ نازِعُ؟
وَسَــعْدٌ أخُو عَمْرِو بنِ عَوْفٍ فإنَّهُ ضَرُوحٌ لِما حاوَلْــتَ مِلْأَمْرِ مانِعُ
أُولاكَ نُجُــومٌ لا يُغِبُّــكَ مِنْهُــمُ عَلَيْكَ بِنَحْسٍ في دُجى اللَّيْلِ طالِعُ

فَذَكَرَ كَعْبٌ فيهِمْ «أبا الهَيْثَمِ بنَ التَّيِّهانِ» ولَمْ يَذْكُرْ «رِفاعةَ».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ لِلنُّقَباءِ: «أنْتُمْ على قَوْمِكُمْ بِما فيهِمْ كُفَلاءُ، كَكَفالةِ الحَوارِيِّينَ لِعِيسى ابنِ مَرْيَمَ، وأنا كَفِيلٌ على قَوْمِي، يَعْنِي: المُسْلِمِينَ». قالُوا: نَعَمْ.

[كَلِمةُ العَبّاسِ بنِ عُبادةَ في الخَزْرَجِ قَبْلَ المُبايَعةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ: أنَّ القَوْمَ لَمّا اجْتَمَعُوا لِبَيْعةِ رَسُولِ الله ﷺ قالَ العَبّاسُ بنُ عُبادةَ بنِ نَضْلةَ الأنْصارِيُّ، أخُو بَنِي سالِمِ بنِ عَوْفٍ: يا مَعْشَرَ الخَزْرَجِ، هَلْ تَدْرُونَ عَلامَ تُبايِعُونَ هذا الرَّجُلَ؟ قالُوا: نَعَمْ. قالَ: إنَّكُمْ تُبايِعُونَهُ على حَرْبِ الأحْمَرِ والأسْوَدِ مِنَ النّاسِ، فإنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أنَّكُمْ إذا نَهَكَتْ أمْوالَكُمْ مُصِيبةٌ، وأشْرافَكُمْ قَتْلًا، أسْلَمْتُمُوهُ، فمِنَ الآنَ، فهُوَ والله إنْ فعَلْتُمْ خِزْيُ الدُّنْيا والآخِرةِ، وإنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أنَّكُمْ وافُونَ لَهُ بِما دَعَوْتُمُوهُ إلَيْهِ على نَهْكةِ الأمْوالِ، وقَتْلِ الأشْرافِ فخُذُوهُ، فهُوَ والله خَيْرُ الدُّنْيا والآخِرةِ، قالُوا: فإنّا نَأْخُذُهُ على مُصِيبةِ الأمْوالِ، وقَتْلِ

الأشْرافِ، فما لَنا بِذلك يا رَسُولَ الله إنْ نَحْنُ وفينا بِذلك؟ قالَ: «الجَنّةُ». قالُوا: ابْسُطْ يَدَكَ، فبَسَطَ يَدَهُ فبايَعُوهُ.

وأمّا عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ، فقالَ: واللهِ ما قالَ ذلك العَبّاسُ إلّا لِيَشُدَّ العَقْدَ لِرَسُولِ الله ﷺ في أعْناقِهِمْ.

وَأمّا عَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ فقالَ: ما قالَ ذلك العَبّاسُ إلّا لِيُؤَخِّرَ القَوْمَ تَلِكَ اللَّيْلَةَ، رَجاءَ أنْ يَحْضُرَها عَبْدُ الله بنُ أُبَيِّ بنِ سَلُولَ، فيكُونَ أقْوى لِأمْرِ القَوْمِ. فالله أعْلَمُ أيَّ ذلك كانَ.

[نَسَبُ سَلُولَ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: سَلُولُ: امْرَأةٌ مِنْ خُزاعةَ، وهِيَ أُمُّ أُبَيِّ بنِ مالِكِ بنِ الحارِثِ.

[أوَّلُ مَنْ ضَرَبَ على يَدِ الرَّسُولِ في بَيْعةِ العَقَبةِ الثّانِيةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فبَنُو النَّجّارِ يَزْعُمُونَ أنَّ أبا أُمامةَ، أسْعَدَ بنَ زُرارةَ، كانَ أوَّلَ مَنْ ضَرَبَ على يَدِهِ، وبَنُو عَبْدِ الأشْهَلِ يَقُولُونَ: بَلْ أبو الهَيْثَمِ بنُ التَّيِّهانِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فأمّا مَعْبَدُ بنُ كَعْبِ بنِ مالِكٍ فحَدَّثَني في حَدِيثِهِ، عَنْ أخِيهِ عَبْدِ الله بنِ كَعْبٍ، عَنْ أبيهِ كَعْبِ بنِ مالِكٍ، قالَ: كانَ أوَّلَ مَنْ ضَرَبَ على يَدِ رَسُولِ الله ﷺ البَراءُ بنُ مَعْرُورٍ، ثُمَّ بايَعَ بَعْدُ القَوْمُ.

[تَنْفيرُ الشَّيْطانِ لِمَنْ بايَعَ في العَقَبةِ الثّانِيةِ]

فَلَمّا بايَعْنا رَسُولَ الله ﷺ صَرَخَ الشَّيْطانُ مِنْ رَأْسِ العَقَبةِ بِأنْفَذِ صَوْتٍ

سَمِعْتُهُ قَطُّ: يا أَهْلَ الجُباجِبِ ـ والجُباجِبُ: المَنازِلُ ـ هَلْ لَكُمْ في مُذَمَّمٍ والصُّباةُ مَعَهُ، قَدِ اجْتَمَعُوا على حَرْبِكُمْ؟ قالَ: فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «هذا أَزَبُّ العَقَبةِ، هذا ابنُ أَزْيَبَ»، قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ ابنُ أُزَيْبٍ، «أَتَسْمَعُ أيْ عَدُوَّ الله؟ أما والله لَأَفْرُغَنَّ لَكَ».

[اسْتِعْجالُ المُبايِعِينَ لِلْإِذْنِ بِالحَرْبِ]

قالَ: ثُمَّ قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ارْفَضُّوا إلى رِحالِكُمْ». قالَ: فَقالَ لَهُ العَبّاسُ بنُ عُبادةَ بنِ نَضْلَةَ: واللهِ الَّذي بَعَثَكَ بِالحَقِّ: إنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ على أَهْلِ مِنًى غَدًا بِأَسْيافِنا؟ قالَ: فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَمْ نُؤْمَرْ بِذلك، ولَكِنِ ارْجِعُوا إلى رِحالِكُمْ». قالَ: فرَجَعْنا إلى مَضاجِعِنا، فنِمْنا عَلَيْها حَتّى أَصْبَحْنا.

[غُدُوُّ قُرَيْشٍ على الأَنْصارِ في شَأْنِ البَيْعةِ]

قالَ: فلَمّا أَصْبَحْنا غَدَتْ عَلَيْنا جُلّةُ قُرَيْشٍ، حَتّى جاؤُونا في مَنازِلِنا، فقالُوا: يا مَعْشَرَ الخَزْرَجِ، إنَّهُ قَدْ بَلَغَنا أَنَّكُمْ قَدْ جِئْتُمْ إلى صاحِبِنا هذا تَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنا، وتُبايِعُونَهُ على حَرْبِنا، وإنَّهُ والله ما مِنْ حَيٍّ مِنَ العَرَبِ أَبْغَضُ إلَيْنا، أَنْ تَنْشَبَ الحَرْبُ بَيْنَنا وبَيْنَهُمْ مِنْكُمْ. قالَ: فانْبَعَثَ مَنْ هُناكَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِنا يَحْلِفُونَ بالله ما كانَ مِنْ هذا شَيْءٌ، وما عَلِمْناهُ. قالَ: وقَدْ صَدَقُوا، لَمْ يَعْلَمُوهُ. قالَ: وبَعْضُنا يَنْظُرُ إلى بَعْضٍ. قالَ: ثُمَّ قامَ القَوْمُ وفيهِمُ الحارِثُ بنُ هِشامِ بنِ المُغِيرةِ المَخْزُومِيُّ، وعَلَيْهِ نَعْلانِ لَهُ جَدِيدانِ، قالَ: فقُلْتُ لَهُ كَلِمةً كَأَنِّي أُرِيدُ أَنْ أُشْرِكَ القَوْمَ بِها فيما قالُوا: يا أَبا جابِرٍ، أما تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَّخِذَ، وأَنْتَ سَيِّدٌ مِنْ ساداتِنا، مِثْلَ نَعْلَيْ هذا الفَتى مِنْ قُرَيْشٍ؟

قالَ: فسَمِعَها الحارِثُ، فخَلَعَهُما مِنْ رِجْلَيْهِ ثُمَّ رَمى بِهِما إلَيَّ، وقالَ: واللهِ لِتَنْتَعِلَنَّهُما. قالَ: يَقُولُ: أبو جابِرٍ: مَهْ، أَحْفَظْتَ واللهِ الفَتى، فارْدُدْ إلَيْهِ نَعْلَيْهِ. قالَ: قُلْتُ: واللهِ لا أرُدُّهُما، فَأْلٌ واللهِ صالِحٌ، لَئِنْ صَدَقَ الفَأْلُ لَأَسْلُبَنَّهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني عَبْدُ اللهِ بنُ أبي بَكْرٍ: أَنَّهُمْ أَتَوْا عَبْدَ اللهِ ابنَ أُبَيِّ بن سَلُولَ، فقالُوا لَهُ مِثْلَ ما قالَ كَعْبٌ مِنَ القَوْلِ، فقالَ لَهُمْ: واللهِ إنَّ هذا الأمْرَ جَسِيمٌ، ما كانَ قَوْمِي لِيَتَفَوَّتُوا عَلَيَّ بِمِثْلِ هذا، وما عَلِمْتُهُ كانَ. قالَ: فانْصَرَفُوا عَنْهُ.

[خُرُوجُ قُرَيْشٍ في طَلَبِ الأنْصارِ]

قالَ: ونَفَرَ النّاسُ مِنْ مِنًى، فتَنَطَّسَ القَوْمُ الخَبَرَ، فوَجَدُوهُ قَدْ كانَ، وخَرَجُوا في طَلَبِ القَوْمِ، فأدْرَكُوا سَعْدَ بنَ عُبادةَ بِأذاخِرَ، والمُنْذِرَ بنَ عَمْرٍو، أخا بَنِي ساعِدةَ بنِ كَعْبِ بنِ الخَزْرَجِ، وكِلاهُما كانَ نَقِيبًا. فأمّا المُنْذِرُ فأعْجَزَ القَوْمَ، وأمّا سَعْدٌ فأخَذُوهُ، فرَبَطُوا يَدَيْهِ إلى عُنُقِهِ بِنِسْعِ رَحْلِهِ، ثُمَّ أَقْبَلُوا بِهِ حَتّى أدْخَلُوهُ مَكّةَ يَضْرِبُونَهُ، ويَجْذِبُونَهُ بِجُمَّتِهِ، وكانَ ذا شَعَرٍ كَثِيرٍ.

[خَلاصُ ابنِ عُبادةَ مِنْ أسْرِ قُرَيْشٍ، وما قِيلَ في ذلك مِنْ شِعْرٍ]

قالَ سعدٌ: فواللهِ إنِّي لَفي أيْدِيهِمْ إذْ طَلَعَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فيهِمْ رَجُلٌ وضِيءٌ أبْيَضُ، شَعْشاعٌ، حُلْوٌ مِنَ الرِّجالِ.

قالَ: فقُلْتُ في نَفْسِي: إنْ يَكُ عِنْدَ أحَدٍ مِنَ القَوْمِ خَيْرٌ فعِنْدَ هذا، قالَ:

فَلَمّا دَنا مِنِّي رَفَعَ يَدَهُ فلَكَمَني لَكْمةً شَدِيدةً. قالَ: فقُلْتُ في نَفْسِي: لا واللهِ ما عِنْدَهُمْ بَعْدَ هذا مِنْ خير. قالَ: فواللهِ إنِّي لَفي أيْدِيهِمْ يَسْحَبُونَني

إذْ أوى لِي رَجُلٌ مِمَّنْ كانَ مَعَهُمْ، فقالَ: ويْحَكَ! أما بَيْنَكَ وبَيْنَ أحَدٍ مِنْ قُرَيْشٍ جِوارٌ ولا عَهْدٌ؟ قالَ: قُلْتُ: بَلى، واللهِ، لَقَدْ كُنْتُ أُجِيرُ لِجُبَيْرِ بنِ مُطْعِمِ بنِ عَدِيِّ بنِ نَوْفَلِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ تِجارَةً، وأَمْنَعُهُمْ مِمَّنْ أرادَ ظُلْمَهُمْ بِبِلادِي، ولِلْحارِثِ بن حَرْبِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ، قالَ: ويْحَكَ! فاهْتِفْ بِاسْمِ الرَّجُلَيْنِ، واذْكُرْ ما بَيْنَكَ وبَيْنَهُما. قالَ: ففَعَلْتُ، وخَرَجَ ذلك الرَّجُلُ إلَيْهِما، فوَجَدَهُما في المَسْجِدِ عِنْدَ الكَعْبةِ، فقالَ لَهُما: إنَّ رَجُلًا مِنَ الخَزْرَجِ الآنَ يُضْرَبُ بِالأبْطَحِ ويَهْتِفُ بِكُما، ويَذْكُرُ أنَّ بَيْنَهُ وبَيْنَكُما جِوارًا، قالا: ومَنْ هُوَ؟ قالَ سَعْدُ بنُ عُبادةَ، قالا: صَدَقَ واللهِ، إنْ كانَ لَيُجِيرُ لَنا تِجارَنا، ويَمْنَعُهُمْ أنْ يُظْلَمُوا بِبَلَدِهِ. قالَ: فجاءا فخَلَّصا سَعْدًا مِنْ أيْدِيهِمْ، فانْطَلَقَ. وكانَ الَّذي لَكَمَ سَعْدًا، سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو، أخُو بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وكانَ الرَّجُلُ الَّذي أوى إلَيْهِ، أبا البَخْتَرِيِّ بنَ هِشامٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ أوَّلُ شِعْرٍ قِيلَ في الهِجْرةِ، بَيْتَيْنِ قالَهُما ضِرارُ بنُ الخَطّابِ بنِ مِرْداسٍ، أخُو بَنِي مُحارِبِ بنِ فِهْرٍ، فَقالَ:

تَدارَكْتَ سَعْدًا عَنْوةً فأخَذْتَهُ ... وَكانَ شِفاءً لَوْ تَدارَكْتَ مُنْذِرا

ولَوْ نِلْتُهُ طُلَّتْ هُناكَ جِراحُهُ ... وَكانَتْ حَرِيًّا أنْ يُهانَ ويُهْدَرا

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُرْوى:

وَكانَ حَقِيقًا أنْ يُهانَ ويُهْدَرا

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فأجابَهُ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ فيهِما، فقالَ:

لَسْتَ إلى سَعْدٍ ولا المَرْءِ مُنْذِرٍ ... إذا ما مَطايا القَوْمِ أصْبَحْنَ ضُمَّرا

فَلَــوْلا أبو وهْبٍ لَمَــرَّتْ قَصائِدٌ على شَرَفِ البَرْقــاءِ يَهْوِينَ حُسَّرا
أَتَفْخَــرُ بِالكَتّــانِ لَمّا لَبِسْــتَهُ؟ وقَدْ تَلْبَسُ الأنْباطُ رَيْطًا مُقَصَّرا
فَلا تَــكُ كالوَسْــنانِ يَحْلُــمُ أنَّهُ بِقَرْيةِ كِـسْرى أوْ بِقَرْيةِ قَيْصَرا
وَلا تَــكُ كالثَّكْلى وكانَــتْ بِمَعْزِلٍ عَنِ الثُّكْلِ لَــوْ كانَ الفُؤادُ تَفَكَّرا
وَلا تَكُ كالشّــاةِ الَّتِي كانَ حتفُها بِحَفر ذِراعَيْها فلَــمْ تَرْضَ مَحْفَرا
وَلا تَكُ كالعــاوِي فأُقْبِــلَ نَحْرُهُ ولَمْ يَخْشَهُ، سَهْمًا مِنَ النَّبْلِ مُضْمَرا
فَإنّا ومَنْ يُهْــدِي القَصائِدَ نَحْوَنا كَمُسْتَبْضِعٍ تَمْرًا إلى أرْضِ خَيْبَرا

قِصّةُ صَنَمِ عَمْرِو بنِ الجَمُوح

[عُدْوانُ قَوْمِ عَمْرٍو على صَنَمِهِ]

فَلَمّا قَدِمُوا المَدِينَةَ أظْهَرُوا الإسْلامَ بِها، وفي قَوْمِهِمْ بَقايا مِنْ شُيُوخٍ لَهُمْ على دِينِهِمْ مِنَ الشِّرْكِ، مِنْهُمْ عَمْرُو بنُ الجَمُوحِ بنِ زَيْدِ بنِ حَرامِ بنِ كَعْبِ بنِ غَنْمِ بنِ كَعْبِ بنِ سَلِمةَ، وكانَ ابنُهُ مُعاذُ بنُ عَمْرٍو شَهِدَ العَقَبةَ، وبايَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِها، وكانَ عَمْرُو بنُ الجَمُوحِ سَيِّدًا مِنْ ساداتِ بَنِي سَلِمةَ، وشَرِيفًا مِنْ أشْرافِهِمْ، وكانَ قَدِ اتَّخَذَ في دارِهِ صَنَمًا مِنْ خَشَبٍ يُقالُ لَهُ: مَناةُ، كَما كانَتِ الأشْرافُ يَصْنَعُونَ، تَتَّخِذُهُ إلَهًا تُعَظِّمُهُ وتُطَهِّرُهُ، فلَمّا أسْلَمَ فِتْيانُ بَنِي سَلِمةَ: مُعاذُ بنُ جَبَلٍ، وابنُهُ مُعاذُ بنُ عَمْرِو بنِ الجَمُوحِ، في فِتْيانٍ مِنْهُمْ مِمَّنْ أسْلَمَ وشَهِدَ العَقَبةَ، كانُوا يُدْلِجُونَ بِاللَّيْلِ على صَنَمِ عَمْرٍو ذلك، فيحْمِلُونَهُ فيطْرَحُونَهُ في بَعْضِ حُفَرِ بَنِي سَلِمةَ، وفيها عِذَرُ النّاسِ، مُنَكَّسًا على رَأْسِهِ، فإذا أصْبَحَ عَمْرٌو، قالَ: ويْلَكُمْ! مَنْ عَدا على آلِهَتِنا هَذِهِ اللَّيْلةَ؟ قالَ: ثُمَّ يَغْدُو يَلْتَمِسُهُ، حَتّى إذا وجَدَهُ غَسَلَهُ وطَهَّرَهُ وطَيَّبَهُ، ثُمَّ قالَ:

أما واللهِ لَوْ أعْلَمُ مَنْ فعَلَ هذا بِكَ لَأُخْزِيَنَّهُ. فإذا أمْسى ونامَ عَمْرٌو، عَدَوْا عَلَيْهِ، ففَعَلُوا بِهِ مِثْلَ ذلك، فيغْدُو فيجِدُهُ في مِثْلِ ما كانَ فيهِ مِنَ الأذى، فيغْسِلُهُ ويُطَهِّرُهُ ويُطَيِّبُهُ، ثُمَّ يَعْدُونَ عَلَيْهِ إذا أمْسى، فيفْعَلُونَ بِهِ مِثْلَ ذلك، فلَمّا أكْثَرُوا عَلَيْهِ اسْتَخْرَجَهُ مِنْ حَيْثُ ألْقَوْهُ يَوْمًا، فغَسَلَهُ وطَهَّرَهُ وطَيَّبَهُ، ثُمَّ جاءَ بِسَيْفِهِ فعَلَّقَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قالَ: إنِّي والله ما أعْلَمُ مَنْ يَصْنَعُ بِكَ ما تَرى، فإنْ كانَ فيكَ خَيْرٌ فامْتَنِعْ، فهذا السَّيْفُ مَعَكَ. فلَمّا أمْسى ونامَ عَمْرٌو، عَدَوْا عَلَيْهِ، فأخَذُوا السَّيْفَ مِنْ عُنُقِهِ، ثُمَّ أخَذُوا كَلْبًا مَيِّتًا فقَرَنُوهُ بِهِ بِحَبْلٍ، ثُمَّ ألْقَوْهُ في بِئْرٍ مِنْ آبارِ بَنِي سَلِمَةَ، فيها عِذَرٌ مِنْ عِذَرِ النّاسِ، ثُمَّ غدا عَمْرُو ابنُ الجَمُوحِ فلَمْ يَجِدْهُ في مَكانِهِ الَّذي كانَ بِهِ.

[إسْلامُ عَمْرٍو، وشِعْرُهُ في ذلك]

فَخَرَجَ يَتْبَعُهُ حَتّى وجَدَهُ في تِلْكَ البِئْرِ مُنَكَّسًا مَقْرُونًا بِكَلْبٍ مَيِّتٍ، فلَمّا رَآهُ وأبْصَرَ شَأْنَهُ، وكَلَّمَهُ مَنْ أسْلَمَ مِنْ رِجالِ قَوْمِهِ، فأسْلَمَ بِرَحْمَةِ الله، وحَسُنَ إسْلامُهُ، فقالَ حِينَ أسْلَمَ وعَرَفَ مِنَ الله ما عَرَفَ، وهُوَ يَذْكُرُ صَنَمَهُ ذلك وما أبْصَرَ مِنْ أمْرِهِ، ويَشْكُرُ اللهَ تَعالى الَّذي أنْقَذَهُ مِمّا كانَ فيهِ مِنَ العَمى والضَّلالَةِ:

واللهِ لَوْ كُنْتَ إلَهًا لَمْ تَكُنْ ... أنْتَ وكَلْبٌ وسْطَ بِئْرٍ في قَرَنْ

أُفٍّ لِمَلْقاكَ إلَهًا مُسْتَدَنْ ... الآنَ فتَّشْناكَ عَنْ سُوءِ الغَبَنْ

الحَمْدُ لله العَلِيِّ ذِي المِنَنْ ... الواهِبِ الرَّزّاقِ دَيّانِ الدِّيَنْ

هُوَ الَّذي أنْقَذَنِي مِنْ قَبْلِ أنْ ... أكُونَ في ظُلْمَةِ قَبْرٍ مُرْتَهَنْ

بأحْمَدَ المَهْدِيِّ النَّبِيِّ المُرْتَهِنْ

شُرُوطُ البَيْعةِ في العَقَبةِ الأخِيرةِ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَتْ بَيْعةَ الحَرْبِ، حِينَ أذِنَ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ في القِتالِ شُرُوطًا سِوى شَرْطِهِ عَلَيْهِمْ في العَقَبةِ الأُولى، كانَتِ الأُولى على بَيْعةِ النِّساءِ، وذلك أنَّ اللهَ تبارك تَعالى لَمْ يَكُنْ أذِنَ لِرَسُولِهِ ﷺ في الحَرْبِ، فلَمّا أذِنَ اللهُ لَهُ فيها، وبايَعَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ في العَقَبةِ الأخِيرةِ على حَرْبِ الأحْمَرِ والأسْوَدِ، أخَذَ لِنَفْسِهِ واشْتَرَطَ على القَوْمِ لِرَبِّهِ، وجَعَلَ لَهُمْ على الوَفاءِ بِذلك الجَنّةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عُبادةُ بنُ الوَلِيدِ بن عُبادةَ بنِ الصّامِتِ، عَنْ أبيهِ الوَلِيدِ، عَنْ جَدِّهِ عُبادةَ بنِ الصّامِتِ، وكانَ أحَدَ النُّقَباءِ، قالَ: بايَعْنا رَسُولَ اللهِ ﷺ بَيْعةَ الحَرْبِ، وكانَ عُبادةُ مِنَ الاِثْنَيْ عَشَرَ الَّذينَ بايَعُوهُ في العَقَبةِ الأُولى على بَيْعةِ النِّساءِ على السَّمْعِ والطّاعةِ، في عُسْرِنا ويُسْرِنا، ومَنْشَطِنا ومَكْرَهِنا، وأثَرةٍ عَلَيْنا، وألّا نُنازِعَ الأمْرَ أهْلَهُ، وأنْ نَقُولَ بِالحَقِّ أيْنَما كُنّا، لا نَخافُ في اللهِ لَوْمةَ لائِمٍ.

أسَماءُ مَنْ شَهِدَ العَقَبةَ

[عَدَدُهُمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وهذا تَسْمِيةُ مَنْ شَهِدَ العَقَبةَ، وبايَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِها مِنَ الأوْسِ والخَزْرَجِ، وكانُوا ثَلاثةً وسَبْعِينَ رَجُلًا وامْرَأتَيْنِ.

[مَنْ شَهِدَها مِنَ الأوْسِ بنِ حارِثةَ وبَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ]

شَهِدَها مِنَ الأوْسِ بنِ حارِثةَ بنِ ثَعْلَبةَ بنِ عَمْرِو بنِ عامِرٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ بنِ جُشَمَ بنِ الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ عَمْرِو بنِ مالِكِ بنِ الأوْسِ:

أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرِ بنِ سِماكِ بنِ عَتِيكِ بنِ رافِعِ بنِ امْرِئِ القَيْسِ بنِ زَيْدِ بنِ عَبْدِ الأشْهَلِ، نَقِيبٌ لَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا. وأبو الهَيْثَمِ بنُ التَّيِّهانِ، واسْمُهُ: مالِكٌ، شَهِدَ بَدْرًا. وسَلَمَةُ بنُ سَلامةَ بنِ وقْشِ بنِ زِغْبَةَ بنِ زَعُوراءَ بنِ عَبْدِ الأشْهَلِ، شَهِدَ بَدْرًا، ثَلاثةُ نَفَرٍ. قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: ابنُ زَعْوَراءَ بِفَتْحِ العَيْنِ.

[مَنْ شَهِدَها مِنْ بَنِي حارِثَةَ بنِ الحارِثِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي حارِثَةَ بنِ الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ عَمْرِو بنِ مالِكِ بنِ الأوْسِ: ظُهَيْرُ بنُ رافِعِ بنِ عَدِيِّ بنِ زَيْدِ بنِ جُشَمَ بنِ حارِثَةَ. وأبو بُرْدَةَ بنُ نِيارٍ، واسْمُهُ: هانِئُ بنُ نِيارِ بنِ عَمْرِو بنِ عُبَيْدِ بنِ كِلابِ بنِ دُهْمانَ ابنِ غَنْمِ بنِ ذُبْيانَ بنِ هُمَيْمِ بنِ كامِلِ بنِ ذُهْلِ بنِ هَنِيِّ بنِ بَلِيِّ بنِ عَمْرِو بنِ الحافِ بنِ قُضاعةَ، حَلِيفٌ لَهُمْ، شَهِدَ بَدْرًا. ونُهَيْرُ بنُ الهَيْثَمِ، مِنْ بَنِي نابِي بنِ مَجْدَعَةَ بنِ حارِثَةَ بنِ الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ عَمْرِو بنِ مالِكِ بنِ الأوْسِ، ثُمَّ مِنْ آلِ السَّوّافِ بنِ قَيْسِ بنِ عامِرِ بنِ نابِي بنِ مَجْدَعَةَ بنِ حارِثَةَ، ثَلاثةُ نَفَرٍ.

[مَنْ شَهِدَها مِنْ بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ]

وَمِنْ بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفِ بنِ مالِكِ بنِ الأوْسِ: سَعْدُ بنُ خَيْثَمةَ بنِ الحارِثِ بنِ مالِكِ بنِ كَعْبِ بنِ النَّحّاطِ بنِ كَعْبِ بنِ حارِثَةَ بنِ غَنْمِ بنِ السَّلْمِ بنِ امْرِئِ القَيْسِ بنِ مالِكِ بنِ الأوْسِ، نَقِيبٌ، شَهِدَ بَدْرًا، فقُتِلَ بِهِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَهِيدًا.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ونَسَبَهُ ابنُ إسْحاقَ في بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، وهُوَ مِنْ بَنِي غَنْمِ بن السَّلْمِ؛ لِأنَّهُ رُبَّما كانَتْ دَعْوةُ الرَّجُلِ في القَوْمِ، ويَكُونُ فيهِمْ فيُنْسَبُ إلَيْهِمْ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ورِفاعةُ بنُ عَبْدِ المُنْذِرِ بنِ زَنْبَرِ بنِ زَيْدِ بنِ أُمَيّةَ بنِ زَيْدِ بنِ مالِكِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمْرٍو، نَقِيبٌ، شَهِدَ بَدْرًا. وعَبْدُ اللهِ بنُ جُبَيْرِ ابنِ النُّعْمـانِ بنِ أُمَيّةَ بنِ البُرَكِ، واسْمُ البُرَكِ: امْرُؤُ القَيْسِ بنُ ثَعْلَبَةَ بنِ عَمْرِو ابنِ عَوْفِ بنِ مالِكِ بنِ الأوْسِ شَهِدَ بَدْرًا، وقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا أمِيرًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ على الرُّماةِ. ويُقالُ: أُمَيّةُ بنُ البَرْكِ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومَعْنُ بنُ عَدِيِّ بنِ الجَدِّ بنِ العَجْلانِ بنِ حارِثَةَ بنِ ضُبَيْعةَ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَـلِيٍّ، شَهِـدَ بَـدْرًا وأُحُدًا والخَنْدَقَ، ومَشاهِدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلَّها، قُتِلَ يَوْمَ اليَمامةِ شَهِيدًا في خِلافةِ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وعُوَيْمُ بنُ ساعِدةَ، شَهِدَ بَدْرًا وأُحُدًا والخَنْدَقَ. خَمْسةُ نَفَرٍ.

فَجَمِيعُ مَنْ شَهِدَ العَقَبةَ مِنَ الأوْسِ أحَدَ عَشَرَ رَجُلًا.

[مَنْ شَهِدَها مِنَ الخَزْرَجِ بنِ حارِثَةَ]

وَشَهِدَها مِنَ الخَزْرَجِ بنِ حارِثَةَ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عَمْرِو بنِ عامِرٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي النَّجّارِ، وهُوَ تَيْمُ اللهِ بنُ ثَعْلَبَةَ بنِ عَمْرِو بنِ الخَزْرَجِ: أبو أيُّوبَ، وهُوَ خالِدُ بنُ زَيْدِ بنِ كُلَيْبِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عَبْدِ بنِ عَوْفِ بنِ غَنْمِ بنِ مالِكِ بنِ النَّجّارِ، شَهِدَ بَدْرًا وأُحُدًا والخَنْدَقَ، والمَشاهِدَ كُلَّها، ماتَ بِأرْضِ الرُّومِ غازِيًا في زَمَنِ مُعاوِيَةَ بنِ أبي سُفيانَ.

وَمُعاذُ بنُ الحارِثِ بنِ رِفاعةَ بنِ سَوادِ بنِ مالِكِ بنِ غَنْمِ بنِ مالِكِ بنِ النَّجّارِ، شَهِدَ بَـدْرًا وأُحُدًا والخَنْدَقَ، والمَشاهِدَ كُلَّها، وهُوَ ابنُ عَفْراءَ. وأخُوهُ عَوْفُ بنُ الحارِثِ، شَهِدَ بَدْرًا وقُتِلَ بِهِ شَهِيدًا، وهُوَ لِعَفْراءَ. وأخُوهُ مُعَوَّذُ بنُ الحارِثِ، شَهِدَ بَدْرًا وقُتِلَ بِهِ شَهِيدًا، وهُوَ الَّذي قَتَلَ أبا جَهْلِ بنَ هِشامِ بنِ

المُغِيرةِ، وهُوَ لِعَفْراءَ، ويُقالُ: رِفاعةُ بنُ الحارِثِ بنِ سَوادٍ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ، وعُمارةُ بنُ حَزْمِ بنِ زَيْدِ بنِ لَوْذانَ بنِ عَمْرِو بنِ عَبْدِ عَوْفِ بنِ غَنْمِ ابنِ مالِكِ بنِ النَّجّارِ،

شَهِدَ بَدْرًا وأُحُدًا والخَنْدَقَ، والمَشاهِدَ كُلَّها، قُتِلَ يَوْمَ اليَمامةِ شَهِيدًا في خِلافةِ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وأَسْعَدُ بنُ زُرارةَ بنِ عُدَسَ بنِ عُبَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ غَنْمِ بنِ مالِكِ بنِ النَّجّارِ، نَقِيبٌ، ماتَ قَبْلَ بَدْرٍ ومَسْجِدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُبنى، وهُوَ أبو أُمامةَ. سِتّةُ نَفَرٍ.

[مَنْ شَهِدَها مِنْ بَنِي عَمْرِو بنِ مَبْذُولٍ]

وَمِنْ بَنِي عَمْرِو بنِ مَبْذُولٍ ـ ومَبْذُولٌ: عامِرُ بنُ مالِكِ بنِ النَّجّارِ ـ سَهْلُ بنُ عَتِيكِ بنِ نُعْمانَ بنِ عَمْرِو بنِ عَتِيكِ بنِ عَمْرٍو، شَهِدَ بَدْرًا. رَجُلٌ.

[مَنْ شَهِدَها مِنْ بَنِي عَمْرِو بنِ مالِكٍ]

وَمِنْ بَنِي عَمْرِو بنِ مالِكِ بنِ النَّجّارِ، وهُمْ بَنُو حُدَيْلةَ، قالَ ابنُ هِشامٍ: حُدَيْلةُ:

بِنْتُ مالِكِ بنِ زَيْدِ مَناةِ بنِ حَبِيبِ بنِ عَبْدِ حارِثةَ بنِ مالِكِ بنِ غَضْبِ ابنِ جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ: أَوْسُ بنُ ثابِتِ بنِ المُنْذِرِ بنِ حَرامِ بنِ عَمْرِو بنِ زَيْدِ مَناةَ بنِ عَدِيِّ بنِ عَمْرِو بنِ مالِكِ بنِ النَّجّارِ، شَهِدَ بَدْرًا. وأبو طَلْحةَ، وهُوَ زَيْدُ بنُ سَهْلِ بنِ الأَسْوَدِ بنِ حَرامِ بنِ عَمْرِو بنِ زَيْدِ مَناةَ بنِ عَدِيِّ بنِ عَمْرِو بنِ مالِكِ بنِ النَّجّارِ، شَهِدَ بَدْرًا. رَجُلانِ.

[مَنْ شَهِدَها مِنْ بَنِي مازِنِ بنِ النَّجّارِ]

وَمِنْ بَنِي مازِنِ بنِ النَّجّارِ: قَيْسُ بنُ أبي صَعْصَعةَ، واسْمُ أبي صَعْصَعةَ:

عَمْرُو بنُ زَيْدِ بن عَوْفِ بنِ مَبْذُولِ بنِ عَمْرِو بنِ غَنْمِ بنِ مازِنٍ، شَهِدَ بَدْرًا، وكانَ رَسُولُ الله ﷺ جَعَلَهُ على السّاقةِ يَوْمئِذٍ. وعَمْرُو بنُ غَزِيّةَ بنِ عَمْرِو ابنِ ثَعْلَبَةَ بنِ خَنْساءَ بنِ مَبْذُولِ بنِ عَمْرِو بنِ غَنْمِ بنِ مازِنٍ. رَجُلانِ. فجَمِيعُ مَنْ شَهِدَ العَقَبةَ مِنْ بَنِي النَّجّارِ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا.

[تَصْويبُ نَسَبِ عَمْرِو بنِ غَزِيّةَ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: عَمْرُو بنُ غَزِيّةَ بنِ عَمْرِو بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ خَنْساءَ، هذا الَّذي ذَكَرَهُ ابنُ إسْحاقَ، إنَّما هُوَ غَزِيّةُ بنُ عَمْرِو بنِ عَطِيّةَ بنِ خَنْساءَ.

[مَنْ شَهِدَها مِنْ بَلْحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَلْحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ: سَعْدُ بنُ الرَّبِيعِ بنِ عَمْرِو ابنِ أَبِي زُهَيْرِ بنِ مالِكِ بنِ امْرِئِ القَيْسِ بنِ مالِكٍ الأغَرِّ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ كَعْبِ ابنِ الخَزْرَجِ بنِ الحارِثِ، نَقِيبٌ، شَهِدَ بَدْرًا وقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا. وخارِجَةُ ابنُ زَيْدِ بنِ أَبِي زُهَيْرِ بنِ مالِكِ بنِ امْرِئِ القَيْسِ بنِ مالِكٍ الأغَرِّ بنِ ثَعْلَبَةَ ابنِ كَعْبِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ الحارِثِ، شَهِدَ بَدْرًا وقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا. وعَبْدُ الله ابنُ رَواحةَ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ امْرِئِ القَيْسِ بنِ عَمْرِو بنِ امْرِئِ القَيْسِ الأكْبَرِ ابنِ مالِكٍ الأغَرِّ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ كَعْبِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ الحارِثِ، نَقِيبٌ، شَهِدَ بَدْرًا وأُحُدًا والخَنْدَقَ، ومَشاهِدَ رَسُولِ الله ﷺ كُلَّها، إلّا الفَتْحَ وما بَعْدَهُ، وقُتِلَ يَوْمَ مُؤْتَةَ شَهِيدًا أَمِيرًا لِرَسُولِ الله ﷺ. وبَشِيرُ بنُ سَعْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ خِلاسِ بنِ زَيْدِ بنِ مالِكِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ كَعْبِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ الحارِثِ، أبو النُّعْمانِ بنُ بَشِيرٍ، شَهِدَ بَدْرًا. وعَبْدُ الله بنُ زَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ زَيْدِ مَناةَ بنِ الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، شَهِدَ بَدْرًا، وهُوَ الَّذي أُرِيَ النِّداءَ لِلصَّلاةِ،

فجاءَ بِهِ إلى رَسُولِ الله ﷺ فأمَرَ بِهِ. وخَلّادُ بنُ سُوَيدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بن عَمْرِو ابن حارِثَةَ بنِ امْرِئِ القَيْسِ بنِ مالِكٍ الأغَرِّ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ كَعْبِ بنِ الخَزْرَجِ، شَهِدَ بَدْرًا وأُحُدًا والخَنْدَقَ، وقُتِلَ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ شَهِيدًا، طُرِحَتْ عَلَيْهِ رَحى مِنْ أُطُمٍ مِنْ آطامِها فشَدَخَتْهُ شَدْخًا شَدِيدًا، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ فيما يَذْكُرُونَ: «إنَّ لَهُ لَأجْرَ شَهِيدَيْنِ». وعُقْبَةُ بنُ عَمْرِو بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ أسِيرَةَ بنِ عُسَيْرَةَ بنِ جَدارةَ بنِ عَوْفِ بنِ الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، وهُوَ أبو مَسْعُودٍ، وكانَ أحْدَثَ مَنْ شَهِدَ العَقَبَةَ سِنًّا، ماتَ في أيّامِ مُعاوِيَةَ، لَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا. سَبْعَةُ نَفَرٍ.

[مَنْ شَهِدَها مِنْ بَنِي بَياضَةَ بنِ عامِرٍ]

وَمِنْ بَنِي بَياضَةَ بنِ عامِرِ بنِ زُرَيْقِ بنِ عَبْدِ حارِثَةَ بنِ مالِكِ بنِ غَضْبِ ابنِ جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ: زِيادُ بنُ لَبِيدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ سِنانِ بنِ عامِرِ بنِ عَدِيِّ ابنِ أُمَيّةَ بنِ بَياضَةَ، شَهِدَ بَدْرًا. وفَرْوَةُ بنُ عَمْرِو بنِ وَذْفَةَ بنِ عُبَيْدِ بنِ عامِرِ ابنِ بَياضَةَ، شَهِدَ بَدْرًا. قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: ودفَةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقٍ: وخالِدُ بنُ قِيسِ بنِ مالِكِ بنِ العَجْلانِ بنِ عامِرِ بنِ بَياضَةَ، شَهِدَ بَدْرًا. ثَلاثَةُ نَفَرٍ.

[مَنْ شَهِدَها مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ]

وَمِنْ بَنِي زُرَيْقِ بنِ عامِرِ بنِ زُرَيْقِ بنِ عَبْدِ حارِثَةَ بنِ مالِكِ بنِ غَضْبِ ابنِ جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ: رافِعُ بنُ مالِكِ بنِ العَجْلانِ بنِ عَمْرِو بنِ عامِرِ بنِ زُرَيْقٍ، نَقِيبٌ.

وَذَكْوانُ بنُ عَبْدِ قِيسِ بنِ خَلْدَةَ بنِ مُخَلَّدِ بنِ عامِرِ بنِ زُرَيْقٍ، وكانَ خَرَجَ

إلى رَسُولِ الله ﷺ، وكانَ مَعَهُ بِمَكّةَ وهاجَرَ إلى رَسُولِ الله ﷺ مِنَ المَدِينةِ، فكانَ يُقالُ لَهُ: مُهاجِرِيٌّ أنْصارِيٌّ، شَهِدَ بَدْرًا، وقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا. وعَبّادُ ابنُ قِيسِ بنِ عامِرِ بنِ خَلْدَةَ بنِ مُخَلَّدِ بنِ عامِرِ بنِ زُرَيْقٍ، شَهِدَ بَدْرًا. والحارِثُ ابنُ قِيسِ بنِ خالِدِ بنِ مُخَلَّدِ بنِ عامِرِ بنِ زُرَيْقٍ، وهُوَ أبو خالِدٍ، شَهِدَ بَدْرًا. أرْبَعةُ نَفَرٍ.

[مَنْ شَهِدَها مِنْ بَنِي سَلِمةَ بنِ سَعْدٍ]

وَمِنْ بَنِي سَلِمةَ بنِ سَعْدِ بنِ عَلِيِّ بنِ أسَدِ بنِ سارِدةَ بنِ تَزِيدَ بنِ جُشَمَ ابنِ الخَزْرَجِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عُبَيْدِ بنِ عَدِيِّ بنِ غَنْمِ بنِ كَعْبِ بنِ سَلِمةَ: البَراءُ ابنُ مَعْرُورِ بن صَخْرِ بنِ خَنْساءَ بنِ سِنانِ بنِ عُبَيْدِ بنِ عَدِيِّ بنِ غَنْمٍ، نَقِيبٌ، وهُوَ الَّذي تَزْعُمُ بَنُو سَلِمةَ أنَّهُ كانَ أوَّلَ مَنْ ضَرَبَ على يَدِ رَسُولِ الله ﷺ وشَرَطَ لَهُ، واشْتَرَطَ عَلَيْهِ، ثُمَّ تُوُفِّي قَبْلَ مَقْدَمِ رَسُولِ الله ﷺ المَدِينةَ. وابنُهُ بِشْرُ بنُ البَراءِ بنِ مَعْرورٍ، شَهِدَ بَدْرًا وأُحُدًا والخَنْدَقَ، وماتَ بِخَيْبَرَ مِنْ أكْلةٍ أكَلَها مَعَ رَسُولِ الله ﷺ مِنَ الشّاةِ الَّتِي سُمَّ فيها، وهُوَ الَّذي قالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ، حَيْنَ سَأَلَ بَنِي سَلِمةَ: «مَنْ سَيِّدُكُمْ يا بَنِي سَلِمةَ؟» فَقالُوا: الجَدُّ بنُ قَيْسٍ على بُخْلِهِ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَأيُّ داءٍ أكْبَرُ مِنَ البُخْلِ؟! سَيِّدُ بَنِي سَلِمةَ الأبْيَضُ الجَعْدُ بِشْرُ بنُ البَراءِ بنِ مَعْرُورٍ». وسِنانُ بنُ صَيْفِيِّ ابنِ صَخْرِ بنِ خَنْساءَ بنِ سِنانِ بنِ عُبَيْدٍ، شَهِدَ بَدْرًا، وَقُتِلَ يَوْمَ الخَنْدَقِ شَهِيدًا. والطُّفيلُ بنُ النُّعْمانِ بنِ خَنْساءَ بنِ سِنانِ بنِ عُبَيْدٍ، شَهِدَ بَدْرًا، وقُتِلَ يَوْمَ الخَنْدَقِ شَهِيدًا. ومَعْقِلُ بنُ المُنْذِرِ بنِ سَرْحِ بنِ خُناسِ بنِ سِنانِ ابنِ عُبَيْدٍ، شَهِدَ بَدْرًا. وأخُوهُ يَزِيدُ بنُ المُنْذِرِ، شَهِدَ بَدْرًا. ومَسْعُودُ بنُ يَزِيدَ

ابنِ سُبَيْعِ بنِ خَنْساءَ بنِ سِنانِ بنِ عُبَيْدٍ. والضَّحّاكُ بنُ حارِثةَ بنِ زَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عُبَيْدٍ، شَهِدَ بَدْرًا. ويَزِيدُ بنُ حَرامِ بنِ سُبَيْعِ بنِ خَنْساءَ بنِ سِنانِ ابنِ عُبَيْدٍ. وجَبّارُ بنُ صَخْرِ بنِ أُمَيّةَ بنِ خَنْساءَ بنِ سِنانِ بنِ عُبَيْدٍ، شَهِدَ بَدْرًا.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: جَبّارُ بنُ صَخْرِ بنِ أُمَيّةَ بنِ خُناسٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: والطُّفيلُ بنُ مالِكِ بنِ خَنْساءَ بنِ سِنانِ بنِ عُبَيْدٍ، شَهِدَ بَدْرًا. أحَدَ عَشَرَ رَجُلًا.

[مَنْ شَهِدَها مِنْ بَنِي سَوادِ بنِ غَنْمٍ]

وَمِنْ بَنِي سَوادِ بنِ غَنْمِ بنِ كَعْبِ بنِ سَلِمةَ، ثُمَّ مِنْ بَنِي كَعْبِ بنِ سَوادٍ: كَعْبُ بنُ مالِكِ بنِ أبي كَعْبِ بنِ القَيْنِ بنِ كَعْبٍ. رَجُلٌ.

[مَنْ شَهِدَها مِنْ بَنِي غَنْمِ بنِ سَوادٍ]

وَمِنْ بَنِي غَنْمِ بنِ سَوادِ بنِ غَنْمِ بنِ كَعْبِ بنِ سَلِمةَ: سُلَيْمُ بنُ عَمْرِو ابنِ حَدِيدةَ بن عَمْرِو بنِ غَنْمٍ، شَهِدَ بَدْرًا. وقُطْبةُ بنُ عامِرِ بنِ حَدِيدةَ بنِ عَمْرِو بنِ غَنْمٍ، شَهِدَ بَدْرًا. وأخُوهُ يَزِيدُ بنُ عامِرِ بنِ حَدِيدةَ بنِ عَمْرِو بنِ غَنْمٍ، وهُوَ أبو المُنْذِرِ، شَهِدَ بَدْرًا. وأبو اليَسَرِ، واسْمُهُ كَعْبُ بنُ عَمْرِو بنِ عَبّادِ بنِ عَمْرِو بن غَنْمٍ، شَهِدَ بَدْرًا. وصَيْفِيُّ بنُ سَوادِ بنِ عَبّادِ بنِ عَمْرِو ابنِ غَنْمٍ، خَمْسةُ نَفَرٍ.

[تَصْوِيبُ اسْمِ صَيْفي]

قالَ ابنُ هِشامٍ: صَيْفِيُّ بنُ أسْوَدَ بنِ عَبّادِ بنِ عَمْرِو بنِ غَنْمِ بنِ سَوادٍ، ولَيْسَ لِسَوادٍ ابنٌ يُقالُ لَهُ: غَنْمٌ.

[مَنْ شَهِدَها مِنْ بَنِي نابِي بنِ عَمْرٍو]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي نابِي بنِ عَمْرِو بنِ سَوادِ بنِ غَنْمِ بنِ كَعْبِ ابنِ سَلِمةَ:

ثَعْلَبَةُ بنُ غَنَمةَ بنِ عَدِيِّ بنِ نابِي، شَهِدَ بَدْرًا، وقُتِلَ بِالخَنْدَقِ شَهِيدًا. وعَمْرُو بنُ غَنَمةَ بنِ عَدِيِّ بنِ نابِي، وعَبْسُ بنُ عامِرِ بنِ عَدِيِّ بنِ نابِي، شَهِدَ بَدْرًا. وَعَبْدُ اللهِ بنُ أُنَيْسٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ قُضاعةَ. وخالِدُ بنُ عَمْرِو ابنِ عَدِيِّ بنِ نابِي. خَمْسةُ نَفَرٍ.

[مَنْ شَهِدَها مِنْ بَنِي حَرامِ بنِ كَعْبٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي حَرامِ بنِ كَعْبِ بنِ غَنْمِ بنِ كَعْبِ بنِ سَلِمةَ: عَبْدُ اللهِ بنُ عَمْرِو بنِ حَرامِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ حَرامٍ، نَقِيبٌ، شَهِدَ بَدْرًا، وقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا، وابنُهُ جابِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ. ومَعاذُ بنُ عَمْرِو بنِ الجَمُوحِ بنِ يَزِيدَ بنِ حَرامٍ، شَهِدَ بَدْرًا. وثابِتُ بنُ الجِذْعِ، والجِذْعُ: ثَعْلَبَةُ بنُ زَيْدِ بنِ الحارِثِ بنِ حَرامٍ، شَهِدَ بَدْرًا، وقُتِلَ بِالطّائِفِ شَهِيدًا. وعُمَيْرُ بنُ الحارِثِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ الحارِثِ بنِ حَرامٍ، شَهِدَ بَدْرًا. قالَ ابنُ هِشامٍ: عُمَيْرُ بنُ الحارِثِ ابنِ لِبْدةَ بنِ ثَعْلَبةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وخَدِيجُ بنُ سَلامةَ بنِ أَوْسِ بنِ عَمْرِو بنِ الفُرافِرِ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَلِيٍّ. ومَعاذُ بنُ جَبَلِ بنِ عَمْرِو بنِ أَوْسِ بنِ عائِذِ بنِ كَعْبِ ابنِ عَمْرِو بنِ أُدَيِّ بنِ سَعْدِ بنِ عَلِيِّ بنِ أَسَدٍ، ويُقالُ: أَسَدُ بنُ سارِدةَ بن تَزِيدَ ابنِ جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ، وكانَ في بَنِي سَلِمةَ، شَهِدَ بَدْرًا والمَشاهِدَ كُلَّها، وماتَ بِعَمْواسَ عامَ الطّاعُونِ بِالشّامِ، في خِلافةِ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،

وإنَّما ادَّعَتْهُ بَنو سَلِمةَ أنَّهُ كانَ أخا سَهْلِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ الجَدِّ بنِ قِيسِ بنِ صَخْرِ بنِ خَنْساءَ بنِ سِنانِ بنِ عُبَيْدِ بنِ عَدِيِّ بنِ غَنْمِ بنِ كَعْبِ بنِ سَلِمةَ لِأُمِّهِ. سَبْعةُ نَفرٍ.

[تَصْويبُ نَسَبِ خَدِيجِ بنِ سَلامةَ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: أوْسُ بنُ عَبّادِ بنِ عَدِيِّ بنِ كَعْبِ بنِ عَمْرِو بنِ أُدَيِّ ابنِ سَعْدٍ.

[مَنْ شَهِدَها مِنْ بَنِي عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي سالِمِ بنِ عَوْفِ ابنِ عَمْرِو بن عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ: عُبادةُ بنُ الصّامِتِ بنِ قِيسِ بنِ أصْرَمَ بنِ فِهْرِ بنِ ثَعْلَبةَ بنِ غَنْمِ بنِ سالِمِ بنِ عَوْفٍ، نَقِيبٌ، شَهِدَ بَدْرًا والمَشاهِدَ كُلَّها.

قالَ ابنُ هِشامٍ: هُوَ غَنْمُ بنُ عَوْفٍ، أخُو سالِمِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: والعَبّاسُ بنُ عُبادةَ بنِ نَضْلةَ بنِ مالِكِ بنِ العَجْلانِ ابنِ زَيْدِ بنِ غَنْمِ بنِ سالِمِ بنِ عَوْفٍ، وكانَ مِمَّنْ خَرَجَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ وهُوَ بِمَكّةَ، فأقامَ مَعَهُ بِها، فكانَ يُقالُ لَهُ: مُهاجِرِيٌّ أنْصارِيٌّ، وقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا.

وَأبو عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَزِيدُ بنُ ثَعْلَبةَ بنِ خَزَمةَ بنِ أصْرَمَ بنِ عَمْرِو بنِ عُمارةَ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَنِي غُصَيْنةَ مِنْ بَلِيٍّ. وعَمْرُو بنُ الحارِثِ بنِ لِبْدةَ بنِ عَمْرِو بنِ ثَعْلَبةَ. أرْبعةُ نَفرٍ، وهُمُ القَواقِلُ.

[مَنْ شَهِدَها مِنْ بَنِي سالِمِ بنِ غَنْمٍ]

وَمِنْ بَنِي سالِمِ بنِ غَنْمِ بنِ عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ، وهُمْ بَنُو الحُبْلَى.

قالَ ابنُ هِشامٍ: الحُبْلَى: سالِمُ بنُ غَنْمِ بنِ عَوْفٍ، وإنَّما سُمِّيَ «الحُبْلَى» لِعِظَمِ بَطْنِهِ. رِفاعةُ بنُ عَمْرِو بنِ زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ مالِكِ بنِ سالِمِ ابنِ غَنْمٍ، شَهِدَ بَدْرًا، وهُوَ أبو الوَلِيدِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: رِفاعةُ: ابنُ مالِكٍ، ومالِكٌ: ابنُ الوَلِيدِ بنِ عَبْدِ الله بنِ مالِكِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ جُشَمَ بنِ مالِكِ بنِ سالِمٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعُقْبةُ بنُ وهْبِ بنِ كَلَدةَ بنِ الجَعْدِ بنِ هِلالِ بنِ الحارِثِ ابن عَمْرِو بنِ عَدِيِّ بنِ جُشَمَ بنِ عَوْفِ بنِ بُهْثَةَ بنِ عَبْدِ الله بنِ غَطَفانَ بنِ سَعْدِ بنِ قِيسِ بنِ عَيْلانَ، حَلِيفٌ لَهُمْ، شَهِدَ بَدْرًا، وكانَ مِمَّنْ خَرَجَ إلى رَسُولِ الله ﷺ مُهاجِرًا مِنَ المَدِينةِ إلى مَكّةَ، فكانَ يُقالُ لَهُ: مُهاجِرِيٌّ أنْصارِيٌّ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: رَجُلانِ.

[مَنْ شَهِدَها مِنْ بَنِي ساعِدةَ بنِ كَعْبٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي ساعِدةَ بنِ كَعْبِ بنِ الخَزْرَجِ: سَعْدُ بنُ عُبادةَ ابنِ دُلَيْمِ بنِ حارِثةَ بنِ أبِي خُزَيْمةَ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ طَرِيفِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ ساعِدةَ، نَقِيبٌ، والمُنْذِرُ بنُ عَمْرِو بنِ خُنَيْسِ بنِ حارِثةَ بنِ لَوْذانَ بنِ عَبْدِ وُدٍّ ابنِ زَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ بنِ ساعِدةَ، نَقِيبٌ، شَهِدَ بَدْرًا وأُحُدًا، وقُتِلَ يَوْمَ بِئْرِ مَعُونةَ أمِيرًا لِرَسُولِ الله ﷺ، وهُوَ الَّذي كانَ يُقالُ لَهُ: أعْنَقَ لِيَمُوتَ. رَجُلانِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: المُنْذِرُ: ابنُ عَمْرِو بنِ خَنْبَشٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فجَمِيعُ مَنْ شَهِدَ العَقَبَةَ مِنَ الأوْسِ والخَزْرَجِ ثَلاثةٌ وسَبْعُونَ رَجُلًا وامْرَأتانِ مِنهُمْ، يَزْعُمُونَ أنَّهما قَدْ بايَعَتا، وكانَ رَسُولُ الله ﷺ لا يُصافِحُ النِّساءَ، إنَّما كانَ يَأْخُذُ عَلَيْهِنَّ، فإذا أقْرَرْنَ، قالَ: «اذْهَبْنَ فقَدْ بايَعْتُكُنَّ».

[مَنْ شَهِدَها مِنْ بَنِي مازِنِ بنِ النَّجّارِ]

وَمِنْ بَنِي مازِنِ بنِ النَّجّارِ: نُسَيْبةُ بِنْتُ كَعْبِ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفِ بنِ مَبْذُولِ بنِ عَمْرِو بنِ غَنْمِ بنِ مازِنٍ، وهِيَ أُمُّ عِمارةَ، كانَتْ شَهِدَتِ الحَرْبَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، وشَهِدَتْ مَعَها أُخْتُها، وزَوْجُها زَيْدُ بنُ عاصِمِ بنِ كَعْبٍ، وابناها: حَبِيبُ بنُ زَيْدٍ، وعَبْدُ الله بنُ زَيْدٍ، وابنُها حَبِيبٌ الَّذي أخَذَهُ مُسَيْلِمةُ الكَذّابُ الحَنَفي، صاحِبُ اليَمامةِ، فجَعَلَ يَقُولُ لَهُ: أتَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله؟ فيقُولُ: نَعَمْ، فيقُولُ: أفَتَشْهَدُ أنِّي رَسُولُ الله؟ فيقُولُ: لا أسْمَعُ، فجَعَلَ يُقَطِّعُهُ عُضْوًا عُضْوًا حَتّى ماتَ في يَدِهِ، لا يَزِيدُهُ على ذلك، إذا ذُكِرَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ آمَنَ بِهِ وصَلّى عَلَيْهِ، وإذا ذُكِرَ لَهُ مُسَيْلِمةُ قالَ: لا أسْمَعُ. فخَرَجَتْ إلى اليَمامةِ مَعَ المُسْلِمِينَ، فباشَرَتِ الحَرْبَ بِنَفْسِها. حَتّى قَتَلَ اللهُ مُسَيْلِمةَ، ورَجَعَتْ وبِها اثْنا عَشَرَ جُرْحًا، مِنْ بَيْنِ طَعْنةٍ وضَرْبةٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي هذا الحَدِيثَ عَنْها مُحَمَّدُ بنُ يَحْيى بنِ حَبّانَ، عَنْ عَبْدِ الله بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أبي صَعْصَعةَ.

[مَنْ شَهِدَها مِنْ بَنِي سَلِمةَ]

وَمِنْ بَنِي سَلِمةَ: أُمُّ مَنِيعٍ، واسْمُها: أسْماءُ بِنْتُ عَمْرِو بنِ عَدِيِّ بنِ نابِي ابنِ عَمْرِو بنِ سَوادِ بنِ غَنْمِ بنِ كَعْبِ بنِ سَلِمةَ.

نُزُولُ الأمْرِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ في القِتالِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. قالَ: حَدَّثَنا أبو مُحَمَّدٍ عَبْدُ المَلِكِ بنُ هِشامٍ، قالَ: حَدَّثَنا زِيادُ بنُ عَبْدِ اللهِ البَكّائِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ إسْحاقَ المُطَّلِبِيِّ: وكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَبْلَ بَيْعةِ العَقَبةِ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ في الحَرْبِ ولَمْ تُحَلَّلْ لَهُ الدِّماءُ، إنَّما يُؤْمَرُ بِالدُّعاءِ إلى اللهِ عز وجل والصَّبْرِ على الأذى، والصَّفحِ عَنِ الجاهِلِ وكانَتْ قُرَيْشٌ قَدِ اضْطَهَدَتْ مَنِ اتَّبَعَهُ مِنَ المُهاجِرِينَ حَتّى فتَنُوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ ونَفَوْهُمْ مِنْ بِلادِهِمْ، فهُمْ مِنْ بَيْنِ مَفْتُونٍ في دِينِهِ، ومِنْ بَيْنِ مُعَذَّبٍ في أيْدِيهِمْ، وبَيْن هارِبٍ في البِلادِ فِرارًا مِنْهُمْ؛ مِنْهُمْ مَنْ بِأرْضِ الحَبَشةِ، ومِنْهُمْ مَنْ بِالمَدِينةِ، وفي كُلِّ وجْهٍ، فلَمّا عَتَتْ قُرَيْشٌ على اللهِ عَزَّ وجَلَّ، ورَدُّوا عَلَيْهِ ما أرادَهُمْ بِهِ مِنَ الكَرامةِ، وكَذَّبُوا نَبِيَّهُ ﷺ، وعَذَّبُوا ونَفَوْا مَنْ عَبَدَهُ ووَحَّدَهُ وصَدَّقَ نَبِيَّهُ، واعْتَصَمَ بِدِينِهِ، أذِنَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ في القِتالِ والاِنْتِصارِ مِمَّنْ ظَلَمَهُمْ وبَغى عَلَيْهِمْ، فكانَتْ أوَّلُ آيةٍ أُنْزِلَتْ في إذْنِهِ لَهُ في الحَرْبِ، وإحْلالِهِ لَهُ الدِّماءَ والقِتالَ لِمَنْ بَغى عَلَيْهِمْ، فيما بَلَغَنِي عَنْ عُرْوةَ ابنِ الزُّبَيْرِ وغَيْرِهِ مِنَ العُلَماءِ، قَوْلَ اللهِ تَبارَكَ وتَعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ۞ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۞ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [سورة الحج: ٣٩-٤١]:

أيْ: إنِّي إنَّما أحْلَلْتُ لَهُمُ القِتالَ لِأنَّهُمْ ظُلِمُوا، ولَمْ يَكُنْ لَهُمْ ذَنْبٌ فيما بَيْنَهُمْ وبَيْنَ النّاسِ إلّا أنْ يَعْبُدُوا الله، وأنَّهُمْ إذا ظَهَرُوا أقامُوا الصَّلاةَ، وآتَوُا الزَّكاةَ، وأمَرُوا بِالمَعْرُوفِ، ونَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ، يَعْنِي: النَّبِيَّ ﷺ وأصْحابَهُ رَضِيَ الله عَنْهُمْ أجْمَعِينَ. ثُمَّ أنْزَلَ اللهُ تبارَكَ وتَعالى عَلَيْهِ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]؛ أيْ: حَتّى لا يُفْتَنَ مُؤْمِنٌ عَنْ دِينِهِ، ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٩٣]؛ أيْ: حَتّى يُعْبَدَ اللهُ، لا يَعْبُدُ مَعَهُ غَيْرُهُ.

[إذْنُهُ ﷺ لِمُسْلِمِي مَكّةَ بِالهِجْرةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا أذِنَ الله تَعالى لَهُ ﷺ في الحَرْبِ، وبايَعَهُ هذا الحَيُّ مِنَ الأنْصارِ على الإسْلامِ والنُّصْرةِ لَهُ ولِمَنِ اتَّبَعَهُ وأوى إلَيْهِمْ مِنَ المُسْلِمِينَ، أمَرَ رَسُولُ الله ﷺ أصْحابَهُ مِنَ المُهاجِرِينَ مِنْ قَوْمِهِ، ومَنْ مَعَهُ بِمَكّةَ مِنَ المُسْلِمِينَ، بِالخُرُوجِ إلى المَدِينةِ والهِجْرةِ إلَيْها، واللُّحُوقِ بِإخْوانِهِمْ مِنَ الأنْصارِ، وقالَ: إنَّ الله عَزَّ وجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إخْوانًا ودارًا تَأْمَنُونَ بِها. فخَرَجُوا أرْسالًا، وأقامَ رَسُولُ الله ﷺ بِمَكّةَ يَنْتَظِرُ أنْ يأْذَنَ لَهُ رَبُّهُ في الخُرُوجِ مِنْ مَكّةَ، والهِجْرةِ إلى المَدِينةِ.

ذِكْرُ المُهاجِرِينَ إلى المَدِينةِ

[هِجْرةُ أبي سَلَمةَ وزَوْجِهِ، وحَدِيثُها عَمّا لَقِيا]

فَكانَ أوَّلَ مَنْ هاجَرَ إلى المَدِينةِ مِنْ أصْحابِ رَسُولِ الله ﷺ مِنَ المُهاجِرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ، مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ: أبو سَلَمةَ بنُ عَبْدِ الأسَدِ بنِ هِلالِ ابنِ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، واسْمُهُ: عَبْدُ الله، هاجَرَ إلى المَدِينةِ قَبْلَ

بَيْعةِ أصْحابِ العَقَبةِ بِسَنةٍ، وكانَ قَدِمَ على رَسُولِ الله ﷺ مَكّةَ مِنْ أرْضِ الحَبَشةِ، فلَمّا آذَتْهُ قُرَيْشٌ وبَلَغَهُ إسْلامُ مَنْ أسْلَمَ مِنَ الأنْصارِ، خَرَجَ إلى المَدِينةِ مُهاجِرًا.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَني أبي إسْحاقُ بنُ يَسارٍ، عَنْ سَلَمةَ بنِ عَبْدِ الله ابنِ عُمَرَ بن أبي سَلَمةَ، عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ سَلَمةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قالَتْ: لَمّا أجْمَعَ أبو سَلَمةَ الخُرُوجَ إلى المَدِينةِ رَحَلَ لِي بَعِيرَهُ ثُمَّ حَمَلَنِي عَلَيْهِ، وحَمَلَ مَعِي ابنِي سَلَمةَ بنَ أبي سَلَمةَ في حِجْرِي، ثُمَّ خَرَجَ بِي يَقُودُ بِي بَعِيرَهُ، فلَمّا رَأتْهُ رِجالُ بَنِي المُغِيرةِ بنِ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ قامُوا إلَيْهِ، فقالُوا: هَذِهِ نَفْسُكَ غَلَبْتَنا عَلَيْها، أرَأيْتَ صاحِبَتَكَ هَذِهِ؟ عَلامَ نَتْرُكُكَ تَسِيرُ بِها في البِلادِ؟ قالَتْ: فنَزَعُوا خِطامَ البَعِيرِ مِنْ يَدِهِ، فأخَذُونِي مِنْهُ. قالَتْ: وغَضِبَ عِنْدَ ذلك بَنُو عَبْدِ الأسَدِ، رَهْطُ أبي سَلَمةَ، فقالُوا: لا واللهِ، لا نَتْرُكُ ابنَنا عِنْدَها إذْ نَزَعْتُمُوها مِنْ صاحِبِنا.

قالَتْ: فتَجاذَبُوا بُنَيَّ سَلَمةَ بَيْنَهُمْ حَتّى خَلَعُوا يَدَهُ، وانْطَلَقَ بِهِ بَنُو عَبْدِ الأسَدِ، وحَبَسَنِي بَنُو المُغِيرةِ عِنْدَهُمْ، وانْطَلَقَ زَوْجِي أبو سَلَمةَ إلى المَدِينةِ. قالَتْ: ففُرِّقَ بَيْنِي وبَيْنَ زَوْجِي وبَيْنَ ابنِي. قالَتْ: فكُنْتُ أخْرُجُ كُلَّ غَداةٍ فأجْلِسُ بِالأبْطَحِ، فما أزالُ أبْكِي حَتّى أمْسِيَ سَنةً أوْ قَرِيبًا مِنْها، حَتّى مَرَّ بِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّي، أحَدُ بَنِي المُغِيرةِ، فرَأى ما بِي فرَحِمَنِي، فقالَ لِبَنِي المُغِيرةِ: ألا تَحَرَّجون مِن هَذِهِ المِسْكِينةِ؟ فرَّقْتُمْ بَيْنَها وبَيْنَ زَوْجِها وبَيْنَ ولَدِها! قالَتْ: فقالُوا لِي: الحَقِي بِزَوْجِكَ إنْ شِئْتِ. قالَتْ: ورَدَّ بَنُو عَبْدِ الأسَدِ إلَيَّ عِنْدَ ذلك ابنِي. قالَتْ: فارْتَحَلْتُ بَعِيرِي ثُمَّ أخَذْتُ ابنِي فوَضَعْتُهُ في حِجْرِي، ثُمَّ خَرَجْتُ أُرِيدُ زَوْجِي بِالمَدِينةِ. قالَتْ: وما مَعِي أحَدٌ مِنْ خَلْقِ الله.

قالَتْ: فقُلْتُ: أتَبَلَّغُ بِمَنْ لَقِيتُ حَتّى أقْدَمَ عَلَى زَوْجِي، حَتّى إذا كُنْتُ بِالتَّنْعِيمِ لَقِيتُ عُثْمانَ بنَ طَلْحةَ بنِ أبي طَلْحةَ، أخا بَنِي عَبْدِ الدّارِ، فقالَ لِي: إلى أيْنَ يا بِنْتَ أبي أُمَيّةَ؟ قالَتْ: فقُلْتُ: أُرِيدُ زَوْجِي بِالمَدِينةِ. قالَ: أوَما مَعَكِ أحَدٌ؟ قالَتْ: فقُلْتُ: لا واللهِ، إلّا اللهُ وبُنَيَّ هذا. قالَ: واللهِ ما لَكِ مِنْ مَتْرَكٍ، فأخَذَ بِخِطامِ البَعِيرِ، فانْطَلَقَ مَعِي يَهْوِي بِي، فواللهِ ما صَحِبْتُ رَجُلًا مِنَ العَرَبِ قَطُّ، أرى أنَّهُ كانَ أكْرَمَ مِنْهُ، كانَ إذا بَلَغَ المَنْزِلَ أناخَ بِي، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي، حَتّى إذا نَزَلْتُ اسْتَأْخَرَ بِبَعِيرِي، فحَطَّ عَنْهُ، ثُمَّ قَيَّدَهُ في الشَّجَرةِ، ثُمَّ تَنَحّى عَنِّي إلى شَجَرةٍ، فاضْطَجَعَ تَحْتَها، فإذا دَنا الرَّواحُ، قامَ إلى بَعِيرِي فقَدَّمَهُ فرَحَلَهُ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي، وقالَ: ارْكَبِي، فإذا رَكِبْتُ واسْتَوَيْتُ على بَعِيرِي أتى فأخَذَ بِخِطامِه فقادَهُ حَتّى يَنْزِلَ بِي، فلَمْ يَزَلْ يَصْنَعُ ذلك بِي حَتّى أقْدَمَنِي المَدِينةَ، فلَمّا نَظَرَ إلى قَرْيةِ بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ بقُباءٍ، قالَ: زَوْجُكِ في هَذِهِ القَرْيةِ ـ وكانَ أبو سَلَمةَ بِها نازِلًا ـ فادْخُلِيها على بَرَكةِ اللهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ راجِعًا إلى مَكّةَ.

قالَ: فكانَتْ تَقُولُ: واللهِ ما أعْلَمُ أهْلَ بَيْتٍ في الإسْلامِ أصابَهُمْ ما أصابَ آلَ أبي سَلَمةَ، وما رَأيْتُ صاحِبًا قَطُّ كانَ أكْرَمَ مِنْ عُثْمانَ بنِ طَلْحةَ.

[هِجْرةُ عامِرٍ وزَوْجِهِ وهِجْرةُ بَنِي جَحْشٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ كانَ أوَّلَ مَنْ قَدِمَها مِنَ المُهاجِرِينَ بَعْدَ أبي سَلَمةَ: عامِرُ بنُ رَبِيعةَ، حَلِيفُ بَنِي عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ، مَعَهُ امْرَأتُهُ لَيْلى بِنْتُ أبي حَثْمةَ ابنِ غانِمِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَوْفِ بنِ عُبَيْدِ بنِ عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ. ثُمَّ عَبْدُ اللهِ ابنُ جَحْشِ بنِ رِيابِ بنِ يَعْمَرَ بنِ صَبْرَةَ بنِ مُرّةَ بنِ كَثِيرِ بنِ غَنْمِ بنِ دُودانَ

ابنِ أَسَدِ بنِ خُزَيْمةَ، حَلِيفُ بَنِي أُمَيّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، احْتَمَلَ بِأَهْلِهِ وبِأخِيهِ عَبْدِ بنِ جَحْشٍ، وهُوَ أبو أَحْمَدَ، وكانَ أبو أحْمَدَ رَجُلًا ضَرِيرَ البَصَرِ، وكانَ يَطُوفُ مَكّةَ أعْلاها وأسْفَلَها بِغَيْرِ قائِدٍ، وكانَ شاعِرًا، وكانَتْ عِنْدَهُ الفَرْعةُ بنتُ أبي سُفيانَ بنِ حَرْبٍ، وكانَتْ أُمُّهُ أُمَيْمةَ بِنْتَ عَبْدِ المُطَّلِبِ بنِ هاشِمٍ، فغُلِّقَتْ دارُ بَنِي جَحْشٍ هِجْرةً، فمَرَّ بِها عُتْبةُ بنُ رَبِيعةَ، والعَبّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وأبو جَهْلِ بنِ هِشامِ بنِ المُغِيرةِ، وهِيَ دارُ أبانَ بنِ عُثْمانَ اليَوْمَ الّتِي بِالرَّدْمِ، وهُمْ مُصْعِدُونَ إلى أعلى مَكّةَ، فنَظَرَ إلَيْها عُتْبةُ بنُ رَبِيعةَ تَخْفِقُ أبْوابُها يَبابًا، لَيْسَ فيها ساكِنٌ، فلَمّا رَآها كَذلك تَنَفَّسَ الصُّعَداءَ، ثُمَّ قالَ:

وَكُلُّ دارٍ وإنْ طالَتْ سَلامَتُها ... يَوْمًا سَتُدْرِكُها النَّكْباءُ والحُوبُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وهذا البَيْتُ لأبى دؤادٍ الإيادِيِّ في قَصِيدةٍ لَهُ. والحُوبُ: التَّوَجُّعُ، وَهُوَ في مَوْضِعٍ آخَرَ: الحاجةُ،ويُقالُ: الحُوبُ: الإثْمُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ قالَ عُتْبةُ بنُ رَبِيعةَ: أصْبَحَتْ دارُ بَنِي جَحْشٍ خَلاءً مِنْ أهْلِها! فقالَ أبو جَهْلٍ: وما تَبْكِي عَلَيْهِ مِنْ قُلِّ بنِ قُلٍّ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: القُلُّ: الواحِدُ. قالَ لَبِيدُ بنُ رَبِيعةَ:

كُلُّ بَنِي حُرّةٍ مَصِيرُهُمُ ... قُلٌّ وإنْ أكْثَرَتْ مِنَ العَدَدِ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ قالَ: هذا عَمَلُ ابنِ أخِي هذا، فرَّقَ جَماعَتَنا، وشَتَّتْ أمْرَنا، وقَطَعَ بَيْنَنا. فكانَ مَنْزِلُ أبي سَلَمةَ بنِ عَبْدِ الأسَدِ، وعامِرِ بنِ رَبِيعةَ، وَعَبْدِ اللهِ بنِ جَحْشٍ، وأخِيهِ أبي أحْمَدَ بنِ جَحْشٍ، على مُبَشِّرِ بنِ عَبْدِ المُنْذِرِ ابنِ زَنْبَرٍ بقُباءٍ، في بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، ثُمَّ قَدِمَ المُهاجِرُونَ أرْسالًا،

وكانَ بَنُو غَنْمِ بنِ دُودانَ أَهْلَ إِسْلامٍ، قَدْ أَوْعَبُوا إلى المَدِينةِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ هِجْرةً رِجالُهُمْ ونساؤهم: عَبْدُ اللهِ بنُ جَحْشٍ، وأَخُوهُ أبو أَحْمَدَ بنُ جَحْشٍ، وعُكّاشةُ بنُ مِحْصَنٍ، وشُجاعٌ وعُقْبةُ ابنا وهْبٍ، وأَرْبَدُ بن جُمَيرةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: ابنُ حُمَيِّرةَ.

[هِجْرةُ قَوْمٍ شَتّى]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومُنْقِذُ بنُ نُباتةَ، وسَعِيدُ بنُ رُقَيْشٍ، ومُحْرِزُ بنُ نَضْلةَ، ويَزِيدُ بنُ رُقَيْشٍ، وقَيْسُ بنُ جابِرٍ، وعَمْرُو بنُ مِحْصَنٍ، ومالِكُ بنُ عَمْرٍو، وصَفْوانُ بنُ عَمْرٍو، وثَقْفُ بنُ عَمْرٍو، ورَبِيعةُ بنُ أَكْثَمَ، والزُّبَيْرُ بنُ عُبَيْدٍ، وتَمّامُ بنُ عُبَيْدةَ، وسَخْبَرةُ بنُ عُبَيْدةَ، ومُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ جَحْشٍ.

[هِجْرةُ نِسائِهِمْ]

وَمِنْ نِسائِهِمْ: زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ، وأُمُّ حَبِيبٍ بِنْتُ جَحْشٍ، وجُذامةُ بِنْتُ جَنْدَلٍ، وأُمُّ قَيْسٍ بِنْتُ مِحْصَنٍ، وأُمُّ حَبِيبٍ بِنْتُ ثُمامةَ، وآمِنةُ بِنْتُ رُقَيْشٍ، وسَخْبَرةُ بِنْتُ تَمِيمٍ، وحَمْنةُ بِنْتُ جَحْشٍ.

[شِعْرُ أَبِي أَحْمَدَ بنِ جَحْشٍ في هِجْرةِ بَنِي أَسَدٍ]

وَقالَ أبو أَحْمَدَ بنُ جَحْشِ بنِ رِئابٍ، وهُوَ يَذْكُرُ هِجْرةَ بَنِي أَسَدِ بنِ خُزَيْمةَ مِنْ قَوْمِهِ إلى اللهِ تَعالى وإلى رَسُولِهِ ﷺ، وإيعابُهُمْ في ذلك حَيْنَ دُعُوا إلى الهِجْرةِ:

وَلَوْ حَلَفَتْ بَيْنَ الصَّفا أُمُّ أَحْمَدٍ ... ومَرْوَتِها باللهِ بَرَّتْ يَمِينُها

لَنَحْنُ الأُلى كُنّا بِها ثُمَّ لَمْ نَزَلْ ... بِمَكّةَ حَتّى عادَ غَثًّا سَمِينُها

بِها خَيَّمَتْ غَنْمُ بنُ دُودانَ وابْتَنَتْ ... وما إنْ غَدَتْ غَنْمٌ وخَفَّ قَطِينُها
إلى اللهِ تَغْدُو بَـيْنَ مَثْنى وواحِدٍ ... ودِينُ رَسُـولِ اللهِ بِالحَـقِّ دِينُها

وَقالَ أبو أحْمَدَ بنُ جَحْشٍ أيْضًا:

لَمّـا رَأَتْـنِي أُمُّ أحْمَـدَ غادِيًـا ... بِذِمّةِ مَنْ أخْـشى بِغَيْبٍ وأرْهَبُ
تَقُـولُ: فإمّا كُنْـتَ لا بُدَّ فاعِلًا ... فيمِّمْ بِنـا البُلْدانَ ولتَنْـأَ يَثْرِبُ
فَقُلْتُ لَهَا: بَلْ يَثْرِبُ اليَوْمَ وجْهُنا ... وما يَشـأِ الرَّحْمَنُ فالعَبْدُ يَرْكَبُ
إلى اللهِ وجْهِي والرَّسُولِ ومَنْ يُقِمْ ... إلى الله يَوْمًـا وجْهَـهُ لا يُخَيَّبُ
فَكَمْ قَدْ تَرَكْنا مِنْ حَمِيمٍ مُناصِحٍ ... وناصِحَـةٍ تَبْكِي بِدَمْـعٍ وتَنْدُبُ
تَـرى أنَّ وِتْرًا نَأْيُنا عَـنْ بِلادِنا ... ونَحْنُ نَـرى أنَّ الرَّغائِبَ نَطْلُبُ
دَعَوْتُ بَنِي غَنْمٍ لِحَقْـنِ دِمائِهِمْ ... ولِلْحَقِّ لَمّـا لاحَ لِلنّاسِ مَلْحَبُ
أجابُـوا بِحَمْـدِ اللهِ لَمّـا دَعاهُمُ ... إلى الحَـقِّ داعٍ والنَّجاحُ فأوْعَبُوا
وَكُنّا وأصْحابًـا لَنا فارَقُوا الهُدى ... أعانُوا عَلَيْنا بِالسِّـلاحِ وأجْلَبوا
كَفَوْجَـيْنِ: أمّـا مِنْهُمـا فمُوَفَّقٌ ... على الحَقِّ مَهْـدِيٌّ، وفَوْجٌ مُعَذَّبُ
طَغَـوْا وتَمَنَّـوْا كِذْبَـةً وأزَلَّهُمْ ... عَنِ الحَـقِّ إبْلِيسٌ فخابُوا وخُيِّبُوا
وَرِغْنـا إلى قَـوْلِ النَّـبِيِّ مُحَمَّدٍ ... فطـابَ وُلاةُ الحَقِّ مِنّـا وطُيِّبوا
نَمُـتُّ بِأرْحـامٍ إلَيْهِـمْ قَرِيبـةٍ ... ولا قُرْبَ بِالأرْحـامِ إذْ لا نُقَرَّبُ
فَأيُّ ابنِ أُخْتٍ بَعْدَنا يَأْمَنَنَّكُمْ؟ ... وأيّةُ صِهْرٍ بَعْـدَ صِهْرِيَ تُرْقَبُ؟
سَـتَعْلَمُ يَوْمًـا أيُّنـا إذْ تَزايَلُوا ... وزُيِّلَ أمْرُ النّـاسِ لِلْحَقِّ أصْوَبُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: قَوْلُهُ: «وَلْتَنْأَ يَثْرِبُ»، وقَوْلُهُ: «إذْ لا نُقَرَّبُ»، عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: يُرِيدُ بِقَوْلِهِ: «إِذْ»: إذا؛ كَقَوْلِ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [سبأ: ٣١]. قالَ أبو النَّجْمِ العِجْلِيُّ:

ثُمَّ جَزاهُ الله عَنّــا إذْ جَزى جَنّاتِ عَدْنٍ في العَلالِي والعُلا

وذكرَ أَنْسابَ الّذِينَ بايَعُوهُ، وسَنُعِيدُهُ في بَيْعةِ العَقَبةِ وغَزاةِ بَدْرٍ، وهُنالكَ[1] يَقَعُ التَّنْبِيهُ على ما يُحْتاجُ إِلَيْهِ بِعَوْنِ اللهِ.

وذكرَ في أَنْسابِ المُبايِعِينَ لَهُ في العَقَبةِ الأولى في نسبِ بني سَلِمة، منهم: ساردةُ بنُ تَزِيدَ بنِ جُشَمَ[2]، وتَزِيدُ بتاءٍ مَنْقُوطةٍ بِثِنْتَيْنِ مِنْ فوْق، ولا يُعْرَفُ في العَرَبِ تَزِيدُ إلّا هَذا، وتَزِيدُ بنُ الحافِ بنِ قُضاعةَ، وهُم الّذِينَ تُنْسَبُ إِلَيْهِم الثِّيابُ التَّزِيدِيّةُ. وأمّا سَلِمةُ[3] بِكَسْرِ اللّام، فهُمْ مِن[4] الأَنْصارِ، سُمِّيَ بِالسَّلِمةِ واحِدةِ السِّلامِ، وهِيَ: الحِجارةُ، قالَ الشّاعِرُ[5]:

[من المنسرح]

ذاكَ خَلِيلِــي وذُو يُعاتِبُنِــي يَرْمِي ورائِي بِالسَّهْمِ والسَّلِمةْ

وفي جُعْفِيٍّ: سَلِمةُ بنُ عَمْرِو بنِ ذُهْلِ بنِ مَرّان[6] بنِ جُعْفِيٍّ. وفي جُهَيْنةَ:

---

(١) في (ف): «وهناك».

(٢) انظر «السيرة» (٤: ٦٥). (ج)

(٣) انظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (٣: ١١٩٤).

(٤) في (ف): «في».

(٥) هو بجير بن عنمة الطائي، شاعر جاهلي، والبيت في «شرح المفصل» لابن يعيش: (٩: ٢٠)، و«شرح أبيات مغني اللبيب» للبغدادي: (١: ٢٨٧)، و«اللسان» (سلم، ذو).

(٦) في (أ)، (ب): «مروان». انظر: «المؤتلف» للدارقطني: (٣: ١١٩٥)، و«جمهرة أنساب العرب» لابن حزم: (ص: ٤٠٩).

سَلِمة [بنُ نَصْرِ بنِ غَطَفانَ. قالَهُ ابنُ حَبِيبٍ النّسّابةُ، وفي الصّحابةِ: عَمْرُو بنُ سَلِمةَ أبو بُرَيْدٍ[١]][٢] الجَرْمِيُّ، الّذِي أمَّ قَوْمَهُ وهُو ابنُ سِتِّ سِنِينَ أوْ سَبْعٍ، وفي الرُّواةِ[٣]: عَبْدُ اللهِ بنُ سَلِمةَ[٤].

ويُنْسَبُ إلى بَنِي سَلِمةَ هَؤُلاءِ: سَلَمِيٌّ بالفَتْحِ؛ كَما يُنْسَبُ إلى بَنِي سَلَمةَ، وهُمْ بَطْنانِ مِنْ بَنِي عامِرٍ؛ يُقالُ لَهُمُ: السّلَمان، يُقالُ لِأحَدِهِمْ: سَلَمةُ الخَيْرِ، ولِلْآخَرِ: سَلَمةُ الشّرّ[٥]، ابنا قُشيرِ بنِ كَعْبِ بنِ رَبيعةَ بنِ عامِرٍ، وأمّا بَنُو سَلِيمةَ بياءٍ ففي دَوْسٍ، وهُمْ بَنُو سَلِيمةَ بنِ مالِكِ بنِ فَهْمِ بنِ غَنْمِ بنِ دَوْسٍ[٦]. وسَلِيمةُ هَذا هُو أخُو جَذِيمةَ الأبْرَشِ، وهُو الّذِي قَتَلَ أباهُ مالِكًا بِسَهْمٍ قَتْلَ خَطَأٍ. ويُقالُ في النِّسبة[٧] إلَيْهِ: سَلَمِيٌّ أيْضًا، هذا هُو القِياسُ، وقد قِيلَ: سَلِيمِيٌّ؛ كَما قِيلَ في عَمِيرةَ: عَمِيرِيٌّ.

وذكرَ [بَنِي جِدارةَ مِنْ بَنِي النَّجّارِ[٨]، و][٩] جِدارةُ وخُدرةُ: أخوان[١٠]، وغيرُه يَقُولُ في جِدارةَ: خُدارةَ بِالخاءِ المَضْمُومةِ، وهَكَذا قَيّدَهُ أبو عُمَرَ، وكَذا

---

(١) في (ف)، (أ)، (د)، (هـ): «بريدة»، وفي (ج): «يزيد». انظر: «المؤتلف والمختلف» (٣: ١١٩٥-١١٩٦)، و«أسد الغابة» (٤: ٢٣٤).

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٣) في: (ف)، (أ)، (ب)، (هـ): «الرواية».

(٤) «المؤتلف» للدارقطني: (٣: ١١٩٨-١١٩٩).

(٥) انظر: «جمهرة ابن حزم» (ص: ٢٨٩).

(٦) «المؤتلف» للدارقطني: (٣: ١٢٠٠) مع تعليق المحقق: (٤: ١٧٩٦).

(٧) في (ف): «النسب».

(٨) انظر: (٤: ٩٠).

(٩) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(١٠) لم أجد في مطبوعة «السيرة» ذكرًا لجِدارة في رجال العقبة الأولى، وهم مذكورون في الأنصار.

ذكرَهُ ابنُ دُرَيْدٍ في «الِاشْتِقاقِ»[١]، وهُو أَشْبَهُ بِالصّوابِ؛ لِأَنّهُ أَخُو خُدْرةَ[٢]، وكَثِيرًا ما يَجْعَلُونَ أَسْماءَ الإخْوةِ مُشْتَقّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ.

وذكرَ القَواقِلَ[٣] وهُمْ بَنُو عَمْرِو بنِ غَنْمِ بنِ مالِكٍ، وذكرَ سببَ تَسْمِيَتِهِم: القَواقِلَ، وأنّ ذَلِكَ لِقَوْلِهِمْ إذا أجارُوا أحَدًا: قَوْقِلْ حَيْثُ شِئْتَ[٤]. وفي الأنْصارِ: القَواقِلُ والجَعادِرُ، وهُما بَطْنانِ مِنَ الأوْسِ، وسَبَبُ تَسْمِيَتِهِما[٥]: واحِدٌ في المَعْنى، أمّا الجَعادِرُ فكانُوا إذا أجارُوا أحدًا[٦] أعطَوْهُ سهمًا، وقالوا: جَعْدِرْ به حَيْثُ شِئْتَ، كَما كانَتِ القَواقِلُ تَفْعَلُ، وهُمْ بَنُو زَيْدِ بنِ عَمْرٍو. وزيدُ ابنُ مالِكِ بنِ ضُبَيْعةَ يُقالُ لَهُمْ: كِسَرُ الذَّهَبِ، وهُما جَمِيعًا مِن الأوْسِ؛ قالَ الشّاعِرُ[٧]: [من الطويل]

فَإنّ لَنا بَيْنَ الجَوارِي ولِيدةً مُقابَلَةً بَيْنَ الجَعادِرِ والكِسَرْ
مَتى تُدْعَ في الزَّيْدَيْنِ: زَيْدِ بنِ مالِكٍ وزَيْدِ بنِ عَمْرٍو تَأْتِها عِزّةُ الخَفَرْ

وذكرَ فيهِمْ أبا الهَيْتَمِ[٨] بنَ التَّيِّهانِ[٩]، ولَمْ يَنْسُبْهُ، ولا نَسَبَهُ في أهْلِ العَقَبةِ الثّانِيةِ، ولا في غَزْوةِ بَدْرٍ، وهُو مالِكُ بنُ التَّيِّهان، واسمُ التَّيِّهان أيضًا: مالكُ بنُ

---

(١) في (ب): «اشتقاق الأسماء». وانظر: «كتاب الاشتقاق» لابن دريد: (ص: ٤٥٥).
(٢) انظر: «المؤتلف» للدارقطني: (٢: ٧٦٠).
(٣) انظر «السيرة» (٤: ٩٤). (ج)
(٤) في (ب)، (هـ): «واحدًا». قَوْقِل حيثُ شئت؛ أي: سِرْ حيثُ شئت، ومثله: جعدر.
(٥) في (ف): «تسميتهم».
(٦) في (ب)، (د): «واحدًا».
(٧) البيتان للرَّمَق بن زيد ـ شاعر جاهلي ـ كما في «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى» للسمهودي: (١: ١٥٦). (ج)
(٨) في (ب)، (د): «الهيثم»، بالثاء المثلثة.
(٩) انظر «السيرة» (٤: ٦٦). (ج)

عَتِيكِ بنِ عَمْرِو بنِ عَبْدِ الأَعْلَمِ [بنِ عامِرِ][١] بنِ زَعوراءَ بنِ جُشَمَ بنِ الحارِثِ ابنِ الخَزْرَجِ بنِ عَمْرِو بنِ مالِكِ بنِ الأَوْسِ الأَنْصارِيُّ، حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، كانَ[٢] أَحَدَ النُّقَباءِ لَيْلَةَ العَقَبةِ، ثُمَّ شَهِدَ بَدْرًا، واخْتُلِفَ في وقْتِ وفاتِهِ، فأَصحُّ ما قِيلَ فيها: إِنَّهُ شَهِدَ مَعَ عَلِيٍّ [صِفِّينَ][٣]، وقُتِلَ فيها رَحِمَهُ اللهُ.

وأَحْسَبُ ابنَ إِسْحاقَ وابنَ هِشامٍ تَرَكا نَسَبَهُ على جَلالَتِهِ في الأَنْصارِ وشُهُودِهِ هَذِهِ المَشاهِدَ كُلَّها مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِاخْتِلافٍ فيهِ، فقد وجَدْتُ في شِعْرِ عَبْدِ اللهِ بنِ رَواحةَ ـ حِينَ أضافَ أبو الهَيْثَمِ رَسُولَ اللهِ ﷺ في مَنْزِلِهِ ومَعَهُ أبو بَكْرٍ وعُمَرُ، فذَبَحَ لَهُمْ عَناقًا، وأَتاهُمْ بِقِنْوٍ مِنْ رُطَبٍ ـ الحَدِيثَ بِطُولِهِ، فقالَ ابنُ رَواحةَ في ذَلِكَ[٤]: [من الطويل]

فَلَمْ أَرَ كالإِسْــلامِ عِــزًّا لأَهلِهِ ... ولا مِثْلَ أَضيافِ الإِراشِيِّ مَعْشَرا

فجعله إِراشِيًّا كَما تَرى، والإِراشِيُّ مَنْسُوبٌ إلى إِراشةَ في خُزاعةَ، أَوْ[٥] إلى إِراشِ بنِ لِحْيانَ بنِ الغَوْثِ، فاللهُ أَعْلَمُ: أَهُو أَنْصارِيٌّ بِالحِلْفِ أَمْ بِالنَّسَبِ المَذْكُورِ قَبْلَ هَذا؟ ونَقَلْتُهُ مِنْ كتاب أَبِي عُمَرَ في «الِاسْتِيعابِ»[٦]، وقد قِيلَ: إنه بَلَوِيٌّ مِنْ بَنِي إِراشةَ بنِ فارانَ بنِ عَمْرِو بنِ بَلِيٍّ.

والهَيْثَمُ[٧] في اللُّغةِ: فَرْخُ العُقابِ، ....

---

(١) ما بين المعقوفين ليس في (ب). وانظر: «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم: (ص: ٣٤٠).

(٢) في (أ)، (هـ): «وكان».

(٣) ما بين المعقوفين ليس في (أ).

(٤) «ديوان عبد الله بن رواحة» (ص: ١٥٦).

(٥) في (ف): «و».

(٦) «الاستيعاب» (٤: ١٧٧٣).

(٧) في (ب)، (د): «الهيثم»، بالثاء المثلثة.

والهَيْتَمُ[١] أيْضًا: ضَرْبٌ مِن العُشْبِ فيما ذكرَ أبو حَنِيفةَ، وبهِ سُمِّيَ الرّجُلُ: هَيْتَمًا[٢]، أوْ بِالمَعْنى الأوّلِ، وأنْشَدَ[٣]: [من الطويل]

رَعَــتْ بِقِرانِ الحَــزْنِ رَوْضًا مُنَوِّرًا   عَمِيمًا مِنَ الظِّلّامِ والهَيْتَمِ[٤] الجَعْدِ[٥]

فَصْلٌ

وذكرَ بَيْعَتَهُمْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ على بَيْعةِ النِّساءِ[٦] ألّا يَسْرِقُوا، ولا يَزْنُوا إلى آخِرِ الآيةِ، وقِيلَ في قَوْلِ الله سبحانه[٧] خَبَرًا عَنْ بَيْعةِ النساء: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُۥ﴾ [الممتحنة: ١٢]: إنّهُ الولَدُ تَنْسُبُهُ إلى بَعْلِها ولَيْسَ مِنْهُ، وقِيلَ: هُو الاِسْتِمْتاعُ بِالمَرْأةِ فيما دُونَ الوطْءِ؛ كالقُبْلةِ والجَسّةِ ونَحْوِهما، والأوّلُ لا يُشْبِهُ أنْ يُبايِعَ عَلَيْهِ الرِّجالُ، وكَذَلِكَ قِيلَ في قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢]: إنه النَّوْح، وهذا أيضًا ليس مِنْ شَأْنِ الرِّجالِ، فدَلّ على ضَعْفِ قَوْلِ مَنْ خَصّهُ بالنَّوْحِ، وخَصّ البُهْتانَ بِإلْحاقِ ولَدٍ بالرّجُلِ ولَيْسَ مِنْهُ، وقِيلَ: ﴿يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ﴾ [الممتحنة: ١٢]؛ يَعْنِي: الكَذِبَ، وعَيْبَ النّاسِ بِما لَيْسَ فيهِمْ، ﴿وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ [الممتحنة: ١٢]؛ يَعْنِي: المَشْيَ في مَعْصِيةٍ، ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢]؛ أيْ: في خَيْرٍ تَأْمُرُهُنّ بِهِ، والمَعْرُوفُ: اسْمٌ جامِعٌ لِمَكارِمِ الأخْلاقِ، وما عُرِفَ حُسْنُهُ ولَمْ تُنْكِرْهُ القُلُوبُ، وهَذا مَعْنًى يَعُمُّ الرّجالَ والنّساءَ.

---

(١) في (ف)، (ب)، (د): «الهيثم»، بالثاء المثلثة.

(٢) في (ف): «هيثمًا».

(٣) البيت في «اللسان» (هثم، ظلم).

(٤) في (ف): «والهيثم».

(٥) في (أ)، (ب): «بقرات»، وهو تحريف. وفي «اللسان» (ظلم): «قرار».

(٦) انظر «السيرة» (٤: ٦٦). (ج)

(٧) في (ف): «قوله سبحانه» بدل «قول الله سبحانه».

وذكرَ ابنُ إسْحاقَ في روايةِ يُونُسَ فيما أخَذَهُ ـ عَلَيْهِ السّلامُ ـ عَلَيْهِنّ أنْ قالَ: ولا تَغْشُشْنَ أزْواجَكُنّ[١]، فقالَتْ إحْداهُنّ: وما غِشُّ أزْواجِنا؟ فقالَ: أنْ تَأْخُذِي[٢] مِنْ مالِهِ فتُحابِي بِهِ غَيْرَهُ.

فَصْلٌ

وذكرَ هِجْرةَ مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ[٣] وهُو المُقْرِئُ، وأوّلُ مَنْ سُمِّيَ بِهَذا ـ أعْنِي: المُقْرِئَ ـ يُكَنّى: أبا عَبْدِ اللهِ، كانَ قَبْلَ إسْلامِهِ مِنْ أنْعَمِ قُرَيْشٍ عَيْشًا وأعْطَرِهِمْ، وكانَتْ أُمّهُ شَدِيدةَ الكَلَفِ بِهِ، وكانَ يَبِيتُ وقَعْبُ الحَيْسِ عِنْدَ رَأْسِهِ، يَسْتَيْقِظُ فيأْكُلُ، فلَمّا أسْلَمَ أصابَهُ مِنَ الشِّدّةِ ما غَيّرَ لَوْنَهُ، وأذْهَبَ لَحْمَهُ، ونَهَكَ[٤] جِسْمَهُ، حتّى كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْظُرُ إلَيْهِ وعَلَيْهِ فرْوةٌ قد رَقَعَها، فيبْكِي لِما كانَ يَعْرِفُ مِنْ نِعْمَتِهِ، وحَلَفَتْ أُمُّهُ [حِينَ أسْلَمَ وهاجَرَ][٥] ألّا تَأْكُلَ ولا تَشْرَبَ ولا تَسْتَظِلَّ بظِلٍّ حتّى يَرْجِعَ إلَيْها، فكانَتْ تَقِفُ لِلشّمْسِ[٦] حتّى تَسْقُطَ مَغْشِيًّا عَلَيْها، وكانَ[٧] بَنُوها يَفتحونَ[٨] فاها بِشِجارٍ ـ وهُو عُودٌ ـ فيصُبُّونَ

(١) في (أ): «ولا يغششن أزواجهن».

(٢) في (أ)، (ب): «تأخذين».

(٣) انظر «السيرة» (٤: ٦٧). (ج)

(٤) كذا في (أ) وفي غيرها: «ونهكت».

(٥) مكانه في (ب): «لما هاجر».

(٦) في (ب): «في الشمس».

(٧) في (ف): «وكانوا».

(٨) في (ب)، (د): «يشجون»، وفي (ف): «يشحون». وفي «النهاية» لابن الأثير (٢: ٤٤٦) ـ وقد ذكر القصة لأم سعد ـ: «فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها أو يسقوها شَجَروا فاها»؛ أي: أدخلوا في شَجْره عودًا حتى يفتحوه به. وشَجْرُ الفم: جوفه بين سقف الحنك واللسان. وقد عنى ابن الأثير بسعد: سعد بن أبي وقاص، وكان له مع أمه ما كان من مصعب مع أمه، ولكن =

فيهِ[١] الحَساءَ[٢] لِئَلّا تَمُوتَ، وسَنَذْكُرُ اسْمَها ونَسَبَها عِنْدَ ذِكْرِهِ في البَدْرِيِّينَ إنْ شاءَ اللهُ.

وكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَذْكُرُهُ، فيقُولُ: «ما رَأَيْتُ بِمَكَّةَ أَحْسَنَ لِمَّةً[٣]، ولا أَرَقَّ حُلَّةً، ولا أَنْعَمَ نِعْمةً، مِنْ مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ»، [ذكرَهُ الواقِدِيُّ[٤]، وذكرَ أيْضًا بِإسْنادٍ لَهُ، قال: كان مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ][٥] فتى[٦] مَكَّةَ[٧] شَبابًا وجَمالًا وسَيْبًا[٨]، وكانَ أبَواهُ يُحِبّانِهِ، وكانَتْ أُمُّهُ تَكْسُوهُ أَحْسَنَ ما يَكُونُ مِن الثِّيابِ، وكانَ أعْطَرَ أَهْلِ مَكَّةَ، يَلْبَسُ الحَضْرَمِيَّ مِن النِّعالِ.

وذكَرَ ابنُ إسحاقَ أنَّ مَنْزَلَهُ كانَ على أسعدَ بنِ زُرارةَ[٩]. «مَنْزَلٌ» بِفَتْحِ الزّاء، وكَذَلِكَ كُلُّ ما وقَعَ في هَذا البابِ مِنْ مَنْزَلِ فُلانٍ على فُلانٍ، فهُو بِالفَتْحِ؛ لِأَنَّهُ أرادَ المَصْدَرَ، ولَمْ يُرِد المَكانَ، وكَذا قَيَّدَهُ الشَّيْخُ أبو بَحْرٍ [بِالفَتْحِ][١٠].

= لم يرو مع أم سعد إصرارها على الامتناع عن الطعام أو الشراب، بل كان ذلك منها في يوم أو يومين.

(١) في (ف): «فيها».

(٢) الحَسا: المرق ونحوه، وطعام رقيق يُصنَع من الدقيق والماء، وهو الحَساء.

(٣) اللِّمة: شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن.

(٤) انظر: «المغازي» للواقدي: (١: ٣١١).

(٥) ما بين المعقوفين سقط من (د).

(٦) نص (أ): «كان مصعب بن عمير أعز فتًى في مكة».

(٧) في (ف): «بمكة».

(٨) السَّيب: العطاء والمعروف. وانظر: «أسد الغابة» (٥: ١٨٢).

(٩) انظر «السيرة» (٤: ٦٧). (ج)

(١٠) ما بين المعقوفين ليس في (د). وفي (ج): «بفتح الزاي».

وذكرَ أُمَّ قَيْسٍ بِنْتَ مُحْصِنٍ[١] المَذْكُورةَ في هِجْرةِ بَنِي أَسَدٍ، واسْمُها: آمِنةُ، وهِيَ أُخْتُ عكّاشةَ، وهِيَ الّتِي ذُكِرَتْ في «المُوطّأ»[٢]، وأنّها أتَتْ بِابنٍ لَها صَغِيرٍ لَمْ يَأْكُلِ الطّعامَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ... الحديثَ.

فَصْلٌ

وذكرَ أوّلَ مَنْ جَمّعَ بِالمَدِينةِ[٣]، وهُو: أبو أُمامةَ. وذكرَ غيرُهُ أنّ أوّلَ مَنْ جَمّعَ بِهِمْ: مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ؛ لِأَنّهُ أوّلُ مَنْ قَدِمَ المَدِينةَ مِن المُهاجِرِينَ، ثُمّ قَدِمَ بَعْدَهُ ابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ.

وقد ذَكَرْنا في أوّلِ الكِتابِ[٤] مَنْ جَمّعَ في الجاهلية بمكّةَ فخطبَ وذكّرَ وبَشّرَ بِمَبْعَثِ النّبيّ ﷺ، [وحَضّ على اتّباعِهِ][٥]، وهُو: كَعْبُ بنُ لُؤَيّ، ويُقالُ: إنّهُ أوّلُ مَنْ سَمّى العَرُوبةَ: الجُمُعةَ. ومَعْنى العَرُوبةِ: الرّحْمةُ فيما بَلَغَنِي عَنْ بَعْضِ أهْلِ العِلْمِ. وكانَتْ قُرَيْشٌ تَجْتَمِعُ إلَيْهِ فيها فيما حكى الزُّبير بنُ بَكّارٍ، فيخْطُبُهُمْ، فيقُولُ:

أمّا بَعْدُ، فاعْلَمُوا وتَعَلّمُوا أنما الأرضُ مِهاد، والجبالُ أوتاد، والسّماءُ بناء، والنُّجومُ عَلائم[٦]، ثُمّ يَأْمُرُهُمْ بِصِلةِ الرَّحِمِ، ويُبَشّرُهُمْ بِالنّبيّ ﷺ، ويَقُولُ:

---

(١) انظر «السيرة» (٤: ١٠٢). (ج)

(٢) «الموطأ»، كتاب الطهارة، باب ما جاء في بول الصبي: (١: ٦٤). وأخرجه الشيخان. انظر: «فتح الباري»، كتاب الوضوء: (١: ٣٢٦)، ومسلم، كتاب الطهارة: (١: ٢٣٨).

(٣) انظر «السيرة» (٤: ٦٧). (ج)

(٤) انظر: (١: ١١٠).

(٥) ما بين المعقوفين ليس في (ب).

(٦) كذا في (أ)، (ج)، (ف)، وفي (د)، (ب): «علاء»، وفي «دلائل النبوة» لأبي نعيم: «أعلام».

حَرَمُكُمْ يا قَوْمُ عَظِّمُوهُ، فَسَيَكُونُ لَهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ، ويَخْرُجُ مِنْهُ نَبِيٌّ كَرِيمٌ، ثُمّ يَقُولُ في شِعْرٍ ذكَرَهُ: [من الطويل]

على غَفْلَةٍ يَأْتِـي النّبيُّ مُحَمّدٌ فيخْبِرُ أخْبارًا صَدُوقٌ[1] خَبِيرُها

صُرُوفٌ رَأَيْناهـا تُقَلِّبُ أَهْلَها لَها عُقَدٌ ما يَسْتَحِيلُ مَرِيرُها[2]

ثُمّ يَقُولُ: [من البسيط]

يا ليتنـي شـاهِدٌ فَحْـواءَ دَعوتِهِ إذا قُرَيشٌ تُبَغِّي[3] الحقَّ خِذْلانا[4]

وأما أوّلُ مَنْ جَمّعَ في الإسْلامِ فهُو مَنْ ذَكَرْنا.

وذكَرَ ابنُ إسْحاقَ[5] أَنّهُ جَمّعَ بِهِمْ أبو أُمامةَ عِنْدَ هَزْمِ النّبيتِ في بَقِيعٍ يُقال لَهُ: بَقِيعُ الخَضِماتِ[6].

«بَقِيعٌ» بِالباءِ وجَدْتُهُ في نُسْخةِ الشّيْخِ أَبِي بَحْرٍ، وكذلك وجَدْتُهُ في رِوايةِ يُونُسَ عَنِ ابنِ إسْحاقَ، وذكَرَهُ البَكْرِيّ في[7] «مُعْجَمِ ما اسْتَعْجَمَ» من أسماء البُقَعِ أَنّهُ: نَقِيعٌ بِالنّونِ، ذكَرَهُ في بابِ النُّونِ والقافِ، وقالَ: هَزْمُ النَّبِيتِ: جَبَلٌ على بريدٍ مِن المَدِينةِ[8]. وفي «غَرِيبِ الحَدِيثِ»: أَنّهُ ﷺ حَمى غَرَزَ النّقِيعِ.

---

(١) في (ف): «صدوقًا».

(٢) استحال الشيء: تحوّل وتغيّر. والمرير: ما اشتد فتله من الحبال. ضرب ذلك مثلًا للشدة.

(٣) تَبَغّى الشيء: «تعسّف طلبه».

(٤) انظر: «دلائل النبوة» لأبي نعيم: (ص: ٨٩-٩٠)، و«اللسان» (عرب).

(٥) انظر «السيرة» (٤: ٦٨). (ج)

(٦) انظر: «المعجم الكبير» للطبراني: (١٩: ٩١)، و«معجم البلدان» (نقيع).

(٧) بعده في (ف): «كتاب».

(٨) (١: ٢٦٥-٢٦٨)، (٤: ١٣٢٣) وما بعدها.

قالَ الخَطّابِيّ: النّقِيعُ: القاعُ[١]، والغَرَزُ: شِبْهُ الثُّمامِ. وسَيَأْتِي تَفْسِيرُهُ فيما بَعْدُ إنْ شاءَ اللهُ.

ومَعْنى الخَضِماتِ: مِن الخَضْمِ، وهُو الأَكْلُ بِالفَمِ كُلِّهِ، والقَضْمُ: بِأَطْرافِ الأَسْنانِ، ويُقالُ: هُو أَكْلُ اليابِسِ، والخَضْمُ: أَكْلُ الرَّطْبِ؛ فكَأَنَّهُ جَمْعُ خَضِمةٍ، وهِيَ الماشِيةُ الّتِي تَخْضَمُ؛ فكَأَنَّهُ سُمِّيَ بِذاكَ[٢] لِخصْبٍ فيهِ، وأَمّا البَقِيعُ بِالباءِ فهُو أَقْرَبُ إلى المَدِينةِ مِنْهُ بِكَثِيرٍ، وأَمّا بَقِيعُ الخَبْجَبةِ بِخاءٍ وجِيمٍ وباءَيْنِ، فجاءَ ذِكْرُهُ في «سُنَنِ أَبِي داوُدَ»[٣]. والخَبْجَبةُ: شَجَرةٌ عُرِفَ بِها.

فَصْلٌ

وتَجْمِيعُ أَصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الجُمُعةَ، وتَسْمِيَتُهُمْ إيّاها بِهَذا الِاسْمِ وكانَتْ تُسَمّى: العَرُوبةَ، كانَ عَنْ[٤] هِدايةٍ مِن اللهِ لهم قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرُوا بِها، ثُمّ نزلَتْ سُورةُ الجُمُعةِ بَعْدَ أَنْ هاجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى المَدِينةِ، فاسْتَقَرّ فرْضُها واسْتَمَرّ حُكْمُها؛ ولِذَلِكَ قالَ ﷺ في يَوْمِ الجُمُعةِ: «أَضَلّتْهُ اليَهُودُ والنّصارى، وهَداكُم اللهُ إلَيْهِ».

ذكرَ الكَشِّيُّ، وهُو عَبْدُ بنُ حُمَيْدٍ رحمه الله، قالَ: حدّثنا عَبْدُ الرّزّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ أَيّوبَ، عَنِ ابنِ سِيرِينَ، قالَ: جَمّعَ أَهْلُ المَدِينةِ قَبْلَ أَنْ يَقْدَمَ النّبِيُّ ﷺ المَدِينةَ، وقَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ الجُمُعةُ، وهُم الّذِينَ سَمَّوُا الجُمُعةَ، قالَت الأَنْصارُ:

(١) «غريب الحديث» للخطابي: (١: ٦١٩)، وفيه عن الأصمعي: «والنقع: القاع».

(٢) في (ف): «بذلك».

(٣) في (ب)، (د): «مسند». والحديث في كتاب الخراج والإمارة والفيء في «سنن أبي داود» (٣: ١٨١)، وفيها: الخبنجة. ويقول ياقوت: «والرواة على أنه بجيمين».

(٤) في (أ): «كان هذا عن».

لِلْيَهُودِ يَوْمٌ يَجْتَمِعُونَ فيهِ كُلَّ سَبْعَةِ أيّامٍ، ولِلنّصارى[١] مِثْلُ ذَلِكَ، فهَلُمّ فلْنَجْعَلْ يَوْمًا نَجْتَمِعُ فيهِ، ونَذْكُرُ اللهَ، ونُصَلِّي ونَشْكُرُ، أوْ كَما قالُوا[٢]، فقالُوا: يَوْمُ السّبْتِ لِلْيَهُودِ، ويَوْمُ الأحَدِ لِلنّصارى، فاجْعَلُوا يَوْمَ العَرُوبةِ، كانُوا يُسَمُّونَ يَوْمَ الجُمُعةِ: يَوْمَ العَرُوبةِ، فاجْتَمَعُوا إلى أسْعَدَ بنِ زُرارةَ، فصَلّى بِهِمْ يَوْمَئِذٍ رَكْعَتَيْنِ، وذَكَّرَهُمْ، فسَمَّوُا الجُمُعةَ حِينَ اجْتَمَعُوا إلَيْهِ، فذَبَحَ لَهُمْ شاةً فتَغَدَّوْا وتَعَشَّوْا مِنْ شاةٍ، وذَلِكَ لِقِلّتِهِمْ، فأنْزَلَ اللهُ عَزّ وجَلّ [في ذَلِكَ][٣] بعدُ: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩].

قالَ المُؤَلِّفُ أبو القاسمِ رحمه الله: ومَعَ تَوْفيقِ اللهِ لَهُمْ إلَيْهِ، فيبْعُدُ أنْ يَكُونَ فِعْلُهُمْ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِ إذْنٍ مِن النّبيِّ ﷺ [لَهُمْ][٤]، وقدْ رَوى الدّارَقُطْنِيُّ، عن عثمانَ بنِ أحْمَدَ[٥] بنِ السّمّاكِ، قالَ: حدثنا أحْمَدُ بنُ مُحَمّدِ بنِ غالِبٍ الباهِلِيُّ، قالَ: حدثنا مُحَمّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ أبو زَيْدٍ المَدَنِيّ، قالَ: حدثنا المُغيرةُ ابنُ عَبْدِ الرّحْمَنِ، قالَ: حَدّثَنِي مالِكٌ، عَنِ الزُّهْرِيّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ ابنِ عَبّاسٍ، قالَ: أذِنَ رسول الله ﷺ بالجُمُعةِ قَبْلَ أنْ يُهاجِرَ، ولَمْ يَسْتَطِعْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أنْ يُجَمِّعَ بِمَكّةَ، ولا يُبْدِيَ لَهُمْ، فكَتَبَ إلى مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ:

«أمّا بَعْدُ: فانْظُر اليَوْمَ الّذِي يجْهَرُ[٦] فيهِ اليَهُودُ بِالزَّبُورِ لِسَبْتِهِمْ، فاجْمَعُوا

(١) في (ف): «والنصارى».

(٢) في (ف): «قال».

(٣) ما بين المعقوفين ليس في: (أ)، (ج).

(٤) ما بين المعقوفين ليس في (أ).

(٥) في (أ): «محمد بن السماك»، والمثبت من «سنن الدارقطني» في حديث آخر في «سننه» (١: ٣٤٩).

(٦) في (د): «جهر».

نِساءَكُمْ وأبناءَكُمْ، فإذا مالَ النّهارُ عَنْ شَطْرِهِ عِنْدَ الزّوالِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعةِ، فتَقَرّبُوا إلى اللهِ تعالى بِرَكْعَتَيْنِ»، قالَ: فهو أوّلُ مَنْ جَمّعَ: مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ، حتّى قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينةَ، فجَمّعَ عِنْدَ الزّوالِ مِن الظُّهْرِ، وأظْهَرَ ذَلِكَ، ومَعْنى قَوْلِ النّبيّ ﷺ: «أضَلّتْهُ اليَهُودُ والنّصارى، وهَداكُم اللهُ إلَيْهِ»، فيما ذكرَ بعضُ أهْلِ العلم: أنّ اليهودَ أُمِروا بيومٍ مِن الأُسْبُوعِ، يُعَظِّمُونَ اللهَ فيهِ، ويَتَفَرّغُونَ لِعِبادَتِهِ، فاخْتارُوا مِنْ قِبَلِ أنْفُسِهِم السّبْتَ، فأَلْزمُوهُ في شَرْعِهِمْ، وكَذَلِكَ النّصارى أُمِرُوا على لِسانِ عِيسى بيومٍ مِن الأُسْبُوعِ، فاخْتارُوا مِنْ قِبَلِ أنْفُسِهِم الأحَدَ، فأَلْزمُوهُ شَرْعًا لَهُمْ.

قالَ المُؤَلِّفُ أبو القاسم: وكأنّ اليَهُودَ إنّما اخْتارُوا السّبْتَ؛ لِأنّهُمُ اعْتَقَدُوهُ اليَوْمَ السّابِعَ، ثمّ زادوا بكُفرهم[1] أنّ اللهَ اسْتَراحَ فيهِ، تَعالى اللهُ عَنْ قَوْلِهِمْ؛ لِأنّ أوّلَ بَدْءِ الخَلْقِ عِنْدَهُم الأحَدُ، وآخِرَ السِّتةِ الأيام[2] الّتِي خَلَقَ اللهُ فيها الخَلْقَ: الجُمُعةُ، وهُو أيْضًا مَذْهَبُ النّصارى، فاخْتارُوا الأحَدَ؛ لِأنّهُ أوّلُ الأيّامِ في زَعْمِهِمْ، وقد شَهِدَ الرّسُولُ[3] ﷺ لِلْفَرِيقَيْنِ بإضْلالِ ذلك[4] اليَوْمِ، وقالَ في «صَحِيح مُسْلِم»: «إنّ اللهَ خَلَقَ التُّرْبةَ يَوْمَ السّبْتِ»[5]، فبَيّنَ[6] أنّ أوّلَ الأيّامِ الّتِي خَلَقَ اللهُ[7] فيها الخَلْقَ: السّبْتُ، فآخِرُ الأيّامِ السّتّةِ إذًا: الخَمِيسُ، وكَذَلِكَ قالَ ابنُ إسْحاقَ فيما ذكرَ عنه الطَّبَرِيّ، وفي الأَثَرِ: أنّ يَوْمَ الجُمُعةِ سُمِّيَ الجُمُعةَ؛

(١) في (ف): «لكفرهم».

(٢) في (أ): «أيام».

(٣) في (ف): «رسول الله».

(٤) «ذلك» ليس في (ف).

(٥) مسلم، كتاب صفة القيامة: (٤: ٢١٤٩).

(٦) في (د): «وبيّن».

(٧) «الله» ليس في (ف).

لِأَنّهُ جُمِعَ[١] فيهِ[٢] خَلْقُ آدَمَ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ سَلْمانَ وغَيْرِهِ[٣]، وقد قَدّمْنا في حَدِيثِ الكَشِّيّ أنّ الأنْصارَ سَمَّوْهُ جُمُعةً لِاجْتِماعِهِمْ فيهِ، فهَداهُم اللهُ إلى التّسْمِيةِ[٤]، وهَداهُمْ إلى اخْتِيارِ اليَوْمِ، ومُوافَقةِ الحِكْمةِ؛ فإنّ اللهَ سبحانه لَمّا بَدَأَ فيهِ خَلْقَ أبِينا آدَمَ، وجَعَلَ فيهِ بَدْءَ هَذا الجِنْسِ، وهُو البَشَرُ، وجَعَلَ فيهِ أيْضًا فناءَهُمْ وانْقِضاءَهُمْ؛ إذْ فيهِ تَقُومُ السّاعةُ، وجَبَ أنْ يَكُونَ يَوْمَ ذِكْرٍ وعِبادةٍ؛ لِأَنّهُ تَذْكِرةٌ بالمَبْدَأِ، وتَذْكِرةٌ بالمَعادِ، وانْظُرْ إلى قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾ [الجمعة: ٩]، وخَصّ البَيْعَ؛ لِأَنّهُ يَوْمٌ يُذَكِّرُ باليَوْمِ الّذِي لا بَيْعٌ فيهِ ولا خُلّةٌ، مَعَ أنّهُ وِتْرٌ لِلْأيّامِ الّتِي قَبْلَهُ في الأصَحِّ مِن القَوْلِ، واللهُ [وِتْرٌ][٥] يُحِبُّ الوِتْرَ؛ لِأَنّهُ مِنْ أسْمائِهِ، فكانَ مِنْ هُدى اللهِ تعالى لِهَذِهِ الأُمّةِ أنْ أُلْهِمُوا إلَيْهِ، ثُمّ أُقِرُّوا عَلَيْهِ لَمّا وافَقُوا الحِكْمةَ فيهِ، فهُم الآخِرُونَ السّابِقُونَ يَوْمَ القِيامةِ؛ كَما قالَ ﷺ؛ كَما أنّ اليَوْمَ الّذِي اخْتارُوهُ سابِقٌ لِما اخْتارَتْهُ اليَهُودُ والنّصارى، ومُتَقَدِّمٌ عَلَيْهِ؛ ولِذَلِكَ «كانَ يَقْرَأُ رَسُولُ اللهِ ﷺ سُورةَ السَّجْدةِ في صُبْحِ يَوْمِ الجُمُعةِ» ـ رَواهُ سَعدُ بنُ إبْراهِيمَ، عَن الأعْرَجِ، عَنْ أبِي هُرَيْرةَ[٦]، ورَواهُ مُسْلِمٌ البَطِينُ، عَنْ سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابنِ عَبّاسٍ، كِلاهُما عَن النّبِيّ ﷺ[٧]. ورَواهُ عَنْ سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ أيْضًا: عَزْرةُ بنُ عَبْدِ الرّحْمَنِ، ذكرَهُ البَزّارُ، ورَواهُ التّرْمِذِيّ في كِتابِ «العِلَلِ» لَهُ عَنْ أبي الأحْوصِ، ورَواهُ البزّارُ أيْضًا عَنْ أبِي الأحْوصِ،

---

(١) في (أ): «جمع الله».

(٢) في (ف): «لأنه فيه جمع».

(٣) رواه ابن أبي حاتم. انظر: «تفسير ابن كثير» (٨: ٣٥٢٤).

(٤) في (ف): «فهداهم الله للتسمية».

(٥) عن (أ).

(٦) أخرجه الشيخان في كتاب الجمعة: (٢: ٣٧٧)، ومسلم: (٢: ٥٩٩).

(٧) مسلم، كتاب الجمعة: (٢: ٥٩٩).

عَنْ عَلْقَمةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ، عَنْ رسولِ الله ﷺ ـ لما فيه من ذكر السِّتةِ الأيّامِ وإتْباعِها بِذِكْرِ خَلْقِ آدَمَ مِنْ طِينٍ، وذَلِكَ في يَوْمِ الجُمُعةِ؛ تَنْبيهًا مِنْهُ عَلَيْهِ السّلامُ على الحِكْمةِ، وتَذْكِرةً لِلْقُلُوبِ بهذه الموعظة.

وأمّا قِراءَتُهُ عليه السلام: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ ﴾ [الإنسان: ١] في الرّكْعةِ الثّانِيةِ، فلِما فيها مِنْ ذِكْرِ السَّعْيِ وشُكْرِ اللهِ لَهُمْ عَلَيْهِ؛ حيث يَقُولُ: ﴿ وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإنسان: ٢٢]، مَعَ ما في أوّلِها مِنْ ذِكْرِ بَدْءِ خَلْقِ الإنْسانِ، وأنّهُ لَمْ يَكُنْ قَبْلُ شَيْئًا مَذْكُورًا، وقد قالَ في يَوْمِ الجُمُعةِ: ﴿ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: ٩]، فنَبَّهَ بِقِراءَتِهِ إيّاها على التّأهُّبِ لِلسَّعْيِ المَشْكُورِ عَلَيْهِ، واللهُ أعْلَمُ، ألا تَرى كيف كانَ كَثِيرًا ما يَقْرَأُ في صَلاةِ الجمعة أيضًا: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾ [الغاشية: ١]؟ وذلك أنّ فيها: ﴿ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾ [الغاشية: ٩]؛ كَما في سُورةِ الجُمُعةِ: ﴿ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: ٩]، فاسْتَحَبَّ عَلَيْهِ السّلامُ أنْ يَقْرَأَ في الثانية ما فيه رِضاهُمْ بِسَعْيِهِم المَأْمُورِ بِهِ في السُّورةِ الأُولى.

ولَفْظُ الجُمُعةِ مَأْخُوذٌ مِن الاِجْتِماعِ كَما قَدَّمْنا، وكانَ على وزْنِ «فُعْلةٍ» و«فُعُلةٍ»؛ لِأنّهُ في مَعْنى قُرْبةٍ وقُرُبةٍ، والعَرَبُ تَأْتِي بِلَفْظِ الكَلِمةِ على وزْنِ ما هُو في مَعْناها[1]، وقالُوا: عُمْرةٌ، فاشْتَقُّوا اسْمَها مِنْ عِمارةِ المَسْجِدِ الحَرامِ، وبَنَوْهُ على فُعْلةٍ؛ لِأنّها وُصْلةٌ وقُرْبةٌ إلى اللهِ، ولِهَذا الأصْلِ فُرُوعٌ في كَلامِ العَرَبِ، ونَظائِرُ لِهَذَيْنِ[2] الاِسْمَيْنِ يَلفِتُنا تَتَبُّعُهُ عَمّا نَحْنُ بِسَبِيلِهِ[3]، وفيما قَدّمْناهُ ما هُو أكْثَرُ مِنْ لَمْحةٍ دالّةٍ.

---

(١) في (ف): «معناه».

(٢) في (ف): «هذين».

(٣) في (أ): «يلفتنا تتبعنا لها عما نحن فيه؛ أي: بسبيله».

وقالُوا في الجُمُعةِ: «جَمّعَ» بتَشْدِيدِ المِيمِ؛ كَما قالُوا: «عَيّدَ»: إذا شَهِدَ العِيدَ، و«عَرّفَ»: إذا شَهِدَ عَرَفَةَ، ولا يُقالُ في غَيْرِ الجُمُعةِ إلّا: «جَمَعَ» بالتّخْفيفِ، وفي «البُخارِيّ»: أوّلُ مَنْ عَرّفَ بالبَصْرةِ: ابنُ عَبّاسٍ[1]، والتّعْرِيفُ إنّما هُو بِعَرَفاتٍ، فكَيْفَ يُعَرِّف بِالبَصْرةِ؟ ولَكِنْ مَعْناهُ: أنّهُ كانَ رَضِيَ اللهُ عنه إذا صَلّى العَصْرَ يَوْمَ عَرَفةَ، أخَذَ في الدُّعاءِ والذِّكْرِ والضَّراعةِ إلى اللهِ تَعالى إلى غُرُوبِ الشّمْسِ؛ كَما يَفْعَلُ أهْلُ عَرَفةَ.

ولَيْسَ في تَسمِيةِ هَذِهِ الأيّامَ بالأحدِ والِاثْنَيْنِ إلى الخَمِيسِ ما يَشُدُّ قَوْلَ مَنْ قالَ: إنّ أوّلَ الأُسْبُوعِ: الأحَدُ، وسابِعَها: السَّبْتُ؛ كَما قالَ أهْلُ الكِتابِ؛ لِأنّها تَسْمِيةٌ طارِئةٌ، وإنّما كانَتْ أسماؤُها في اللّغةِ القَدِيمةِ: شِيار، وأوّل، وأهْون، وجُبار، ودُبار، ومُؤْنِس، والعَرُوبةَ[2]، وأسْماؤُها قَبْلَ هذا بالسُّريانية: أبو جاد، هَوّزَ، حُطّي، إلى آخِرِها[3]، ولَوْ كانَ اللهُ سبحانه ذكرَها في القُرْآنِ بِهَذِهِ الأسْماءِ المُشْتَقّةِ مِن العَدَدِ، لَقُلْنا: هِيَ تَسْمِيةٌ صادِقةٌ على المُسَمّى بِها، ولَكِنّهُ لَمْ يَذْكُرْ مِنْها إلّا الجُمُعةَ والسّبْتَ، ولَيْسا بمشتقَّينِ مِن العَدَدِ، ولَمْ يُسَمِّها رَسُولُ اللهِ ﷺ بالأحَدِ والِاثْنَيْنِ إلى سائِرِها إلّا حاكِيًا لِلُغةِ قَوْمِهِ، لا مُبْتَدِئًا بِتَسْمِيَتِها، ولَعَلّ قَوْمَهُ أنْ يَكُونُوا أخَذُوا مَعانِيَ هَذِهِ الأسْماءِ مِنْ أهْلِ الكِتابِ المُجاوِرِينَ لَهُمْ، فألْقَوْا[4] عَلَيْها هَذِهِ الأسْماءَ اتّباعًا لَهُمْ، وإلّا فقد قَدّمْنا ما ورَدَ في «الصَّحِيحِ» مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: «إنّ اللهَ خَلَقَ التُّرْبَةَ يَوْمَ السّبْتِ، والجِبالَ يَوْمَ الأحَدِ...»،

---

(١) لم يحضرني تخريجه من «الجامع الصحيح»، وهو من قول الحسن كما في «الأوائل» لأبي هلال العسكري: (٢: ٢١)، و«البيان والتبيين» (١: ٨٥).

(٢) انظر: «اللسان» (شير). و«تاج العروس» (دبر، وجبر). وغيرهما.

(٣) انظر: «تاج العروس» (بجد).

(٤) في (أ): «وألقوا».

الحَديثَ، والعَجَبُ مِن الطَّبَرِيّ على تَبَحُّرِهِ في العِلْمِ، كَيْفَ خالَفَ مُقتَضى هذا الحديث، وأَعنَقَ[(١)] في الرَّدِّ على ابنِ إسْحاقَ وغَيْرِه، ومالَ إلى قَوْلِ اليَهُودِ في أنّ الأحَدَ هُو الأوّلُ، ويَوْمَ الجُمُعةِ سادِسٌ لا وِتْرٌ، وإنّما الوِتْرُ في قَوْلِهِمْ يَوْمُ السّبْتِ مَعَ ما ثَبَتَ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: «أضَلّتْهُ اليَهُودُ والنّصارى، وهَداكُم اللهُ إلَيْهِ»، وما احْتَجّ بِهِ الطَّبريُّ مِنْ حَدِيثٍ آخَرَ، فلَيْسَ في الصِّحّةِ كالّذِي قَدّمْناهُ، وقد يُمْكِـنُ فيـهِ التّأْوِيلُ.

فقِفْ بِقَلْبِك على حِكْمةِ اللهِ تَعالى في تَعَبُّدِ الخَلْقِ بِهِ؛ لِما فيهِ مِن التّذْكِرةِ بِإنْشاءِ هَذا الجِنْسِ ومَبْدَئِهِ؛ كَما قَدّمْنا، ولِما فيهِ من التذكير بأحَدِيّةِ اللهِ سُبْحانَهُ، وانْفِرادِهِ قَبْلَ الخَلْقِ بِنَفْسِهِ؛ فإنّك إذا كُنْتَ في الجُمُعةِ، وتَفَكّرْتَ في كلِّ جمعة قبلُ[(٢)] حتّى يَتَرَقّى وهْمُك إلى الجُمُعةِ الّتِي خُلِقَ[(٣)] فيها أبوك آدَمُ، ثُمّ فكّرْت في الأيّامِ السِّتة التي قبل [تلك][(٤)] الجمعة، وجَدْتَ في كُلّ يَوْمٍ مِنْها جِنْسًا[(٥)] مِن المَخْـلُوقاتِ مَوْجُودًا إلى السّبْتِ، ثُمّ انْقَطَعَ وهْمُك فلَمْ تَجِدْ في الجُمُعةِ الّتِي تَلِي ذَلِكَ السّبْتَ وُجُودًا إلّا لِلْواحِدِ الأحد الوِتْرِ[(٦)] الصّمَدِ، فقد ذَكّرَتِ الجُمُعةُ مَنْ تَفَكَّرَ بوحْدانِيّةِ اللهِ وأوّلِيّتِهِ، فوجَبَ أنْ يُؤَكَّدَ في هَذا اليَوْمِ تَوْحِيدُ[(٧)] القَلْبِ[(٨)] لِلرّبّ بِالذّكْرِ لَهُ؛ كَما قالَ: ﴿ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾ [الجمعة: ٩].

---

(١) أي: «أسرع».

(٢) في (ف): «قبله».

(٣) في (أ): «التي خلق الله فيها أباك آدم».

(٤) ما بين المعقوفين ليس في (ب).

(٥) في (ب): «جنسًا مخلوقًا إلى السبت».

(٦) في (ب): «الفرد الصمد».

(٧) في (أ): «بتوحيد».

(٨) في (ف): «القلوب».

وأنْ يَتأكّدَ ذَلِكَ الذّكْرُ بالعَمَلِ، وذَلِكَ بأنْ يَكُونَ ذلك العَمَلُ مُشاكِلًا لِمَعْنى التّوْحِيدِ، فيكُون الاجْتِماعُ في مَسْجِدٍ واحِدٍ مِن المَساجِدِ، وإلى إمام واحِدٍ مِن الأئِمّةِ، ويَخْطُبُ ذَلِكَ[1] الإمامُ، فيذَكِّرُ بوحْدانيّةِ اللهِ وبِلِقائِهِ، فيشاكِلُ الفِعْلُ للقَوْل، والقَوْلُ للمُعْتَقَد. فتأمّلْ هَذِهِ الأغْراضَ بِقَلْبِك؛ فإنّها تَذْكِرةٌ بالحَقِّ[2].

وقد زِدْنا على ما شَرَطْنا في أوّلِ الكِتابِ مَعانِيَ لَمْ تَكُنْ هُنالِكَ، وعَدْنا بِها، ولَكِنّ الكَلامَ يَفْتَحُ بَعْضُهُ بابَ بَعْضٍ، [ويَحْدُو المُتَكَلِّمَ قَصْدَ البَيانِ إلى الإطالَةِ، ولا بَأْسَ بِالزّيادةِ مِن الخَيْرِ، واللهُ المُسْتَعانُ][3].

فَصْلٌ
إسْلامُ سَعْدِ بنِ مُعاذٍ وأُسَيْدِ بنِ حُضَيْرٍ[4]

وسَمِعَ أهْلُ مَكّةَ قَبْلَ إسْلامِ سَعْدِ [بنِ مُعاذٍ][5] هاتِفًا يَهْتِفُ ويَقُولُ[6]: [من الطويل]

فَإنْ يُسْلِمِ السَّعْدانِ يُصْبِحْ مُحَمّدٌ ... بِمَكّةَ لا يَخْشى خِلافَ المُخالِفِ

فَحَسِبُوا أنّهُ يُرِيدُ بالسّعْدَيْنِ: القَبِيلَتَيْنِ: سَعْدَ [بنَ هُذَيْمٍ][7] مِنْ قُضاعةَ، وسَعْدَ بنَ زَيْدِ مَناةَ بنِ تَمِيمٍ، حتّى سمعوه يقول: [من الطويل]

---

(١) «ذلك» ليس في (ف).

(٢) في (ب): «للحق».

(٣) مكانه في (أ): «والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب». وبهذا ينتهي الجزء الأول من المخطوط (أ).

(٤) انظر «السيرة» (٤: ٦٨). (ج)

(٥) ما بين المعقوفين ليس في (أ).

(٦) «دلائل النبوة» للبيهقي: (٢: ٤٢٨-٤٢٩).

(٧) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

فيا سَعْدُ سَعْدَ الأَوْسِ كُنْ أَنْتَ ناصِرًا ... ويا سَعْدُ سَـعْدَ الخَزْرَجِينَ الغَطارِفِ
أَجِيبـا إلى داعِـي الهُـدى وتَمَنَّيا ... على اللهِ في الفِـرْدَوْسِ مُنْيَةَ عارِفِ

فَعَلِمُوا حِينَئِذٍ أَنَّهُ يُرِيدُ: سَعْدَ بنَ مُعاذٍ، وسَعْدَ بنَ عُبادَةَ.

وذكرَ فيهِ اغْتِسالَهُما حِينَ أَسْلَما بِأَمْرِ مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ لَهُما بِذَلِكَ[1]، فذَلِكَ السُّنَّةُ في كُلِّ كافِرٍ يُسْلِمُ، ثُمّ اخْتُلِفَ في نِيَّةِ الكافِرِ إذا أَسْلَمَ بِاغْتِسالِهِ، فقالَ بَعْضُهُمْ: يَنْوِي بِهِ رَفْعَ حُكم الجَنابةِ عَنْ نَفْسِهِ، وقالَ بَعْضُهُمْ: يَنْوِي التَّعَبُّدَ، ولا حُكْمَ لِلْجَنابةِ في حَقِّهِ؛ لِأَنَّ مَعْنى الأَمْرِ بِهِ: اسْتِباحةُ الصَّلاةِ، والكافِرُ لا يُصَلِّي، وإنْ كانَ مُخاطَبًا بالصّلاة في أَصَحّ القَوْلَيْنِ، ولَكِنَّهُ أَمْرٌ مَشْرُوطٌ بالإيمانِ، فإذا لَمْ يَكُن الإيمانُ ـ وهُو الشَّرْطُ الأَوّلُ ـ فأَجْدِرْ بأَنْ[2] يَكُونَ الشَّرْطُ الثّانِي ـ وهُو الغُسْلُ مِن الجَنابةِ ـ غَيْرَ مُفيدٍ شيئًا، فإذا أَسْلَمَ هَدَمَ الإسْلامُ ما كانَ قَبْلَهُ، فلَمْ يَجِبْ[3] عَلَيْهِ إعادةُ صَلاةٍ مَضَتْ، وإذا سَقَطَتِ[4] الصَّلواتُ سقطَتْ عنه شُرُوطُها، واسْتَأْنَفَ الأَحْكامَ الشَّرْعِيّةَ، فتَجِبُ عَلَيْهِ الصّلَواتُ من حينِ يُسلِمُ بشروطِ[5] أدائِها؛ مِنْ وُضُوءٍ، وغُسْلٍ مِنْ جَنابةٍ إذا أَجْنَبَ بَعْدَ إسْلامِهِ، وغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شُرُوطِ صِحّةِ الصّلاةِ، ورَأَيْتُ لِبَعْضِ المُتَأَخّرِينَ أنّ اغتسالَه سنّة لا فريضة، ولَيْسَ عِنْدِي بِالبَيِّنِ؛ لِأَنّ اللهَ سبحانه يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، وحُكْمُ النَّجاسةِ إنّما يُرْفَعُ بِالطَّهارةِ، ولَمْ يُحْكَمْ عَلَيْهِمْ[6] بِالتّنْجِيسِ

(١) انظر «السيرة» (٤: ٦٩، ٧٠). (ج)
(٢) في (ف): «أن».
(٣) في (ف): «تجب».
(٤) بعده في (ف): «عنه».
(٥) في (أ): «بشرط».
(٦) في (ف): «عليه».

لِمَوْضِعِ الجَنابةِ؛ لِأَنَّهُ قد عَلَّقَ الحُكْمَ بِصِفةِ الشِّرْكِ، والحُكْمُ المُعَلَّلُ بالصِّفةِ مُرْتَبِطٌ بها، فإذا ارْتَفَعَ حُكْمُ الشِّرْكِ بالإيمانِ لَمْ يَبْقَ لِلْجَنابةِ حُكْمٌ؛ كَما إذا كانَ المُسْلِمُ جُنُبًا، ثُمّ بالَ، فالطُّهُورُ مِن الجَنابةِ يَرْفَعُ عنه[1] حُكْمَ الحَدَثِ الأصْغَرِ، وهُو حَدَثُ الوُضُوءِ؛ لِأَنّ الطّهارةَ الصُّغْرى داخِلةٌ في الكُبْرى، وتَطَهُّرُهُ مِنْ تَنْجِيسِ الشِّرْكِ بِإيمانِهِ هُو أَيْضًا بالإضافةِ إلى الطُّهْرِ مِن الجَنابةِ، الطّهارة الكُبْرى، فيَنْبَغِي أَنْ تكُونَ مُغْنِيةً عنها، مزيلةً كَما كانَت الطّهارةُ مِن الجَنابةِ مُغْنِيةً عَن الطّهارةِ مِن الحَدَثِ؛ إذ لَيَسَتْ واحِدةٌ مِنْ هَذِهِ الطّهاراتِ مُزيلةً لِعَيْنِ نَجاسةٍ فيها، فبقي[2] بَعْدَ هَذا أَنّ أَمْرَهُ بالاِغْتِسالِ تَعَبّدٌ، والحُكْمُ بِأَنّهُ غَيْرُ فرْضٍ تَحَكُّمٌ، واللهُ أَعْلَمُ، غَيْرَ أَنّ التِّرْمِذِيَّ خَرّجَ حَدِيثَ قَيْسِ بنِ عاصِمٍ حِينَ أَسْلَمَ، فأَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَغْتَسِلَ، قالَ التِّرْمِذِيّ: «وعلى هَذا العَمَلُ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ، يَسْتَحِبُّونَ لِلْكافِرِ إذا أَسْلَمَ أَنْ يَغْتَسِلَ، ويَغْسِلَ ثِيابَهُ»[3]. فقالَ: يَسْتَحِبُّونَ، وجَعَلَها مَسْألةَ اسْتِحْبابٍ.

فَصْلٌ

وذكَرَ شِعْرَ أَبِي قَيْسِ بنِ الأَسْلَتِ[4]: [من الوافر]

وَلَوْلا رَبُّنا كُنّا يَهُودًا ... وما دِينُ اليَهُودِ بِذِي شُكُولِ

أَرادَ: جَمْعَ شَكْلٍ، وشَكْلُ الشَّيْءِ - بِالفَتْحِ - هُو مِثْلُهُ، والشِّكْلُ بالكَسْرِ: الدَّلُّ والحُسْنُ؛ فكَأَنّهُ أَرادَ: أَنّ دِينَ اليَهُودِ بِدْعٌ، فلَيْسَ لَهُ شُكُولٌ؛ أَيْ: لَيْسَ

(١) «عنه» ليس في (ف).
(٢) في (ف): «فيبقى».
(٣) «سنن الترمذي» (٢: ٥٠٢). (ج)
(٤) انظر «السيرة» (٤: ٧١). (ج)

لَهُ نَظِيرٌ في الحَقائِقِ، ولا مَثِيلٌ يَعْضُدُهُ مِن الأَمْرِ المَعْرُوفِ المَقْبُولِ، وقد قالَ الطّائِيُّ[١]: [من الطويل]

وقُلْتُ: أخِي، قالُوا: أَخٌ مِنْ قَرابةٍ فقُلْت لَهُمْ: إنّ الشُّكُولَ أقارِبُ
قَرِيبِيَ فِي رَأْيِي ودِينِي ومَذْهَبِي وإنْ باعَدَتْنا في الخُطُوبِ المَناسِبُ

وقالَ فيهِ:

مَعَ الرُّهْبانِ في جَبَلِ الجَلِيلِ

الجَلِيلُ[٢] بِالجِيمِ: الثُّمامُ، وهَذا الجَبَلُ مِنْ جِبالِ الشّامِ مَعْرُوفٌ بهذا الِاسْمِ.

ذِكْرُ البَراءِ بنِ مَعْرُورٍ وصَلاتِهِ إلى القِبْلَةِ[٣]

ذكرَ حَدِيثَ كَعْبِ بنِ مالِكٍ حِينَ حَجَّ في نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مَعَهم البَراءُ بنُ مَعْرُورٍ، فكانُوا يُصَلُّونَ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ، وكانَ البَراءُ يصلِّي إلى الكعبة... الحَدِيثَ، إلى قَوْلِ النبي ﷺ: «قد كُنْتَ على قِبْلَةٍ لَوْ صبرتَ عليها»، فِقْهُ قَوْلِهِ: «لَوْ صَبَرْتَ عَلَيْها»: أَنّهُ لَمْ يَأْمُرْهُ بِإعادةِ ما قد صَلّى؛ لِأَنّهُ كانَ مُتَأَوِّلًا.

وفي الحَدِيثِ: دَلِيلٌ على أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كانَ يُصَلِّي بِمَكّةَ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ، وهُو قَوْلُ ابنِ عَبّاسٍ، وقالَتْ طائِفةٌ: ما صَلّى إلى بَيْتِ المَقْدِسِ إلّا مُذْ قَدِمَ المَدِينةَ سَبْعةَ عَشَرَ شَهْرًا، أو ستةَ عشَرَ شهرًا، فعلى هذا يَكُونُ في القِبْلةِ نَسْخانِ: نَسْخُ سُنّةٍ بِسُنّةٍ، ونَسْخُ سُنّةٍ بِقُرْآنٍ، وقد بَيّنَ حَدِيثُ ابنِ عَبّاسٍ

(١) «ديوان أبي تمام» (ص: ٣٥٢).
(٢) «الجليل» ليس في (ف).
(٣) انظر «السيرة» (٤: ٧٢). (ج)

مَنْشَأُ الخِلافِ في هَذِهِ المَسْألةِ، فرُوِيَ عنه مِنْ طُرُقٍ صِحاحٍ: أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كانَ إذا صَلّى بِمَكّةَ اسْتَقْبَلَ بَيْتَ المَقْدِسِ، وجَعَلَ الكَعْبَةَ بَيْنَهُ وبَيْنَ بَيْتِ المَقْدِسِ[١]، فلَمّا كانَ عَلَيْهِ السّلامُ يَتَحَرّى القِبْلَتَيْنِ جَمِيعًا، لَمْ يَبِنْ تَوجُّهُهُ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ لِلنّاسِ حتّى خَرَجَ مِنْ مَكّةَ، فاللهُ أعْلَمُ.

قالَ اللهُ لَهُ في الآيةِ النّاسِخةِ: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [البقرة: ١٤٩]؛ أي: مِنْ أيِّ جِهةٍ جِئْتَ إلى الصّلاةِ وخَرَجْتَ إلَيْها، فاسْتَقْبِلِ الكَعْبةَ كُنْتَ مُسْتَدْبِرًا لِبَيْتِ المَقْدِسِ أوْ لَمْ تَكُنْ؛ لِأنّهُ كانَ بِمَكّةَ يَتَحَرّى في اسْتِقْبالِهِ بَيْتَ المَقْدِسِ أنْ تَكُونَ الكَعْبةُ بَيْنَ يَدَيْهِ. وتَدَبّرْ قَوْلَهُ تَعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [البقرة: ١٤٩]، وقالَ لِأُمّتِهِ: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٥٠] ولَمْ يَقُلْ: حَيْثُما خَرَجْتُمْ، وذَلِكَ أنّهُ[٢] كانَ ﷺ إمامَ المُسْلِمِينَ، فكانَ يَخْرُجُ إلَيْهِمْ[٣] إلى كُلِّ صَلاةٍ لِيُصَلِّيَ بِهِمْ، فكانَ[٤] ذَلِكَ واجِبًا عَلَيْهِ؛ إذْ[٥] كانَ الإمامَ المُقْتَدى بِهِ، فأفادَ ذِكْرُ الخُرُوجِ في خاصّتِهِ هَذا المَعْنى، ولَمْ يَكُنْ حُكْمُ غَيْرِهِ هَكَذا يَقْتَضِي الخُرُوجَ، ولاسِيّما النّساءِ، ومَنْ لا جَماعةَ عَلَيْهِ، وكَرّرَ الباري سبحانه الأمْرَ بِالتّوجّهِ إلى البَيْتِ الحَرامِ في ثَلاثِ آياتٍ؛ لِأنّ المُنْكِرِينَ لِتَحْوِيلِ القِبْلَةِ كانُوا ثَلاثةَ أصْنافٍ مِن النّاسِ: اليَهُودُ؛ لِأنّهُمْ لا يَقُولُونَ بِالنَّسْخِ في أصْلِ مَذْهَبِهِمْ، وأهْلُ الرَّيْبِ والنّفاقِ اشْتَدّ إنْكارُهُمْ لَهُ؛ لأنّهُ كانَ أوّلَ نَسْخٍ نزلَ، وكُفّارُ قُرَيْشٍ

---

(١) «طبقات ابن سعد» (١/ ٢/ ٤).

(٢) في (أ): «لأنه».

(٣) في (أ): «إلى كل».

(٤) في (ف): «وكان».

(٥) في (ف): «إذا».

قالُوا: نَدِمَ مُحَمّدٌ على فِراقِ دِينِنا، فسَيَرْجِعُ إليه كما رجع إلى قِبْلَتِنا، وكانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَحْتَجُّونَ عَلَيْهِ، فيقُولُونَ: يَزْعُمُ مُحَمّدٌ أنّهُ يَدْعُونا إلى مِلّةِ إبْراهِيمَ وإسْماعِيلَ، وقد فارَقَ قِبْلَةَ إبْراهِيمَ وإسْماعِيلَ، وآثَرَ عَلَيْها قِبْلَةَ اليَهُودِ، فقالَ اللهُ لَهُ حِينَ أمَرَهُ بِالصّلاةِ إلى الكَعْبةِ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠] على الاِسْتِثْناءِ المُنْقَطِعِ؛ أي: لَكِن الّذِينَ ظَلَمُوا منهم لا يرجِعُونَ ولا يهتَدونَ، وقالَ سُبْحانَهُ[١]: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧]؛ أي: مِن الّذِينَ شَكّوا وامْتَرَوْا، ومَعْنى هو ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾؛ أي: الّذِي أمَرْتُك بهِ مِن التّوجُّهِ إلى البَيْتِ الحَرام، هُو الحَقّ الّذِي كانَ عَلَيْهِ الأنْبياءُ قَبْلَك، فلا تَمْتَرِ في ذَلِكَ، وقالَ: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٤٤]، وقالَ: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]؛ أي: يَكْتُمُونَ ما عَلِمُوا مِنْ أنّ الكَعْبةَ هِيَ قِبْلةُ الأنْبياءِ.

ورَوى أبو داوُدَ السِّجْزِيُّ في كِتابِ «النّاسِخِ والمَنْسُوخِ» لَهُ، وهُو في رِوايَتِنا عنه بِسَنَدٍ رَفيع جدًّا، حَدّثَنا به الإمامُ الحافِظُ أبو بَكْرِ بنُ العَرَبِيّ، قالَ: حدّثنا أبو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيّ بنِ أيّوبَ البَزّارُ، قالَ: أخبرنا[٢] أبو عَلِيّ ابنُ شاذانَ، أخبرنا أبو بَكْرٍ الفَقِيهُ النجّادُ[٣] أحمدُ بنُ سلمانَ[٤] عنه، قالَ: حدّثنا أحْمَدُ بنُ صالِحٍ، قال: حدّثنا عَنْبسةُ، عن يُونُسَ، عَنِ ابنِ شِهابٍ، قالَ: كانَ سُلَيْمانُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ لا يُعَظِّمُ إيلِياءَ كما يُعَظِّمُها أهْلُ بَيْتِهِ، قالَ: فسِرْتُ مَعَهُ

---

(١) في النسخ: «وإنه للحق». وما أثبت هو صواب الآية.

(٢) في (ب)، (ج): «حدثنا».

(٣) في (أ)، (ب)، (ج): «النجار». انظر: «الأنساب» للسمعاني: (٥: ٤٥٧).

(٤) في (أ)، (ج): «سليمان».

وهُو ولِيّ عَهْدٍ، قالَ: ومَعَهُ خالِدُ بنُ يَزِيدَ بنِ مُعاوِيَةَ، قالَ سُلَيْمانُ وهُو جالِسٌ فيهِ: واللهِ إنّ في هَذِهِ القِبْلَةِ الّتِي صَلّى إلَيْها المُسْلِمُونَ والنّصارى لَعَجَبًا، قالَ خالِدُ بنُ يَزِيدَ: أما واللهِ إنّي لَأَقْرَأُ الكِتابَ الّذِي أنْزَلَهُ اللهُ على مُحَمّدٍ ﷺ، وأَقْرَأُ التّوْراةَ، فلَمْ تجِدْها اليَهُودُ في الكِتابِ الّذِي أنْزَلَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ عَلَيْهِمْ، ولَكِنْ تابُوتُ السّكِينةِ كانَ على الصّخْرةِ، فلَمّا غَضِبَ اللهُ عز وجل على بَنِي إسْرائِيلَ رَفعَهُ، فكانَتْ صَلاتُهُمْ إلى الصّخْرةِ عَنْ مُشاورةٍ مِنْهُمْ.

ورَوى أبو داوُدَ أيْضًا: أنّ يَهُودِيًّا خاصَمَ أبا العالِيةِ في القِبْلَةِ، فقالَ أبو العالِيَةِ: إنّ مُوسى ﷺ كانَ يُصَلّي عِنْدَ الصّخْرةِ، ويَسْتَقْبِلُ البَيْتَ الحَرامَ، فكانَت الكَعْبَةُ قِبْلتَه، وكانَت الصّخْرةُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وقالَ اليَهُودِيّ: بَيْنِي وبَيْنَك مَسْجِدُ صالِحِ النّبِيِّ ﷺ، فقالَ أبو العالِيَةِ: فإنّي صَلّيْتُ في مَسْجِدِ صالِحٍ وقِبْلَتُهُ الكَعْبَةُ، وأخْبَرَ أبو العالِيَةِ: أنّهُ رَأى مَسْجِدَ ذِي القَرْنَيْنِ وقِبْلَتُهُ الكَعْبةُ.

ورُوِيَ أيْضًا: أن النبي ﷺ كان يَقُولُ لِجِبْرِيلَ: «ودِدْتُ أنّ اللهَ حَوّلَنِي عَنْ قِبْلَةِ اليَهُودِ»، فيقُولُ لَهُ جِبْرِيلُ: إنّما أنا عَبْدٌ مَأْمُورٌ. ورَوى غَيْرُهُ أنّهُ كانَ يُتْبِعُهُ بَصَرَهُ إذا عَرَجَ إلى السّماءِ حِرْصًا على أنْ يَأْمُرَهُ بِالتّوجّهِ إلى الكَعْبَةِ، فأنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة: ١٤٤] الآية.

ذكرُ بَيْعةِ العَقَبةِ[١]

وذكرَ عِدّةَ أصْحابِ بَيْعةِ العَقَبةِ، وأنّهُمْ كانُوا ثَلاثةً وسَبْعِينَ رَجُلًا وامْرَأتَيْنِ، وهُما: أُمُّ عُمارةَ[٢] وهِيَ نُسَيْبةُ بِنْتُ كَعْبٍ امْرَأةُ زَيْدِ بنِ عاصِمٍ،

(١) انظر «السيرة» (٤: ٧١). (ج)

(٢) «أسد الغابة» (٧: ٢٨٠، ٣٧١).

شَهِدَتْ بَيْعةَ العَقَبةِ وبَيْعةَ الرّضْوانِ، وشَهِدَتْ يَوْمَ اليَمامةِ، وباشَرَتِ القِتالَ بِنَفْسِها، وشارَكَتِ ابنَها عَبْدَ اللهِ في قَتْلِ مُسَيْلِمةَ، فقُطِعَتْ يَدُها، وجُرِحَتِ اثني عَشَرَ جُرْحًا، ثُمّ عاشَتْ بَعْدَ ذَلِكَ دَهْرًا، وكانَ[1] النّاسُ يَأْتُونَها بِمَرْضاهُمْ لِتَسْتَشْفيَ لَهُمْ، فتَمْسَحُ بِيَدِها الشّلّاءِ على العَلِيلِ، وتَدْعُو لَهُ، فقَلّما مسحَتْ بيدِها ذا عاهةٍ إلّا برئَ.

والأُخْرى: أسْماءُ[2] بِنْتُ عَمْرٍو أُمُّ مَنِيعٍ، وقد رَفَعَ نَسَبَها ونَسَبَ الأُخْرى ابنُ إسْحاقَ، ويُرْوى أنّ أُمَّ عُمارةَ قالَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: ما أرى كُلَّ شَيْءٍ إلّا لِلرّجالِ، وما أرى لِلنِّساءِ شَيْئًا، فأنزل الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥] الآية.

وذكرَ قَوْلَ البَراءِ بنِ مَعْرُورٍ[3]، وهُو أوّلُ مَنْ ضَرَبَ بِيَدِهِ على يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بالبَيْعةِ على اخْتِلافٍ في ذَلِكَ، قد ذكرَهُ[4] ابنُ إسْحاقَ، فقالَ: نُبايِعُك على أنْ نَمْنَعَك مِمّا[5] نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنا، أرادَ: نِساءَنا، والعَرَبُ تُكَنِّي عَنِ المَرْأةِ بالإزارِ، وتُكَنِّي[6] أيْضًا بِالإزارِ عَنِ النّفْسِ، وتَجْعَلُ الثّوْبَ عِبارةً عَنْ لابِسِهِ؛ كَما قالَ امرؤُ القيسِ[7]: [من الطويل]

رَمَوْها بِأثْوابٍ خِفافٍ فلا تَرى لَهـا شَـبَهًا إلّا النَّعـامَ المُنَفَّرا

---

(١) في (ف): «وكانت».
(٢) «أسد الغابة» (١: ١٤).
(٣) انظر «السيرة» (٤: ٧٥). (ج)
(٤) في (ب): «فذكره».
(٥) في (ب): «ما».
(٦) في (ف): «ويكنى».
(٧) البيت في «اللسان» (ثوب) منسوبًا إلى امرئ القيس.

أيْ: بِأبْدانٍ خِفافٍ، فقَوْلُهُ: «مِمّا[١] نَمْنَعُ منه[٢] أُزُرَنا» يَحْتَمِلُ الوجْهَيْنِ جَمِيعًا، وقد قالَ الفارِسِيُّ في قَوْلِ الرّجُلِ الّذِي كَتَبَ إلى عُمَرَ رضي الله عنه مِن الغَزْوِ يُذَكِّرُهُ[٣][٤] بِأهْلِهِ[٥]: [من الوافر]

ألا أبْلِــغْ أبا حَفْصٍ رَسُــولًا ... فِدًى لَكَ مِنْ أخِي ثِقةٍ إزارِي

قالَ: الإزارُ: كِنايةٌ عَن الأهْلِ، وهُو في مَوْضِعِ نَصْبٍ بالإغْراءِ؛ أي: احْفَظْ إزارِي، وقالَ ابنُ قُتَيْبةَ[٦]: [الإزارُ][٧] في هَذا البَيْتِ كِنايةٌ عَنْ نَفْسِهِ، ومَعْناهُ: فِدًى لَك نَفْسِي. وهَذا القَوْلُ هُو المَرْضِيّ في العَرَبِيّةِ، والّذِي قالَهُ الفارِسِيُّ بَعِيدٌ عَن الصّوابِ؛ لِأنّهُ أضْمَرَ المُبْتَدَأ، وأضْمَرَ الفِعْلَ النّاصِبَ لِلْإزارِ، ولا دَلِيلَ عَلَيْهِ؛ لِبُعْدِهِ عنه. وبعْدَ البَيْتِ ما يَدُلُّ على صِحّةِ القَوْلِ المُخْتارِ: [من الوافر]

قَلائِصَنا هَــداكَ[٨] اللهُ إنّا ... شُغِلنا عنكمُ زمنَ الحصارِ

فَنَصَبَ «قَلائِصَنا» بالإضْمارِ الّذِي جَعَلَهُ الفارِسِيُّ ناصِبًا لِلْإزارِ.

والبَراءُ بنُ مَعْرُورٍ يُكَنّى أبا بشرٍ، بابنهِ بِشْرِ بنِ البَراءِ، وهُو[٩] الّذِي أكَلَ مَعَ

(١) في (ف)، (ب): «ما».

(٢) «منه» ليس في (ف).

(٣) في (أ): «ويذكره».

(٤) في (ف): «يذكره ما».

(٥) البيت في «غريب الحديث» لابن قتيبة: (٢: ٢٥)، و«غريب الخطابي» (٢: ١٠١)، و«النهاية» (أزر)، و«اللسان» (أزر، وقلص) في جملة أبيات منسوبًا إلى أبي المنهال الأشجعي.

(٦) انظر: «غريب الحديث» له: (٢: ٢٢).

(٧) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٨) في (أ): «فداك الله».

(٩) يعني: بشرًا. انظر: «دلائل النبوة» للبيهقي: (٤: ٢٦٢-٢٦٣)، و«أسد الغابة» (١: ٢١٨).

رسول الله ﷺ من الشّاةِ المَسْمُومةِ، فماتَ، ومَعْرُورٌ اسْمُ أبيهِ، مَعْناهُ: مَقْصُودٌ، يُقالُ: عَرَّهُ واعْتَرَّهُ: إذا قَصَدَه، والبَراءُ هَذا مِمّنْ صَلّى رَسُولُ اللهِ ﷺ على قَبْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ وكَبّرَ أرْبَعًا. وفي هَذا الحَدِيثِ الصّلاةُ على القَبْرِ، وقد رُوِيَتْ مِنْ سِتِّ طُرُقٍ عَن النّبِيّ ﷺ؛ قالَهُ أحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ، وذكرَها كُلَّها أبو عُمَرَ في «التّمْهيدِ»[١]، وزادَ ثَلاثَ طُرُقٍ لَمْ يَذْكُرْها أحمدُ بنُ حَنْبَلٍ، فهِيَ إذًا تُرْوى مِنْ تِسْعِ طُرُقٍ؛ أعْنِي: أنّ تسعةً من الصّحابةِ روَوْا صَلاتَهُ ﷺ على القَبْرِ، فمِنْهُمْ: ابنُ عباس، وأنس بن مالِكٍ، وبُرَيْدةُ، وأبو هُرَيْرةَ، وزَيْدُ بنُ ثابِتٍ، وعامِرُ بنُ ربيعة، وأبو قَتادةَ الأنْصارِيّ، وسَهْلُ بنُ حُنَيْفٍ، وعُبادةُ بنُ الصّامِتِ وحَدِيثُهُ مُرْسَلٌ، وأصَحُّها إسْنادًا حَدِيثُ ابنِ عَبّاسٍ وأبِي هُرَيْرةَ[٢].

وذكرَ[٣] قَوْلَ النّبِيّ ﷺ لِلْمُبايِعِينَ لَهُ: «بَل الدّمَ الدّمَ، والهَدْمَ الهَدْمَ». وقالَ ابنُ هِشامٍ: «الهَدَم» بِفَتْحِ الدال. وقال ابنُ قتيبة[٤]: كانت العَرَبُ تَقُولُ عِنْدَ عَقْدِ الحِلْفِ والجِوارِ: دَمِي دَمُك، وهَدْمِي هَدْمُك؛ أيْ: ما هَدَمْتَ مِن الدّماءِ، هَدَمْتُه أنا، قال: ويُقالُ أيْضًا: بَل اللّدَمَ اللّدَمَ، والهَدَمَ الهَدَمَ، ثم[٥] أنْشَد[٦]: [من الرجز]

ثُمّ الحَقِي بِهَدَمِي ولَدَمِي

---

(١) «التمهيد» لابن عبد البر: (١: ٢٦١) وما بعدها. (ج)

(٢) «طبقات ابن سعد» (٣/ ٢/ ١٤٧).

(٣) انظر «السيرة» (٤: ٧٥). (ج)

(٤) النص الآتي في «غريب الحديث» له: (١: ٣٠٣-٣٠٤). وقد داخل فيه كلام ابن هشام في «السيرة».

(٥) في (ف): «و».

(٦) الرجز في «اللسان» (هدم، لدم).

فاللّدَمُ: جَمْعُ لادِمٍ، وهُمْ أَهْلُهُ الّذِينَ يَلْتَدِمُونَ عَلَيْهِ إذا ماتَ، وهُو مِنْ لَدَمْتُ صَدْرَهُ: إذا[1] ضَرَبْتَه. والهَدَمُ قالَ ابنُ هِشامٍ: الحُرْمةُ، وإنّما كَنّى عَنْ حُرْمةِ الرّجُلِ وأهْلِهِ بِالهَدَمِ؛ لِأَنّهُمْ كانُوا أَهْلَ نُجْعةٍ وارْتِحالٍ، ولَهُمْ بُيُوتٌ يَسْتَخِفُّونَها يَوْمَ ظَعنِهِمْ، فكُلّما ظَعَنُوا هَدَمُوها، والهَدَمُ بِمَعْنى: المَهْدُومِ؛ كالقَبَضِ بِمَعْنى: المَقْبُوضِ، ثُمّ جَعَلُوا الهَدَمَ - وهُو البَيْتُ المَهْدُومُ - عِبارةً عَمّا حَوى، ثُمّ قالوا[2]: هَدَمِي هَدَمُك؛ أيْ: رِحْلَتِي مَعَ رِحْلَتِك؛ أيْ[3]: لا أَظْعَنُ وأدَعُك. وأَنْشَدَ يَعْقُوبُ[4]: [من البسيط]

كأنهــا[5] هَدَمٌ فــي الجَفْرِ مُنقاضُ

فَصْلٌ

وذكرَ الِاثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا[6]، وشِعْرَ[7] كَعْبٍ فيهِمْ إلى آخِرِهِ، ولَيْسَ فيهِ ما يُشْكِلُ، وإنّما جَعَلَهُمْ عَلَيْهِ السّلامُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا اقْتِداءً بِقَوْلِ الله سبحانه في

(١) في (ف): «أي».

(٢) في (ف): «قال».

(٣) «أي» ليس في (ف).

(٤) «إصلاح المنطق» (ص: ٦٤)، وصدره:

تمضي إذا زُجِرت عن ســوأةٍ قُدُمًا

والبيت في «اللسان» (قدم، هدم). وقال في (قدم): «يصف امرأة فاجرة، إذا زُجِرتْ عن قبيح أسرعت إليه ووقعت فيه؛ كما يقع الهدم في البئر بإسراع». والجفر: البئر الواسعة التي لم تُبنَ بالحجارة. وانقاضَ البناء: تهدّم.

(٥) في النسخ: «كأنه»، والمثبت عن «إصلاح المنطق»، و«غريب ابن قتيبة»، و«اللسان».

(٦) انظر «السيرة» (٤: ٧٦). (ج)

(٧) في (ب): «وذكر شعر».

قَوْم مُوسى: ﴿ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ [المائدة: ١٢]، وقد سَمّيْنا أُولَئِكَ النُّقَباءَ[١] في كِتابِ «التعريف والإعلام»، فليُنظرْ هنالك[٢].

ورُوِيَ عَن الزُّهْرِيّ أنّهُ قالَ: قالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلأَوْسِ والخَزْرَجِ حِين قَدّمَ عَلَيْهِم النُّقَباءُ: «لا يَغْضَبَنّ أحَدُكُمْ؛ فإنّي أفْعَلُ ما أُومَر»، وجِبْرِيلُ ﷺ إلى جَنْبِهِ يُشِيرُ إلَيْهِمْ واحِدًا بَعْدَ واحِدٍ.

ورُوِيَ عَنْ مالِكِ بنِ أنَسٍ[٣] أنّهُ رَوى حَدِيثَ النُّقَباءِ عَنْ شَيْخٍ مِن الأنْصار، قالَ مالِكٌ: وكُنْتُ أعْجَبُ كَيْفَ جاءَ هَذا: رَجُلانِ مِنْ قَبِيلَةٍ، ورَجُلٌ مِنْ أُخْرى؟! حتّى حُدِّثْتُ بِهَذا الحَدِيثِ، وأنّ جِبْرِيلَ هُو الّذِي ولّاهُمْ، وأشارَ إلى النبي ﷺ بهم.

وذكَرَ أنّ الشّيْطانَ صَرَخَ مِنْ رَأْسِ العَقَبةِ بِأنْفَذِ صَوْتٍ[٤]. قالَ الشّيْخُ أبو بَحْرٍ: هَكَذا وقَعَ في الأُمّهاتِ، وأصْلَحْناهُ عَن القاضِي أبِي الولِيدِ: بِأبْعَدِ صوت.

قالَ المُؤَلِّفُ أبو القاسم رضي الله عنه: ولا مَعْنى لِهَذا الإصْلاحِ؛ لِأنّ وصْفَ الصَّوْتِ بِالنّفاذِ صَحِيحٌ ومعروف، وهُو أفْصَحُ مِنْ وصْفِهِ بالبُعْدِ، وقد مَضى في حَدِيثِ عُمَرَ مَعَ الكاهِنِ، قالَ: لَقد سَمِعْتُ مِنْ جوفِ العِجْلِ صَوْتًا ما سَمِعْتُ أنْفَذَ مِنْهُ، وفي «الصّحِيحِ»: «إنّ اللهَ يَحْشُرُ الخَلْقَ يَوْمَ القِيامةِ في صَرْدَحٍ

(١) بعده في (ف): «بأسمائهم».

(٢) أي: النقباء المذكورين في آية المائدة، وقد نقل الأسماء عن محمد بن حبيب في «المحبر» (ص ٤٦٤).

(٣) «دلائل النبوة» للبيهقي: (٢: ٤٥٣). (ج)

(٤) انظر «السيرة» (٤: ٧٩). (ج)

واحِدٍ - [وهي الأرض المستوية](١) - فينْفُذُهُم البَصَرُ، ويُسْمِعُهُم الدّاعِي»(٢). وكَذَلِكَ وجَدْته في رِوايةِ يُونُسَ بنِ بُكَيْرٍ عَنِ ابنِ إسْحاقَ: «بِأَنْفَذِ صَوْتٍ» كَما كانَ في الأَصْلِ.

وقَوْلُهُ: «يا أهْلَ الجَباجِبِ»(٣)؛ يَعْنِي: مَنازِلَ مِنًى، وأَصْلُهُ: أنّ الأَوْعِيَةَ مِن الأَدَمِ كالزّبِيلِ(٤) ونَحْوِهِ يُسَمّى: جَبْجَبةً، فجُعِلَ الخِيامُ والمَنازِلُ لِأَهْلِها كالأَوْعِيةِ.

وقَوْلُهُ عَلَيْهِ السّلامُ حِينَ صَرَخَ إبْلِيسُ: يا أهْلَ الجَباجِبِ، هَذا أَزَبُّ العَقَبةِ، هَذا ابنُ أُزَيْب(٥).

قالَ ابنُ هشام(٦): ويقال: «ابنُ أَزْيَبَ»، كَذا تَقَيّدَ في هَذا المَوْضِعِ: «أَزَبُّ العَقَبةِ». وقالَ ابنُ ماكُولا: أُمُّ كُرْزٍ بِنْتُ الأَزَبّ بنِ عَمْرِو بنِ بَكِيلٍ مِنْ هَمْدانَ، جَدّةُ العَبّاسِ، أُمُّ أُمِّهِ نُتَيلة. وقالَ: لا يُعْرَفُ الأَزَبُّ في الأَسْماءِ إلّا هَذا، وأَزَبُّ العَقَبةِ، وهُو اسْمُ شَيْطانٍ، ووقَعَ في هَذِهِ النّسْخةِ في غَزْوةِ أُحُدٍ إزْبُ العَقَبةِ بِكَسْرِ الهَمْزةِ وسُكُونِ الزّاي، وفي حَدِيثِ ابنِ الزُّبَيْرِ ما يشهدُ له حِينَ رَأى رَجُلًا طُولُهُ شِبْرانِ على بَرْذعةِ رَحْلِهِ، فقالَ: ما(٧) أنْتَ؟ فقالَ: ....

(١) ما بين المعقوفين عن (أ)، (ب)، وثبت في هامش (د).

(٢) أخرجه الشيخان، «فتح الباري»، كتاب التفسير: (٨: ٣٩٥)، و«مسلم»، كتاب الإيمان: (١: ١٨٤).

(٣) انظر «السيرة» (٤: ٨٠). (ج)

(٤) في (أ): «كالزِّنبيل». وفي «اللسان»: الزبيل: القفة، فإذا كسَرْته شدَّدت، فقلت: زِبِّيل وزنبيل؛ لأنه ليس في الكلام «فَعْليل» بالفتح.

(٥) في (أ)، (ج): «أزنب». وانظر: «دلائل النبوة» للبيهقي: (٢: ٤٤٨).

(٦) انظر «السيرة» (٤: ٨٠). (ج)

(٧) في (ب): «وما».

إزْبٌ[١]، قالَ: وما إزْبٌ؟ قالَ: رَجُلٌ مِن الجنّ؛ فضَرَبَهُ على رَأْسِهِ بِعُودِ السَّوْطِ حتّى باصَ؛ أيْ: هَرَبَ. وقالَ يَعْقُوبُ في «الألْفاظِ»: الإزْبُ: القَصِيرُ[٢]. وحَدِيثُ ابنِ الزّبَيْرِ ذكرَهُ القُتَبِيُّ في «الغَرِيبِ»[٣]، فاللهُ أعْلَمُ أيُّ الضَّبطينِ أصَحّ؟

وابنُ أزْيَبَ في رِوايةِ ابنِ هِشامٍ يَجُوزُ أنْ يَكُونَ فَعْيَلًا مِن الإزْبِ أيْضًا، والأزْيَبُ: البَخِيلُ، وأزْيَبُ: اسْمُ رِيحٍ مِن الرّياحِ[٤] [الأرْبَعِ][٥]، والأزْيَبُ: الفَزَعُ، والأزْيَبُ: الرّجُلُ المُتَقارِبُ المَشْيِ، وهُو على وزْنِ أفْعَلَ، قالَهُ صاحِبُ «العَيْنِ»[٦]، ويَحْتَمِلُ أنْ يَكُونَ «ابنُ أزْيَبَ» مِنْ هَذا أيْضًا، وأمّا البَخِيلُ فأزْيَبُ على وزْنِ فَعْيَلٍ؛ لِأنّ يَعْقُوبَ حَكى في «الألْفاظِ»[٧]: امْرَأةٌ أَزْيَبةٌ[٨]، ولَوْ كانَ عَلى وزْنِ أفْعَلَ في المُذَكّرِ لَقِيلَ في المُؤَنّثِ: زَيْباء، إلّا أنّ فَعْيَلًا في أبنِيَةِ الأسْماءِ عَزِيزٌ، وقد قالُوا في ضَهْيأ ـ وهِيَ الّتِي لا تَحِيضُ مِن النّساءِ ـ: فعْلاءُ، وجَعَلُوا الهَمْزَةَ زائِدةً وهِيَ عِنْدِي فعْيَلٌ؛ لِأنّ الهَمْزةَ في قِراءةِ عاصِمٍ لامُ الفِعْلِ في قوله عز وجل: ﴿ يُضَـٰهِـُٔونَ ﴾ [التوبة: ٣٠]، والضّهْيَأُ مِنْ هَذا؛ لِأنّها تُضاهِئُ

---

(١) هكذا ضبط في (أ)، (ب) بكسر فسكون.

(٢) «كتاب الألفاظ» لابن السكيت: (ص: ١٦٤). (ج)

(٣) الحديث في «غريب الحديث» لابن قتيبة: (٢: ٤٤٤). ولم يعرض لضبط «إزْب» ولا فسَّره. وكذلك سيق الحديث في «النهاية» لابن الأثير: (١: ٤٣)، ولم يضبطه لكن ضبطه المحقق بالتحريك. وضبط كذلك في «تاج العروس» أيضًا بالتحريك «أزَب»، وجعله في مادة «زبب».

(٤) في (ج): «اسم الريح الجنوب»، وفي «تاج العروس» «زيب»: ريح الجنوب.

(٥) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٦) «العين» (٧: ٣٩٢).

(٧) «كتاب الألفاظ» لابن السكيت: (ص: ٢٥٦). (ج)

(٨) في «تاج العروس»: والإزْيَبّة كقِرْشَبّة: البخيلة المتشددة.

الرّجُلَ؛ أيْ: تُشْابِهُهُ، ويُقالُ فيها[١]: ضَهْياءُ بِالمَدّ، فلا إشْكالَ فيها أنّها لِلتّأْنيثِ على لُغةِ مَنْ قالَ: ضاهيتُ بالياء، فقد[٢] يَكُونُ أَزْيَبُ وأَزْيَبةُ مِثْلَ: أَرْمَلَ وأَرْمَلةٍ فلا يَكُونَ فَعْيَلًا.

ورَوى أبو الأشْهَبِ عَن الحَسَنِ، قالَ: لَمّا بُويِعَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بِمِنًى صَرَخَ الشّيْطانُ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «هَذا أبو لُبَيْنى[٣] قد أَنْذَرَ بِكُمْ، فتَفَرّقُوا».

فَصْلٌ

وذكرَ الحارِثَ بنَ هِشام حِينَ رَمى بنَعْلَيْهِ إلى [أبي][٤] جابرٍ[٥]، قالَ: وكانَ عَلَيْهِ نَعْلانِ جَدِيدانِ، والنَّعْلُ: مُؤَنّثةٌ، ولَكِنْ لا يُقالُ: جَدِيدةٌ في الفَصِيحِ مِن الكَلامِ، وإنّما يقال: مِلحَفةٌ جديدٌ؛ لأنها في معنى: مجدودة؛ أيْ: مَقْطُوعةٍ، فهِيَ مِنْ بابِ: كَفٌّ خَضِيبٌ، وامْرَأةٌ قَتِيلٌ، قالَ سِيبَويْهِ: ومَنْ قالَ: جَدِيدةٌ، فإنّما أرادَ مَعْنى: حَدِيثةٍ[٦]، أرادَ سِيبَويْهِ: أنّ «حَدِيثةً» في مَعْنى[٧]: حادِثةٍ، وكُلّ فَعِيلٍ بِمَعْنى: فاعِلٍ تدخلهُ التاءُ في المؤنث.

وذكـرَ قَـوْلَ سَعْـدٍ حِينَ أَسَرَتْـهُ قُرَيْشٌ: فأتانِـي رَجُـلٌ وضِيءٌ شَعْشاعٌ[٨]،

---

(١) في (ف): «فيه».

(٢) في (ف): «وقد يجوز أن».

(٣) في «اللسان» (لبن): «ولبينى: اسم ابنة إبليس، واسم ابنه: لاقيس».

(٤) في النسخ: «إلى جابر». والمثبت من «السيرة» (١: ٤٤٤)، و«الكنى» للذهبي: (ص: ١٤١). وأبو جابر هو عبد الله بن عمرو بن حرام.

(٥) انظر «السيرة» (٤: ٨٠). (ج)

(٦) «الكتاب» (١: ٦٠).

(٧) في (ف): «بمعنى».

(٨) انظر «السيرة» (٤: ٨١). (ج)

والشَّعشاع والشَّعْشَعُ والشَّعْشَعانِيّ: الطّوِيلُ مِن الرّجالِ، وكَذَلِكَ السَّلْهَبُ والصَّقعَبُ والشَّوْقَبُ والشَّرْجَبُ والخِبَقّ[١]، والشَّوْذَبُ: الطّوِيلُ مَعَ رِقّةٍ، في أَسْماءٍ كَثِيرةٍ.

وقَوْلُهُ: «أوى إلَيْهِ رَجُلٌ»[٢]؛ أيْ: رَقّ لَهُ، يُقالُ: أوى له إِيّةً ومأْوِيَةً.

وقَوْلُهُ: «فتَنَطّسَ القَوْمُ الخَبَرَ»[٣]؛ أيْ: أَكْثَرُوا البَحْثَ عنه، والتّنَطُّسُ: تَدْقِيقُ النّظَرِ. قالَ الرّاجِزُ[٤]: [من الرجز]

وقد أكُونُ عِنْدَها نِقْرِيسا طَبًّا بِأَدْواءِ النِّسا نِطِّيسا

وذكرَ قَوْلَ ضِرارِ بنِ الخَطّابِ[٥]: [من الطويل]

وكانَ شفاءً لو تداركتُ مُنْذِرًا

وضِرارٌ كانَ شاعِرَ قُرَيْشٍ وفارِسَها، ولَمْ يَكُنْ في قُرَيْشٍ أَشْعَرُ مِنْهُ، ثُمّ [ابنُ][٦] الزِّبَعْرى، وكانَ جَدُّهُ مِرْداسٌ رَئِيسَ بَنِي فِهْرٍ في الجاهِلِيّةِ يَسِيرُ فيهِمْ بِسيرة المِرْباعِ، وهُو رُبُعُ الغَنِيمةِ، وكانَ أبوهُ أيّامَ الفِجارِ رَئِيسَ بَنِي مُحارِبِ بنِ فِهْرٍ. أسلمَ ضِرارٌ عامَ الفتح.

---

(١) الخِبَقُّ: يُروى بكسر ففتح، وبكسرهما.

(٢) انظر «السيرة» (٤: ٨٢). (ج)

(٣) انظر «السيرة» (٤: ٨١). (ج)

(٤) رؤبة بن العجاج، من أرجوزة يمدح بها أبان بن الوليد البجلي، وهي في «مجموعة أشعار العرب»، ورواية البيت فيه: (ص: ٧٠):

وقـد أكـونُ مرّةً نِطِّيسـا بخبءِ أدواء الصِّبا نِقريسا

وانظر: الرجز في «اللسان» (نقرس، نطس).

(٥) انظر «السيرة» (٤: ٨٢). (ج)

(٦) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

وذكرَ فيه قَوْلَ حَسّانَ يُجِيبُهُ[١]: [من الطويل]

وَلَسْتَ إلى عَمْرٍو[٢] ولا المَرْءِ مُنْذِرٍ[٣]
إذا مـا مَطايـا القَوْمِ أصْبَحْـنَ ضُمَّرا

يَعْنِي بِعَمْرٍو: عَمْرَو بنَ خُنَيْسٍ والِدَ المُنْذِرِ. [يَقُولُ: لَسْتَ إلَيْهِ ولا إلى ابنِهِ المُنْذِرِ؛ أيْ: أنْتَ أقَلُّ مِنْ ذَلِكَ. والمُنْذِرُ][٤] بنُ عَمْرٍو هَذا الذي يُقالُ لَهُ: أعْنَقَ لِيَمُوتَ[٥]، هُو أحَدُ النُّقَباءِ كَما ذكرَ ابنُ إسْحاقَ، وذكرَ ابنُ إسْحاقَ في المؤاخاة أنّ رسول الله ﷺ آخى بَيْنَهُ وبَيْنَ أبِي ذَرٍّ الغِفارِيّ[٦]، وأنْكَرَ ذَلِكَ مُحَمّدُ بنُ عُمَرَ الواقِدِيُّ، وقالَ: إنّما آخى بَيْنَهُ وبَيْنَ طُلَيْبِ بنِ عُمَيرٍ.

قـالَ[٧]: وكَيْـفَ يُؤاخِـي بَيْنَـهُ وبَيْـنَ أبِـي ذَرٍّ، والمُؤاخـاةُ كانَتْ قَبْـلَ بَدْرٍ، وأبـو ذَرّ كانَ إذْ ذاكَ غائِبًـا عَـن المَدِينـةِ، ولَـمْ يَقْـدَمْ إلّا بَعْدَ بَـدْرٍ، وقد قَطَعَتْ بَدْرٌ المُؤاخاةَ[٨] ونَسَـخَها قولُه سـبحانه: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥]؟!

ولِلْمُنْـذِرِ بـنِ عَمْـرٍو حَديثٌ واحِدٌ عَنْ رَسُـولِ اللهِ ﷺ لَيْسَ لَـهُ غَيْرُهُ،

(١) انظر «السيرة» (٤: ٨٢). (ج)
(٢) في «السيرة»: «إلى سعد»، وما أثبت يوافق ما في «ديوان حسان» (١: ٢٢٤).
(٣) في (ف): «منذرًا».
(٤) ما بين المعقوفين سقط من (ب).
(٥) أعنق إلى كذا: أسرع؛ أي: إنَّ المنيّة أسرعت به وساقته إلى مصرعه.
(٦) «السيرة» (١: ٥٠٦).
(٧) في (ف): «وقال».
(٨) «الطبقات الكبرى» لابن سعد: (٣/ ٢/ ١٠٠).

يَرْوِيهِ عَبْدُ المُهَيْمِنِ بنُ عبّاسِ بن سَهْلِ بنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَن المُنْذِرِ؛ أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَجَدَ للسَّهْوِ[١] قَبْلَ التّسْلِيمِ، وعبدُ المهيمِنِ ضعيف[٢].

وقولُ[٣] حسانَ[٤]: [من الطويل]

ولا تَكُ كالشّاةِ الّتِي كانَ حَتْفُها بِحَفْرِ ذراعيها فلم تَرْضَ مَحْفَرا

هو مَثَلٌ قَدِيمٌ، تقولُ العرب فيمَنْ أثارَ على نَفْسِهِ شَرًّا: كالباحِثِ عَن المُدْيةِ[٥]. وأنْشَدَ عَمْرُو بنُ بَحْرٍ[٦]: [من الطويل]

وكانَ يُجِيرُ النّاسَ مِنْ سَيْفِ مالِكٍ فأصْبَحَ يَبْغِي نَفْسَهُ مَنْ يُجِيرُها
وكانَ[٧] كَعَنْزِ السَّوءِ قامَتْ بِظِلْفِها إلى مُدْيةٍ تَحْتَ التُّرابِ تُثِيرُها

فَصْلٌ
في إسْلامِ عَمْرِو بنِ الجَمُوحِ[٨]

وذِكرِ صَنَمِهِ الّذِي كانَ يَعْبُدُهُ، واسْمُهُ: مَناةُ، ووزْنُهُ فَعَلةٌ مِنْ مَنَيْتُ الدّمَ

(١) في (ف): «السهو».
(٢) «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم: (٣١: ٦٧-٦٨).
(٣) انظر «السيرة» (٤: ٨٣). (ج)
(٤) «ديوانه» (١: ٢٢٤).
(٥) «مجمع الأمثال» للميداني: (٢: ١٥٧)، ويروى: كالباحث عن الشفرة، وهذه الرواية أيضًا في «المستصفى» للزمخشري: (٢: ٢٠٧).
(٦) «البيان والتبيين» (٣: ٢٥٩)، والبيتان من شعر الفرزدق، «ديوانه» (١: ١٩٨).
(٧) في (ف): «فكان».
(٨) انظر «السيرة» (٤: ٨٤). (ج)

وغَيْرَهُ: إذا صَبَبْتَه؛ لِأَنّ الدِّماءَ كانَتْ تُمْنى عِنْدَهُ تَقَرّبًا إلَيْهِ، ومِنْهُ سُمِّيَت الأَصْنامُ: الدُّمى[١]، وفي الحَدِيثِ: «لا والدُّمى، لا أرى بما تَقُولُ بَأْسًا»[٢]، وكَذَلِكَ مَناةُ الطّاغِيةُ الّتِي كانُوا يُهِلّونَ إلَيْها بِقُدَيْدٍ، والحَظُّ مِنْ هَذا المَطْلَعِ ما في قَوْلِهِ عز وجلّ: ﴿ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٠]، مِن الفائِدةِ حيث جَعَلَها ثالِثةً لِلّاتِ والعُزّى، وأُخْرى[٣] بِالإضافةِ إلى مَناةَ الّتِي كانَ يَعْبُدُها عَمْرُو بن الجَمُوحِ وغَيْرُهُ مِنْ قَوْمِهِ، فهُما مَناتانِ، وإحْداهُما هي[٤] الأُخْرى بِالإضافةِ إلى صاحِبَتِها.

وقَوْلُهُ[٥]: [من الرجز]

الآنَ فتَّشْناكَ عَنْ سُوءِ الغَبَنْ

الغَبَنُ في الرّأْيِ يُقالُ: غَبِنَ رَأْيَهُ؛ كَما يُقالُ سَفِهَ نَفْسَهُ، فنصبوا؛ لأن المعنى: خسِرَ نفسَه وأوبقها، وأفْسَدَ رَأْيَهُ، ونَحْوُ هَذا.

وقَوْلُهُ: «إلَهًا مُسْتَدَنْ»، مِن السَّدانةِ، وهِيَ خِدْمةُ البَيْتِ وتَعْظِيمُهُ.

---

(١) «تاج العروس»: دمى، وقد نقل الزبيدي تعليل السهيلي لتسمية الأصنام دمى، وروى عن شيخه استبعاده لهذا التعليل.

(٢) أخرجه مالك في «كتاب القرآن» (١: ٢٠٣)، وفيه يروى: «لا والدماء». وفيه ذكر ابن الأثير في «النهاية» (٢: ١٣٦) هذه الرواية، وقال: «ويروى: لا والدمى، جمع دمية وهي الصورة، ويريد بها: الأصنام». والحديث رواه مالك عن هشام بن عروة، عن أبيه. وقد وصله الترمذي عن عائشة في أبواب التفسير، «عارضة الأحوذي» (١٢: ٢٣٠-٢٣١)، وذلك في قصة ابن أم مكتوم حين أعرض عنه رسول الله ﷺ وهو يقول: أترى فيما أقول بأسًا؟ فقال له عليه السلام: «لا والدماء»، أو: «لا والدُّمى».

(٣) في (ف): «والأخرى».

(٤) في (ف): «إلى».

(٥) انظر «السيرة» (٤: ٨٤). (ج)

وقَوْلُهُ: «دَيّانِ الدِّيَنْ»: الدِّيَنُ[١]: جَمْعُ دِينةٍ، وهِيَ العادةُ، ويُقالُ لَها[٢]: دِينٌ أيْضًا، وقالَ ابنُ الطَّثَرِيّةِ، واسمُه يزيد[٣]: [من الطويل]

أرى سَبْعةً يَسْعَوْنَ لِلْوصْلِ كُلَّهُمْ ... لَهُ عِنْدَ لَيْلى دِينةٌ يَسْتَدِينُها
فَأَلْقَيْتُ سَهْمِي بَيْنَهُمْ حِينَ أَوْخَشُوا ... فما صارَ لِي في القَسْمِ إلّا ثمينُها

ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ أرادَ بِالدِّيَنِ: الأدْيانَ؛ أيْ: هُو دَيّانُ أهْلِ الأدْيانِ[٤]، ولَكِنْ جَمَعَها على «الدِّيَنِ»؛ لِأنّها مِلَلٌ ونِحَلٌ؛ كَما قالُوا في جَمْعِ الحُرّةِ: حَرائِرُ، لِأنّهُنّ في مَعْنى الكَرائِمِ والعَقائِلِ، وكَذلِكَ مَرائِرُ الشَّجَرِ، وإنْ كانَتِ الواحِدةُ مُرّةً، ولَكِنّها في مَعْنى فعِيلةٍ؛ لِأنّها عَسِيرةٌ في الذَّوْقِ، وشَدِيدةٌ على الأكْلِ، وكَرِيهةٌ إلَيْهِ.

فَصْلٌ

وذكرَ ابنُ إسْحاقَ تَسْمِيةَ مَنْ حَضَرَ العَقَبةَ، وذكرَ أنْسابَهُمْ إلّا أبا الهَيْثَمِ بنَ التَّيِّهانِ، وقد ذَكَرْنا اسْمَهُ واسْمَ أبِيهِ، وما قِيلَ في نَسَبِهِ في ذِكْرِ العَقَبةِ الأُولى.

وذكرَ قُطْبةَ بنَ عامِرٍ[٥]، والقُطْبةُ فيما ذكرَ أبو حَنِيفةَ واحِدةُ القُطَبِ[٦]،

---

(١) لم تكرر «الدين» في (ف).

(٢) في (أ): «له».

(٣) هو يزيد بن مسلمة بن سَمُرة بن سلمة الخير بن قشير، أبو المكشوح القشيري، الشاعر الأموي المشهور، كان شاعرًا مطبوعًا فصيحًا مقدَّمًا عند بني أمية، قُتِل ابن الطثرية (وهي أمه) وهو يحمل راية الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخليفة الأموي في وقعة الفلج أواخر سنة ١٢٦هـ. انظر: «وفيات الأعيان» (٦: ٣٦٧) وما بعدها.

(٤) في (ب): «الدين».

(٥) انظر «السيرة» (٤: ٩٢). (ج)

(٦) انظر: «كتاب النبات» (ص: ٣٨١-٣٨٢).

وهِيَ شَوْكةٌ مُدَحْرَجةٌ فيها ثَلاثُ شُويْكاتٍ، وهِيَ تُشْبِهُ حَسَكَ السَّعْدانِ، وقد بانَ بِنَعْتِ أبِي حَنِيفةَ لَهُ أنّهُ الّذي نُسَمِّيهِ بِبِلادِنا: حِمّصَ الأمِيرِ. والقُطْبَةُ أيضًا: طَرَفُ النَّصْلِ.

وذكَرَ ذَكْوانَ بنَ عَبْدِ قَيْسٍ[١]، ونَسَبَهُ إلى عامِرِ بنِ زُرَيْقٍ، يريدُ عامِرَ بنَ زُرَيْقِ بنِ رَواحةَ بنِ غَضْبِ بنِ جُشَمَ، والغَضْبُ في اللّغةِ: الشّدِيدُ الحُمْرةِ، وجُشَمُ مَعْدُولٌ عَنْ جاشِمٍ، وهُو مِنْ جَشِمْتُ الأمْرَ، كَما عَدَلُوا عُمَرَ عن عامرٍ، وقد أملينا جزءًا[٢] في أسْرارِ ما يَنْصَرِفُ وما لا يَنْصَرِفُ، شَرَحْنا فيهِ فائِدةَ العَدْلِ عَنْ فاعِلٍ إلى فُعَلَ، وما حَقِيقةُ العَدْلِ، والمَقْصُودُ بهِ؟ ولِمَ لَمْ يُعْدَلْ عَنْ أسْماءِ الأجْناسِ؟ ولم يَكُنْ إلّا في الصِّفاتِ؟ ولِمَ لَمْ يَكُنْ في الصّفاتِ إلّا في مِثْلِ: عامِرٍ وزافِرٍ وقاثِمٍ، ولَمْ يَكُنْ في مالِكٍ وصالِحٍ وسالِمٍ؟ ولِمَ خُصَّ «فُعَلُ» هَذا البِناءُ بِالعَدْلِ إلَيْهِ؟ وهَلْ عُدِلَ إلى بِناءٍ غَيْرِهِ أمْ لا؟ ولِمَ مُنِعَ الخَفْضَ والتّنْوِينَ إذا كانَ مَعْدُولًا إلى هَذا البِناءِ؟ فمَنِ اشْتاقَ إلى مَعْرِفةِ هَذِهِ الأسْرارِ فلْيَنْظُرْها هُنالِكَ؛ فإنّ ابنَ جِنّي قد حامَ في كِتابِ «الخَصائِصِ»[٣] على بَعْضِها فما ورَدَ، وصَأْصَأَ[٤] فما فقّحَ.

وذكَرَ في بني بياضةَ: [فروةَ بنَ][٥] عمرِو بنِ وَذْفةَ بذالٍ منقوطة[٦]، وقالَ

(١) انظر «السيرة» (٤: ٩٠). (ج)

(٢) انظر: «أمالي السهيلي» (ص: ١٩-٣٩)، و«نتائج الفكر» في النحو له: (ص: ٨٧-٨٨).

(٣) انظر: «الخصائص» (١: ٦٣، ١٠٩، ١٧٧، ١٧٨).

(٤) يقال: صأصأ الجِرْو: إذا حرَّكَ عينيه قبل التفقيح؛ أي: قبل فتحهما.

(٥) سقط ما بين القوسين من النسخ، والمثبت من «السيرة»، و«أسد الغابة» (٤: ٣٥٧)، و«شرح السيرة» لأبي ذر الخشني: (١: ١٢٢).

(٦) انظر «السيرة» (٤: ٩٠). (ج)

ابنُ هشام: وَدْفةُ؛ يعني: بدال مهملة، وهو الأصح، والوَدْفة: الروضة النّاعِمةُ، سُمِّيَتْ بذَلِكَ؛ لِأنّها تَقْطُرُ ماءً مِنْ نِعْمَتِها، والأُدافُ: الذّكَرُ، أَصْلُهُ[١]: وُدافٌ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لمَوْضِعِ قَطْرِ الماءِ والمَنِيّ مِنْهُ، ويُقالُ لِلرّوْضةِ النّاعمة: الدَّقَرى[٢].

وفروةُ بنُ عمرِو بنِ ودْفةَ هَذا، هُو البَياضِيُّ الّذِي رَوى عنه مالِكٌ في كِتابِ الصّلاةِ، ولَمْ يُسَمِّهِ[٣].

وفي الأنْصارِ بَنُو النَّجّارِ، وهُمْ[٤]: تَيْمُ اللهِ بنُ ثَعْلَبةَ، سُمِّيَ النّجّارَ فيما ذَكَرُوا؛ لِأنّهُ نَجَرَ وجْهَ رَجُلٍ بِقَدُومٍ، وقِيلَ: كانَ نَجّارًا. وثَعْلَبةُ في العَرَبِ كَثِيرٌ في الرّجالِ، وقَلّما يُسَمُّونَ بِثَعْلَب، وإنْ كانَ ذَلِكَ هُو القِياسَ؛ كَما يُسَمُّونَ بِنَمِرٍ وسَبُعٍ وذِئْبٍ، ولَكِنِ الثّعْلَبُ اسْمٌ مُشْتَرَكٌ؛ إذْ يُقالُ: ثَعْلَبُ الرّمْحِ، وثَعْلَبُ الحَوْضِ، وهُو مَخْرَجُ الماءِ مِنْهُ، وفي الحَدِيثِ: «حتّى قامَ أبو لُبابَةَ يَسُدُّ ثَعْلَبَ مِرْبَدِهِ بِردائِهِ»[٥]، فكَأنّهُمْ عَدَلُوا عَنِ التَّسمِيةِ بِثَعْلَبٍ لِهَذا الِاشْتِراكِ، مَعَ أنّ الثّعْلَبةَ أحْمى لِأدْراصِها[٦]، وأغْيَرُ على أجْرِيها[٧] مِن الثّعْلَبِ. واللهُ أعلمُ.

---

(١) في (ب)، (ج): «وأصله».

(٢) بعده في (ف): «أيضًا».

(٣) «الموطأ»، كتاب الصلاة: (١: ٨٠)، والحديث: «إنَّ المصلي يناجي ربه، فلينظر بما يناجيه به، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن».

(٤) في (ف): «وهو».

(٥) أخرجه ابن الأثير بإسناده إلى أبي لبابة، «أسد الغابة» (٦: ٢٦٧). والمربد ـ بكسر الميم وفتح الباء ـ: الموضع الذي يجعل فيه التمر لينشف.

(٦) الأدراص: جمع دِرْصٍ ـ بفتح الدال وكسرها ـ وهو ولد الكلبة والذئبة ونحوهما.

(٧) في (أ): «أجرائها». والأجرى: جمع جِرْو، وهو ولد الكلب والسباع، ويجمع أيضًا على: أجراء وجراء.

وذكرَ[١] قولَ رسولِ الله ﷺ لِبَنِي سَلِمةَ: «مَنْ سَيِّدُكُمْ؟» قالُوا[٢]: جَدُّ بنُ قَيْسٍ على بُخْلٍ فيهِ. فقالَ: «وأيّ داءٍ أكْبَرُ[٣] مِن البُخْلِ؟! بَلْ سَيِّدُكُم الأبْيَضُ الجَعْدُ: بِشْرُ بنُ البَراء»[٤]، ورُوِيَ عَن الزُّهْرِيِّ وعامِرٍ الشَّعْبِيِّ أنّهُما قالا في هَذا الحَدِيثِ عَن النَّبيّ ﷺ: «بَلْ سَيِّدُكُمْ عَمْرُو بنُ الجَمُوحِ»، وقالَ شاعِرُ الأنْصارِ في ذَلِكَ[٥]: [من الطويل]

وقــالَ رَسُــولُ اللهِ، والحَــقُّ قَوْلُهُ ... لِمَــنْ قالَ مِنّــا مَنْ تَعُدُّونَ سَــيِّدا؟
فَقالُوا لَهُ: جَدُّ بــنُ قَيْسٍ على الّتِي ... نُبَخِّلُــهُ فيهــا، ومــا كانَ أسْــودا
فَسَوّدَ[٦] عَمْرَو بنَ الجَمُوحِ لِجُودِهِ ... وحُــقَّ لعمــرٍو بالنّدى أنْ يُسَــوَّدا

فَصْلٌ

وذكـرَ[٧] خَدِيجَ بنَ سَلامـةَ البَلَوِيّ، وهُو: خَدِيـجٌ بِخاءٍ مَنْقُوطةٍ مَفْتُوحةٍ ودالٍ مَكْسُورةٍ، كَذا ذكرَهُ الدّارَقُطْنِيّ وغَيْرُهُ[٨]. وذكرَهُ الطَّبَرِيّ، وقالَ: شَهِدَ العَقَبةَ، ولَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا[٩]، وقالَ: يُكَنّى أبا رَشِيدٍ.

---

(١) انظر «السيرة» (٤: ٩١). (ج)
(٢) في (ف)، (أ)، (ج): «فقالوا».
(٣) يُروى: أدوأ؛ أي: أقبح من البخل.
(٤) انظر: «أسد الغابة»، ترجمة: بشر بن البراء: (١: ٢١٨).
(٥) السابق، ترجمة عمرو بن الجموح: (٤: ٢٠٦).
(٦) في (ف): «نسود».
(٧) انظر «السيرة» (٤: ٩٣). (ج)
(٨) في (د): «وكان يكنى: أبا رشيدة». والذي في «المؤتلف» للدارقطني: «أبو شُباث». وانظر: «أسد الغابة» (٢: ١٢٤-١٢٥).
(٩) لم أجد في «تاريخ الطبري» تسمية من شهد العقبة الثانية، لكن سمّاهم أبو عمر ابن عبد البر =

وذكرَ[١] ابنُ إسحاقَ مُعاذَ بنَ جَبَلٍ ونَسَبَهُ إلى أُدَيٍّ بنِ سَعْدِ بنِ عَلِيّ أخِي سَلِمةَ، وقد انقرضَ عَقِبُ أُدَيّ، وآخِرُ مَنْ ماتَ مِنْهُمْ: عَبْدُ الرّحْمَنِ بنُ مُعاذِ بنِ جَبَلٍ، وقد[٢] يُقالُ في «أُدَيّ»: أُذُنٌ في غَيْرِ رِوايَةِ ابنِ إسْحاقَ وابنِ هِشامٍ.

وذكرَ[٣] أنّ مُعاذَ بنَ جَبَلٍ ماتَ في طاعُونِ عَمْواسَ، هَكَذا تَقَيّدَ في النُّسْخةِ عَمْـواسُ بِسُكُـونِ المِيمِ، وقـالَ فيهِ البَكْـرِيُّ في كِتابِ «المُعْجَمِ مِنْ أسْماءِ البُقَعِ»[٤]: عَمَواسُ بِفَتْحِ المِيمِ والعَيْنِ، وهِيَ قَرْيةٌ بِالشّامِ عُرِفَ الطّاعُونُ بها؛ لِأنّهُ مِنْها بَدَأ، وقِيلَ: إنّما سُمِّيَ: طاعُونَ [عَمْواسَ؛ لِأنّهُ][٥] عَمَّ وآسى؛ أيْ: جَعَلَ بَعْضَ النّاسِ أُسْوةَ بَعْضٍ.

وذكرَ[٦] يَزِيدَ بنَ ثَعْلَبَةَ بنِ خَزْمةَ بِسُكُونِ الزّايِ، كَذا قالَ فيهِ ابنُ إسْحاقَ وابنُ الكَلْبِيّ، وقالَ الطّبَرِيّ فيهِ: خَزَمةُ بِتَحْرِيكِ الزّايِ، وهُو بَلَوِيٌّ مِنْ بَنِي عَمّارةَ بِفَتْحِ العَيْـنِ وتَشْدِيـدِ المِيمِ، ولا يُعْـرَفُ عَمّـارةُ في العَرَبِ إلّا هَذا، كَما لا يُعْرَفُ عِمارةُ بِكَسْرِ العَيْنِ إلّا أُبَيّ بنُ عِمارةَ الّذِي يَرْوِي حَدِيثًا في المَسْحِ على الخُفَّينِ[٧]، وقد قِيلَ فيهِ: عُمارةُ بِضَمّ العَيْنِ، وما سِوى هَذَيْنِ

= في كتابه «الدرر في اختصار المغازي والسير» (ص: ٧٦-٧٩)، وذكر فيهم خديج بن سلامة بن أوس، وهو حليفٌ لهم من بَلِيّ.

(١) انظر «السيرة» (٤: ٩٣). (ج)

(٢) «قد» ليست في (ف).

(٣) انظر «السيرة» (٤: ٩٣). (ج)

(٤) «معجم ما استعجم» لأبي عبيد البكري: (٣: ٩٧١). (ج)

(٥) ما بين المعقوفين ليس في (أ).

(٦) انظر «السيرة» (٤: ٩٤). (ج)

(٧) انظر: «المؤتلف» للدارقطني: (٣: ١٥٥٣).

فعُمارةُ بالضّمّ، غَيْرَ أنّ الدّارَقُطْنِيَّ ذكرَ عَنْ مُحَمّدِ بنِ حَبِيبٍ، عَنِ ابنِ الكَلْبِيِّ في نَسَبِ قُضاعةَ: قالَ مُدْرِكُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ القَمْقامِ بن عَمّارةَ ـ بفتحِ العَينِ وتشديدِ الميمِ ـ بنِ مالِكِ بن ذُوَيْدٍ[1]. وفي النِّساءِ عُمارةُ بِنْتُ نافِعٍ، وهِيَ أُمُّ مُحَمّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ الرّزّاقِ[2]، وفي الأنْصارِ خَزَمةُ سِوى هَذا المَذْكُورِ بِفَتْحِ الزّاي كَثِيرٌ.

وذكرَ[3] بَنِي الحُبْلى، والنّسَبُ إلَيْهِ: حُبُلِيّ بِضَمّ الحاءِ والباءِ، قالَهُ سِيبَوَيْهِ، على غَيْرِ قِياسِ النّسَبِ[4]، وتَوهّمَ بَعْضُ مَنْ ألّفَ في العَرَبِيّةِ أنّ سِيبَوَيْهِ قالَ فيهِ: حُبَلِيّ بِفَتْحِ الباءِ لَمّا ذكرَهُ مَعَ جُذَمِيّ في النّسَبِ إلى جَذِيمةَ، ولَمْ يَذْكُرْهُ سِيبَوَيْهِ مَعَهُ لِأَنّهُ على وزْنِهِ، ولَكِنْ لِأَنّهُ شاذٌّ مِثْلُهُ في القِياسِ الّذِي[5] ذَكَرْناهُ عَنْ سِيبَوَيْهِ مِنْ تَقْيِيدِهِ إيّاهُ بِالضَّمّ، ذكرَهُ أبو عَلِيّ القالِي في «البارِعِ»، وقالَ: هَكَذا تَقَيّدَ في النُّسخةِ الصّحِيحةِ مِنْ سِيبَوَيْهِ، وحَسْبُك مِنْ هَذا أنَّ جَمِيعَ المُحَدِّثِينَ يَقُولُونَ: أبو عَبْدِ الرّحْمَنِ الحُبُلِيّ[6] بِضَمّتَيْنِ، لا يَخْتَلِفُونَ في ذَلِكَ، فدَلّ هَذا كُلُّهُ على غَلَطِ مَنْ نَسَبَ إلى سِيبَوَيْهِ أنّهُ فتَحَ الباءَ فيه، والحمد لله.

---

(١) كذا في (ج)، وهو يوافق ما في «المؤتلف». وفي غيرها بتقديم «ذويد» على «مالك».

(٢) «المؤتلف» للدارقطني: (٣: ١٥٥٥-١٥٥٦).

(٣) انظر «السيرة» (٤: ٩٥). (ج)

(٤) «الكتاب» (٣: ٣٣٦)، ولكن ضبط فيه «حُبَلي» بفتح الباء، ومثله في «شرح الشافية» للرضي: (٢: ٨٢).

(٥) في (ف): «والذي».

(٦) هو عُلَيُّ بن رباح اللخمي، أحد كبار التابعين المصريِّين، روى عن علي بن أبي طالب، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعقبة بن عامر الجهني وغيرهم.

فَصْلٌ

وذكرَ[١] هِجْرةَ أُمِّ سَلَمةَ، وصُحْبةَ عُثْمانَ بنِ طَلْحةَ لها[٢] وهو يومئذٍ على كُفْرِهِ، وإنّما أسْلَمَ عُثْمانُ في هُدْنةِ الحديبية، وهاجرَ قبلَ الفتحِ مع خالدِ بنِ الوليدِ، وقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ إخْوتُهُ: مُسافِعٌ، وكِلابٌ، والحارِثُ، وأبوهُمْ، وعَمُّهُم عُثْمانُ بنُ [أبِي][٣] طَلْحةَ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ أيْضًا كافِرًا[٤]، وبِيَدِهِ كانَتْ مَفاتِيحُ الكَعْبةِ، ودَفَعَها رَسُولُ اللهِ ﷺ عامَ الفَتْحِ إلى عُثْمانَ بنِ طَلْحةَ [بنِ أبِي طَلْحةَ][٥]، وإلى ابنِ عَمِّهِ شَيْبَةَ بنِ عُثْمانَ بنِ أبِي طَلْحةَ، وهُو جَدُّ بَنِي شَيْبَةَ حَجَبةِ الكَعْبةِ، واسْمُ أبِي طَلْحةَ جَدِّهِمْ: عَبْدُ اللهِ بنُ عَبْدِ العُزّى، وقُتِلَ عُثْمانُ رَحِمَهُ اللهُ شَهِيدًا بِأجْنادِينَ في أوّلِ خِلافةِ عُمَرَ.

فَصْلٌ

وذكرَ[٦] هِجْرةَ بَنِي جَحْشٍ، وهُمْ: عَبْدُ اللهِ، وأبو أحْمَدَ، واسْمُهُ: عَبْدٌ، وقد كانَ أخُوهُمْ عُبَيْدُ اللهِ أسْلَمَ ثُمّ تَنَصّرَ بِأرْضِ الحَبَشةِ، وزَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ أُمُّ المُؤْمِنِينَ الّتِي كانَتْ عِنْدَ زَيْدِ بنِ حارِثةَ ونزلَتْ فيها: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وأُمّ حَبِيبِ بِنْتُ جَحْشٍ الّتِي كانَتْ تُسْتَحاضُ[٧]، وكانَتْ تَحْتَ عَبْدِ الرّحْمَنِ بنِ ....

(١) انظر «السيرة» (٤: ٩٩، ١٠٠). (ج)

(٢) في (ب): «إياها».

(٣) ما بين المعقوفين ليس في (ب).

(٤) انظر: «السيرة» (٢: ١٢٧).

(٥) ما بين المعقوفين ليس في (أ).

(٦) انظر «السيرة» (٤: ١٠٠). (ج)

(٧) استُحيضَت المرأة: استمرَّ نزول دمها بعد أيام حيضها المعتاد.

عَوْفٍ[١]، وحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ الّتِي كانَتْ تَحْتَ مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ، وكانَتْ تُسْتَحاضُ أيْضًا، وقد رُوِيَ أنّ زَيْنَبَ اسْتُحِيضَتْ أيْضًا.

ووقَعَ في كتاب «المُوطّأ» أنّ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ الّتِي كانَتْ تَحْتَ عَبْدِ الرّحْمَنِ ابنِ عَوْفٍ[٢]، وكانَتْ تُسْتَحاضُ، ولَمْ تَكُ قَطّ زَيْنَبُ عِنْدَ عَبْدِ الرّحْمَنِ، ولا قالَهُ أحَدٌ، والغَلَطُ لا يَسْلَمُ مِنْهُ بَشَرٌ، وإنّما كانَتْ تَحْتَ عَبْدِ الرّحْمَنِ أُخْتُها أُمّ حبيب، ويُقالُ فيها: أُمّ حَبِيبَةَ، غَيْرَ أنّ شَيْخَنا أبا عَبْدِ اللهِ مُحَمّدَ بنَ نَجاحٍ[٣] أخْبَرَنِي أنّ أُمّ حَبِيبٍ كانَ اسْمُها: زَيْنَبَ، فهُما زَيْنَبانِ غَلَبَتْ على إحْداهُما الكُنْيَةُ، فعلى هَذا لا يَكُونُ في حَدِيثِ «المُوطّأ» وهْمٌ ولا غَلَطٌ، واللهُ أعْلَمُ.

وكانَ اسْمُ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ: بَرّةَ فسَمّاها رَسُولُ اللهِ ﷺ: زَيْنَبَ، [وكَذَلِكَ زَيْنَبُ بِنْتُ أُمّ سلمةَ ربيبتُهُ عليه السلام، كان اسمُها: برّةَ، فسَمّاها زَيْنَبَ][٤]؛ كَأنّهُ كَرِهَ أنْ تُزَكّيَ المَرْأةُ نَفْسَها بهذا الِاسْمِ، وكانَ اسْمُ جَحْشِ بنِ رِئابٍ[٥]: بُرّةَ بضَمّ الباءِ، فقالَتْ زَيْنَبُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يا رَسُولَ اللهِ، لَوْ غَيّرْتَ اسْمَ أبِي؛ فإنّ البُرّةَ صَغِيرَةٌ، فقِيلَ: إن رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ لَها: «لَوْ كانَ أبوكِ مُسْلِمًا لَسَمّيْتُهُ بِاسْمٍ مِنْ أسْمائِنا أهْلَ البَيْتِ، ولَكِنّي قد سَمّيْتُهُ: جَحْشًا، والجَحْشُ أكْبَرُ مِن البُرّةِ». ذكرَ هَذا الحَدِيثَ مُسْنَدًا في كِتابِهِ[٦] «المُؤْتَلِفِ والمُخْتَلِفِ» أبو الحَسَنِ الدّارَقُطْنِيّ[٧].

---

(١) «أسد الغابة» (٧: ٣١٤-٣١٥)، والحديث في «مسند أحمد» (٦: ٤٣٤).

(٢) «الموطأ» (١: ٦٢).

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن نجاح الأموي، من أهل قرطبة، توفي عام اثنين وثلاثين وخمس مئة، ودفن في رَبَض قرطبة. انظر: «كتاب الصّلة» لابن بشكوال: (ص: ٥٨٢-٥٨٣).

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٥) في (أ): «بن رباب بن».

(٦) في (ف): «كتاب».

(٧) هذا النص مما سقط من نسختَي الكتاب المطبوع.

فَصْلٌ

وذكرَ(١) البَيْتَ الّذي تَمَثّلَ بِهِ أبو سُفيانَ حِينَ مَرّ بِدارِ بَنِي جَحْشٍ تَخْفِقُ أبْوابُها: [من البسيط]

وكُلُّ بَيْتٍ وإنْ طالَتْ سَــلامَتُهُ   يَوْمًا سَتُدْرِكُهُ النّكْباءُ والحُوبُ

وبعده: [من البسيط]

كلُّ امرئٍ بِلِقاءِ المَوْتِ مُرْتَهَنٌ   كَأَنّهُ غَــرَضٌ لِلْمَوْتِ مَنْصُوبُ

والشِّعْرُ لِأبِي دُؤادٍ الإيادِيِّ، واسْمُهُ: حَنْظَلَةُ بنُ شَرْقِيّ، وقِيلَ: جارِيَةُ بنُ حَجّاجٍ.

وذكرَ(٢) دارَ بني جحشٍ، وأنّها عِنْدَ دارِ أبانَ بنِ عُثْمانَ بِالرَّدْمِ، والرَّدْمُ: حَفْرٌ رُدِمَ بِالقَتْلى في الجاهِلِيّةِ، فسُمِّيَ: الرّدْمَ، وذَلِكَ في حَرْبٍ كانَتْ بَيْنَ بَنِي جُمَحَ، وبَيْنَ بَنِي الحارِثِ بنِ فِهْرٍ، وكانَت الدّبَرَةُ(٣) فيها على بني الحارِثِ [بنِ فِهْرٍ](٤)، ولذلك قلّ عدَدُهم؛ فلذلكَ هُم أقلُّ قُرَيْشٍ عَدَدًا.

وذكرَ(٥) ابنُ إسْحاقَ شِعْرَ أَبِي أَحْمَدَ بنِ جحشٍ، وفيه: [من الطويل]

إلى اللهِ وجْهِي والرّسُــولِ ومَنْ يُقِمْ   إلــى اللهِ يَوْمًــا وجْهَــهُ لا يُخَيَّــبِ

هَكَذا يُرْوى بِكَسْرِ الباءِ على الإقواء، ولَوْ رُوِيَ بِالرّفْعِ لَجازَ على الضّرُورةِ

---

(١) انظر «السيرة» (٤: ١٠١). (ج)

(٢) انظر «السيرة» (٤: ١٠١). (ج)

(٣) في (أ): «الدائرة». والدَّبْرة ـ بالإسكان وبالتحريك ـ: الهزيمة في القتال.

(٤) عن (د).

(٥) انظر «السيرة» (٤: ١٠٣). (ج)

ويَكُونُ تَقْدِيرُهُ: «فلا يُخَيَّبُ» بِإضْمارِ الفاءِ [في مَذْهَبِ أبِي العَبّاسِ[١]، وفي مَذْهَبِ سِيبَويْهِ: يَجُوزُ أيْضًا لا على إضْمارِ الفاءِ][٢]، ولَكِنْ على نِيّةِ التّقْدِيمِ لِلْفِعْلِ على الشّرْطِ كَما أنْشَدُوا[٣]: [من الرجز]

إنّك إنْ يُصْرَعْ أخُوك تُصْرَعُ

وهُو مَعَ «إنْ» حَسَنٌ[٤]؛ لِأنّ التّقْدِيرَ: إنّك تُصْرَعُ إنْ يُصْرَعْ أخُوك، وأنْشَدُوا أيْضًا[٥]: [من البسيط]

مَنْ يَفْعَلِ الحَسَناتِ اللهُ يشكُرُها[٦]

[على هَذا التّقْدِيرِ][٧]. وفي الشِّعْرِ أيْضًا: [من الطويل]

ولا قُرْبَ بِالأرْحامِ[٨] إذْ لا تُقَرَّبُ

وتَأوّلَ[٩] ابنُ هِشامٍ «إذْ» هُنا بِمَعْنى: «إذا»، وهُو خَطَأٌ مِنْ وجْهَيْنِ:

---

(١) هو المبرد، قال في «المقتضب» (٢: ٧٢): «وهو عندي على إرادة الفاء، والبصريون يقولون: هو على إرادة الفاء، ويصح أن يكون على التقديم».

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٣) الرجز لجرير بن عبد الله البجلي، وهو في «الكتاب» (٣: ٦٧)، وقبله:

يا أقرعُ بنَ حابسٍ يا أقرعُ

(٤) في (ف): «أحسن».

(٥) من شواهد «الكتاب» (٣: ٦٥)، وفيه نُسب إلى حسان بن ثابت، واختُلف في نسبة هذا البيت حتى قيل: إنه مصنوع. انظر: «الخزانة» (٩: ٤٩-٥١)، وعجزه:

«والشّرُّ بالشرِّ عند الله مثلانِ»

(٦) كذا في (أ)، وفي غيرها: «يشكره».

(٧) ما بين المعقوفين ليس في (أ)، (ب).

(٨) في (أ): «في الأرحام».

(٩) انظر «السيرة» (٤: ١٠٤). (ج)

أَحَدُهُما: أنّ الفِعْلَ المُضارِعَ لا يَحْسُنُ بَعْدَ «إذا» مَعَ حَرْفِ النّفي، وإنّما يَحْسُنُ بَعْدَ «إذْ»؛ كَقَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [الأنفال: ٤٩]. ولَوْ قُلْتَ: سَآتِيك إذا[١] تَقُولُ كَذا، كانَ قَبِيحًا [وأقبحُ ما يكونُ مع حرفِ النَّفي][٢] إذا أَخّرْتَها، أوْ قَدّمْتَ[٣] الفِعْلَ [لِما في «إذا» مِنْ مَعْنى الشّرْطِ][٤]، وإنّما يَحْسُنُ هَذا في حُرُوفِ الشَّرْطِ مَعَ لَفْظِ الماضِي، تَقُولُ: سَآتِيك إنْ قامَ زَيْدٌ وإذا قامَ زَيْدٌ، ويَقْبُحُ: سَآتِيك إنْ يَقُمْ زَيْدٌ؛ لِأنّ حَرْفَ الشّرْطِ إذا أُخِّرَ أُلْغِيَ، وإذا أُلْغِيَ لَمْ يَقَعِ الفِعْلُ المُعْرَبُ بَعْدَهُ، غَيْرَ أنّهُ حَسُنَ في «كَيْفَ»، نَحْو قَوْلِهِ: ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، و﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [الروم: ٤٨] لِسِرٍّ بَدِيعٍ لَعَلّنا نَذْكُرُهُ إنْ وجَدْنا لِشَفْرَتِنا مَحَزًّا، ويَحْسُنُ الفِعْلُ المُسْتَقْبَلُ مَعَ «إذا» بَعْدَ القَسَمِ؛ كقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤]؛ لِانْعِدامِ مَعْنى الشّرْطِ فيهِ، فهَذا وجْهٌ.

والوجْهُ الثّانِي: أنّ «إذْ» بِمَعْنى «إذا» غَيْرُ مَعْرُوفٍ في الكَلامِ، ولا حَكاهُ ثَبْتٌ، وما اسْتَشْهَدَ بِهِ مِنْ قَوْلِ رُؤْبَةَ[٥] لَيْسَ على ما ظَنَّ، إنّما مَعْناهُ: ثُمّ جَزاهُ اللهُ رَبِّي أنْ جزى عنِّي؛ أي: من أجل أن نفعَنِي وجَزى عَنّي؛ كَما قالَ سبحانه: ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨]، ففاعلُ «جَزى»: مُضْمَرٌ عائِدٌ على الرّجُلِ المَمْدُوحِ، و«إذْ» بِمَعْنى: «أنْ» كَذا قالَ سِيبَوَيْهِ في سَوادِ «الكِتابِ»[٦]، ويَشْهَدُ لَهُ

(١) في (أ): «إذ تقول».

(٢) عن (ج).

(٣) في (ب): «وقدمت».

(٤) مكانه في (ج) بعد: «وأقبح ما يكون مع حرف النفي».

(٥) نسب البيت في «السيرة» إلى أبي النجم العجلي، وهو في «ديوانه» (ص: ٢٨٦).

(٦) أكثرتُ من البحث عن هذا القول في الكتاب، فلم يتهيأ لي حتى الآن، وكان السهيلي قد ذكر هذا في «النتائج» (ص: ١٣٤)، وقال هناك: «وإنما أخرجوها [يعني: إذ] عن الاسمية =

قَوْلُهُ سُبْحانَهُ: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠]، وعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُهُ سُبْحانَهُ: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ [الزخرف: ٣٩]، [ومعناه: أنْ ظلمتُم، فتجعلُها حرفًا لا ظرفًا][(١)]، وغَفَلَ الفَسَوِيّ عَمّا في «الكِتابِ» مِنْ هَذا، وجَعَلَ الفِعْلَ المُسْتَقْبَلَ الّذِي بَعْدَ «لَنْ» عامِلًا في الظّرْفِ الماضِي، فصارَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَقُولُ: سَآتِيكَ اليَوْمَ أمْسِ، وهَذا هُراءٌ مِن القَوْلِ، وغَفْلَةٌ عَمّا في «كِتابِ» سِيبَوَيْهِ، ولَيْتَ شِعْرِي ما يَقُولُ في قَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ﴾ [الأحقاف: ١١]، فإنْ جَوّزَ وُقُوعَ المُسْتَقْبَلِ في الظّرْفِ الماضِي على أصْلِهِ الفاسِدِ، فكَيْفَ يَعْمَلُ ما بَعْدَ الفاءِ فيما قَبْلَها لاسِيّما مَعَ السِّينِ، وهو قبيحٌ أنْ تقول: غدًا سآتيك، فكيفَ إنْ قُلْت: غَدًا فسَآتِيك؟ فكَيْفَ إنْ زِدْتَ على هَذا وقُلْت: أمْسِ فسَآتِيك؟ و«إذْ» على أصْلِهِ بِمَنْزِلَةِ أمْسِ، فهَذِهِ فضائِحُ لا غِطاءَ عَلَيْها[(٢)].

فَإنْ قالَ قائِلٌ: فكَيْفَ الوجْهُ في قَوْلِهِ سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟﴾ [الأنعام: ٢٧]، وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾ [السجدة: ١٢]؟ [ألَيْسَ هَذا كَما قالَ ابنُ هِشامٍ بِمَعْنى: «إذا» الّتِي تُعْطِي الِاسْتِقْبالَ؟

قِيلَ: وكَيْفَ تَكُونُ بِمَعْنى: «إذا»، و«إذا» لا يَقَعُ بَعْدَها الابتداء والخبر، وقد قال: ﴿إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟﴾][(٣)] [السجدة: ١٢]، وإنما التقدير: ولو ترى

= في نحو قوله تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ جعلها سيبويه ههنا حرفًا بمنزلة أن»، فهل هذا القول مذكور في النسخة الغربية من الكتاب؟ الله أعلم. على أنَّ أبا حيان في «الارتشاف» (٣: ١٤٠٤) ربما كان يعني السهيلي عندما قال: «وذهب بعض المتأخرين إلى أنَّ «إذ» تجيء للسبب مجرّدة عن الظرفية، ونسب ذلك إلى سيبويه».

(١) ما بين المعقوفين ليس في: (ف)، (أ)، (ب).

(٢) مكانه بياض في (ب)، ورسم عليه «كذا».

(٣) ما بين المعقوفين سقط من: (ف)، (ب).

ندمَهم وحُزْنَهُمْ في ذَلِكَ اليَوْمِ بَعْدَ وُقُوفِهِمْ على النّارِ، فـ«إذْ» ظَرْفٌ ماضٍ على أصْلِهِ، ولَكِنْ بالإضافةِ إلى حُزْنِهِمْ ونَدامَتِهِمْ، فالحُزْنُ والنّدامةُ واقِعانِ بعد المعاينةِ والتَّوقيف، فقد صارَ وقفُ التّوْقِيفِ ماضِيًا بالإضافةِ إلى ما بَعْدَهُ، والّذِي بَعْدَهُ هُو مَفْعُولُ «ترى»، وهَذا نَحْوٌ مِمّا يُتوهَّمُ في قَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾ [الكهف: ٧١]، فيُتوهَّمُ أنّ «إذا» ههُنا بِمَعْنى: إذْ؛ لِأنّهُ حَدِيثٌ قد مَضى، ولَيْسَ كَما يُتوهَّمُ، إنما هِيَ «إذا» على بابِها، والفِعْلُ بَعْدَها مُسْتَقْبَلٌ بِالإضافةِ إلى الِانْطِلاقِ؛ لِأنّهُ بَعْدَهُ، والِانْطِلاقُ قَبْلَهُ، ولَوْلا حرف «حتّى» ما جازَ أنْ يُقالَ إلّا: انْطَلَقا إذْ رَكِبا، ولَكِنّ مَعْنى الغايةِ في «حتّى» دَلّ على أنّ الرّكُوبَ كانَ بَعْدَ الِانْطِلاقِ، وإذا كانَ بَعْدَهُ فهُو مُسْتَقْبَلٌ بِالإضافةِ إلَيْهِ، وكَذَلِكَ في مَسْألَتِنا الحُزْنُ وسُوءُ الحالِ الّذِي هُو مَفْعُولٌ لـ«تَرى»، وإنْ كانَ غَيْرَ مَذْكُورٍ في اللَّفظ، فهو بعدَ وقتِ الوُقوف، فوقتُ الوُقُوفِ ماضٍ بِالإضافةِ إلَيْهِ، وإذا لَمْ يَكُنْ [ثَمَّ][1] بُدٌّ مِنْ حَذْفٍ، فكَذَلِكَ نُقَدِّرُ حَذْفًا في قَوْلِهِ عز وجل: ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ ﴾ [الأحقاف: ١١] ونحوه؛ لأنّها وإنْ كانت بمعنى: «أن»، فلا بدَّ لَها مِنْ تَعَلُّقٍ؛ كَأنّهُ[2] قالَ: جُزِيتُمْ بِهَذا مِنْ أجْلِ أنْ ظَلَمْتُمْ، أوْ[3] مِنْ أجْلِ أنْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ضَلّوا.

وذكرَ[4] في نِساءِ بَنِي جَحْشٍ: جُدامةَ بِنْتَ جَنْدَلٍ، وأحْسَبُهُ أرادَ: جُدامةَ بِنْتَ وهْبِ بنِ مِحْصَنٍ، وهِيَ المَذْكُورةُ في حَدِيثِ الرّضاعِ في «المُوطَّأ»[5]،

(١) ما بين المعقوفين ليس في: (ف)، (ب)، (ج).

(٢) في (ف): «فكأنه».

(٣) في (ف): «و».

(٤) انظر «السيرة» (٤: ١٠٢). (ج)

(٥) «الموطأ»، كتاب الرضاع: (٢: ٦٠٧-٦٠٨).

وقالَ فيها خَلَفُ بنُ هِشامِ البَزّارُ[١]: جُذامةُ بالذّالِ المَنْقُوطةِ، هَكَذا ذكرَ[٢] عنه مُسْلِمُ بنُ الحَجّاجِ[٣]. والمَعْرُوفُ: جُدامةُ بِالدّالِ، وقد يُقالُ فيها[٤]: جُدّامةُ بالتشديد، والجُدّامةُ: قَصَبُ الزَّرْعِ.

وأمْلى عَلَيْنا أبو بَكْرٍ الحافِظُ، وكَتَبْتُ[٥] عنه بِخَطِّ يَدِي[٦]، قالَ:

حدَّثنا المُبارَكُ بنُ عَبْدِ الجَبّارِ، عَنْ أَبِي إسْحاقَ البَرْمَكِيّ، عَنْ مُحَمّدِ بنِ زَكَرِيّا بنِ حيّويْهِ، عَنْ أَبِي عُمَرَ الزّاهِدِ المُطَرِّزِ، قالَ: الجَدّامةُ بِتَشْدِيدِ الدّالِ: طَرَفُ السّعَفةِ، وبِهِ سُمِّيَت المَرْأةُ.

وكانَتْ جُدامةُ بِنْتُ وهْبٍ تَحْتَ أُنَيْسِ بنِ قَتادةَ الأنْصارِيّ، وأمّا جُدامةُ بِنْتُ جَنْدَلٍ، فلا تُعْرَفُ في آلِ جَحْشٍ الأسَدِيِّينَ، ولا في غَيْرِهِمْ، فلَعَلّهُ[٧] وهْمٌ وقَعَ في الكِتابِ، وأنّها بِنْتُ وهبِ بنِ مِحصَنٍ بنتُ أخي عُكّاشةَ بنِ مِحْصَنٍ؛ كما قَدّمْنا[٨]، واللهُ أعْلَمُ.

---

(١) هو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البغدادي البزار المقرئ، توفي (٢٢٩ هـ). «تهذيب الكمال» (٨: ٢٩٩). (ج)

(٢) في (ف): «ذكره».

(٣) «مسلم»، كتاب النكاح: (٣: ١٠٦٦).

(٤) بعده في (ف): «أيضًا».

(٥) في (ف): «وكتبته».

(٦) انظر إلى قول السهيلي: «وكتبتُ عنه [يعني: عن شيخه أبي بكر بن العربي] بخطِّ يدي، والمعروف: أنَّ السهيلي كان ضريرًا». وقد حقّقنا هذا الأمر في المقدمة.
[قلنا: لم تصلنا مقدمة المحقق رحمه الله (ج)].

(٧) في (ف): «ولعله».

(٨) ذكره ابن هشام في شهداء خيبر: (٢: ٣٤٣)، على أنه في المطبوعة: «ثقيف بن عمرو» وهو خطأ، فليس في الصحابة من يُدعى: ثقيفًا. وانظر: «أسد الغابة» (١: ٢٩٣).

وذكرَ[١] في بَنِي أَسَدٍ: ثَقْفَ بنَ عَمْرو، ويُقالُ فيهِ: ثِقافٌ، شَهِدَ هُو وأَخُوهُ مِدْلاجٌ بَدْرًا، وقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا. وقالَ مُوسى بنُ عُقْبَةَ: قُتِلَ يَوْمَ خَيْبَرَ، قَتَلَهُ أُسَيْرٌ اليَهُودِيّ.

وذكرَ[٢] فيهِمْ: أُمَّ حَبِيبِ بِنْتَ ثُمامةَ، وهِيَ مِمّا أَغْفَلَهُ أبو عُمَرَ في كِتابِ «الصحابة»[٣]، وأَغْفَلَ أَيْضًا ذِكْرَ تمّامِ بنِ عُبَيْدَةَ، وهُو مِمّنْ ذكرَهُ ابنُ إسْحاقَ في هذه الجملةِ المذكورين مِن بني أَسدٍ.

وذكرَ[٤] ابنُ إسْحاقَ[٥] في هَذِهِ الجُمْلةِ أَرْبَدَ بنَ جُمَيْرَةَ الأَسَدِيَّ بِالجِيمِ، وقالَهُ ابنُ هِشامٍ: حُمَيْرةُ بِالحاءِ، ورَواهُ إبْراهِيمُ بنُ سَعْدٍ عَنِ ابنِ إسْحاقَ بِخِلافِ ما رَواهُ البَكّائِيُّ وابنُ هِشامٍ، فقالَ فيهِ: ابنُ حُمَيّرٍ بِتَشْدِيدِ الياءِ؛ كَأنّهُ تَصْغِيرُ حِمارٍ[٦].

وذكرَ[٧] فيهِمْ مُحْرِزَ بنَ نَضْلَةَ، ولَمْ يَرْفَعْ نَسَبَهُ، وهُو ابنُ نَضْلةَ بنِ عبدِ اللهِ ابنِ مُرّةَ بنِ كبيرِ بنِ غَنْمِ بنِ دُودانَ بنِ أَسَدٍ، قُتِلَ في غَزْوةِ ذِي قَرَدٍ، وكانَ قد شَهِدَ بَدْرًا، وكانَ يُعْرَفُ بِالأَخْرَمِ، ويُلَقّبُ: فُهَيْرةَ، وقالَ فيهِ مُوسى بنُ عقبةَ: مُحْرِزُ بن وهْبٍ، ولَمْ يَقُلِ: ابنُ نَضْلةَ[٨].

---

(١) انظر «السيرة» (٤ : ١٠٢). (ج)

(٢) انظر «السيرة» (٤ : ١٠٢). (ج)

(٣) كُنى النساء في «الاستيعاب» (باب الحاء في الجزء الرابع ١٩٢٨-١٩٣٤).

(٤) عن حاشية (أ): «وقد ذكر».

(٥) انظر «السيرة» (٤ : ١٠٢). (ج)

(٦) «الاستيعاب» (١ : ١٣٧)، وترجمته فيه: «أربد بن حُمَيْر»، وقد تكون حُمَيِّر، ذكره إبراهيم ابن سعد عن ابن إسحاق فيمن هاجر إلى المدينة.

(٧) انظر «السيرة» (٤ : ١٠٢). (ج)

(٨) «الاستيعاب» (٣: ١٣٦٤-١٣٦٥). وانظر: «الدرر في اختصار المغازي والسير» لابن عبدالبر: (ص: ١٩٨-١٩٩).

وذكرَ[١] ابنُ إسْحاقَ أيْضًا يَزِيدَ بنَ رُقَيْشٍ، وبَعْضُهُمْ يَقُولُ فيهِ: أرْبَدُ، ولا يَصِحّ، وهُو ابنُ رُقَيْشِ بنِ رِئابِ بنِ يَعْمَرَ بنِ كُبَيْرِ بنِ غَنْمِ بنِ دُودانَ.

وذكر[٢] فيهم: قيسَ بنَ جابرٍ الأسديَّ، وهو مما أغفلَهُ أبو عمر أيضًا في كتاب «الصَّحابة»[٣].

وذكرَ[٤] فيهِمْ رَبِيعةَ بنَ أكْثَمَ، ولَمْ يَنْسُبْهُ، وهُو ابنُ أكثمَ بنِ سَخْبرةَ بنِ عمرِو بنِ لُغَيز[٥] بنِ عامِرِ بنِ غَنْمِ بنِ دُودانَ بنِ أسَدٍ، يُكَنّى: أبا يَزِيدَ، وكانَ قَصِيرًا دَحْداحًا، قُتِلَ يَوْمَ خَيْبَرَ بِالنَّطاةِ[٦]، قَتَلَهُ الحارِثُ اليهوديُّ.

❊ ❊ ❊

(١) انظر «السيرة» (٤: ١٠٢). (ج)

(٢) انظر «السيرة» (٤: ١٠٢). (ج)

(٣) باب قَيْس في «الاستيعاب»: الجزء الثالث من (ص: ١٢٨٤ إلى ١٣٠٢).

(٤) انظر «السيرة» (٤: ١٠٢). (ج)

(٥) كذا في الأصول، والسهيلي ناقل عن أبي عمر في «الاستيعاب»، ففيه: «لغيز» كما قال ابن الأثير في «أسد الغابة» (٢: ٢٠٨).

(٦) النطاة: أحد حصون خيبر كما قال ابن الأثير في ترجمته، والزمخشري كما في «معجم البلدان» (نطاة).

[هِجْرةُ عُمَرَ وقِصّةُ عَيّاشٍ مَعَهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ خَرَجَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ، وعَيّاشُ بنُ أبي رَبِيعةَ المَخْزُومِيُّ، حَتّى قَدِما المَدِينةَ. فحَدَّثَنِي نافِعٌ مَوْلى عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ، عَنْ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ، عَنْ أبيهِ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ، قالَ: اتَّعَدْتُ، لَمّا أرَدْنا الهِجْرةَ إلى المَدِينةِ، أنا وعَيّاشُ بنُ أبي رَبِيعةَ، وهِشامُ بنُ العاصِي بنِ وائِلٍ السَّهْمِيُّ التَّناضُبَ مِنْ أضاةِ بَنِي غِفارٍ، فوْقَ سَرِفٍ، وقُلْنا: أيُّنا لَمْ يُصْبِحْ عِنْدَها فقَدْ حُبِسَ فلْيَمْضِ صاحِباهُ.

قالَ: فأصْبَحْتُ أنا وعَيّاشُ بنُ أبي رَبِيعةَ عِنْدَ التَّناضُبِ، وحُبِسَ عَنّا هِشامٌ، وفُتِنَ فافْتَتَنَ.

[تَغْرِيرُ أبي جَهْلٍ والحارِثِ بِعَيّاشٍ]

فَلَمّا قَدِمْنا المَدِينةَ نَزَلْنا في بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ بقُباءٍ، وخَرَجَ أبو جَهْلِ ابنُ هِشامٍ والحارِثُ بنُ هِشامٍ إلى عَيّاشِ بنِ أبي رَبِيعةَ، وكانَ ابنَ عَمِّهِما وأخاهُما لِأُمِّهِما، حَتّى قَدِما عَلَيْنا المَدِينةَ، ورَسُولُ الله ﷺ بِمَكّةَ، فكَلَّماهُ وقالا: إنَّ أُمَّكَ قَدْ نَذَرَتْ ألّا يَمَسَّ رَأْسَها مُشْطٌ حَتّى تَراكَ، ولا تَسْتَظِلَّ مِنْ شَمْسٍ حَتّى تَراكَ. فرَقَّ لَها، فقُلْتُ لَهُ: يا عَيّاشُ، إنَّهُ واللهِ إنْ يُرِيدُكَ القَوْمُ إلّا لِيَفْتِنُوكَ عَنْ دِينِكَ، فاحْذَرْهُمْ، فواللهِ لَوْ قَدْ آذى أُمَّكَ القَمْلُ لامْتَشَطَتْ، ولَوْ قَدِ اشْتَدَّ عَلَيْها حَرُّ مَكّةَ لاسْتَظَلَّتْ. قالَ: فقالَ: أبَرُّ قَسَمَ أُمِّي، ولِي هُنالِكَ مالٌ فآخُذُهُ.

قالَ: فقُلْتُ: واللهِ إنَّكَ لَتَعْلَمُ أنِّي لَمِنْ أكْثَرِ قُرَيْشٍ مالًا، فلَكَ نِصْفُ مالِي ولا تَذْهَبْ مَعَهُما. قالَ: فأبى عَلَيَّ إلّا أنْ يَخْرُجَ مَعَهُما، فلَمّا أبى إلّا ذلك، قالَ: قُلْتُ لَهُ: أما إذْ قَدْ فعَلْتَ ما فعَلْتَ، فخُذْ ناقَتِي هَذِهِ، فإنَّها ناقةٌ نَجِيبةٌ ذَلولٌ، فالزَمْ ظَهْرَها، فإنْ رابَكَ مِنَ القَوْمِ رَيْبٌ، فانْجُ عَلَيْها.

فَخَرَجَ عَلَيْها مَعَهُما، حَتّى إذا كانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قالَ لَهُ أبو جَهْلٍ: يا ابن أخِي، واللهِ لَقَدِ اسْتَغْلَظْتُ بَعِيرِي هذا، أفَلا تُعْقِبُنِي على ناقَتِكَ هَذِهِ؟ قالَ: بَلى. قالَ: فأناخَ، وأناخا لِيَتَحَوَّلَ عَلَيْها، فلَمّا اسْتَوَوْا بِالأرْضِ عَدَوا عَلَيْهِ، فأوْثَقاهُ ورَبَطاهُ، ثُمَّ دَخَلا بِهِ مَكّةَ، وفَتَناهُ فافْتَتَنَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي بِهِ بَعْضُ آلِ عَيّاشِ بنِ أبي رَبِيعةَ: أنَّهُما حَيْنَ دَخَلا بِهِ مَكّةَ دَخَلا بِهِ نَهارًا مُوثَقًا، ثُمَّ قالا: يا أهْلَ مَكّةَ، هَكَذا فافْعَلُوا بِسُفَهائِكُمْ كَما فعَلْنا بِسَفيهِنا هذا.

هِجْرةُ عُمَرَ وعَيّاشٍ[1]

ذكرَ فيها تَواعُدَهُم التَّناضِبَ ـ بِكَسْرِ الضّادِ ـ كَأنَّهُ جَمْعُ تَنْضُبٍ، وهُو ضَرْبٌ مِن الشَّجَرِ تَأْلَفُهُ الحِرْباءُ. قالَ الشّاعِرُ[2]: [من البسيط]

أنّى أُتِيحَ لَهُ حِرْباءُ تَنْضُبةٍ ... لا يُرْسِلُ السّاقَ إلّا مُمْسِكًا ساقا

ويُقالُ لِثَمَرِهِ: الهُمَّقِعُ، وهُو فُنْعَلِلٌ، انْدَغَمَتِ النّونُ في المِيمِ [إذ ليسَ في

(١) من هنا تبدأ نسخة حيدر آباد، وهي تشمل جزأين الثاني والثالث، وقد رمزت لها بالحرف (ص).

(٢) البيت لأبي دؤاد الإيادي في «ديوانه» (ص: ٢٣٦). (ج)

الأسماءِ فُعَّلِلٌ][1]، وظاهِرُ قَوْلِ سِيبَوَيْهِ[2]: أنّهُ فُعَّلِلٌ وأنّهُ مِمّا لَحِقَتْهُ الزِّيادةُ بالتَّضْعِيفِ، والقَوْلُ الأوّلُ يُقَوِّيهِ أنّه مِثْلُ[3]: الهُنْدَلِعِ، وهُو نَبْتٌ، ويُتّخَذُ مِنْ هَذا الشّجَرِ القِسِيُّ؛ كَما يُتّخَذُ مِنَ النّبْعِ والشَّوْحَطِ والشِّرْيانِ[4] والسَّراءِ[5] والأشْكَلِ. ودُخانُ التّنْضُبِ أبيضُ[6]، ذكَرَهُ أبو حَنِيفةَ في «النّباتِ»[7]. وقالَ الجَعْدِيُّ[8]: [من المتقارب]

كَأنّ الغُبـارَ الّـذِي غـادَرَتْ ... [ضُحَيًّا دَواخِنُ مِنْ تَنْضُبِ][9]

شَبّهَ الغُبارَ بِدُخانِ التّنْضُبِ؛ لِبَياضِهِ. وقالَ آخر[10]: [من الطويل]

وهَلْ أشْهَدَنْ خَيْلًا كَأنّ غُبارَها ... بِأسْفَلَ عِلْكَدٍّ دَواخِنُ تَنْضُبِ

وأضاةُ بَنِي غِفارٍ على عَشَرةِ أمْيالٍ مِنْ مَكّةَ. والأضاةُ[11]: الغَدِيرُ؛ كَأنّها

---

(١) ما بين المعقوفين ليس في: (ف)، (أ)، (ب)، (ص).

(٢) «الكتاب» (٤: ٢٩٨، ٣٢٩، ٣٣٠).

(٣) في (ف)، (أ)، (ب): «أن مثله».

(٤) الشِّرْيان: بفتح الشين وكسرها. وفي «اللسان» عن المبرد: «النبع والشوحط والشريان شجرة واحدة، ولكنها تختلف أسماؤها، وتكرم بمنابتها، فما كان منها في قُلّةِ جبل فهو النبع، وما كان في سفحه فهو الشريان، وما كان في الحضيض فهو الشوحط».

(٥) كذا في (أ)، (ص)، وفي غيرهما: الشراء. والسَّراء: من شجر الجبال؛ كما في «المخصص» (١١: ١٤١). وفي «تاج العروس»: السَّراء كسَماء: شجر تُتَّخذُ منه القِسيُّ.

(٦) في (ص): «ودخان التنضب شديد البياض».

(٧) «النبات» (ص: ١٥٤).

(٨) «ديوانه» (ص: ٣٣)، و«النبات» (ص: ١٥٤)، و«اللسان» (دخن، نضب).

(٩) ما بين المعقوفين ليس في (ب).

(١٠) هو عقيل بن عُلَّفة المُرِّي، والبيت في «النبات» (ص: ١٥٤).

(١١) في (ب): «وأضاءة والأضاءة ووضاءة».

مَقْلُوبٌ مِنْ «وَضْأَةٍ» على وزْنِ فَعْلةٍ، واشْتِقاقُهُ مِن الوضاءةِ بالمَدِّ وهِيَ النّظافةُ؛ لِأنّ الماءَ يُنَظِّفُ، وجَمْعُ الأضاةِ: إضاءٌ، قالَ النّابغةُ[1]: [من الطويل]

وهُنّ إضاءٌ صافياتُ الغَلائِلِ

وهَذا الجَمْعُ يَحْتَمِلُ أنْ يَكُونَ غَيْرَ مَقْلُوبٍ، فتَكُونَ الهَمْزةُ بَدَلًا مِن الواوِ المَكْسُورةِ في «وضاءٍ»، وقِياسُ الواوِ المَكْسُورةِ يقْتَضِي الهَمْزَ على أصْلِ الاشْتِقاقِ، ويَكُونُ الواحِدُ مَقْلُوبًا[2]؛ لأنّ الواوَ المَفْتُوحةَ لا تُهْمَزُ، مَعَ أنّ لامَ الفِعْلِ غَيْرُ هَمْزةٍ، وقد يَجُوزُ أنْ يَكُونَ الجَمْعُ أيضًا مَحْمُولًا على الواحِدِ فيكُونَ مَقْلُوبًا مِثْلَهُ، ويُقالُ: أضاءةٌ بالمَدّ، وقد تُجْمَعُ أضاةٌ[3] على: إضِينَ، قالَهُ أبو حَنِيفةَ، وأنْشَدَ[4]: [من الوافر]

مَحافِرُها كَأسْرِيةِ الإضِينا

الأسْرِيةُ[5]: جَمْعُ سَرِيٍّ، وهُو الجَدْولُ، ويُقالُ لَهُ أيْضًا: السَّعيد.

* *

---

(١) هو الذبياني، والبيت في «ديوانه»، صنعة: ابن السكيت: (ص: ٧١)، وصدره:

غلِينَ بكَدْيَـوْنٍ وأُبْطِنّ كُرّةً

يصف الدُّروع بأنها طُليت بكَدْيَون، وهو دُردِيُّ الزيت تُجَلّى به الدروع. فشبه صفاء الدروع بهذه الغدران. والغلائل: ثياب تُلبس تحت الدروع.

(٢) أي: وقع فيه قلب مكاني لا إبدالي.

(٣) في (ب): «أضاءة».

(٤) البيت بتمامه للطِّرِمّاح بن حكيم، وهو في «ديوانه» (ص: ٢٨٥)، ونصه:

عَفَـتْ إلا إياصِـرَ أو نُئيّا   محافرها كأسْرِيةِ الإضِينِ

(٥) في (ف): «والأسرية».

[كِتابُ عُمَرَ إلى هِشامِ بنِ العاصِي]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني نافِعٌ، عَنْ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ، عَنْ عُمَرَ في حَدِيثِهِ، قالَ: فكُنّا نَقُولُ: ما اللهُ بِقابِلٍ مِمَّنِ افْتَتَنَ صَرْفًا ولا عَدْلًا ولا تَوْبَةً، قَوْمٌ عَرَفُوا اللهَ، ثُمَّ رَجَعُوا إلى الكُفْرِ لِبَلاءٍ أصابَهُمْ! قالَ: وكانُوا يَقُولُونَ ذلك لِأنْفُسِهِمْ.

فَلَمّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينةَ، أنْزَلَ الله تَعالى فيهِمْ، وفي قَوْلِنا وقَوْلِهِمْ لِأنْفُسِهِمْ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر:٥٣-٥٥].

قالَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ: فكَتَبْتُها بِيَدِي في صَحِيفةٍ، وبَعَثْتُ بِها إلى هِشامِ ابنِ العاصِي، قالَ: فقالَ هِشامُ بنُ العاصِي: فلَمّا أتَتْني جَعَلْتُ أقْرَؤُها بِذِي طُوًى، أُصَعِّدُ بِها فيهِ وأُصَوِّبُ ولا أفْهَمُها، حَتّى قُلْتُ: اللهُمَّ فهِّمْنِيها. قالَ: فألْقى الله تَعالى في قَلْبِي أنَّها إنَّما أُنْزِلَتْ فينا، وفيما كُنّا نَقُولُ في أنْفُسِنا ويُقالُ فينا. قالَ: فرَجَعْتُ إلى بَعِيرِي، فجَلَسْتُ عَلَيْهِ، فلَحِقْتُ بِرَسُولِ الله ﷺ وهُوَ بِالمَدِينةِ.

[خُرُوجُ الوَلِيدِ بنِ الوَلِيدِ إلى مَكّةَ في أمْرِ عَيّاشٍ وهِشامٍ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: فحَدَّثَنِي مَنْ أثِقُ بِهِ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ وهُوَ بِالمَدِينةِ: «مَنْ لِي بِعَيّاشِ بنِ أبي رَبِيعةَ، وهِشامِ بنِ العاصِي؟» فقالَ الوَلِيدُ بنُ الوَلِيدِ ابنِ المُغِيرةِ: أنا لَكَ يا رَسُولَ الله بِهِما. فخَرَجَ إلى مَكّةَ، فقَدِمَها مُسْتَخْفِيًا، فلَقِيَ امْرَأةً تَحْمِلُ طَعامًا، فقالَ لَها: أيْنَ تُرِيدِينَ يا أمةَ الله؟ قالَتْ: أُرِيدُ هَذَيْنِ المَحْبُوسَيْنِ. تَعْنِيهِما، فتَبِعَها حَتّى عَرَفَ مَوْضِعَهُما، وكانا مَحْبُوسَيْنِ في بَيْتٍ لا سَقْفَ لَهُ، فلَمّا أمْسى تَسَوَّرَ عَلَيْهِما، ثُمَّ أخَذَ مَرْوةً فوَضَعَها تَحْتَ قَيْدَيْهِما، ثُمَّ ضَرَبَهُما بِسَيْفِهِ فقَطَعَهُما، فكانَ يُقالُ لِسَيْفِهِ: «ذُو المَرْوةِ» لِذلك، ثُمَّ حَمَلَهُما على بَعِيرِهِ، وساقَ بِهِما، فعَثَرَ فدَمِيَتْ أُصْبُعُهُ، فقالَ:

هَلْ أنْتِ إلّا أُصْبُعٌ دَمِيتِ وفي سَبِيلِ الله ما لَقِيتِ؟

ثُمَّ قَدِمَ بِهِما على رَسُولِ الله ﷺ المَدِينةَ.

مَنازِلُ المُهاجِرِينَ بِالمَدِينةِ

[مَنْزِلُ عُمَرَ وأخِيهِ وابنَي سُراقةَ وبَنِي البُكَيرِ وغَيْرِهِمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ونَزَلَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ حَيْنَ قَدِمَ المَدِينةَ ومَنْ لَحِقَ بِهِ مِنْ أهْلِهِ وقَوْمِهِ، وأخُوهُ زَيْدُ بنُ الخَطّابِ، وعَمْرٌو وعَبْدُ الله ابنا سُراقةَ ابنِ المُعْتَمِرِ وخُنَيْسُ بنُ حُذافةَ السَّهْمِيُّ، وكانَ صِهْرَهُ على ابنَتِهِ حَفْصةَ بِنْتِ عُمَرَ، فخَلَفَ عَلَيْها رَسُولُ الله ﷺ بَعْدَهُ وسَعِيدُ بنُ زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ نُفيلٍ، وواقِدُ بنُ عَبْدِ اللهِ التَّمِيمِيُّ، حَلِيفٌ لَهُمْ، وخَوْلِيُّ بنُ أبي خَوْلِيٍّ، ومالِكُ بنُ أبي خَوْلِيٍّ، حَلِيفانِ لَهُمْ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: أبو خَوْلِيٍّ: مِنْ بَنِي عِجْلِ بنِ لُجَيْمِ بنِ صَعْبِ بنِ عَلِيِّ ابنِ بَكْرِ بنِ وائِلٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وبَنُو البُكَيْرِ أرْبَعَتُهُمْ: إياسُ بنُ البُكَيْرِ، وعاقِلُ بنُ البُكَيْرِ، وعامِرُ بنُ البُكَيْرِ، وخالِدُ بنُ البُكَيْرِ، وحُلَفاؤُهُمْ مِنْ بَنِي سَعْدِ بنِ لَيْثٍ، على رِفاعةَ بنِ عَبْدِ المُنْذِرِ بنِ زَنْبَرٍ، في بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ بقُباءٍ، وقَدْ كانَ مَنْزِلُ عَيّاشِ بنِ أبي رَبِيعةَ مَعَهُ عَلَيْهِ حَيْنَ قَدِما المَدِينةَ.

فَصْلٌ

وذكرَ نُزُولَ الآيةِ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٥٣] الآيةَ في المستضعَفِين بمكة، وقول هشام بن العاصِي: فجاءتْنِي وأنا بذِي طُوًى. ذُو[١] طُوًى مَقْصُورٌ: مَوْضِعٌ بأسْفَلِ مَكّةَ، ذُكِرَ أنّ آدَمَ عليه السلام لَمّا أُهْبِطَ إلى الهِنْدِ، ومَشى إلى مَكّةَ، وجدَ المَلائِكةَ تَنْتَظِرُهُ بذِي طُوًى، وأنّهُمْ قالُوا لَهُ: يا آدمُ، ما زلنا نَنْتَظِرُك ههُنا مُنْذُ ألْفَيْ سَنةٍ. ورُوِيَ أنّ آدَمَ كانَ إذا أتى البَيْتَ خَلَعَ نَعْلَيْهِ بذِي طُوًى.

وأمّا ذُو طُواءٍ بالمَدّ، فمَوْضِعٌ آخَرُ بَيْنَ مَكّةَ والطّائِفِ، هَكَذا ذكَرَهُ البَكْرِيّ[٢]، وأمّا طُوًى بِضَمِّ الطّاءِ والقَصْرِ المَذْكُورُ في التّنْزِيلِ[٣]، فهُو بالشّامِ، اسْمٌ لِلْوادِي المُقَدَّسِ، وقد قِيلَ: لَيسَ بِاسْمٍ لَهُ، وإنّما هُو مِنْ صِفةِ التّقْدِيسِ؛ أيِ: المُقَدَّس مَرّتَيْنِ.

---

(١) في (أ): «وذو طوى»، وفي (ص): «وطوى مقصور».

(٢) «معجم ما استعجم» (٣: ٨٩٧).

(٣) ﴿ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [طه: ١٢].

[مَنْزِلُ طَلْحةَ وصُهَيْبٍ]

ثُمَّ تَتابَعَ المُهاجِرُونَ، فنَزَلَ طَلْحةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ بنِ عُثْمانَ، وصُهَيْبُ ابنُ سِنانٍ على خُبَيْبِ بنِ إسافٍ، أخِي بَلْحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ بِالسُّنْحِ. ويُقالُ: بَلْ نَزَلَ طَلْحةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ على أسْعَدَ بنِ زُرارةَ، أخِي بَنِي النَّجّارِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وذُكِرَ لِي عَنْ أبِي عُثْمانَ النَّهْدِيِّ، أنَّهُ قالَ: بَلَغَنِي أنَّ صُهَيْبًا حَيْنَ أرادَ الهِجْرةَ قالَ لَهُ كُفّارُ قُرَيْشٍ: أتَيْتَنا صُعْلُوكًا حَقِيرًا، فكَثُرَ مالُكَ عِنْدَنا، وبَلَغْتَ الَّذي بَلَغْتَ، ثُمَّ تُرِيدُ أنْ تَخْرُجَ بِمالِكَ ونَفْسِكَ، واللهِ لا يَكُونُ ذلك، فقالَ لَهُمْ صُهَيْبٌ: أرَأَيْتُمْ إنْ جَعَلْتُ لَكُمْ مالِي أتُخَلُّونَ سَبِيلِي؟ قالُوا: نَعَمْ. قالَ: فإنِّي جَعَلْتُ لَكُمْ مالِي. قالَ: فبَلَغَ ذلك رَسُولَ اللهِ ﷺ، فقالَ: رَبِحَ صُهَيْبٌ، رَبِحَ صُهَيْبٌ.

فَصْلٌ

وذكَرَ نزولَ طلحةَ وصُهيبٍ على خُبَيبِ بنِ إساف، ويُقالُ فيهِ: يَسافٌ بياءٍ مَفْتُوحةٍ في غَيْرِ رِوايةِ الكِتابِ[١]، وهُو إسافُ بنُ عِنبةَ[٢]، ولَمْ يكنْ في حِينِ نُزُولِ المُهاجِرينَ عَلَيْهِ مُسْلِمًا في قَوْلِ الواقِدِيّ، بَلْ تَأَخّرَ إسْلامُهُ حتّى خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى بَدْرٍ. قالَ خُبَيْبٌ: فخَرَجْتُ مَعَهُ أنا ورَجُلٌ مِنْ قَوْمِي، وقُلْنا لَهُ: نَكْرَهُ أنْ يَشْهَدَ قَوْمُنا مَشْهَدًا لا نَشْهَدُهُ مَعَهُمْ، فقالَ: «أسْلَمْتُما؟» فقُلْنا: لا، فقالَ: «ارْجِعا؛ فإنّا لا نَسْتَعِينُ بِمُشْرِكٍ»[٣].

(١) انظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (٢: ٦١٩-٦٣٠).

(٢) في (ف)، (د): «عتبة»، والصواب من (أ)، (ب)، والمرجع السابق، و«أسد الغابة» (٢: ١١٩).

(٣) أخرجه ابن الأثير في «أسد الغابة» (٢: ١١٩).

وخُبَيْبٌ هُو الّذِي خُلِّفَ على بِنْتِ خارِجَةَ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ الصّدّيقِ رضي الله عنه، واسْمُها: حَبِيبةُ، وهِيَ الّتِي يَقُولُ فيها أبو بَكْرٍ عِنْدَ وفاتِهِ: ذُو بَطْنِ بِنْتِ خارِجَةَ أُراها جارِيةً. فهِيَ: بِنْتُ خارِجَةَ بنِ أَبِي زُهَيْرٍ، والجارِيةُ: أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، ماتَ خُبَيْبٌ في خِلافةِ عُثْمانَ، وهُو جَدُّ خُبَيْبِ بنِ عَبْدِ الرّحْمَنِ، الّذِي يَرْوِي عنه مالِكٌ في «مُوطّئِهِ»[1].

[مَنْزِلُ حَمْزةَ وزَيْدٍ وأبِي مَرْثَدٍ وابنِهِ وأنَسةَ وأبِي كَبْشةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ونَزَلَ حَمْزةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلَبِ، وزَيْدُ بنُ حارِثَةَ، وأبو مَرْثَدٍ كَنّازُ بنُ حِصْنٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: ابنُ حُصَيْنٍ وابنُهُ مَرْثَدٌ الغَنَوِيّانِ، حَلِيفا حَمْزةَ ابنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وأنَسةُ، وأبو كَبْشةَ، مَوْلَيا رَسُولِ اللهِ ﷺ، على كُلْثُومِ بنِ هِدْمٍ، أخِي بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ بقُباءٍ، ويُقالُ: بَلْ نَزَلُوا على سَعْدِ بنِ خَيْثمةَ، ويُقالُ: بَلْ نَزَلَ حَمْزةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ على أسْعَدَ بنِ زُرارةَ، أخِي بَنِي النَّجّارِ. كُلُّ ذلك يُقالُ.

[مَنْزِلُ عُبَيْدةَ وأخِيهِ الطَّفيلِ وغَيْرِهِما]

وَنَزَلَ عُبَيْدةُ بنُ الحارِثِ بنِ المُطَّلِبِ، وأخُوهُ الطُّفيلُ بنُ الحارِثِ، والحُصَيْنُ بنُ الحارِثِ، ومِسْطَحُ بنُ أُثاثَةَ بنِ عَبّادِ بنِ المُطَّلِبِ، وسُوَيْبِطُ بنُ سَعْدِ بنِ حُرَيْمِلةَ، أخُو بَنِي عَبْدِ الدّارِ، وطُلَيْبُ بنُ عُمَيْرٍ، أخُو بَنِي عَبْدِ بنِ

---

(١) «الموطأ»، كتاب الأقضية: (٢: ٧٥٢). وانظر: «أمالي السهيلي» (ص: ١١٢)، فقد ذكر فيها السهيلي رواية تنوين «بطن»، روى عنه حديث: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة». «الموطأ» (١: ١٩٧).

قُصَيٍّ، وخَبّابٌ، مَوْلى عُتْبَةَ بنِ غَزْوانَ، على عَبْدِ الله بنِ سَلَمَةَ، أخِي بَلْعَجْلانَ بقُباءٍ.

[مَنْزِلُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ]

وَنَزَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ في رِجالٍ مِنَ المُهاجِرِينَ على سَعْدِ بنِ الرَّبِيعِ أخِي بَلْحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، في دارِ بَلْحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ.

[مَنْزِلُ الزُّبَيْرِ وأبي سَبْرَةَ]

وَنَزَلَ الزُّبَيْرُ بنُ العَوّامِ، وأبو سَبْرَةَ بنُ أبي رُهْمِ بنِ عَبْدِ العُزّى، على مُنْذِرِ ابنِ مُحَمَّدِ بنِ عُقْبَةَ بنِ أُحَيْحَةَ بنِ الجُلاحِ بِالعُصْبَةِ، دارِ بَنِي جَحْجَبى.

[مَنْزِلُ مُصْعَبٍ]

وَنَزَلَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرِ بنِ هاشِمٍ، أخُو بَنِي عَبْدِ الدّارِ على سَعْدِ بنِ مُعاذِ بنِ النُّعْمانِ، أخِي بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ، في دارِ بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ.

وذكرَ أَنَسةَ وأبا كَبْشَةَ في الّذِينَ نَزَلُوا على كُلْثُوم بنِ الهِدْمِ، فأمّا أَنَسةُ مَوْلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فهُو مِنْ مُوَلَّدِي السَّراةِ، ويُكَنّى: أبا مَسْرُوحٍ، وقِيلَ: أبا مِسْرَحٍ[1]، شَهِدَ بَدْرًا والمَشاهِدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، وماتَ في خِلافةِ أبي بَكْرٍ[2]. وأبو كَبْشَةَ اسْمُهُ: سُلَيْمٌ، يُقالُ[3]: إنّهُ مِنْ فارِسَ، ويُقالُ: مِنْ مُوَلَّدِي أَرْضِ دَوْسٍ، شَهِدَ بَدْرًا والمَشاهِدَ كُلَّها مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وماتَ في خِلافةِ

(١) في (أ): «مشرح»، وفي (ب): «مشروح»، وفي «تبصير المنتبه» (٤: ١٢٩١): «كنيته: أبو مِسْرَح، وقيل: أبو مسروح. وهو المحفوظ».

(٢) «أسد الغابة» (١: ١٥٦).

(٣) في (ف): «ويقال».

عُمَرَ في اليَوْمِ الّذِي وُلِدَ فيهِ عُرْوةُ بنُ الزُّبَيْرِ[١].

وأمّا الّذِي كانَتْ كُفّارُ قُرَيْشٍ تَذْكُرُهُ وتَنْسُبُ النّبيّ ﷺ إلَيْهِ، وتَقُولُ: قالَ ابنُ أَبِي كَبْشَةَ، وفَعَلَ ابنُ أَبِي كَبْشَةَ، فقِيلَ[٢] فيهِ أَقْوالٌ؛ قِيلَ: إنّها كُنْيَةُ أَبِيهِ[٣] لِأُمِّهِ وهْبِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ، وقيل: كُنية أبيه مِن الرَّضاعةِ الحارِثِ بنِ عَبْدِ العُزّى، وقِيلَ: إنّ سَلْمى أُمَّ عَبدِ المُطّلِبِ كانَ يُكَنّى أبوها: أبا كَبْشةَ، وهُو عَمْرُو بنُ لَبيدٍ، وأشْهَرُ مِنْ هَذِهِ الأقْوالِ كُلِّها عِنْدَ النّاسِ: أنّهُمْ شَبّهُوهُ بِرَجُلٍ كانَ يَعْبُدُ الشِّعْرى وحْدَهُ دُونَ العَرَبِ، فنَسَبُوهُ إلَيْهِ؛ لِخُرُوجِهِ عَنْ دِينِ قَوْمِهِ.

وذكرَ الدّارَقُطْنِيُّ اسْمَ أَبِي كَبْشَةَ [هذا][٤] في «المؤتلف والمختلف»، فقال: اسمه وَجْزُ بنُ غالِبٍ، وهُو خُزاعِيّ، ثم مِنْ بَنِي غُبْشانَ[٥].

وذكَرَ نُزُولَهُمْ بِقُباءٍ، وهُو مَسْكَنُ بَنِي[٦] عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، وهُو على فرْسَخٍ مِن المَدِينةِ، وهُو يُمَدُّ ويُقْصَرُ، ويُؤَنَّثُ ويُذَكَّرُ، ويُصْرَفُ ولا يُصْرَفُ، وأنْشَدَ أبو حاتِمٍ في صَرْفِهِ[٧]: [من الكامل]

---

(١) «أسد الغابة» (٦: ٢٦١-٢٦٢).

(٢) في (ص): «ففيه أقوال».

(٣) في (ف): «جده».

(٤) ما بين المعقوفين ليس في (ب).

(٥) انظر: «المؤتلف والمختلف» (٤: ١٩٧٠، ٢٢٩١).

(٦) «بني» ليست في (ف).

(٧) البيت لعامر بن الطفيل، «ديوانه» (ص: ٥٥)، وفيه يروى:

فلأبغيَنَّكمُ المــلا وعوارضًا ... ولأوردن الخيلَ لابةَ ضرغدِ

لأبغينكم: لأطلبنكم. قبا وعوارض: جبلان لبني فزارة. واللابة: الحَرّة السوداء، وكذلك: ضَرغد.

فَلَأَبْغِيَنّكُمُ[١] قُبـا وعُوارِضًا ... ولَأُقْبِلَنّ الخَيْـلَ لابةَ ضَرْغَدِ

وكَذَلِكَ أَنْشَدَهُ قاسِمُ بنُ ثابتٍ في «الدّلائِلِ»: «قُبًا» بِضَمّ القافِ وبالباءِ، وهُو عِنْدَ أَهْلِ العَرَبِيّةِ تَصْحِيفٌ مِنْهُما جَمِيعًا، وإنّما هُو كَما أَنْشَدَهُ سِيبَوَيْهِ: قَنًا وعُوارِضًا[٢]؛ لِأَنّ قَنًا جَبَلٌ عِنْدَ عُوارِضَ يُقالُ لَهُ ولِجَبَلٍ آخر معه: قَنَوانِ، وبَيْنَهُما وبَيْنَ قُبا مَسافاتٌ وبِلادٌ، فلا يَصِحُّ أَنْ يُقْرَنَ قُبا[٣] الّذِي عِنْدَ المَدِينةِ مَعَ عُوارِضَ وقَنَوَيْنِ، وكَذلك[٤] قالَ البَكْرِيُّ في «مُعْجَمِ ما اسْتَعْجَمَ»[٥]، وأَنْشَدَ[٦]: [من الرجز]

كَأنّها لَمّا بَـدا عُوارِضُ ... واللّيْلُ بَيْنَ قَنويْنِ رابِضُ

وقُباءٌ: مَأْخُوذٌ مِن القَبْوِ، وهُو الضّمُّ والجَمْعُ، قالَ[٧] أبو حَنِيفةَ، وقالَ: القَوابِي: هُنّ اللّواتِي يَجْمَعْنَ العُصْفُرَ، واحِدَتُهُنّ: قابِيةٌ. قالَ: وأَهْلُ[٨] العَرَبِيّةِ يُسَمُّونَ الضّمّةَ[٩] مِن الحَرَكاتِ: قَبْوًا[١٠]، وأمّا قَوْلُهُمْ: لا والّذِي أَخْرَجَ قُوبًا

---

(١) في النسخ: «ولأبغينكم»، والمثبت عن «الديوان»، و«كتاب سيبويه»، و«معجم البلدان» (عوارض). وهو الأولى والأشبه بسياقة الأبيات في «الديوان».

(٢) «الكتاب» (١: ١٦٣، ٢١٤).

(٣) في (ب): «قباء».

(٤) في (ف): «وكذا».

(٥) (): (٣: ٨٥٨).

(٦) الرجز للشماخ، «ديوانه» (ص: ٤٠٥، ٤٠٦)، وهما فيه البيتان الأول والرابع.

(٧) في (ف): «قاله».

(٨) في (أ): «أهل».

(٩) في: (ف)، (أ)، (ب): «الضم».

(١٠) في «اللسان»: «وأهل المدينة يقولون للضمة: قبوة... وقد قبا الحرف يقبوه: إذا ضَمَّه، والقَبْو: الضم، قال الخليل: نبرة مَقْبُوّة؛ أي: مضمومة».

مِنْ قابيةٍ؛ يَعْنُونَ: الفَرْخَ مِن البَيْضةِ، فمَنْ قال فيه: قابية بتقديم الباء، فهو من القَبْوِ الّذي تقَدّمُ، ومَنْ قالَ فيهِ: قائبة، فهُو مِنْ لَفْظِ القُوبِ؛ لِأنّها تَتَقَوّبُ عنه؛ أيْ: تتَقَشّرُ، قالَ الكُمَيْتُ يَصِفُ النِّساءَ[1]: [من الوافر]

لَهُنّ ولِلْمَشِيبِ ومَنْ عَلاهُ   مِن الأمْثــالِ قائبَةٌ وقُوبُ

وفي حَدِيثِ عُمَرَ: فكانَتْ قائبَةَ قُوبٍ عامَها[2]. يَعْنِي: العُمْرةَ في أشْهُرِ الحَجّ. وقد ذُكِرَ أنّ قُبا اسْمُ[3] بِئْرٍ عُرِفَتْ تلك القَرْيةُ بِها.

[مَنْزِلُ أبي حُذَيْفةَ وعُتْبةَ]

وَنَزَلَ أبو حُذَيْفةَ بنُ عُتْبَةَ بنِ رَبِيعةَ، وسالِمٌ مَوْلى أبي حُذَيْفةَ، قالَ ابنُ هِشامٍ: سالِمٌ مَوْلى أبي حُذَيْفةَ سائِبةٌ، لِثُبَيْتةَ بِنْتِ يَعارِ بن زَيْدِ بنِ عُبَيْدِ بنِ زَيْدِ بنِ مالِكِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفِ بنِ مالِكِ بنِ الأوْسِ، سَيَّبَتْهُ فانْقَطَعَ إلى أبي حُذَيْفةَ بنِ عُتْبةَ بنِ رَبِيعةَ فتَبَنّاهُ، فقِيلَ: سالِمٌ مَوْلى أبي حُذَيْفةَ، ويُقالُ: كانَتْ ثُبَيْتةُ بِنْتُ يَعارٍ تَحْتَ أبي حُذَيْفةَ بنِ عُتْبَةَ، فأعْتَقَتْ سالِمًا سائِبةً.

فَقِيلَ: سالِمٌ مَوْلى أبي حُذَيْفةَ، قالَ ابنُ إسْحاقَ: ونَزَلَ عُتْبةُ بنُ غَزْوانَ ابنِ جابِرٍ على عَبّادِ بنِ بِشْرِ بنِ وقْشٍ أخِي بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ، في دارِ عَبْدِ الأشْهَلِ.

---

(١) «ديوانه» (١: ٧٩).

(٢) «غريب الحديث» للقتبي: (١: ٥٨٥). وكانوا قد أخذوا على عمر أنه حرّمَ العمرة في أشهر الحج، فقال عمر: أجَل، إنكم إن اعتمرتم في أشهر حجّكم رأيتموها مجزئة لكم من حجكم، فقَرِعَ حجكم، فكانت قائبةَ قُوبٍ عامَها... أراد بقَرِعَ حجكم: خلُوَّ أيام الحج من الناس؛ لأنهم إذا رأوا العمرة في أشهر الحج كافيةً من الحج خلت مكة من الحاج، فكانت كبيضةٍ فارقها الفرخ.

(٣) في (ف): «اسم قبا».

[مَنْزِلُ عُثْمانَ]

وَنَزَلَ عُثْمانُ بنُ عَفّانَ على أوْسِ بنِ ثابِتِ بنِ المُنْذِرِ، أخِي حَسّانَ بنِ ثابِتٍ في دارِ بَنِي النَّجّارِ، فلِذلك كانَ حَسّانُ يُحِبُّ عُثْمانَ ويَبْكِيهِ حَيْنَ قُتِلَ.

وَكانَ يُقالُ: نَزَلَ الأعْزابُ مِنَ المُهاجِرِينَ على سَعْدِ بنِ خَيْثمةَ، وذلك أنَّهُ كانَ عَزَبًا، فاللهُ أعْلَمُ أيَّ ذلك كانَ.

هِجْرةُ الرَّسُولِ ﷺ

[تَأخُّرُ عَلِيٍّ وأبي بَكْرٍ في الهِجْرةِ]

وَأقامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكّةَ بَعْدَ أصْحابِهِ مِنَ المُهاجِرِينَ يَنْتَظِرُ أنْ يُؤْذَنَ لَهُ في الهِجْرةِ، ولَمْ يَتَخَلَّفْ مَعَهُ بِمَكّةَ أحَدٌ مِنَ المُهاجِرِينَ إلّا مَنْ حُبِسَ أوْ فُتِنَ، إلّا عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ، وأبو بَكْرِ بنُ أبي قُحافةَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، وكانَ أبو بَكْرٍ كَثِيرًا ما يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللهِ ﷺ في الهِجْرةِ، فيقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَعْجَلْ؛ لَعَلَّ اللهَ يَجْعَلُ لَكَ صاحِبًا»، فيطْمَعُ أبو بَكْرٍ أنْ يَكُونَهُ.

فَصْلٌ

وذكرَ سالِمًا مَوْلى أبي حُذَيْفةَ، الّذِي كانَ أبو حُذَيْفةَ قد تَبَنّاهُ كَما تَبَنّى رَسُولُ اللهِ ﷺ زَيْدًا، وكانَ سائِبَةً؛ أيْ: لا ولاءَ عَلَيْهِ لِأحَدٍ، وذكرَ المَرْأةَ الّتِي أعْتَقَتْهُ سائِبَةً، وهِيَ نُبَيْتةُ[1] بِنْتُ يَعارٍ. وقد قِيلَ في اسْمِها: بُثَيْنةُ، ذكرَهُ أبو

(١) انظر: «المحبّر» لابن حبيب: (ص: ٤١٨).

عُمَرَ(١)، وذكرَ عَن الزُّهْرِيِّ أنّهُ كانَ يَقُولُ فيها: بِنْتُ تَعار، وقالَ ابنُ قتيبةَ في «المَعارِفِ»: اسْمُها سَلْمى(٢)، ويُقالُ في اسْمِها أيْضًا: عَمْرةُ.

وقد أبطل التَّسْيِيبَ في العِتْقِ كَثِيرٌ مِن العُلَماءِ، وجَعَلُوا الولاءَ لِكُلّ مَنْ أعْتَقَ؛ أخْذًا بحَدِيثِ النّبيّ ﷺ في ذَلِكَ(٣)، وحَمْلًا لَهُ على العُموم، ولما رُوِيَ أيضًا عن ابن مَسْعُودٍ أنّهُ قالَ: «لا سائِبَةَ في الإسْلامِ»، ورَأى مالِكٌ مِيراثَ السّائِبَةِ لِجَماعةِ المُسْلِمِينَ، ولَمْ يَرَ ولاءَهُ لِمَنْ سَيّبَهُ؛ فكانَ لِلتَّسَيُّبِ والعِتْقِ عِنْدَهُ حُكْمانِ مُخْتَلِفانِ، [وسالِمٌ هَذا هُو الّذِي أمرَ رسولُ الله ﷺ سَهْلَةَ بِنْتَ سُهَيْلٍ أنْ تُرْضِعَهُ لِيَحْرُمَ عَلَيْها، فأرضعتْهُ وهو ذُو لِحْيةٍ! فَإنْ قِيلَ: كَيْفَ جازَ لَهُ أنْ يَنْظُرَ إلى ثَدْيِها(٤)؟ فقد رُوِيَ في ذَلِكَ أنّها حَلَبَتْ لَهُ في مِسْعَطٍ وشَرِبَ اللّبن، ذكرَ ذلك محمَّدُ بنُ حَبِيب](٥).

* * *

(١) «الاستيعاب» (٤: ١٧٩٨-١٧٩٩).

(٢) «المعارف» (ص: ٢٧٣).

(٣) وهو قوله عليه السلام: «الولاء لمن أعتق»، وهو حديث متفق عليه.

(٤) من هنا وقع سقط في (ب) نحو ورقة، وينتهي عند أول حديث الهجرة.

(٥) ما بين المعقوفين سقط من (ص).

[اجْتِماعُ المَلأِ مِنْ قُرَيْشٍ، وتَشاوُرُهُمْ في أمْرِ الرَّسُولِ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمّا رَأتْ قُرَيْشٌ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ صارَتْ لَهُ شِيعةٌ وأصْحابٌ مِنْ غَيْرِهِمْ بِغَيْرِ بَلَدِهِمْ، ورَأوْا خُرُوجَ أصْحابِهِ مِنَ المُهاجِرِينَ إلَيْهِمْ، عَرَفُوا أنَّهُمْ قَدْ نَزَلُوا دارًا، وأصابُوا مِنْهُمْ مَنَعةً، فحَذِرُوا خُرُوجَ رَسُولِ الله ﷺ إلَيْهِمْ، وعَرَفُوا أنَّهُ قَدْ أجْمَعَ لِحَرْبِهِمْ. فاجْتَمَعُوا لَهُ في دارِ النَّدْوةِ وهِيَ دارُ قُصَيِّ بنِ كِلابٍ الَّتِي كانَتْ قُرَيْشٌ لا تَقْضِي أمْرًا إلّا فيها، يَتَشاوَرُونَ فيها ما يَصْنَعُونَ في أمْرِ رَسُولِ الله ﷺ حَيْنَ خافُوهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي مَنْ لا أتَّهِمُ مِنْ أصْحابِنا، عَنْ عَبْدِ الله بنِ أبي نَجِيحٍ، عَنْ مُجاهِدِ بنِ جُبَيْرٍ أبي الحَجّاجِ، وغَيْرِهِ مِمَّنْ لا أتَّهِمُ، عَنْ عَبْدِ الله ابنِ عَبّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُما، قالَ: لَمّا أجْمَعُوا لِذلك، واتَّعَدُوا أنْ يَدْخُلُوا في دارِ النَّدْوةِ لِيَتَشاوَرُوا فيها في أمْرِ رَسُولِ الله ﷺ، غَدَوْا في اليَوْمِ الَّذي اتَّعَدُوا لَهُ، وكانَ ذلك اليَوْمُ يُسَمّى: يَوْمَ الزَّحْمةِ، فاعْتَرَضَهُمْ إبْلِيسُ في هَيْئةِ شَيْخٍ جَلِيلٍ، عَلَيْهِ بَتْلةٌ، فوَقَفَ على بابِ الدّارِ، فلَمّا رَأوْهُ واقِفًا على بابِها، قالُوا: مَنِ الشَّيْخُ؟ قالَ: شَيْخٌ مِنْ أهْلِ نَجْدٍ، سَمِعَ بِالَّذِي اتَّعَدْتُمْ لَهُ، فحَضَرَ مَعَكُمْ لِيَسْمَعَ ما تَقُولُونَ، وعَسى ألّا يُعْدِمَكُمْ مِنْهُ رَأْيًا ونُصْحًا، قالُوا: أجَلْ، فادْخُلْ، فدَخَلَ مَعَهُمْ، وقَدِ اجْتَمَعَ فيها أشْرافُ قُرَيْشٍ؛ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ: عُتْبَةُ بنُ رَبِيعةَ، وشَيْبَةُ بنُ رَبِيعةَ، وأبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ. ومِنْ بَنِي نَوْفَلِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ: طُعَيْمةُ بنُ عَدِيٍّ، وجُبَيْرُ بنُ مُطْعِمٍ، والحارِثُ بنُ عامِرِ بنِ نَوْفَلٍ.

ومِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ بنِ قُصَيٍّ: النَّضْرُ بنُ الحارِثِ بنِ كَلَدةَ. ومِنْ بَنِي أَسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى: أبو البَخْتَرِيِّ بنُ هِشامٍ، وزَمْعةُ بنُ الأسْوَدِ بنِ المُطَّلِبِ، وحَكِيمُ ابنُ حِزامٍ. ومِنْ بَنِي مَخْزُومٍ: أبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ. ومِنْ بَنِي سَهْمٍ: نُبَيْهٌ ومُنَبِّهٌ ابنا الحَجّاجِ، ومِنْ بَنِي جُمَحٍ: أُمَيّةُ بنُ خَلَفٍ، ومَنْ كانَ مَعَهُمْ وغَيْرُهُمْ مِمَّنْ لا يُعَدُّ مِنْ قُرَيْشٍ.

اجْتِماعُ قُرَيْشٍ لِلتّشاوُرِ في أمْرِ النّبِيِّ ﷺ

ذكرَ فيهِ تَمَثُّلَ إبْلِيسَ حِينَ أتاهُمْ في صُورةِ شَيْخٍ جَلِيلٍ، وانْتِسابَه إلى أهْلِ نَجْدٍ في صُورةِ شَيْخٍ جَلِيلٍ.

يُقالُ: جَلَّ الرّجُلُ وجَلّتِ المَرْأةُ: إذا أسَنّا[١]، وقالَ الشّاعِرُ[٢]: [من الطويل]

وما حَظُّها أنْ قِيلَ: عَزّةُ جَلّتِ

ويُقالُ مِنْهُ[٣]: جَلَلْتَ يا رَجُلُ بِفَتْحِ اللّامِ، وقِياسُهُ: جَلُلْتَ؛ لِأنّ اسْمَ الفاعِلِ مِنْهُ: جَلِيلٌ، ولَكِنْ تَرَكُوا الضّمَّ في المُضاعَفِ كُلِّهِ اسْتِثْقالًا لَهُ مَعَ التّضْعِيفِ إلّا في لَبُبْتَ، فأنْت لَبِيبٌ، حَكاهُ سِيبَوَيْهِ[٤] بِالضَّمِّ على الأصل.

---

(١) في: (أ)، (ف): «أسنَّت».

(٢) كُثيِّر عزة في «ديوانه» (ص: ١٠٧)، وفيه:

أصابَ الرَّدَى مَن كانَ يَهْوَى لَكِ الرَّدَى   وجُـنَّ اللَّواتِـي قُلْـنَ عَـزّةُ جُنَّـتِ

وانظر: «غريب الحديث» للخطابي: (١: ٥٥٧)، و«الغريبين» للهروي (١: ٣٥٩)، و«الفائق» (١: ٢٢٧). (ج)

(٣) في (ف): «ومنه قيل».

(٤) «الكتاب» (٤: ٣٧).

وإنّما قالَ لَهُمْ: إنّي مِنْ أهْلِ نَجْدٍ فيما ذكرَ[١] أهْلُ السّيرةِ؛ لأنّهُمْ قالُوا: لا يَدْخُلَنّ مَعَكُمْ في المُشاورةِ أحَدٌ مِنْ أهْلِ تِهامةَ؛ لِأنّ هَواهُمْ مَعَ مُحَمّدٍ؛ فلِذَلِكَ تَمَثّلَ[٢] في صُورةِ شَيْخ نَجْدِيّ، وقد ذَكَرْنا في خَبرِ بُنْيانِ الكَعْبةِ أنّهُ تمَثّلَ في صُورةِ شَيْخ نَجْدِيٍّ أيْضًا حِينَ حَكّمُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ في أمْرِ الرُّكْنِ: مَنْ يَرْفَعُهُ؟ فصاحَ الشّيْخُ النّجْدِيّ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أقد رَضِيتُمْ أنْ يَلِيَهُ هَذا الغُلامُ دُونَ أشْرافِكُمْ وذَوِي أسْنانِكُمْ؟ فإنْ صَحّ هَذا الخَبَرُ فلِمَعْنًى آخَرَ تَمَثّلَ نَجْدِيًّا، وذَلِكَ أنّ نَجْدًا مِنْها يَطْلُعُ قَرْنُ الشّيْطانِ؛ كَما قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ قِيلَ لَهُ: وفي نَجْدِنا يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: «هُنالِكَ[٣] الزّلازِلُ والفِتَنُ، ومِنْها يَطْلُعُ قَرْنُ الشّيْطانِ»[٤]. فلَمْ يُبارِكْ عَلَيْها كَما بارَكَ في اليَمَنِ[٥] والشّامِ وغَيْرِها، وحَدِيثُهُ الآخَرُ[٦] أنّهُ نَظَرَ إلى المَشْرِقِ، فقالَ: «إنّ الفِتْنَةَ ههُنا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشّيْطانِ»، وفي حَدِيثِ ابنِ عُمَرَ أنّهُ حِينَ قالَ هَذا الكَلامَ، ووقَفَ عِنْدَ بابِ عائِشَةَ، [ونَظَرَ إلى المَشْرِقِ فقالَهُ، وفي وُقُوفِهِ عِنْدَ بابِ عائِشةَ][٧] ناظِرًا إلى المَشْرِقِ يُحَذّرُ مِن الفِتنة عِبرةٌ، وفِكْرٌ[٨] في خُرُوجِها إلى المَشْرِقِ عِنْدَ وُقُوعِ الفِتْنةِ تَفْهَمِ الإشارةَ إن شاء اللهُ، واضْمُمْ إلى هَذا قَوْلَهُ عَلَيْهِ السّلامُ حِينَ ذكرَ نُزُولَ الفِتَنِ: «أيْقِظُوا صَواحِبَ الحُجَرِ»[٩]، [واللهُ أعْلَمُ][١٠].

---

(١) بعده في (ف): «بعض».

(٢) بعده في (ف): «لهم».

(٣) في (ف): «هناك».

(٤) «فتح الباري»، كتاب الفتن: (١٣: ٤٥).

(٥) في غير (أ): «على اليمن».

(٦) «مسلم»، كتاب الفتن: (٤: ٢٢٢٨-٢٢٢٩).

(٧) ما بين المعقوفين سقط من: (ص).

(٨) في: (ف)، (أ)، (د): «وفكرة».

(٩) «فتح الباري»، كتاب العلم: (١: ٢١٠).

(١٠) ما بين المعقوفين ليس في: (ص).

فَقالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إنَّ هذا الرَّجُلَ قَدْ كانَ مِنْ أَمْرِهِ ما قَدْ رَأَيْتُمْ، فإنّا واللهِ ما نَأْمَنُهُ على الوُثُوبِ عَلَيْنا فيمَنْ قَدِ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِنا، فأَجْمِعُوا فيهِ رَأْيًا. قالَ: فتَشاوَرُوا ثُمَّ قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ: احْبِسُوهُ في الحَدِيدِ، وأَغْلِقُوا عَلَيْهِ بابًا، ثُمَّ تَرَبَّصُوا بِهِ ما أصابَ أَشْباهَهُ مِنَ الشُّعَراءِ الَّذينَ كانُوا قَبْلَهُ، زُهَيْرًا والنّابِغَةَ، ومَنْ مَضى مِنْهُمْ، مِنْ هذا المَوْتِ، حَتّى يُصِيبَهُ ما أصابَهُمْ، فقالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: لا واللهِ، ما هذا لَكُمْ بِرَأْيٍ، واللهِ لَئِنْ حَبَسْتُمُوهُ كَما تَقُولُونَ لَيَخْرُجَنَّ أَمْرُهُ مِنْ وراءِ البابِ الَّذي أَغْلَقْتُمْ دُونَهُ إلى أَصْحابِهِ، فلَأَوْشَكُوا أَنْ يَثِبُوا عَلَيْكُمْ، فينْزِعُوهُ مِنْ أَيْدِيكُمْ، ثُمَّ يُكاثِرُوكُمْ بِهِ، حَتّى يَغْلِبُوكُمْ على أَمْرِكُمْ، ما هذا لَكُمْ بِرَأْيٍ، فانْظُرُوا في غَيْرِهِ، فتَشاوَرُوا، ثُمَّ قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ: نُخْرِجُهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنا، فنَنْفيهِ مِنْ بِلادِنا، فإذا أخرج عنّا فواللهِ ما نُبالِي أَيْنَ ذَهَبَ، ولا حَيْثُ وقَعَ إذا غابَ عَنّا وفَرَغْنا مِنْهُ، فأَصْلَحْنا أَمْرَنا وأُلْفَتَنا كَما كانَتْ. فقالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: لا واللهِ، ما هذا لَكُمْ بِرَأْيٍ، أَلَمْ تَرَوْا حُسْنَ حَدِيثِهِ، وحَلاوَةَ مَنْطِقِهِ، وغَلَبَتَهُ على قُلُوبِ الرِّجالِ بِما يَأْتِي بِهِ، واللهِ لَوْ فعَلْتُمْ ذلك ما أَمِنْتُمْ أَنْ يَحُلَّ على حَيٍّ مِنَ العَرَبِ، فيغْلِبَ عَلَيْهِمْ بِذلك مِنْ قَوْلِهِ وحَدِيثِهِ حَتّى يُتابِعُوهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَسِيرُ بِهِمْ إلَيْكُمْ حَتّى يَطَأَكُمْ بِهِمْ في بِلادِكُمْ، فيأْخُذَ أَمْرَكُمْ مِنْ أَيْدِيكُمْ، ثُمَّ يَفْعَلَ بِكُمْ ما أرادَ، دَبِّرُوا فيهِ رَأْيًا غَيْرَ هذا. قالَ: فقالَ أبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ: واللهِ إنَّ لِي فيهِ لَرَأْيًا ما أَراكُمْ وقَعْتُمْ عَلَيْهِ بَعْدُ، قالُوا: وما هُوَ يا أَبا الحَكَمِ؟ قالَ: أرى أَنْ نَأْخُذَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ فتًى شابًّا جَلِيدًا نَسِيبًا وسِيطًا فينا، ثُمَّ نُعْطِيَ كُلَّ فتًى مِنْهُمْ سَيْفًا صارِمًا، ثُمَّ يَعْمِدُوا إلَيْهِ، فيضْرِبُوهُ بِها ضَرْبَةَ رَجُلٍ واحِدٍ، فيقْتُلُوهُ، فنَسْتَرِيحَ مِنْهُ، فإنَّهُمْ إذا فعَلُوا ذلك تَفَرَّقَ دَمُهُ في القَبائِلِ جَمِيعًا، فلَمْ يَقْدِرْ

بَنُو عَبْدِ مَنافٍ على حَرْبِ قَوْمِهِمْ جَمِيعًا، فرَضُوا مِنّا بِالعَقْلِ، فعَقَلْناهُ لَهُمْ. قالَ: فقالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: القَوْلُ ما قالَ الرَّجُلُ، هذا الرَّأْيُ الَّذي لا رَأْيَ غَيْرُهُ. فتَفَرَّقَ القَوْمُ على ذلك وهُمْ مُجْمِعُونَ لَهُ.

وذكَرَ[1] تَشاوُرَهُمْ في أمْرِ النّبِيِّ ﷺ، وأنّ بعضَهم أشارَ بأن يُحْبَسَ في بَيْتٍ، وبَعْضَهُمْ بِإخْراجِهِ ونفيه، ولم يسمِّ قائِلَ هذا القَوْلِ، وقالَ ابنُ سَلّامٍ: الّذِي أشار بحبسه هو أبو البَخْتَرِيِّ بنُ هِشامٍ، والّذِي أشارَ بِإخْراجِهِ ونَفيِهِ هُوَ أبو الأسْوَدِ رَبيعةُ بنُ عَمْرٍو[2]، أحَدُ بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيّ، وقَوْلُ أبِي جَهْلٍ: «نَسِيبًا وسِيطًا» مِن السِّطةِ في العَشِيرةِ، وقد تَقَدّمَ في بابِ تَزْوِيجِهِ خَدِيجةَ مَعْنى الوسطِ، وأيْنَ يَكُونُ مَدْحًا، بشرحٍ شافٍ، والحمد لله.

❊ ❊ ❊

(١) نص (ص) في هذه الفقرة: «وذكر ابن إسحاق أن بعضهم أشار بحبسه، وبعضهم أشار بإخراجه من مكة ونَفيه، ولم يُسمِّ أصحاب هذين القولين: من هم؟ فالذي أشار بحبسه في بيت هو أبو الأسود بن ربيعة بن عمير، أحد بني عامر بن لؤي. والذي أشار بنفيه وإخراجه هو أبو البختري بن هشام، قاله يحيى بن سلام، غير أنه جعل أبا البختري مكان أبي الأسود، وأبا الأسود مكان أبي البختري. والذي قدمناه قول غيره».

(٢) كذا، ومثله في «سبل الهدى» للصالحي عن «الروض» (**٢: ٣٢٥**)، وفي (ص): «عمير»، وقد تقدم في التعليق السابق.

[خُرُوجُ النَّبِيِّ ﷺ واسْتِخْلافُهُ عَلِيًّا على فِراشِهِ]

فَأتى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ رَسُولَ الله ﷺ، فقالَ: لا تَبِتْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ على فِراشِكَ الَّذي كُنْتَ تَبِيتُ عَلَيْهِ. قالَ: فلَمّا كانَتْ عَتَمةٌ مِنَ اللَّيْلِ اجْتَمَعُوا على بابِهِ يَرْصُدُونَهُ مَتى يَنامُ، فيَثِبُونَ عَلَيْهِ، فلَمّا رَأى رَسُولُ الله ﷺ مَكانَهُمْ، قالَ لِعَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ: «نَمْ على فِراشِي، وتَسَجَّ بِبُرْدِي هذا الحَضْرَمِيِّ الأخْضَرِ، فنَمْ فيهِ؛ فإنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ»، وكانَ رَسُولُ الله ﷺ يَنامُ في بُرْدِهِ ذلك إذا نامَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي يَزِيدُ بنُ زِيادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ كَعْبٍ القُرَظِيِّ، قالَ: لَمّا اجْتَمَعُوا لَهُ، وفيهِمْ أبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ، فقالَ وهُمْ على بابِهِ: إنَّ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أنَّكُمْ إنْ تابَعْتُمُوهُ على أمْرِهِ، كُنْتُمْ مُلُوكَ العَرَبِ والعَجَمِ، ثُمَّ بُعِثْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ، فجُعِلَتْ لَكُمْ جِنانٌ كَجِنانِ الأُرْدُنِّ، وإنْ لَمْ تَفْعَلُوا كانَ لَهُ فيكُمْ ذَبْحٌ، ثُمَّ بُعِثْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ، ثُمَّ جُعِلَتْ لَكُمْ نارٌ تُحْرَقُونَ فيها.

قالَ: وخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله ﷺ، فأخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُرابٍ في يَدِهِ، ثُمَّ قالَ: «أنا أقُولُ ذلك، أنْتَ أحَدُهُمْ». وأخَذَ الله تَعالى على أبْصارِهِمْ عَنْهُ، فلا يَرَوْنَهُ، فجَعَلَ يَنْثُرُ ذلك التُّرابَ على رُؤُوسِهِمْ وهُوَ يَتْلُو هَؤُلاءِ الآياتِ مِنْ يس: ﴿يسٓ * وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [يس: ١-٥] إلى قَوْلِهِ: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩]: حَتّى فرَغَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ هَؤُلاءِ الآياتِ، ولَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إلّا وقَدْ

وضَعَ على رَأْسِهِ تُرابًا، ثُمَّ انصَرَفَ إلى حَيْثُ أرادَ أنْ يَذْهَبَ، فأتاهُمْ آتٍ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ، فقالَ: ما تَنْتَظِرُونَ ههُنا؟ قالُوا: مُحَمَّدًا، قالَ: خَيَّبَكُمُ اللهُ! قَدْ واللهِ خَرَجَ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ ما تَرَكَ مِنْكُمْ رَجُلًا إلّا وقَدْ وضَعَ على رَأْسِهِ تُرابًا، وانْطَلَقَ لِحاجَتِهِ، أفَما تَرَوْنَ ما بِكُمْ؟ قالَ: فوَضَعَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدَهُ على رَأْسِهِ، فإذا عَلَيْهِ تُرابٌ، ثُمَّ جَعَلُوا يَتطَلَّعُون فيرَوْنَ عَلِيًّا على الفِراشِ مُتَسَجِّيًا بِبُرْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فيقُولُونَ: واللهِ إنَّ هذا لَمُحَمَّدٌ نائِمًا عَلَيْهِ بُرْدُهُ. فلَمْ يَبْرَحُوا كَذلك حَتّى أصْبَحُوا، فقامَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ الفِراشِ، فقالُوا: واللهِ لَقَدْ كانَ صَدَقَنا الَّذي حَدَّثَنا.

وأمّا وقوفُهم على بابِهِ يَتَطَلَّعُونَ، فيرَوْنَ عَلِيًّا وعَلَيْهِ بُرْدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فيظُنُّونَهُ إيّاهُ، فلَمْ يَزالُوا قِيامًا حتّى أصْبَحُوا، فذكرَ بَعْضُ أهْلِ السِّيرِ السَّبَبَ المانِعَ لَهُمْ مِن التَّقَحُّمِ عَلَيْهِ في الدّارِ مع قِصَرِ الجدارِ، وأنهم إنما جاؤوا لِقَتْلِهِ، فذكرَ في الخَبَرِ أنَّهُمْ هَمُّوا بالوُلُوجِ عَلَيْهِ، فصاحَتِ امْرَأَةٌ مِن الدّارِ، فقالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: واللهِ، إنّها لَلسُّبَّةُ في العَرَبِ أنْ يُتَحَدَّثَ عَنّا أنّا تَسَوَّرْنا الحِيطانَ على بَناتِ العَمِّ، وهَتَكْنا سِتْرَ حُرْمَتِنا، فهَذا الَّذي أقامَهُمْ في البابِ[١] حتّى أصْبَحُوا يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَهُ، ثُمّ طُمِسَتْ أبْصارُهُمْ عنه حِينَ خَرَجَ.

وفي قِراءةِ الآياتِ الأُوَلِ مِنْ سُورةِ ﴿يس﴾ مِن الفِقْهِ: التَّذْكِرةُ بِقراءةِ الخائِفينَ لَها اقْتِداءً بِهِ ﷺ، فقد رَوى الحارِثُ بنُ أبي أُسامةَ في «مُسْنَدِهِ» عَن النَّبيِّ ﷺ أنه ذُكِرَ في فضْلِ ﴿يس﴾ أنّها إنْ قَرَأها خائِفٌ أمِنَ، أوْ جائِعٌ شَبِعَ، أوْ عارٍ كُسِيَ، أوْ عاطِشٌ سُقِيَ، أو سقيمٌ شُفِيَ، حتّى ذكرَ خلالًا كثيرة[٢].

(١) في: (ف)، (أ)، (ص): «بالباب».
(٢) «المطالب العالية» لابن حجر: (٣: ٣٦٢).

[ما نَزَلَ مِنَ القُرْآنِ في تَرَبُّصِ المُشْرِكِينَ بِالنَّبِيِّ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ مِمّا أنْزَلَ الله عَزَّ وجَلَّ مِنَ القُرْآنِ في ذلك اليَوْمِ، وما كانُوا أجْمَعُوا لَهُ: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقَوْلِ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ * قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ [الطور: ٣٠، ٣١].

قالَ ابنُ هِشامٍ: المَنُونُ: المَوْتُ. ورَيْبُ المَنُونِ: ما يَرِيبُ ويَعْرِضُ مِنْها.

قالَ أبو ذُؤَيْبٍ الهُذَليُّ:

أمِنَ المَنُونِ ورَيْبِها تَتَوَجَّعُ والدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ؟

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

وذكرَ ابنُ إسْحاقَ ما أنْزَلَ اللهُ في ذَلِكَ، وشَرَحَ ابنُ هِشامٍ «رَيْبَ المَنُونِ»، وأنْشَدَ قَوْلَ أبِي ذُؤَيْبٍ: [من الكامل]

أمِنَ المَنُونِ ورَيْبِها تَتَوَجَّعُ؟

و«المَنُونُ» تُذَكَّرُ وتُؤَنَّثُ، فمَنْ جَعَلَها عِبارةً عَن المَنِيّةِ أوْ حَوادِثِ الدّهْرِ أنّثَ، ومَنْ جَعَلَها عِبارةً عَن الدّهْرِ ذَكّرَ. ورَيْبُ الدَّهرِ: ما يَرِيبُك مِنْ تَغَيُّرٍ[1]

(١) في (أ): «تغيير».

الأحْوالِ فيهِ، وسُمِّيَت: المَنُونَ؛ لِنَزْعِها مُنَنَ الأشْياءِ؛ أيْ: قُواها، وقِيلَ: بَلْ سُمِّيَتْ: مَنُونًا؛ لِقَطْعِها دُونَ الآمالِ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ: حبلٌ مَنِينٌ؛ أيْ: مَقْطُوعٌ، وفي التَّنْزِيلِ: ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[1][2] [فصلت: ٨].

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأذِنَ اللهُ تَعالى لِنَبِيِّهِ ﷺ عِنْدَ ذلك في الهِجْرةِ.

[طَمَعُ أبي بَكْرٍ في أنْ يَكُونَ صاحِبَ النَّبِيِّ في الهِجْرةِ، وما أعَدَّ لِذلك]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ أبو بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ رَجُلًا ذا مالٍ، فكانَ حَيْنَ اسْتَأْذَنَ رَسُولَ الله ﷺ في الهِجْرةِ، فقالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «لا تَعْجَلْ؛ لَعَلَّ اللهَ يَجِدُ لَكَ صاحِبًا». قَدْ طَمِعَ بِأنْ يَكُونَ رَسُولُ الله ﷺ إنَّما يَعْنِي نَفْسَهُ حَيْنَ قالَ لَهُ ذلك، فابْتاعَ راحِلَتَيْنِ، فاحْتَبَسَهُما في دارِهِ، يَعْلِفُهُما إعْدادًا لِذلك.

[حَدِيثُ هِجْرَتِهِ ﷺ إلى المَدِينةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي مَنْ لا أتَّهِمُ، عَنْ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عائِشةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ، أنَّها قالَتْ: كانَ لا يُخْطِئُ رَسُولُ الله ﷺ أنْ يَأْتِيَ بَيْتَ أبي بَكْرٍ أحَدَ طَرَفِي النَّهارِ، إمّا بُكْرةً، وإمّا عَشِيّةً، حَتّى إذا كانَ اليَوْمُ الَّذي أُذِنَ فيهِ لِرَسُولِ الله ﷺ في الهِجْرةِ والخُرُوجِ مِنْ مَكّةَ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَيْ قَوْمِهِ، أتانا رَسُولُ الله ﷺ بِالهاجِرةِ في ساعةٍ كانَ لا يَأْتِي فيها.

---

(١) في (ص): «منون».

(٢) إلى هنا انتهى الجزء الأول من نسخة تشستربتي المرموز لها بـ(د)، وكتب ناسخه: «والحمد لله رب العالمين: تم الجزء الأول بحمد الله وكرمه في نهاية الثلاثاء سادس عشر شهر جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وسبعمئة، على يد الفقير الحقير، الراجي عفو ربه القدير، حسين ابن أبي الفرج بن محمد بن منصور الخطيب يومئذٍ بقرية نصيبين، غفر الله له ولوالديه ولمن علمه وأحسن إليه ولسائر المسلمين أجمعين».

قالَتْ: فلَمّا رَآهُ أبو بَكْرٍ، قالَ: ما جاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ السّاعةَ إلّا لِأمْرٍ حَدَثَ. قالَتْ: فلَمّا دَخَلَ، تَأخَّرَ لَهُ أبو بَكْرٍ عَنْ سَرِيرِهِ، فجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ولَيْسَ عِنْدَ أبي بَكْرٍ إلّا أنا وأُخْتِي أسماءُ بِنْتُ أبي بَكْرٍ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أخْرِجْ عَنِّي مَنْ عِنْدَكَ، فقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، إنَّما هُما ابنَتايَ، وما ذاكَ فِداكَ أبي وأُمِّي؟! فقالَ: إنَّ اللهَ قَدْ أذِنَ لِي في الخُرُوجِ والهِجْرةِ. قالَتْ: فقالَ أبو بَكْرٍ: الصُّحْبةَ يا رَسُولَ اللهِ، قالَ: الصُّحْبة.

قالَت: فواللهِ ما شَعُرْتُ قَطُّ قَبْلَ ذلك اليَوْمِ أنَّ أحَدًا يَبْكِي مِنَ الفَرَحِ حَتّى رَأيْتُ أبا بَكْرٍ يَبْكِي يَوْمئِذٍ، ثُمَّ قالَ: يا نَبِيَّ اللهِ، إنَّ هاتَيْنِ راحِلَتانِ قَدْ كُنْتُ أعْدَدْتُهما لِهذا. فاسْتَأْجَرا عَبْدَ اللهِ بنَ أرْقَط رَجُلًا مِنْ بَنِي الدُّئِلِ بنِ بَكْرٍ، وكانَتْ أُمُّهُ امْرَأةً مِنْ بَنِي سَهْمِ بنِ عَمْرٍو، وكانَ مُشْرِكًا يَدُلُّهُما على الطَّرِيقِ، فدَفَعا إلَيْهِ راحِلَتَيْهِما، فكانَتا عِنْدَهُ يَرْعاهُما لِمِيعادِهِما.

[مَنْ كانَ يَعْلَمُ بِهِجْرةِ الرَّسُولِ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمْ يَعْلَمْ فيما بَلَغَنِي، بِخُرُوجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أحَدٌ، حَيْنَ خَرَجَ، إلّا عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ، وأبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وآلُ أبي بَكْرٍ؛ أما عَلِيٌّ فإنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فيما بَلَغَنِي أخْبَرَهُ بِخُرُوجِهِ، وأمَرَهُ أنْ يَتَخَلَّفَ بَعْدَهُ بِمَكّةَ، حَتّى يُؤَدِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الوَدائِعَ الَّتِي كانَتْ عِنْدَهُ لِلنّاسِ، وكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْسَ بِمَكّةَ أحَدٌ عِنْدَهُ شَيْءٌ يُخْشى عَلَيْهِ إلّا وضَعَهُ عِنْدَهُ؛ لِما يُعْلَمُ مِنْ صِدْقِهِ وأمانَتِهِ ﷺ.

إِذْنُ اللهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ بِالهِجْرةِ

ذكرَ فيهِ[١] أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أتى بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ في الظّهِيرةِ، قالَتْ عائِشةُ: وفي البَيْتِ أنا وأُخْتِي أسْماءُ، فقالَ: «أخْرِجْ مَنْ مَعَك»، فقالَ أبو بَكْرٍ: إنّما[٢] هُما بِنْتايَ يا رَسُولَ اللهِ.

وقالَ في «جامِعِ البُخارِيّ»: إنّما هُمْ أهْلُك يا رَسُولَ اللهِ[٣]، وذَلِكَ أنّ عائِشةَ قد كان أبوها أنكحَها منه قَبْلَ ذَلِكَ، وكَذَلِكَ[٤] رُوِيَ عَنْ أُمِّها أُمِّ رُومانَ بِنْتِ عامِرِ ابنِ عُوَيْمِرٍ، ويُقالُ في اسْمِ أبِيها: رَوْمانُ[٥] بِفَتْحِ الرّاءِ أيْضًا، فقالَ ابنُ إسْحاقَ في غَيْرِ رِوايةِ ابنِ هِشامٍ في حَدِيثٍ طَوِيلٍ ثابِتٍ اخْتَصَرْتُه: إنّ أبا بَكْرٍ حِينَ هاجَرَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَلّفَ بَناتِه بِمَكّةَ، فلَمّا قَدِمُوا المَدِينةَ أرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَيْدَ بنَ حارِثةَ وأبا رافِعٍ مَوْلاهُ، وأرْسَلَ أبو بَكْرٍ عَبْدَ اللهِ بنَ أُرَيْقِطٍ، وأرْسَلَ مَعَهُمْ خَمْسَ مِئةِ دِرْهَمٍ، فاشْتَرَوْا بها ظَهرًا بِقُدَيْدٍ، ثُمّ قَدِمُوا مَكّةَ فخَرَجُوا بِسَوْدةَ بِنْتِ زَمْعةَ، وبِفاطِمةَ، وبِأُمِّ كُلْثُومٍ. قالَتْ عائِشةُ: وخرجتْ أُمِّي معهم ومع طلحةَ ابنِ عُبَيْدِ اللهِ مُصْطَحِبِينَ، فلَمّا كُنّا بِقُدَيْدٍ نَفَرَ البَعِيرُ الّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ أنا وأُمِّي أُمُّ رُومانَ في مِحَفّةٍ، فجَعَلَتْ أُمِّي تُنادِي: وابْنَتاهُ[٦]! واعَرُوساه!

وفي رواية يُونُسَ عَنِ ابنِ إسْحاقَ، وذكر هذا الحديثَ، وفيهِ قالَتْ عائِشةُ: فسَمِعْتُ قائِلًا يَقُولُ ولا أرى أحَدًا: ألْقِي خِطامَهُ. فألْقَيْتُهُ مِنْ يَدِي، فقامَ البَعِيرُ

---

(١) بعده في (ف): «ابن إسحاق».

(٢) «إنما» ليس في (ف).

(٣) «فتح الباري»، كتاب مناقب الأنصار: (٧: ٢٣٠-٢٣٢).

(٤) في (ف): «ولذلك».

(٥) في (ف): «ويقال في اسمها: أم رومان» بدل «ويقال في اسم أبيها: رومان».

(٦) في (أ): «وابنيّتاه!».

يَسْتَدِيرُ بِهِ كَأَنّ إنْسانًا تَحْتَهُ يُمْسِكُهُ، حتّى هَبَطَ البَعِيرُ مِن الثَّنِيّةِ، فسَلَّمَ اللهُ، فقَدِمْنا على رَسُولِ اللهِ ﷺ وهو يبني المَسْجِدَ وأبْياتًا لَهُ، فنَزَلْتُ مَعَ آل أَبِي بَكْرٍ، ونزلَتْ سَوْدةُ بِنْتُ زَمْعةَ في بَيْتِها، فقالَ أبو بَكْرٍ: ألا تَبْنِي بأهْلِك يا رَسُولَ اللهِ؟ فقالَ: «لَوْلا الصَّداقُ»، قالَتْ عائشة: فدَفَعَ إلَيْهِ ثِنْتَيْ عَشْرةَ أُوقِيّةً، ونَشًّا، والنّشّ: عِشْرُونَ دِرْهَمًا، وذَكَرتِ الحَدِيثَ. ورَواهُ ابنُ أَبِي الزِّنادِ عَنْ هِشامِ بنِ عُرْوةَ، عَنْ أبِيهِ، عَنْ عائِشةَ.

وفي حَدِيثِ ابنِ إسْحاقَ: أن أبا بكرٍ كانَ قد أعَدّ راحِلَتَيْنِ، فقَدَّمَ إلى رَسُولِ[1] اللهِ ﷺ واحِدةً، وهِيَ أفْضَلُهُما، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنّي[2] لا أرْكَبُ بَعِيرًا لَيْسَ لِي». فقالَ أبو بَكْرٍ: هِي لَك يا رَسُولَ اللهِ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بِالثّمَنِ»، فقالَ أبو بَكْرٍ: بِالثّمَنِ يا رَسُولَ اللهِ. فرَكِبَها.

فسُئِلَ بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ: لِمَ لَمْ يَقْبَلْها إلّا بالثّمَنِ، وقد أنْفَقَ عَلَيْهِ أبو بَكْرٍ[3] مِنْ مالِهِ ما هُو أكْثَرُ مِنْ هَذه فقَبِلَه، وقد قالَ عَلَيْهِ السّلامُ: «لَيْسَ مِنْ أحَدٍ أَمَنّ عَلَيّ في أهْلٍ ومالٍ مِنْ أبِي بَكْرٍ»[4]، وقد دَفَعَ إلَيْهِ حِينَ بنى بِعائِشةَ ثِنْتَيْ عَشْرةَ أُوقِيّةً ونَشًّا، فلَمْ يَأْبَ مِنْ ذَلِكَ؟

فقالَ المَسْؤولُ: إنّما ذَلِكَ لِتَكُونَ هِجْرَتُهُ إلى اللهِ بِنَفْسِهِ ومالِهِ؛ رَغْبةً مِنْهُ عَلَيْهِ السّلامُ في اسْتِكْمالِ فضْلِ الهِجْرةِ إلى الله عز وجل، وأن تكونَ الهجرةُ والجِهادُ على أتَمِّ أحْوالِهِما، وهُو قَوْلٌ حَسَنٌ، حَدَّثَنِي بهَذا بَعْضُ أصْحابِنا عَنِ الفَقِيهِ الزّاهِدِ أبِي الحَسَنِ بنِ اللَّوّانِ[5] رَحِمَهُ اللهُ.

---

(١) في (ص): «لرسول».

(٢) في (ف): «فقال إني» بدون «رسول الله ﷺ».

(٣) في (ف)، (أ)، (ب): «وقد أنفق أبو بكر عليه».

(٤) «فتح الباري»، كتاب الصلاة: (١: ٥٥٨).

(٥) هو علي بن إبراهيم بن علي بن أحمد الأنصاري، يعرف بابن اللوان، أو (اللواز)، من =

وذكرَ ابنُ إسحاقَ في غيرِ روايةِ ابن هشام: أنّ النّاقةَ الّتي ابْتاعَها رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَبِي بَكْرٍ [يَوْمَئِذٍ][١] هِيَ ناقَتُهُ الّتي تُسَمّى بِالجَدْعاءِ، [وهِيَ غَيْرُ العَضْباءِ][٢]، كانتْ[٣] من إبلِ بني الحريشِ بنِ كعبِ بنِ عامرِ بنِ صعصعة، [أو من بني عقيلِ بنِ كعب][٤]، وهي[٥] الّتي جاءَ فيها الحَدِيثُ حِينَ ذكرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ناقةَ صالِحٍ، وأنّها تُحْشَرُ مَعَهُ [في][٦] يَوْمِ القِيامةِ، فقالَ لَهُ رَجُلٌ: وأنْتَ يَوْمَئِذٍ على العَضْباءِ يا رَسُولَ اللهِ؟! فقالَ: «لا، ابنَتِي فاطِمةُ تُحْشَرُ على العَضْباءِ، وأُحْشَرُ أنا على البُراقِ، ويُحْشَرُ هذا على ناقة من نوق الجَنّةِ وأشارَ إلى بِلالٍ».

وذكرَ أذانَهُ في المَوْقِفِ في حَدِيثٍ طَوِيلٍ يَرْوِيهِ عَبْدُ الحَمِيدِ بنُ كَيْسانَ، عَنْ سُوَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ، وعَبْدُ الحَمِيدِ مَجْهُولٌ [عِنْدَهُمْ][٧].

وفي «مُسْنَدِ البَزّارِ» عَنْ أَنَسٍ، قالَ: «خَطَبَنا رَسُولُ اللهِ ﷺ على العَضْباءِ، ولَيْسَتْ بِالجَدْعاءِ». فهَذا مِنْ قَوْلِ أنَسٍ: إنّها غَيْرُ الجَدْعاءِ، وهُو الصّحِيحُ؛ لِأنّها غُنِمَتْ، وأُخِذَ صاحِبُها العَقِيلِيُّ بِالمَدِينةِ، فقالَ: بِمَ[٨] أَخَذْتَنِي يا مُحَمّدُ،

= أهل المرية، وكان حافظًا للحديث مشهورًا بمعرفته وفهمه، وأخذ الناس عنه، وكان ديِّنًا فاضلًا معظَّمًا عند الناس، توفي سنة (٥٣٣هـ). كتاب «الصلة» لابن بشكوال: (ص: ٤٢٧).

(١) ما بين المعقوفين ليس في: (ص).

(٢) ما بين المعقوفين ليس في (أ)، (ف).

(٣) في (ف): «وكانت».

(٤) ما بين المعقوفين ليس في (أ)، (ف).

(٥) في (ف)، (أ): «وهي غير العضباء التي...».

(٦) ما بين المعقوفين ليس في (أ)، (ف).

(٧) ليس في (أ)، (ب).

(٨) في (ب)، (ص): «لم».

وأَخَذْتَ سابِقَةَ الحاجّ؟ يعني العَضْباء، فقالَ: «أَخَذْتُك بِجَرِيرةِ حُلَفائِك»(١).

وذكرَ ابنُ إسْحاقَ قَوْلَ عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها: ما كُنْتُ أرى أَحَدًا يَبْكِي مِن الفَرَحِ حتّى رَأَيْتُ أبا بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ(٢) يَبْكِي مِن الفَرَحِ. قالَتْ ذَلِكَ لِصِغَرِ سِنِّها، وأنّها لَمْ تَكُنْ عَلِمَتْ بِذَلِكَ [قَبْلُ](٣)، وقد تَطَرَّقَتِ(٤) الشُّعَراءُ لِهَذا المَعْنى فأَخَذَتْهُ اسْتِحْساناً لَهُ، فقالَ الطّائِيّ يَصِفُ السَّحابَ(٥): [من البسيط]

دُهْمٌ إذا وكَفَتْ في رَوْضةٍ طَفِقَتْ ... عُيُونُ أَنْهارِها(٦) تَبْكِي مِن الفَرَحِ

وقالَ أبو الطَّيِّبِ، وزادَ على هَذا المَعْنى(٧): [من المتقارب]

فَلا تُنْكِرَنَّ لَها صَرْعةً ... فَمِنْ فَرَحِ النَّفْسِ ما يَقْتُلُ

وقالَ بَعْضُ المُحْدَثِينَ(٨): [من الكامل]

ورَدَ الكِتابُ مِن الحَبِيبِ بِأَنَّهُ ... سَيَزُورُنِي فاسْتَعْبَرَتْ أَجْفانِي

غَلَبَ السُّرُورُ عَلَيّ حتّى إنّهُ ... مِنْ فرْطِ ما قد سَرَّنِي أَبْكانِي

يا عَيْنُ صارَ الدَّمْعُ عِنْدَكِ عادةً ... تَبْكِينَ في فَرَحٍ وفي أَحْزانِ

(١) «مسلم»، كتاب النذر: (٣: ١٢٦٢).

(٢) «يومئذٍ» ليس في (ف).

(٣) عن (أ)، (ج).

(٤) في (ف): «تطرق».

(٥) «ديوانه» (ص: ٤١٦)، من بيتين يصف فيهما الغيم والمطر والرياض. ودُهم: سود. ووكفت: سالت. يصف السحاب بالدُّهمة، وحينئذٍ تكون مثقلة بالماء.

(٦) في «الديوان»: «إذا ضحكت... عيون نُوّارها»، وفي (ب): «أنهارها».

(٧) «ديوانه» (٣: ١٩٤).

(٨) تمثلت بهذه الأبيات أم الهناء بنت أبي محمد عبد الحق بن عطية لما ولي أبوها قضاء المرية، فدخل داره وعيناه تذرفان وَجْدًا لمفارقة وطنه. انظرها في: «نفح الطيب» (٤: ٢٩٢).

فَصْلٌ

ومِنْ قَوْلِهِ ﷺ حِينَ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ، وقَفَ على الحَزْوَرةِ[١]، ونَظَرَ إلى البَيْتِ، فقالَ: «واللهِ إنَّكِ لَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إلَيّ، وإنّك لَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إلى اللهِ، ولَوْلا أنّ أهلَكِ أخرجُوني منكِ ما خرجتُ»، يرويه الزُّهري عن أبي سلمة، عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَدِيِّ بنِ الحَمْراءِ يَرْفَعُهُ، وبَعْضُهُمْ[٢] يَقُولُ فيهِ: عَن الزُّهْرِيّ، عَنْ أَبي سَلَمةَ، عَنْ أَبي هُرَيْرةَ، وهُو مِنْ أَصَحِّ[٣] ما يُحْتَجُّ بِهِ في تَفْضِيلِ مَكّةَ على المَدِينةِ، وكَذَلِكَ حَدِيثُ عَبْدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ مَرْفُوعًا؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ صَلاةً في المَسْجِدِ الحَرامِ خَيْرٌ مِنْ مِئةِ أَلْفِ صَلاةٍ فيما سِواهُ»[٤].

وإذا[٥] كانَتِ الأعْمالُ تَبَعًا لِلصّلاةِ، فكُلُّ حَسَنةٍ تُعملُ في الحرم، فهِيَ بِمِئةِ أَلْفِ حَسَنةٍ، وقد جاءَ هَذا مَنْصُوصًا مِنْ طَرِيقِ ابنِ عَبّاسٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قال: «من حَجَّ ماشِيًا، كُتِبَ لَهُ بِكُلّ خُطْوةٍ سَبْعُ مِئةِ حَسَنةٍ مِنْ حَسَناتِ الحَرَمِ، قِيلَ: وما حَسَناتُ الحَرَمِ؟ قالَ: الحَسَنةُ فيهِ بِمِئةِ أَلْفِ حَسَنةٍ»، أَسْنَدَهُ البَزّارُ[٦].

* * *

(١) الحَزْورة في اللغة: الرابية الصّغيرة، وكانت الحزورة سوق مكة، ثم دخلت في زيادة المسجد. «معجم البلدان»: حزورة.

(٢) في (ب)، (ج): «وبعضهم يقول فيه: عن أبي هريرة».

(٣) في (ص): «أوضح».

(٤) «كشف الأستار عن زوائد البزار»، كتاب الحج: (٢: ٤٠).

(٥) كذا في (ص)، وفي غيرها: «فإذا».

(٦) «كشف الأستار عن زوائد البزار»، كتاب الحج: (٢: ٢٥). وانظر: «المطالب العالية»، فضل الحج ماشيًا: (١: ٣١٧).

[قِصّةُ الرَّسُولِ ﷺ مَعَ أبي بَكْرٍ في الغارِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا أجْمَعَ رَسُولُ الله ﷺ الخُرُوجَ، أتى أبا بَكْرِ بنَ أبي قُحافةَ، فخَرَجا مِنْ خَوْخةٍ لِأبي بَكْرٍ في ظَهْرِ بَيْتِهِ، ثُمَّ عَمَدَ إلى غارٍ بِثَوْرٍ جَبَلٍ بِأسْفَلِ مَكّةَ فدَخَلاهُ، وأمَرَ أبو بَكْرٍ ابنَهُ عَبْدَ اللهِ بنَ أبي بَكْرٍ أنْ يَتَسَمَّعَ لَهُما ما يَقُولُ النّاسُ فيهِما نَهارَهُ، ثُمَّ يَأْتِيَهِما إذا أمْسى بِما يَكُونُ في ذلك اليَوْمِ مِنَ الخَبَرِ، وأمَرَ عامِرَ بنَ فُهَيْرَةَ مَوْلاهُ أنْ يَرْعى غَنَمَهُ نَهارَهُ، ثُمَّ يُرِيحَها عَلَيْهِما، يَأْتِيهِما إذا أمْسى في الغارِ. وكانَتْ أسَماءُ بِنْتُ أبي بَكْرٍ تَأْتِيهِما مِنَ الطَّعامِ إذا أمْسَتْ بِما يُصْلِحُهُما.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ، أنَّ الحَسَنَ بنَ أبي الحَسَنِ البَصْرِيَّ قالَ: انْتَهى رَسُولُ الله ﷺ وأبو بَكْرٍ إلى الغارِ لَيْلًا، فدَخَلَ أبو بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قَبْلَ رَسُولِ الله ﷺ، فلَمَسَ الغارَ لِيَنْظُرَ أفيهِ سَبُعٌ أوْ حَيّةٌ، يَقِي رَسُولَ الله ﷺ بِنَفْسِهِ.

[ابنا أبي بَكْرٍ وابنُ فهَيْرَةَ يقومُونَ بشؤون الرَّسُولِ ﷺ وصاحِبِهِ وهُما في الغارِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فأقامَ رَسُولُ الله ﷺ في الغارِ ثَلاثًا ومَعَهُ أبو بَكْرٍ، وجَعَلَتْ قُرَيْشٌ فيهِ حِين فَقَدوه مئةَ ناقةٍ لِمَنْ يَرُدُّهُ عَلَيْهِمْ. وكانَ عَبْدُ الله ابنُ أبي بَكْرٍ يَكُونُ في قُرَيْشٍ نَهارَهُ مَعَهُمْ، يَسْمَعُ ما يَأْتَمِرُونَ بِهِ، وما يَقُولُونَ في شَأْنِ رَسُولِ الله ﷺ وأبي بَكْرٍ، ثُمَّ يَأْتِيهِما إذا أمْسى فيخْبِرُهُما

الخَبَرَ، وكانَ عامِرُ بنُ فُهَيْرةَ، مَوْلى أبي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَرْعى في رُعْيانِ أَهْلِ مَكَّةَ، فإذا أَمْسى أراحَ عَلَيْهِما غَنَمَ أبي بَكْرٍ، فاحْتَلَبا وذَبَحا، فإذا عَبْدُ اللهِ بنُ أبي بَكْرٍ غَدا مِنْ عِنْدِهِما إلى مَكَّةَ اتَّبَعَ عامِرُ بنُ فُهَيْرةَ أَثَرَهُ بِالغَنَمِ حتّى يُعَفِّيَ عَلَيْهِ، حَتّى إذا مَضَتِ الثَّلاثُ، وسَكَنَ عَنْهُما النّاسُ، أتاهُما صاحِبُهُما الَّذي اسْتَأْجَراهُ بِبَعِيرَيْهِما وبَعِيرٍ لَهُ، وأَتَتْهُما أَسماءُ بِنْتُ أبي بَكْرٍ رضى الله عَنْهُما بِسُفْرَتِهِما، ونَسِيَتْ أَنْ تَجْعَلَ لَها عِصامًا، فلَمّا ارْتَحَلا ذَهَبَتْ لِتُعَلِّقَ السُّفْرةَ، فإذا لَيْسَ لَها عِصامٌ، فتَحُلُّ نِطاقَها فتَجْعَلُهُ عِصامًا، ثُمَّ عَلَّقَتْها بِهِ.

[سَبَبُ تَسْمِيةِ أَسْماءَ بِذاتِ النِّطاقِ]

فَكانَ يُقالُ لِأَسْماءَ بِنْتِ أبي بَكْرٍ: ذاتُ النِّطاقِ لِذلك.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وسَمِعْتُ غَيْرَ واحِدٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ يَقُولُ: ذاتُ النِّطاقَيْنِ.

وَتَفْسِيرُهُ: أَنَّها لَمّا أَرادَتْ أَنْ تُعَلِّقَ السُّفْرةَ شَقَّتْ نِطاقَها بِاثْنَيْنِ، فعَلَّقَتِ السُّفْرةَ بِواحِدٍ، وانْتَطَقَتْ بِالآخَرِ.

[أبو بَكْرٍ يُقَدِّمُ راحِلةً لِلرَّسُولِ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا قَرَّبَ أبو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الرّاحِلَتَيْنِ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَدَّمَ لَهُ أَفْضَلَهُما، ثُمَّ قالَ: ارْكَبْ، فِداكَ أبي وأُمِّي، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنِّي لا أَرْكَبُ بَعِيرًا لَيْسَ لِي»، قالَ: فهِيَ لَكَ يا رَسُولَ اللهِ بِأبي أَنْتَ وأُمِّي، قالَ: «لا، ولَكِنْ ما الثَّمَنُ الَّذي ابْتَعْتَها بِهِ؟» قالَ: كَذا وكَذا، قالَ: «قَدْ أَخَذْتُها بِهِ»، قالَ: هِيَ لَكَ يا رَسُولَ اللهِ. فرَكِبا وانْطَلَقا، وأَرْدَفَ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عامِرَ بنَ فُهَيْرةَ مَوْلاهُ خَلْفَهُ، لِيَخْدُمَهُما في الطَّرِيقِ.

[ضَرْبُ أبي جَهْلٍ لِأَسْماءَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحُدِّثْتُ عَنْ أَسْماءَ بِنْتِ أبي بَكْرٍ أَنَّها قالَتْ: لَمّا خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ وأبو بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، أتانا نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فيهِمْ أبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ، فوَقَفُوا على بابِ أبي بَكْرٍ، فخَرَجْتُ إلَيْهِمْ، فقالُوا: أيْنَ أبوكِ يا بِنْتَ أبي بَكْرٍ؟ قالَتْ: قُلْتُ: لا أَدْرِي واللهِ أيْنَ أبي؟ قالَتْ: فرَفَعَ أبو جَهْلٍ يَدَهُ، وكانَ فاحِشًا خَبِيثًا، فلَطَمَ خَدِّي لَطْمةً طُرِحَ مِنْها قُرْطِي.

[خَبَرُ الهاتِفِ مِنَ الجِنِّ عَنْ طَرِيقِ الرَّسُولِ ﷺ في هِجْرَتِهِ]

قالَتْ: ثُمَّ انْصَرَفُوا، فمَكَثْنا ثَلاثَ لَيالٍ، وما نَدْرِي أيْنَ وجْهُ رَسُولِ الله ﷺ، حَتّى أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الجِنِّ مِنْ أَسْفَلِ مَكّةَ يَتَغَنّى بِأَبْياتٍ مِنْ شِعْرِ غِناءِ العَرَبِ، وإنَّ النّاسَ لَيَتْبَعُونَهُ، يَسْمَعُونَ صَوْتَهُ وما يَرَوْنَهُ، حَتّى خَرَجَ مِنْ أعلى مَكّةَ وهُوَ يَقُولُ:

جَزى اللهُ رَبُّ النّاسِ خَيْرَ جَزائِهِ ... رَفيقَيْنِ حَلّا خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدِ
هُما نَزَلا بِالبِرِّ ثُمَّ تَرَوَّحا ... فأَفْلَحَ مَنْ أَمْسى رَفيقَ مُحَمَّدِ
لِيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَكانُ فتاتِهِمْ ... ومَقْعَدُها لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدِ

[نَسَبُ أُمِّ مَعْبَدٍ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: أُمُّ مَعْبَدٍ بِنْتُ كَعْبٍ، امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي كَعْبٍ، مِنْ خُزاعةَ.

وَقَوْلُهُ «حلا خَيْمَتي»، و «هما نَزَلا بِالبَرِّ ثُمَّ تَرَوَّحا» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: قالَتْ أَسْماءُ بِنْتُ أبي بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُما: فلَمّا سَمِعْنا قَوْلَهُ، عَرَفْنا حَيْثُ وجَّهَ رَسُولُ الله ﷺ، وأَنَّ وجْهَهُ إلى المَدِينةِ، وكانُوا

أَرْبَعةً: رَسُولُ الله ﷺ، وأبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ الله عَنْهُ، وعامِرُ بن فُهَيْرةَ مَوْلى أبي بَكْرٍ، وعَبْدُ الله بنُ أرْقَطَ دَلِيلُهُما.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: عَبْدُ الله بنُ أُرَيْقِطَ.

[أبو قُحافةَ وأَسْماءُ بَعْدَ هِجْرةِ أبي بَكْرٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَني يَحْيى بنُ عَبّادِ بن عَبْدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ أنَّ أباهُ عَبّادًا حَدَّثَهُ عَنْ جَدَّتِهِ أَسْماءَ بِنْتِ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، قالَتْ: لَمّا خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ، وخَرَجَ أبو بَكْرٍ مَعَهُ، احْتَمَلَ أبو بَكْرٍ مالَهُ كُلَّهُ، ومَعَهُ خَمْسةُ آلافِ دِرْهَمٍ أوْ سِتّةُ آلافٍ، فانْطَلَقَ بِها مَعَهُ. قالَتْ: فدَخَلَ عَلَيْنا جَدِّي أبو قُحافةَ، وقَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ، فقالَ: واللهِ إنِّي لأُراهُ قَدْ فجَعَكُمْ بِمالِهِ مَعَ نَفْسِهِ. قالَتْ: قُلْتُ: كَلّا يا أبَتِ! إنَّهُ قَدْ تَرَكَ لَنا خَيْرًا كَثِيرًا. قالَتْ: فأَخَذْتُ أحْجارًا فوَضَعْتها في كُوّةٍ في البَيْتِ الَّذي كانَ أبي يَضَعُ مالَهُ فيها، ثُمَّ وضَعْتُ عَلَيْها ثَوْبًا، ثُمَّ أخَذْتُ بِيَدِهِ، فقُلْتُ: يا أبَتِ، ضَعْ يَدَكَ على هذا المالِ. قالَتْ: فوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، فقالَ: لا بَأْسَ، إذا كانَ تَرَكَ لَكُمْ هذا فقَدْ أحْسَنَ، وفي هذا بَلاغٌ لَكُمْ. ولا واللهِ ما تَرَكَ لَنا شَيْئًا ولَكِنِّي أرَدْتُ أنْ أُسَكِّنَ الشَّيْخَ بِذلك.

[سُراقةُ ورُكُوبُهُ في أثَرِ الرَّسُولِ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني الزُّهْرِيُّ أنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ مالِكِ بنِ جُعْشُمٍ حَدَّثَهُ عَنْ أبيهِ، عَنْ عَمِّهِ سُراقةَ بنِ مالِكِ بنِ جُعْشُمٍ، قالَ: لَمّا خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ مَكّةَ مُهاجِرًا إلى المَدِينةِ، جَعَلَتْ قُرَيْشٌ فيهِ مئةَ ناقةٍ لِمَنْ رَدَّهُ عَلَيْهِمْ. قالَ: فبَيْنا أنا جالِسٌ في نادِي قَوْمِي، إذْ أقْبَلَ رَجُلٌ مِنّا حَتّى

وقَفَ عَلَيْنا، فقالَ: واللهِ لَقَدْ رَأيْتُ رَكَبَةً ثَلاثةً مَرُّوا عَلَيَّ آنِفًا، إنِّي لَأُراهُمْ مُحَمَّدًا وأصْحابَهُ، قالَ: فأوْمَأْتُ إلَيْهِ بِعَيْنِي: أنِ اسْكُتْ، ثُمَّ قُلْتُ: إنَّما هُمْ بَنُو فُلانٍ، يَبْتَغُونَ ضالَّةً لَهُمْ، قالَ: لَعَلَّهُ، ثُمَّ سَكَتَ. قالَ: ثُمَّ مَكَثْتُ قَلِيلًا، ثُمَّ قُمْتُ فدَخَلْتُ بَيْتِي، ثُمَّ أمَرْتُ بِفَرَسِي فقُيِّدَ لِي إلى بَطْنِ الوادِي، وأمَرْتُ بِسِلاحِي فأُخْرِجَ لِي مِنْ دُبُرِ حُجْرَتِي، ثُمَّ أخَذْتُ قِداحِي الَّتِي أسْتَقْسِمُ بِها، ثُمَّ انْطَلَقْتُ، فلَبِسْتُ لَأْمَتِي، ثُمَّ أخْرَجْتُ قِداحِي، فاسْتَقْسَمْتُ بِها، فخَرَجَ السَّهْمُ الَّذي أكْرَهُ «لا يَضُرُّهُ».

قالَ: وكُنْتُ أرْجُو أنْ أرُدَّهُ على قُرَيْشٍ، فآخذَ المئةَ النّاقةِ. قالَ: فرَكِبْتُ على أثَرِهِ، فبَيْنَما فرَسِي يَشْتَدُّ بِي عَثَرَ بِي، فسَقَطْتُ عَنْهُ. قالَ: فقُلْتُ: ما هذا؟ قالَ: ثُمَّ أخْرَجْتُ قِداحِي فاسْتَقْسَمْتُ بِها، فخَرَجَ السَّهْمُ الَّذي أكْرَهُ «لا يَضُرُّهُ». قالَ: فَأبَيْتُ إلّا أنْ أتَّبِعَهُ. قالَ: فرَكِبْتُ في أثَرِهِ، فبَيْنا فرَسِي يَشْتَدُّ بِي، عَثَرَ بِي، فسَقَطْتُ عَنْهُ. قالَ: فقُلْتُ: ما هذا؟ قالَ: ثُمَّ أخْرَجْتُ قِداحِي فاسْتَقْسَمْتُ بِها فخَرَجَ السَّهْمُ الَّذي أكْرَهُ «لا يَضُرُّهُ»، قالَ: فأبَيْتُ إلّا أنْ أتَّبِعَهُ، فرَكِبْتُ في أثَرِهِ، فلَمّا بَدا لِي القَوْمُ ورَأيْتهمْ، عَثَرَ بِي فرَسِي، فذَهَبَتْ يَداهُ في الأرْضِ، وسَقَطْتُ عَنْهُ، ثُمَّ انْتَزَعَ يَدَيْهِ مِنَ الأرْضِ، وتَبِعَهُما دُخانٌ كالإعْصارِ، قالَ: فعَرَفْتُ حَيْنَ رَأيْتُ ذلك أنَّهُ قَدْ مُنِعَ مِنِّي، وأنَّهُ ظاهِرٌ. قالَ: فنادَيْتُ القَوْمَ: فقُلْتُ: أنا سُراقةُ بنُ جُعْشُمٍ: أَنظِرونى أكلِّمْكم، فواللهِ لا أُرِيبُكُمْ، ولا يَأْتِيكُمْ مِنِّي شَيْءٌ تَكْرَهُونَهُ. قالَ: فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأبِي بَكْرٍ: «قُلْ لَهُ: وما تَبْتَغِي مِنّا؟» قالَ: فقالَ ذلك أبو بَكْرٍ، قالَ: قُلْتُ: تَكْتُبُ لِي كِتابًا يَكُونُ آيةً بَيْنِي وبَيْنَكَ. قالَ: «اكْتُبْ لَهُ يا أبا بَكْرٍ».

[إسْلامُ سُراقةَ]

قالَ: فكَتَبَ لِي كِتابًا في عَظْمٍ، أوْ في رُقْعةٍ، أوْ في خَزَفةٍ، ثُمَّ ألْقاهُ إليَّ، فأخَذْتُهُ، فجعَلْتُهُ في كِنانَتِي، ثُمَّ رَجعْتُ، فسَكَتُّ فلَمْ أذْكُرْ شَيْئًا مِمّا كانَ، حَتّى إذا كانَ فتحُ مَكّةَ على رَسُولِ اللهِ ﷺ، وفَرَغَ مِنْ حُنَيْنٍ والطّائِفِ، خَرَجْتُ ومَعِي الكِتابُ لِألْقاهُ، فلَقِيتُهُ بِالجِعْرانةِ. قالَ: فدَخَلْتُ في كَتِيبةٍ مِنْ خَيْلِ الأنْصارِ. قالَ: فجَعَلُوا يَقْرَعُونَنِي بِالرِّماحِ ويَقُولُونَ: إلَيْكَ إلَيْكَ، ماذا تُرِيدُ؟ قالَ: فدَنَوْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وهُوَ على ناقَتِهِ، واللهِ لَكأنِّي أنْظُرُ إلى ساقِهِ في غَرْزِهِ كأنَّها جُمّارةٌ. قالَ: فرَفَعْتُ يَدِي بِالكِتابِ، ثُمَّ قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، هذا كِتابُكَ لِي، أنا سُراقةُ بنُ جُعْشُمٍ، قالَ: فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَوْمُ وفاءٍ وبِرٍّ، ادْنُهْ». قالَ: فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فأسْلَمْتُ، ثُمَّ تَذَكَّرْتُ شَيْئًا أسْألُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْهُ فما أذْكُرُهُ، إلّا أنِّي قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، الضّالّةُ مِنَ الإبِلِ تَغْشى حِياضِي وقَدْ مَلَأْتُها لِإبِلِي، هَلْ لِي مِنْ أجْرٍ في أنْ أسْقِيَها؟ قالَ: «نَعَمْ، في كُلِّ ذاتِ كَبِدٍ حَرّى أجْرٌ». قالَ: ثُمَّ رَجَعْتُ إلى قَوْمِي، فسُقْتُ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ صَدَقَتِي.

[تَصْوِيبُ نَسَبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الجُعْشُمِيِّ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ الحارِثِ بنِ مالِكِ بنِ جُعْشُمٍ.

حَدِيثُ الغارِ

وهُو غارٌ في جَبَلِ ثَوْرٍ، [وهُو الجَبَلُ الّذِي ذُكِرَ في تَحْرِيمِ المَدِينةِ، وأنّها حَرامٌ ما بَيْنَ عَيْرٍ إلى ثَوْرٍ][1]، وهُو وهْمٌ في الحَدِيثِ؛ لِأنّ ثَوْرًا مِنْ جِبالِ مَكّةَ،

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ص).

وإنّما لَفْظُ الحَدِيثِ عِنْدَ أَكْثَرِهِمْ: «ما بَيْنَ عَيْرٍ إلى كَذا»؛ كأنّ المُحَدِّث قد نَسِيَ المَكانَ، فكَنّى عنه بـ«كذا».

وفي حديثٍ مرويٍّ في الهجرةِ، أنه عليه السلام ناداه ثَبيرٌ: «اهبِطْ عنِّي؛ فإنِّي أخافُ أنْ تُقتَلَ على ظهري فأُعذَّب، فناداهُ حِراء: إليّ يا رسولَ الله». إلى ههنا انتهتْ رِوايتي في الحَديث، وأحسبُ [فيه][1] أن ثورًا ناداه أيضًا[2].

وذكرَ قاسِمُ بنُ ثابِتٍ في «الدّلائِلِ» فيما شَرَحَ مِن الحَدِيثِ، أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمّا دَخَلَهُ وأبو بَكْرٍ مَعَهُ، أنْبَتَ اللهُ عليه الرّاءةَ[3] ـ قالَ قاسِمُ [بنُ ثابت][4]: وهِيَ شَجَرةٌ مَعْرُوفةٌ ـ فحَجَبَتْ عَن الغارِ أعْيُنَ الكُفّارِ.

وقالَ أبو حَنيفةَ: الرّاءةُ: مِنْ أغْلاثِ[5] الشّجَرِ، وتكُونُ مِثْلَ قامةِ الإنْسانِ، ولَها خِيطانٌ، وزَهْرٌ أبْيَضُ تُحْشى بِها[6] المَخادّ، فتكُونُ كالرِّيشِ لِخِفّتِهِ ولِينِهِ؛ لِأنّهُ كالقُطْنِ، وأنْشَدَ[7]: [من الوافر]

تَرى وَدَكَ السَّدِيفِ على لِحاهُمْ   كَمِثْلِ الرّاءِ لَبَّدَهُ الصَّقِيعُ

---

(١) ما بين المعقوفين ليس في (ب).

(٢) قال ذلك أبو عُبَيد في «غريب الحديث» (١: ٣١٥)، وقال: إنه حديث أهل العراق، وإنَّ أهل المدينة لا يعرفون بها جبلًا يدعى: ثورًا، وإنما ثور بمكة، وذكر أن صواب الحديث: «ما بين عسير إلى أحد».

(٣) في (ف): «أنبت الله على بابه الراءة».

(٤) ما بين المعقوفين ليس في (ص).

(٥) الأعلاث والأغلاث، بالعين المهملة والمعجمة: القِطَع المختلطة من الشجر مما يُقدَح به.

(٦) في (ف): «منه».

(٧) البيت في «تاج العروس» (روأ)، منقولًا عن السهيلي. والودك: دسم اللحم ودهنه. والسديف: السنام المقطع. ولبّده: ألزق بعضه ببعض.

وفي «مُسْنَدِ البَزّارِ»: «أنّ اللهَ عزّ وجلّ أمَرَ العَنْكَبُوتَ فنَسَجَتْ على وجْهِ الغارِ، وأرسلَ حمامتين وحشيَّتَينِ فوقَفا[1] على وجْهِ الغارِ»، وأنّ ذَلِكَ مِمّا صَدَّ المُشْرِكينَ عنه، وأنّ حَمامَ الحَرَمِ مِنْ نَسْلِ تَيْنِكَ الحَمامَتَيْنِ. هذا معنى الحديث[2].

ورُوِيَ أنّ أبا بَكْرٍ حِينَ دَخَلَهُ وتَقَدّمَ إلى دُخُولِهِ قَبْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيَقِيَهُ بِنَفْسِهِ، رَأى فيهِ جُحْرًا فألْقَمَهُ عَقِبَهُ؛ لِئَلّا يَخْرُجَ مِنْهُ ما يُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ[3].

وفي «الصّحِيحِ» عَنْ أنَسٍ، قالَ: قالَ أبو بَكْرٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وهُما في الغارِ: «لَوْ أنّ أحَدَهُمْ نَظَرَ إلى قَدَمِهِ لَرَآنا، فقالَ له رسولُ الله ﷺ: ما ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثالِثُهُما؟!»[4].

ورُوِيَ أيْضًا أنهم[5] لما عُمِّي عليهم الأثر جاؤوا بالقافة، فجعلوا يقْفُون الأثَرَ حتّى انْتَهَوْا إلى بابِ الغارِ، وقد أنْبَتَ اللهُ عَلَيْهِ ما ذَكَرْنا في الحَديثِ قبل هذا، فعندما رَأى أبو بَكْرٍ القافةَ اشتدَّ حُزنُه على رَسُولِ اللهِ ﷺ وقالَ: إنْ قُتِلْتُ فإنّما أنا رَجُلٌ واحِدٌ، وإنْ قُتِلْتَ أنْتَ هَلَكَتِ الأُمّةُ، فعِنْدَها قالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، ألا تَرى كَيْفَ قالَ: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾، ولَمْ يَقُلْ: لا تَخَفْ؟! لِأنّ حُزْنَهُ على رَسُولِ اللهِ ﷺ شَغَلَهُ عَنْ خَوْفِهِ على نَفْسِهِ، ولِأنّهُ أيْضًا رَأى ما نزلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِن النّصَبِ، وكَوْنِهِ في ضِيقةِ الغارِ مَعَ فُرْقةِ الأهْلِ، ووحْشةِ الغُرْبةِ، وكانَ أرَقَّ النّاسِ على رَسُولِ اللهِ ﷺ، وأشْفَقَهُمْ عَلَيْهِ، فحَزِنَ لِذَلِكَ.

---

(١) في (ف): «فوقعتا».

(٢) «كشف الأستار عن زوائد البزار»، كتاب الهجرة والمغازي: (٢: ٢٩٩-٣٠٠).

(٣) السابق: (٢: ٣٠٠)، و«مجمع الزوائد» (٦: ٥٥).

(٤) «فتح الباري»، تفسير سورة التوبة: (٨: ٣٢٥)، و«مسلم»، كتاب فضائل الصحابة: (٣: ٤).

(٥) في (ص): «أنه».

وقد رُوِيَ أنّهُ قالَ: نَظَرْتُ إلى قَدَمَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ في الغارِ وقد تَفَطَّرَتا دَمًا، فاسْتَبْكَيْت، وعَلِمْتُ أنّهُ عَلَيْهِ السّلامُ لَمْ يَكُنْ تَعَوّدَ الحِفاءَ والجَفْوةَ[١]، وأمّا الخَوْفُ فقد كانَ عِنْدَهُ مِن اليَقِينِ بوعْدٍ مِنَ اللهِ بالنّصْرِ لِنَبيِّهِ ﷺ ما يُسَكِّنُ خَوْفَهُ.

وقال الله تَعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ [التوبة: ٤٠]، قالَ أكْثَرُ أهْلِ التّفْسِيرِ: يُرِيدُ على أبِي بَكْرٍ، وأمّا الرّسُولُ ﷺ فقد كانَت السّكِينةُ عَلَيْهِ.

وقوله: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ [التوبة: ٤٠]، الهاءُ في «أيّدَهُ» راجِعةٌ على النّبيّ ﷺ، والجُنُودُ: الملائكة نزّلهم عَلَيْهِ في الغارِ، فبَشّرُوهُ بالنّصْرِ على أعْدائِهِ، فأيّدَهُ ذَلِكَ وقَوّاهُ على الصّبْرِ، وقِيلَ: أيَّده بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها؛ يَعْنِي: يَوْمَ بَدْرٍ وحُنَيْنٍ وغَيْرِهما مِنْ مَشاهِدِهِ، وقد قِيلَ: الهاءُ راجِعةٌ على النّبيِّ ﷺ في المَوْضِعَيْنِ جَمِيعًا وأبو بكرٍ تَبَعٌ[٢] له، فدَخَلَ في حُكْمِ السَّكِينةِ بالمَعْنى، وكانَ في مُصْحَفِ حَفْصةَ: فأنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِما[٣]، وقِيلَ[٤]: إنّ حُزنَ أبي بكرٍ كانَ عندما رأى بعضَ الكُفارِ يبولُ عند باب الغارِ، فأشْفَقَ [أبو بكر][٥] أنْ يَكُونُوا قد رَأوْهُما[٦]، فقالَ لَهُ النّبِيُّ ﷺ: «لا تَحْزَنْ؛ فإنّهُمْ لَوْ رَأوْنا لَمْ يَسْتَقْبِلُونا

---

(١) قال الفراء في «المقصور والممدود» (ص: ٢١): «والحفا على وجهين: إذا حَفِيَ الرجل والدابة فلم يكن لهما مشي ولا سير، فهو مقصور، يكتب بالألف؛ لأنه مقصور. والحَفاء: أن يمشي الرجل بغير حذاء، فذلك ممدود يكتب بالألف». وفي «تاج العروس»: «حفي كرضي حَفًا، فهو حفٍ وحافٍ، والاسم الحُفْوة، بالضم والكسر». أراد أبو بكر رضي الله عنه أنه عليه السلام لم يصبه ما يمنع مشيه من حفًا.

(٢) في (ف): «تبعًا».

(٣) «البحر المحيط» لأبي حيان: (٥: ٤٣).

(٤) في (ص): «وقد قيل».

(٥) ليس في (ص).

(٦) في (ب): «رأوه».

بِفُرُوجِهِمْ عِنْدَ البَوْلِ، ولا تَشاغَلُوا بِشَيْءٍ عَنْ أَخْذِنا»، [واللهُ أَعْلَمُ](١).

فَصْلٌ

وزَعَمَتِ الرّافِضةُ أنّ في قَوْلِهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: ﴿لَا تَحْـزَنْ﴾ [التوبة: ٤٠] غَضًّا مِنْ أَبِي بَكْرٍ وذَمًّا لَهُ؛ فإنّ حُزْنَهُ ذَلِكَ إنْ كانَ طاعةً فالرّسُولُ عَلَيْهِ السّلامُ لا يَنْهى(٢) عَنِ الطّاعةِ، فلَمْ يَبْقَ إلّا أنّهُ مَعْصِيةٌ.

فيقالُ لَهُمْ على جِهةِ الجَدَلِ: قد قالَ اللهُ تعالى لِمُحَمّدٍ ﷺ: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يس: ٧٦]، وقالَ: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [آل عمران: ١٧٦]، وقالَ لِمُوسى عليه السلام: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ [طه: ٢١]، وقالَت المَلائكةُ لِلُوطٍ عليه السلام: ﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾ [العنكبوت: ٣٣]، فإنْ زَعَمْتُمْ أنّ الأنْبياءَ حِينَ قِيلَ لَهُمْ هَذا كانُوا في حالِ مَعْصِيةٍ، فقد كَفَرْتُمْ ونَقَضْتُمْ أَصْلَكُمْ في وُجُوبِ العِصْمةِ للأنبياءِ، ولِلْإمامِ المَعْصُومِ(٣) في زَعْمِكُمْ؛ فإنّ الأنْبياءَ هُم الأئِمّةُ المَعْصُومُونَ بإجْماعٍ. وإنّما قَوْلُهُ: ﴿لَا تَحْـزَنْ﴾، [وقَوْلُ اللهِ تعالى لِمُحَمّدٍ: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ﴾](٤) وقَوْلُهُ لِأَنْبيائِهِ مِثْلَ هَذا تَسْكِينٌ لِجَأْشِهِمْ، وتَبْشِيرٌ لَهُمْ وتَأْنِيسٌ، لا على جِهةِ النّهْيِ الّذِي زَعَمُوا، ولكن كما قال سبحانه: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ [فصلت: ٣٠]، وهَذا القَوْلُ إنّما يُقالُ لَهُمْ عِنْدَ المُعايَنةِ، ولَيْسَ إذْ ذاكَ أَمْرٌ بِطاعةٍ، ولا نَهْيٌ عَنْ مَعْصِيةٍ.

ووجْهٌ آخَرُ مِن التَّحْقِيقِ: وهو أنّ النّهيَ عن الفعلِ لا يقتضي كَوْنَ المَنْهِيِّ عنه

---

(١) عن (ص).

(٢) في (ف): «لا ينهاه».

(٣) في (ف)، (أ): «في وجوب العصمة للإمام المعصوم».

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (أ)، (ب)، (ف).

فيهِ، فقد نَهى اللهُ سبحانه نَبيَّهُ عليه السلام عَنْ أشْياءَ، ونَهى عِبادَهُ المُؤْمِنِينَ، فلَمْ يَقْتَضِ ذَلِكَ أنّهُمْ كانُوا فاعِلِينَ لِتِلْكَ الأشْياءِ في حالِ النّهْيِ؛ لِأنّ فِعْلَ النّهْيِ فِعْلٌ مُسْتَقْبَلٌ، فكَذَلِكَ قَوْلُهُ لِأبِي بَكْرٍ: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾، لَوْ كانَ الحُزْنُ كما زَعَمُوا، لَمْ يَكُنْ فيهِ على أبِي بَكْرٍ ما ادّعَوْا مِن الغَضِّ له، وأمّا ما ذَكَرْناهُ نَحْنُ مِنْ حُزْنِهِ على رسول الله ﷺ، وإنْ كانَ طاعةً، فلَمْ يَنْهَهُ عنه الرّسُولُ عَلَيْهِ السّلامُ إلّا رِفْقًا بِهِ، وتَبْشِيرًا له، لا كراهيةً لعمله، وإذا نَظَرْتَ المَعانِيَ بِعَيْنِ الإنْصافِ لا بِعَيْنِ الشَّهْوةِ والتّعَصُّبِ لِلْمَذاهِبِ، لاحَتِ الحَقائِقُ، واتّضَحَتِ الطّرائِقُ، واللهُ المُوفِّقُ[1].

وانْتَبِهْ أيّها العَبْدُ المَأْمُورُ بِتَدَبّرِ كِتابِ اللهِ تَعالى لِقَوْلِهِ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، كَيْفَ كانَ معهما بالمعنى وباللفظِ، أما المعنى فكانَ مَعَهُما بِالنّصْرِ والإرْفادِ، والهِدايةِ والإرْشادِ، وأمّا اللّفْظُ فإنّ اسْمَ اللهِ تَعالى كانَ يُذْكَرُ إذا ذُكِرَ رَسُولُهُ، وإذا دُعِيَ فقِيلَ: يا رَسُولَ اللهِ، أوْ فعَلَ رَسُولُ اللهِ، ثُمّ كانَ لِصاحِبِهِ كَذَلِكَ، يُقالُ: يا خَلِيفةَ رَسُولِ اللهِ، وفَعَلَ خَلِيفةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فكانَ يُذْكَرُ مَعَ ذكرهما بِالرّسالةِ وبِالخِلافةِ، ثُمّ ارْتَفَعَ ذَلِكَ فلَمْ يَكُنْ ذلك لِأحَدٍ مِن الخُلَفاءِ ولا يَكُونُ.

حَدِيثُ سُراقةَ بنِ مالِكِ بنِ جُعْشُمٍ الكِنانِيِّ ثُمّ[2] المُدْلِجِيِّ

أحَدُ بَنِي مُدْلِجِ بنِ مُرّةَ بنِ تَيمِ بنِ عَبْدِ مَناةَ بنِ كِنانةَ. [والجُعشُم في اللُّغة[3]: المنتفخُ الجَنبين][4].

---

(١) بعده في (ف): «للصواب».

(٢) «ثم» ليس في (ف).

(٣) «في اللغة» ليس في (ف).

(٤) ما بين القوسين مكانه في (ص) قبل: «أحد بني مدلج...». وليس فيها: «في اللغة».

وقد ذكرَ ابنُ إسْحاقَ حَدِيثَهُ حِينَ بَذَلَتْ قُرَيْشٌ مِئَةَ ناقةٍ لِمَنْ رَدَّ عَلَيْهِمْ مُحَمّدًا عَلَيْهِ السّلامُ، وأنّ سُراقةَ اسْتَقْسَمَ بالأزْلامِ، فخَرَجَ السَّهْمُ الّذِي [كانَ][1] يَكْرَهُ، وهُو الّذِي كانَ فيهِ مَكْتُوبًا: «لا يضُرّهُ» إلى آخِرِ القِصّةِ، وأنّ قَوائِمَ فرَسِهِ حِينَ قَرُبَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ساخَتْ في الأرْضِ، وتَبِعَها عُثانٌ، وهُو: الدّخانُ، وجَمْعُهُ: عَواثِنُ.

وذكرَ عن غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ[2] أنّ أبا جَهْلٍ لامَهُ حِينَ رَجَعَ بِلا شَيْءٍ فقالَ وكانَ شاعِرًا[3]: [من الطويل]

أبا حَكَمٍ واللهِ لَوْ كُنْتَ شـاهِدًا ... لِأمْرِ جَوادِي إذْ تَسُوخُ قَوائِمُهْ
عَلِمْتَ ولَمْ تَشْكُكْ بِأنّ مُحَمّدًا ... رَسُولٌ بِبُرْهانٍ فمَنْ ذا يُقاوِمُهْ؟!
عَلَيْك بِكَفِّ القَـوْمِ عنه فإنّني ... أرى أمْرَهُ يَوْمًا سَـتَبْدُو مَعالِمُهْ
بِأمْـرٍ يودُّ النّاسُ فيهِ بِأسْـرِهِمْ ... بِأنّ جَمِيعَ النّاسِ طُرًّا تُسـالِمُهْ

وقد قَدّمْنا في هَذا الكِتابِ[4] عِنْدَ ذِكْرِ كِسْرى ما فعَلَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ حِينَ أُتِيَ بتاجِ كِسْرى وسِوارَيْهِ ومِنْطَقَتِهِ، وأنّهُ دَعا بِسُراقةَ، وكانَ أزَبَّ[5] الذِّراعَيْنِ، فحَلّاهُ حِلْيَةَ كِسْرى، وقالَ لَهُ: ارْفَعْ يَدَيْك[6] وقُل: الحَمْدُ للهِ الّذِي سَلَبَ هَذا كِسْرى [المَلِكَ][7] الّذِي كانَ يَزْعُمُ أنّهُ رَبُّ النّاسِ، وكَساها أعْرابِيًّا مِنْ بَنِي

(١) من (ب)، (ج).

(٢) كذا في (أ)، وفي (ف)، (ص): «وذكر غير ابن إسحاق»، وفي (ب): «وذكر ابن إسحاق».

(٣) أخرجه البيهقي بإسناده إلى يونس بن بكير، عن ابن إسحاق. انظر: «دلائل النبوة» (٢: ٤٨٩).

(٤) انظر: (١: ٣٣٦).

(٥) الزَّبَبُ: كثرة شعر الذراعين والحاجبين والعينين.

(٦) في (ص): «يدك».

(٧) ما بين المعقوفين ليس في (ص).

مُدْلِجٍ. فقالَ ذَلِكَ سُراقةُ، وإنّما فعَلَها عُمَرُ؛ لِأنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كانَ قد بَشّرَ بها سُراقةَ حِينَ أَسْلَمَ، وأخْبَرَهُ[1] أنّ اللهَ سَيَفْتَحُ عَلَيْهِ بِلادَ فارِسَ، ويُغَنِّمُهُ مُلْكَ كِسْرى، فاسْتَبْعَدَ ذَلِكَ سُراقةُ في نَفْسِهِ، وقالَ: أكِسْرى مَلِكُ المُلُوكِ؟! فأخْبَرَهُ الرسول ﷺ أنّ حِلْيَتَهُ سَتُجْعَلُ عَلَيْهِ تَحْقِيقًا لِلْوعْدِ، وإنْ كانَ أعْرابِيًّا بَوّالًا على عَقِبَيْهِ، ولَكِنّ اللهَ يُعِزّ بِالإسْلامِ أهْلَهُ، ويُسْبِغُ على مُحَمّدٍ وأُمّتِهِ نِعْمَتَهُ وفَضْلَهُ.

[2] [وفي السِّيَرِ مِنْ رِوايةِ يُونُسَ شِعْرٌ لِأبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عنه في قِصّةِ الغارِ [وفي مسيرهما حين سارُوا، وفي طلبِ سُراقة إيّاهم][3]: [من البسيط]

قالَ النّبِيُّ ولَمْ يجزَعْ يُوقِّرُني ... ونَحْنُ في سُدَفٍ من ظُلمةِ الغارِ
لا تَخْشَ شَيْئًا؛ فإنّ اللهَ ثالِثُنا ... وقد تَوكّلَ لِي مِنْهُ بِإظْهارِ
وإنّما كَيْدُ مَنْ تَخْشى بَوادِرَهُ ... كَيْدُ الشّياطِينِ قد كادَتْ[4] لِكُفّارِ
واللهُ مُهْلِكُهُمْ طُرًّا بِما كَسَبُوا ... وجاعِلُ المُنْتَهى مِنْهُمْ إلى النّارِ
وأنْتَ مُرْتَحِلٌ عنهمْ وتارِكُهُمْ ... إمّا غدوًّا وإمّا مُدْلِجٌ سارِي
وهاجِرٌ أرْضَهُمْ حتّى يَكُونَ لَنا ... قَوْمٌ عَلَيْهِمْ ذَوُو عِزٍّ وأنْصارِ
حتّى إذا اللّيْلُ وارَتْنا جَوانِبُهُ ... وسَدّ مِنْ دُونِ مَنْ نَخْشى بِأسْتارِ
سارَ الأُرَيْقِطُ يَهْدِينا وأيْنُقُهُ ... يَنْعَبنَ بالقَوْمِ نَعْبًا تَحْتَ أكْوارِ[5]

---

(١) في (ف): «فأخبره».

(٢) من هنا إلى أول حديث أم معبد ليس في (ص).

(٣) ما بين المعقوفين ليس في (أ)، (ف). هذا، وانظر هذا الشعر في: «دلائل النبوة» لأبي نعيم: (ص: ٣٣٤).

(٤) في (أ)، (ج): «كادته».

(٥) النَّعْبُ: من سير الإبل، وهو أن يحرِّك البعير رأسه إذا أسرع، وهو من سير النجائب. والأكوار: جمع كُور، وهو الرَّحل.

يَعْسِفْنَ عَرْضَ الثّنايا بعدَ أطولها
وكلَّ سهبٍ رَقاقِ التُّربِ مَوّارِ[١]
حتّى إذا قُلْتُ: قد أنْجَدْنَ عارِضَها
مَنْ مُدْلِجٌ فارسٌ في مِنْصَبٍ وارِ؟[٢]
يَرْدِي بِهِ مُشْرِفُ الأقْطارِ مُعْتَزِمٌ
كالسِّيدِ ذِي اللِّبْدةِ المُسْتَأْسِدِ الضّارِي[٣][٤]
فَقالَ: كُرُّوا، فقُلْت[٥]: إنّ كَرّتَنا
من دونها لك نَصْرُ الخالِقِ البارِي[٦]
أنْ يَخْسِفَ الأرْضَ بالأحْوى وفارِسِهِ
فانْظُرْ إلى أَرْبَعٍ في الأرْضِ غُوّارِ[٧]
فَهِيلَ لَمّا رَأى أرْساغَ مَقْرَبِهِ
قد سُخْنَ في الأرْضِ لَمْ يَحْفِرْ بِمِحْفارِ[٨]

---

(١) العَسْفُ: قطع المفازة. والسَّهب: الفلاة، وريح موّارة: تثير التراب.

(٢) المِنْصَبُ: شيء من حديد ينصب عليه القدر. وورت النار تَرِي وَرْيًا وريةً: اتقدت. هذا ما تهيأ لي من ضبط «مِنْصَب». والكلام على التشبيه.

(٣) في (ف): «الضار».

(٤) رَدى الفرس رَدْيًا: رجم الأرض بحوافره في سيره وعَدْوِه. ومعتزم: مشتدّ.

(٥) في (ف): «فقلنا».

(٦) في (ف): «البار».

(٧) في (ب): «خوار». والأحوى: أراد الفرس، والحُوّة: سواد يضرب إلى خضرة. وغُوّار: جمع غائر، يقال: غارَ في الأرض: دخل. وغار الماء غورًا: ذهب في الأرض. وهذا معنى قول سراقة: «فساختْ يدُ فرسي»؛ أي: غاصتْ في الأرض.

(٨) فهِيلَ؛ أي: فزع، يقال: هالَني الأمر: أفزَعني. والأرساغ: جمع رسغ وهو مفصل ما بين الساق والقدم. والمقرب من الخيل: الذي يُدنى ويُقرَّب ويكرم.

فَقَـالَ: هَـلْ لَكُـمُ أنْ تُطْلِقُـوا فرَسِـي
وتَأْخُـذُوا مَوْثِقِـي فـي نُصْـحِ أسْـرارِ
وأصْـرِفَ الحَـيَّ عَنْكُـمْ إنْ لَقِيتُهُـمُ
وأنْ أُعَـوِّرَ مِنْـهُـمْ عَيْـنَ عُـوّارِ[١]؟
فادْعُـوا الّـذِي هُو عَنْكُـمْ كَـفَّ عَدوتَنا
يُـطْـلِـقْ جَـوادِي وأنْـتُـمْ خيـرُ أبـرارِ
فَـقـالَ قَـوْلًا رَسُـولُ اللهِ مُبْتَـهِـلًا
يـا رَبِّ إنْ كانَ مِنْـهُ غَيْـرُ إخْفـارِ[٢]
فَـنَـجِّـهِ سـالِـمًـا مِـنْ شَـرِّ دَعْـوتِـنـا
ومُـهْـرَهُ مُـطْـلَـقًـا مِـنْ كَـلْـمِ آثـارِ
فَـأظْـهَـرَ اللهُ إذْ يَـدْعُـو حَـوافِـرَهُ
وفـازَ فـارِسُـهُ مِـنْ هَـوْلِ أخْـطـارِ[٣]

حَدِيثُ أُمِّ مَعْبَدٍ

وذكـرَ عَنْ أسْمـاءَ بِنْتِ أبِي بَكْـرٍ حِينَ خَفِيَ عَلَيْها وعلى مَنْ مَعَها أمْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ولَمْ يَدْرُوا أين توجَّه، حتى أتى رَجُلٌ مِن الجِنِّ يَسْمَعُونَ صَوْتَهُ ولا يَرَوْنَهُ، فمَرّ على مَكّةَ والنّاسُ يَتّبِعُونَهُ وهُو يُنْشِدُ هَذِهِ الأبْياتَ[٤]:

[من الطويل]

---

(١) عوّرتُهُ عن الأمر: صرفتُهُ عنه، والعُوّار والأعور المراد به هنا: الذي عُوِّرَ ولم تُقضَ حاجته.

(٢) أخْفرَ الذمّة: لم يفِ بما تعهَّدَ به.

(٣) إلى هنا ينتهي ما لم يثبت في (ص)، والذي بدأ عند قوله: «وفي السير عن يونس».

(٤) الأبيات في «دلائل النبوة» للبيهقي: (٢: ٤٩٤)، وأبي نعيم: (٢: ٣٣٩)، و«ديوان حسان» (٢: ٤٦٤).

جَزى اللهُ رَبُّ النّاسِ خَيْرَ جَزائِهِ رَفيقَيْنِ حَلّا خَيْمَتَــي أُمِّ مَعْبَدِ
هُمــا نَــزَلا بِالبِــرِّ ثُــمّ تَرَحّلا فأفْلَحَ مَنْ أمْســى رَفيقَ مُحَمّدِ
فيا لَقُصَيٍّ مــا زوى اللهُ عَنْكُمُ بِهِ مِنْ فَعالٍ لا تُجازى[1] وسُودَدِ
لِيَهْنِئْ بَنِي كَعْــبٍ مَقامَ فتاتِهِمْ ومقعدها للمؤمنينَ بمرصدِ[2]
سَلُوا أُخْتَكُمْ عَنْ شاتِها وإنائِها فإنّكُمُ إنْ تَسْــألُوا الشّاةَ تَشْهَدِ
دَعاها بِشــاةٍ حائِــلٍ فتَحَلّبَتْ لَهُ بِصَرِيحٍ ضَرّةُ الشّاةِ مُزْبِدِ[3]
فَغادَرَهــا رَهْنًا لَدَيْهــا لِحالِبٍ يُرَدِّدُها فــي مَصْدَرٍ ثُمّ مَوْرِدِ[4]

ويُرْوى أنّ حَسّانَ بنَ ثابتٍ لَمّا بَلَغَهُ شِعْرُ الجِنّي وما هَتَفَ بِهِ في مَكّةَ، قال يجيبُه[5]: [من الطويل]

لقد خــابَ قومٌ غابَ عنهُــمْ نَبِيّهُمْ وقُدِّسَ مَنْ يَسْرِي إلَيْهِمْ ويَغْتَدِي[6]
تَرَحّلَ عَــنْ قَوْمٍ فضَلّــتْ عُقُولُهُمْ وحَــلّ علــى قَــوْمٍ بِنُــورٍ مُجَــدَّدِ
هَداهُــمْ بِــهِ بَعْــدَ الضَّلالــةِ رَبُّهُمْ وأرْشَــدَهُمْ، مَنْ يَتْبَعِ الحَقّ يَرْشُــدِ
وهل يســتوي ضُلّالُ قومٍ تسفّهوا عمايتُهــم هــادٍ بها كلُّ مهتــدِ؟[7]

---

(١) في (أ): «تجاري»، (ب)، (ج): «يجازي»، وفي (ف): «يجارى». وزوى عنه الشيء: نحّاه وأبعده. والفعال، المراد به هنا: الفعل الحسن. والسؤدد: الشرف.

(٢) كذا في (ص)، وفي غيرها: «ليهنى». وليهنئ: دعاء لهم بالهناءة، ويقال: أمر هنيء: إذا أتاك من غير مشقة. والمرصد: الطريق.

(٣) حائل: لم تحمل. ولبن صريح: ساكن الرغوة خالص.

(٤) في (ص): «فغادره».

(٥) «ديوان حسان»، تحقيق: عرفات: (٢: ٤٦٤-٤٦٥)، وتحقيق: الصيرفي: (ص: ٣٧٦-٣٧٧).

(٦) في «الديوان»، تحقيق: عرفات: «وقد سُرّ». والمثبت عن الأصول وتحقيق: الصيرفي.

(٧) كذا في النسخ، وفي «الديوان»: «عِمًى وهداة يهتدون بمهتد». وما في النسخ يوافق نص =

لَقَــد نزلَتْ مِنْــهُ على أهْــلِ يَثْرِبٍ ... رِكابُ هُدًى حَلَّتْ عَلَيْهِمْ بِأسْــعُدِ
نَبِيٌّ يَــرى ما لا يَرى النّــاسُ حَوْلَهُ ... ويَتْلُــو كِتابَ اللهِ في كلِّ مشــهَدِ[1]
وإنْ قــالَ فــي يَــوْمٍ مَقالــةَ غائِبٍ ... فتَصْدِيقُهُ في اليَوْمِ أوْ في ضُحى الغَدِ
لِيَهْنِــئْ أبــا بَكْــرٍ سَــعادةُ جَــدِّهِ ... بِصُحْبَتِــهِ مَــنْ يُسْــعِدِ اللهُ يَسْــعَدِ

وزادَ يُونُسُ في رِوايَتِهِ: أنّ قُرَيْشًا لَمّا سَمِعَتِ الهاتِفَ مِن الجِنّ، أرْسَلُوا إلى أُمِّ مَعْبَدٍ وهِيَ بِخَيْمَتِها، فقالُوا: هَلْ مَرّ بِكِ مُحَمّدٌ الّذِي مِنْ حِلْيَتِهِ كَذا؟ فقالَتْ: لا أدْرِي ما تَقُولُونَ، وإنّما ضافني صاحب[2] الشّاةِ الحائِلِ.

وكانُوا أرْبَعةً: رَسُولُ اللهِ ﷺ، وأبو بَكْرٍ، وعامِرُ بنُ فُهَيْرةَ مَوْلى أبِي بَكْرٍ ـ وقد تَقَدّمَ التّعْرِيفُ بِهِ[3]، وطَرَفٌ مِنْ[4] فضائِلِهِ في هِجْرةِ الحَبَشةِ ـ والرّابِعُ: عَبْدُ اللهِ بنُ أُرَيْقِطٍ اللّيْثِيّ، ولَمْ يَكُنْ إذْ ذاكَ مُسْلِمًا، ولا وجَدْنا مِنْ طَرِيقٍ صَحِيحٍ أنّهُ أسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ، وجاءَ في حَدِيثٍ أنّهُمُ اسْتَأْجَرُوهُ، وكانَ هادِيًا خِرّيتًا، والخِرّيتُ: الماهِرُ بِالطّرِيقِ[5] الّذِي[6] يَهْتَدِي بِمِثْلِ خُرْتِ[7] الإبْرةِ، ويُقالُ لَهُ:

= «الاستيعاب» (٢: ٧٩٦) والسهيلي ينقل عنه، وكأنه حذف المعطوف نحو قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ [الحديد: ١٠]؛ أي: ومن أنفقَ من بعده. وتقدير البيت [على] هذا: وهل يستوي ضُلّال قوم تسفهوا عمايتهم وهؤلاء المهتدون؟ وتسفهوا: استخفُّوا واستهانوا. والعماية في الأصل: الظُّلمة.

(١) في (ف): «مسجد».

(٢) في (ف): «حالب».

(٣) انظر: (١: ٣٣٦).

(٤) بعده في (ف): «ذِكر».

(٥) في (ف): «بالطرق».

(٦) ما عدا (ص): «والذي».

(٧) الخُرث: بفتح الخاء وضمِّها: الثقب في الإبرة ونحوها.

الخَوْتَعُ أيْضًا، [قالَ الرّاجِزُ][١][٢]: [من الرجز]

يَضِلُّ فيها الخَوْتَعُ المُشَهَّرُ[٣]

وأمّا أُمُّ مَعْبَدٍ الّتِي مَرّوا[٤] بِخَيْمَتِها، فاسْمُها: عاتِكَةُ بِنْتُ خالِدٍ، إحْدى بني كَعْبِ بنِ خُزاعـةَ، وهِيَ أُخْتُ حُبَيْشِ بنِ خالِدٍ، ولَهُ صُحْبَةٌ وروايَةٌ، ويُقالُ[٥] لَهُ: الأشْعَرُ، وأخُوها: حُبَيْشُ بنُ خالِدٍ سَيَأْتِي ذِكْرُهُ[٦] والخِلافُ في اسْمِهِ، وخالِدٌ الأشْعَرُ أبوهُما، هُو: ابنُ خُنَيْفِ بنِ مُنْقِذِ بنِ رَبيعةَ بنِ أصْرَمَ بنِ ضُبَيْسِ ابنِ حَرامِ[٧] بنِ حُبْشِيّةَ[٨] بنِ كَعْبِ بنِ عَمْرٍو، وهُو أبو خُزاعةَ.

وزَوْجُها أبو مَعْبَدٍ، يُقالُ: إنّ لَهُ رِوايَةً أيْضًا عَنْ رسول الله ﷺ، تُوفِّي في حَياةِ النبي ﷺ، ولا يُعْرَفُ اسْمُهُ، وكانَ مَنْزِلُ أُمِّ مَعْبَدٍ بِقُدَيْدٍ، وقد رُوِيَ حَدِيثُها بِألْفاظٍ مُخْتَلِفةٍ مُتَقارِبةِ المَعانِي[٩]، وقد رَواهُ ابنُ قُتَيْبَةَ[١٠] في «غَرِيبِ الحَدِيثِ»، وتَقَصّى شَرْحَ ألْفاظِهِ، وفيهِ: أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال لِأُمِّ مَعْبَدٍ: وكانَ القَوْمُ مُرْمِلِينَ ....

---

(١) ما بين المعقوفين يقابله في (ف): «وأنشد ابن قتيبة».

(٢) ذو الرمة، «ديوانه» (١: ٣٢٠)، وفيه يروى:

بها يضل الخوتع المشـهَّرُ

(٣) في (ص): «بها قد يضل»، وفي (ب): «المشتهر».

(٤) في (أ)، (ج): «مرّ بها». وفي (ف): «مر بخيمتها».

(٥) في (ف): «يقال» بدون الواو.

(٦) انظر: (٧: ٩٣).

(٧) في (ف): «حزام».

(٨) حُبشية: بضم الحاء، وفي «تاج العروس»، وضبطه بعضهم بفتح الحاء وسكون الموحدة.

(٩) في (أ): «المعنى».

(١٠) انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة: (١: ٤٦٢).

مُسْنِتِينَ[(١)]، فطَلَبُوا لَبَنًا أوْ لَحْمًا[(٢)] يَشْتَرُونَهُ، فلَمْ يَجِدُوا عِنْدَها شَيْئًا، فنَظَرَ إلى شاةٍ في كِسْرِ[(٣)] الخَيْمةِ خَلَّفَها الجَهْدُ[(٤)] عَنِ الغَنَمِ، فسَألَها: «هَلْ بِها مِنْ لَبَنٍ؟» فقالَتْ: هِيَ أجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ، فقالَ: «أتَأْذَنِينَ لِي أنْ أحْلِبَها؟» فقالَتْ: بأبِي أنْت وأُمِّي، إنْ رَأيْتَ بِها حَلْبًا فاحْلِبْها. فدَعا بِالشّاةِ، فاعْتَقَلَها، ومَسَحَ ضَرْعَها، فتَفاجّتْ[(٥)] ودَرّتْ واجْتَرّتْ، ودَعا بِإناءٍ يُرْبِضُ الرّهْطَ؛ أيْ: يُشْبِعُ الجَماعةَ حتّى يَرْبِضُوا[(٦)]، فحَلَبَ فيهِ ثَجًّا[(٧)] حتّى علاهُ البهاء، وسَقى القَوْمَ حتّى رَوُوا، ثُمّ شَرِبَ آخِرَهُمْ، ثُمّ حَلَبَ فيهِ مَرّةً أُخْرى عَلَلًا بَعْدَ نَهَلٍ[(٨)]، ثُمّ غادَرَهُ عِنْدَها، وذَهَبُوا، فجاءَ أبو معبد وكان غائبًا، فلَمّا رَأى اللّبَنَ قالَ: ما هَذا يا أُمَّ مَعْبَدٍ؟ أنّى لَك هَذا والشّاءُ[(٩)] عازِبٌ حِيالٌ[(١٠)]، ولا حَلُوب بِالبَيْتِ؟! فقالَتْ: لا واللهِ، إلّا أنّهُ مَرّ بِنا رَجُلٌ مُبارَكٌ، فقالَ: صِفيهِ يا أُمّ مَعْبَدٍ، فوصَفَتْهُ بِما ذكَرَه القُتَبِيّ وغَيْرُهُ في الحَدِيثِ، وفيه فيما ....

(١) أرمل القوم: نَفِدَ زادهم. وأَسْنَتوا: أجدبوا.
(٢) كذا في (ص)، وفي غيرها: «ولحمًا».
(٣) كِسْرُ البيت: «جانبه».
(٤) الجهد: المشقة، والمراد في الحديث: الهزال. وقولها: هي أجهد من ذلك؛ أي: إنَّ ما بالشاة أبلغ من الهزال.
(٥) أي: درَّت اللبن وأقبل منها على الحالب شيءٌ كثير. واجترت الشاة: من الجرّة، وهي ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه.
(٦) أي: يثقلوا فيربضوا فيناموا لكثرة اللبن الذي شربوه ويمتدوا على الأرض.
(٧) ثَجًّا: أي: صَبًّا. والبهاء: بريق رغوة اللبن.
(٨) النَّهَل: الشرب الأول، والعَلَل: السقية الثانية.
(٩) في (ف): «الشاة».
(١٠) عازب: بعيدة المرعى، لا تأوي إلى المنزل إلا في الليل. والحيال: جمع حائل وهي التي لم تحمل.

ذكرَهُ[١] القُتَبِيّ: «فَشَرِبُوا حتّى أراضُوا»[٢]. جَعَلَهُ القُتَبِيُّ مِن اسْتَراضَ الوادِي: إذا اسْتَنْقَعَ، ومِن الرّوْضةِ: وهِيَ بَقِيّةُ الماء في الحوض، وأنشد[٣]: [من البسيط]

وروضةٍ سَقَيتُ فيها نِضْوِي[٤]

ورَواهُ الهَرَوِيُّ: «آرَضُوا» على وزْنِ آمَنُوا؛ أيْ: ضَرَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ إلى الأَرْضِ مِن الرِّيِّ[٥].

وفي حَدِيثٍ آخَرَ: أنّ آلَ مَعْبَدٍ كانُوا يُؤَرِّخُونَ بِذَلِكَ اليَوْمِ، ويُسَمُّونَهُ: يَوْمَ الرّجُلِ المُبارَكِ، يَقُولُونَ: فعَلْنا كَيْتَ وكَيْتَ قَبْلَ أن يأتِيَنا الرجل المبارك، [أو: بعدما جاءَنا الرّجُلُ المُبارَكُ][٦].

ثُمّ إنّها أتَت المَدِينةَ بَعْدَ ذَلِكَ بِما شاءَ اللهُ، ومَعَها ابنٌ لها[٧] صَغِيرٌ قد بَلَغَ السّعْيَ، فمَرّ في المَدِينةِ على مسجد رسولِ الله ﷺ وهُو يُكَلّمُ النّاسَ على المِنْبَرِ، فانْطَلَقَ إلى أُمّهِ يَشْتَدّ، فقالَ لَها: يا أُمّتاهُ، إنّي رَأيْتُ اليَوْمَ الرّجُلَ المُبارَكَ، فقالَتْ لَهُ: يا بُنَيّ، ويْحَك! هُو رَسُولُ اللهِ ﷺ.

ومِمّا يُسْأَلُ عنه في [هَذا][٨] الحَدِيثِ أنْ يُقالَ: هل استمرَّتْ تلك البركةُ

---

(١) في (ف): «ذكر».

(٢) «غريب الحديث» (١: ٤٦٩).

(٣) البيت في «اللسان» (روض) لهِمْيان السعدي. (ج)

(٤) كذا في النسخ. وفي «غريب الحديث»، و«اللسان» (روض): «منها نضوتي». والنِّضو: المهزول من الدواب، والأنثى بهاء: نِضوة.

(٥) انظر: «النهاية» لابن الأثير: (أرض)، و«مستدرك تاج العروس».

(٦) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٧) «ابن لها» ليس في (ف).

(٨) ما بين المعقوفين ليس في (أ).

في شاةِ أُمّ مَعْبَدٍ بَعْدَ ذَلِكَ اليَوْمِ، أمْ عادَتْ إلى حالِها؟ وفي[١] الخَبَرِ عَنْ هِشامِ ابنِ حُبَيْشٍ الكَعْبِيِّ[٢]، قالَ: أنا رَأيْتُ تِلْكَ الشّاةَ، وإنّها لَتَأْدِمُ أُمَّ مَعْبَدٍ وجَمِيعَ صِرْمِها؛ أيْ: أهْلَ ذَلِكَ الماءِ[٣].

وفي [هذا][٤] الحَدِيثِ أيْضًا مِن الغَرِيبِ في وصْفِ الشّاةِ، قالَ: «ما كانَ فيها من بُصْرةٍ»، وهِيَ النُّقَطة مِن اللَّبنِ تُبصَر بالعَين.

* * *

(١) في (ف): «ففي».

(٢) ترجمته في «أسد الغابة» (١: ٤٥١). (ج)

(٣) في «اللسان»: الصِّرْم بالكسر: الأبيات المجتمعة المنقطعة من الناس.

(٤) ما بين المعقوفين ليس في (ص).

[طَرِيقُهُ ﷺ في هِجْرَتِهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا خَرَجَ بِهِما دَلِيلُهُما عَبْدُ الله بنُ أرْقَطَ، سَلَكَ بِهِما أسْفَلَ مَكّةَ، ثُمَّ مَضى بِهِما على السّاحِلِ، حَتّى عارَضَ الطَّرِيقَ أسْفَلَ مِنْ عُسْفانَ، ثُمَّ سَلَكَ بِهِما على أسْفَلِ أمَجَ، ثُمَّ اسْتَجازَ بِهِما، حَتّى عارَضَ بِهِما الطَّرِيقَ، بَعْدَ أنْ أجازَ قُدَيْدًا، ثُمَّ أجازَ بِهِما مِنْ مَكانِهِ ذلك، فسَلَكَ بِهِما الخَرّارَ، ثُمَّ سَلَكَ بِهِما ثَنِيّةَ المِرّةِ، ثُمَّ سَلَكَ بِهِما لَقْفًا.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ، لَفْتًا. قالَ مَعْقِلُ بنُ خُوَيْلِدٍ الهُذَلِيُّ:

نَزِيعًا مُحْلِبًا مِنْ أهْلِ لَفْتٍ ... لِحَيٍّ بَيْنَ أثْلَةَ والنِّجامِ

فَصْلٌ

وذكرَ أنّ دَلِيلَهُما سَلَكَ بِهِما عُسْفانَ.

قالَ المُؤَلّفُ[١]: وقد رُوِيَ عَنْ كُثَيِّرٍ[٢] أنّهُ قالَ: سُمِّيَ عُسْفانَ؛ لِتَعَسُّفِ السُّيُولِ فيهِ، وسُئِلَ عَنِ الأبْواءِ الّذِي فيهِ قَبْرُ آمِنةَ أُمِّ النّبِيِّ ﷺ: لِمَ سُمّيَ الأبْواءَ؟ فقال: لأنّ السُّيول تتبوّؤُهُ؛ أيْ: تَحِلُّ بِهِ[٣].

(١) بعده في (ف): «أبو القاسم».

(٢) هو كُثيِّر الشاعر صاحب عزة، وقد عُرف عنه تعليله لكثير من أسماء الأماكن، وذلك مروي عنه في «معجم ما استعجم» للبكري: (٤: ١٢١٢، ١٢٥٦)، و«معجم البلدان» لياقوت: (٥: ٣٦٣) وغيرها.

(٣) انظر لكُثيِّر تعليلًا آخر للأبواء في: «معجم البلدان» (الأبواء): (١: ١٠٢).

وبِعُسْفانَ فيما رُوِيَ كانَ مَسْكَنُ الجُذَمى، ورَأيْتُ في بَعْضِ المُسْنَداتِ أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرّ بِعُسْفانَ وبِهِ الجُذَمى فأسْرَعَ المَشْيَ ولَمْ يَنْظُر إليَهم، وقالَ: «إنْ كانَ شَيْءٌ مِن العِلَلِ يُعدِي فهُو هَذا»، وهَذا الحَدِيثُ هُو مِنْ رِوايَتِي؛ لِأنّهُ في «مُسْنَدِ الحارثِ بن أبِي أُسامةَ»[١]، وقد تَقَدّمَ اتّصالُ سَنَدِي بِهِ[٢]، وكُنْتُ رَأيْتُهُ قَبْلُ في «مُسْنَدِ وكِيعِ بنِ الجَرّاحِ»، ولَيْسَ لي فيهِ إسْنادٌ.

فَصْلٌ

وذكَرَ أنّ دَلِيلَهُمْ سَلَكَ بهم أمْجًا ثُمّ ثَنِيّةَ المَرةِ[٣]، كَذا وجَدْتُه مُخَفّفَ الرّاءِ مُقَيّدًا؛ كَأنّهُ مُسَهّلُ الهَمْزةِ مِن المَرْأةِ.

وذكَرَ لَقْفًا بِفَتْحِ اللّامِ مُقَيّدًا في قَوْلِ ابنِ إسْحاقَ، وفي رِوايةِ ابنِ هِشامٍ: لَفْتًا[٤]، واسْتَشْهَدَ ابن هشام بقول مَعْقِلٍ الهُذَلِيّ[٥]: [من الوافر]

نَزِيعًا مُحْلَبًا مِنْ أهلِ لَفْتٍ   لحيٍّ بيـن أَثْلةَ والنِّجامِ[٦]

وألْفيتُ في «حاشِيـةِ الشَّيْخِ أبـي بحـرٍ» على هَذا المَوْضِعِ، قالَ: «لِفْتٌ» بِكَسْرِ اللّامِ ألْفيتُهُ في شِعْرِ مَعْقِلٍ هَذا في أشْعارِ هُذَيْلٍ في نُسْخَتِي، وهِيَ نُسْخةٌ

(١) «المطالب العالية»، كتاب الطب: (٢: ٣٥٢).

(٢) انظر: (٣: ٨).

(٣) «معجم البلدان» (ثنية المرة).

(٤) كذا في (ص)، وفي غيرها: «لفتا».

(٥) «ديوان الهذليين» (٣: ٦٦).

(٦) في (ف)، (أ)، (ب): «فالنجام»، وفي «الديوان»: «صريخًا مجلبًا» بدل: «نزيعًا محلبًا». وسيذكر السهيلي رواية الديوان بعد. نزيع: غريب. ومحلب: معين، من أحلبَ القوم: إذا اجتمعوا للنُّصرة والإعانة. والنِّجام: اسم موضع أو وادٍ.

مصَحَّحةٌ[١] جِدًّا، وكَذَلِكَ أَلْفاهُ مَنْ وثِقْته وكَلَّفْته أنْ يَنْظُرَ لِي فيهِ في شعر معقلٍ هذا في أشعار هُذَيْلٍ مَكْسُورَ اللّامِ في نُسْخةِ أَبِي عَلِيٍّ القالِي المَقْرُوءةِ على الزّيادِيّ، ثُمّ على الأَحْولِ، ثُمّ قَرَأها على ابنِ دُرَيْدٍ رَحِمَهُ اللهُ، وفيها: «صَرِيحًا مُحْلِبًا»، وكَذَلِكَ كانَ الضّبْطُ في هذا الكتاب قديمًا، حتى ضبطه[٢] بِالفَتْحِ على[٣] القاضِي، وعلى ما وقَعَ في غَيْرِها[٤]. انْتَهى كَلامُ أَبِي بَحْرٍ.

[وقد ذكرَ أبو عُبَيْدٍ البَكْرِيّ: لِفْتًا، مُقَيَّدةً بِكَسْرِ اللّامِ كما فعل أبو بحر][٥]، وقبل البيت: [من الوافر]

لَعمرُكَ ما خَشِيتُ وقد بَلَغْنا ... جِبالَ الجَوْزِ مِــنْ بَلَدٍ تَهامِ

[صَرِيحًا مُحْلَبًا..... البَيْت][٦].

* * *

(١) في (ف): «صحيحة».

(٢) في (أ)، (ج): «ضبطته بالفتح عن القاضي».

(٣) في (ف): «عن».

(٤) نقل هذا النص ياقوت في «معجم البلدان» عن السهيلي. انظر: «معجم البلدان» (٥: ٢٠).

(٥) عن (أ).

(٦) عن (ص) وفيها: «صريحًا»، بالحاء، وهي في «الديوان» كما قدمت: «صريخًا»، بالخاء المعجمة، وفُسِّرَ صريخ بالمغيث.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ أجازَ بِهِما مَدْلَجَةَ لِقْفٍ، ثُمَّ اسْتَبْطَنَ بِهِما مَدْلَجَةَ مَحاجَّ، ويُقالُ: مَجاجٍ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ، ثُمَّ سَلَكَ بِهِما مَرْجِحَ مَحاجَّ، ثُمَّ تَبَطَّنَ بِهِما مَرْجِحَ مِنْ ذِي الغَضْوَيْنِ قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: العُضْوَيْنِ ثُمَّ بَطْنَ ذِي كَشْرٍ، ثُمَّ أخَذَ بِهِما على الجَداجِدِ، ثُمَّ على الأَجْرَدِ، ثُمَّ سَلَكَ بِهِما ذا سَلَمٍ، مِنْ بَطْنِ أعْداءِ مَدْلجةِ تِعْهِنَ، ثُمَّ على العَبابِيدِ. قالَ ابنُ هِشامٍ: وَيُقالُ: العَبابِيبُ، ويُقالُ: العِثْيانةُ. يُرِيدُ: العَبابِيبَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ أجازَ بِهِما الفاجَّةَ، ويُقالُ: القاحّةُ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

وذكرَ المَواضِعَ التي سلكَ عليها، وذكر فيها «مِجاجَ» بِكَسْرِ المِيمِ وجِيمَيْنِ، وقالَ ابنُ هِشام: ويُقالُ فيها[1]: «مَجاج» بِفَتْحِ الميم، وقد أَلْفيتُ شاهِدًا لِروايةِ ابن إسحاق في لَقْفٍ، وفيه ذكر «مَجاح» بِالحاءِ المُهْمَلةِ بَعْدَ الجِيمِ، وهُو قَوْلُ مُحَمّدِ بنِ عُرْوةَ بنِ الزّبَيْرِ: [من الخفيف]

لَعَنَ اللهُ بَطْنَ لِقْفٍ مَسِيلًا ومَجاحًا وما أُحِبّ مَجاحا
[لَقِيَتْ ناقَتِي بِهِ، وبِلِقْفٍ بَلَدًا مُجْدِبًا وأرْضًا شَحاحا][2]

هَكَذا ذكرَهُ الزّبَيْرُ بنُ أَبِي بَكْرٍ، و«لِقْفٌ» موضع آخَرُ غَيْرُ «لِفْتٍ» فيما قالَ[3] البَكْرِيّ.

(١) في (ف): «فيه».
(٢) ما بين المعقوفين عن (ف)، (أ)، (ب).
(٣) في (ف)، (أ)، (ب): «فيما ذكره».

وذكرَ «مَرْجحَ» بتقديم الجِيمِ على الحاءِ، وذكرَ «مَدْلِجةَ تِعْهِنَ»[١] بكَسْرِ التاء والهاءِ، والتّاءُ في هذا الاسم أصْلِيّةٌ على قِياسِ النّحْوِ، ووزْنُها فِعْلِلٌ، إلّا أنْ يَقُومَ دَلِيلٌ مِنِ اشْتِقاقٍ على زِيادةِ التّاءِ، أوْ تَصِحَّ رِوايةُ مَنْ رَواهُ: «تُعْهِن» بضَمّ التّاءِ، فإنْ صَحَّتْ فالتّاءُ زائِدةٌ، كُسِرَتْ أوْ ضُمَّتْ، وبِتِعْهِنَ[٢] صَخْرةٌ يُقالُ لَها: أُمّ عِقْيٍ، رُوِيَ أنّ امْرَأةً كانَتْ تَسْكُنُ تِعْهِنَ يقال لها: أمُّ عِقْيٍ، فحين مَرّ بِها النّبيّ ﷺ و[٣]اسْتَسْقاها فلَمْ تَسْقِهِ، فدَعا عَلَيْها فمُسِخَتْ صَخْرةً، فهِيَ تِلْكَ الصّخْرةُ فيما ذُكِرَ، [وذكره البكريُّ في «معجم ما استعجم»][٤]، ومَدْلِجةُ تِعهِن عند السُّقيا، وسُمِّيتِ السُّقيا بآبارٍ كثيرةٍ فيها وبِركٍ.

وذكرَ «الجَداجِدَ» بِجِيمَيْنِ ودالَيْنِ كَأنّها جَمْعُ جُدْجُدٍ[٥]، وأحْسَبُها آبارًا، ففي الحَدِيثِ: «أتَيْنا على بِئْرٍ جُدْجُدٍ»، قالَ أبو عُبَيْدٍ: الصّوابُ: بِئْرٌ جُدٌّ[٦]؛ أيْ: قَدِيمةٌ، وقالَ الهَرَوِيّ عَنِ اليَزِيدِيّ: وقد يُقالُ: بِئْرٌ جُدْجُدٌ، قالَ: وهُو كَما يُقالُ في الكُمّ: كُمْكُمٌ، وفي الرَّفّ: رَفْرَفٌ.

وذكرَ «العَبابِيدَ» كَأنّهُ جَمْعُ عَبّادٍ، وقالَ ابنُ هِشامٍ: هِيَ العَبابِيبُ؛ كَأنّها في قول ابن هشام: جَمْعُ عُبابٍ مِنْ عَبَبْتُ الماءَ [عَبًّا][٧]؛ فكَأنّها ـ واللهُ أعْلَمُ ـ مِياهٌ تُعَبُّ عُبابًا، أوْ تُعَبُّ عَبًّا.

---

(١) انظر: «معجم البلدان» لياقوت: (تعهن).

(٢) في (ف): «وتعهن».

(٣) في (ف): «استسقاها» بدون الواو.

(٤) عن (ص)، (ج). [«معجم ما استعجم» (١: ٣١٥)]. (ج)

(٥) انظر: كذلك «معجم البلدان»: الجداجد.

(٦) «غريب الحديث» له: (٤: ٤٩٤).

(٧) ما بين المعقوفين ليس في (أ).

وذكرَ «الفاجّةَ» بِفاءٍ وجِيمٍ، وقالَ ابنُ هِشامٍ: هِيَ القاحّةُ بِالقافِ والحاءِ[1].

قالَ ابنُ هِشامٍ: ثُمَّ هَبَطَ بِهِما العَرْجَ، وقَدْ أَبْطَأَ عَلَيْهِما بَعْضُ ظَهْرِهِمْ، فحَمَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ أَسْلَمَ، يُقالُ لَهُ: أَوْسُ بنُ حُجْرٍ، على جَمَلٍ لَهُ يُقالُ لَهُ: ابنُ الرِّداءِ، إلى المَدِينةِ، وبَعَثَ مَعَهُ غُلامًا لَهُ، يُقالُ لَهُ: مَسْعُودُ بنُ هُنَيْدةَ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِما دَلِيلُهُما مِنَ العَرْجِ، فسَلَكَ بِهِما ثَنِيَّةَ العائِرِ، عَنْ يَمِينِ رَكُوبةَ، ويُقالُ. ثَنِيّةُ الغائِرِ فيما قالَ ابنُ هِشامٍ، حَتّى هَبَطَ بِهِما بَطْنَ رِئْمٍ، ثُمَّ قَدِمَ بِهِما قُباءً على بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، لِاثْنَتَيْ عَشْرةَ لَيْلةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، حِينَ اشْتَدَّ الضَّحاءُ، وكادَتِ الشَّمْسُ تَعْتَدِلُ.

[قُدُومُهُ ﷺ قُباءً]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عُوَيْمِرِ بنِ ساعِدةَ، قالَ: حَدَّثَنِي رِجالٌ مِنْ قَوْمِي مِنْ أَصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قالُوا: لَمّا سَمِعْنا بِمَخْرَجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَكّةَ، وتَوَكَّفْنا قُدُومَهُ، كُنّا نَخْرُجُ إذا صَلَّيْنا الصُّبْحَ إلى ظاهِرِ حَرَّتِنا نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فواللهِ ما نَبْرَحُ حَتّى تَغْلِبَنا الشَّمْسُ على الظِّلالِ، فإذا لَمْ نَجِدْ ظِلًّا دَخَلْنا، وذلك في أيّامٍ حارّةٍ، حَتّى إذا كانَ اليَوْمُ الَّذي قَدِمَ فيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، جَلَسْنا كَما كُنّا نَجْلِسُ، حَتّى إذا لَمْ يَبْقَ ظِلٌّ دَخَلْنا بُيُوتَنا، وقَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَيْنَ دَخَلْنا البُيُوتَ، فكانَ أَوَّلَ مَنْ رَآهُ رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ، وقَدْ رَأى ما كُنّا نَصْنَعُ، وأنّا نَنْتَظِرُ قُدُومَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَيْنا، فصَرَخَ بِأَعلى صَوْتِهِ: يا بَنِي قَيْلةَ، هذا جَدُّكُمْ قَدْ جاءَ. قالَ: فَخَرَجْنا إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ

(١) انظر: «معجم البلدان» (القاحة).

وهُوَ في ظِلِّ نَخْلةٍ، ومَعَهُ أبو بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ في مِثْلِ سِنِّهِ، وأكْثَرُنا لَمْ يَكُنْ رَأى رَسُولَ الله ﷺ قَبْلَ ذلك، ورَكِبَهُ النّاسُ وما يَعْرِفُونَهُ مِنْ أبي بَكْرٍ، حَتّى زالَ الظِّلُّ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، فقامَ أبو بَكْرٍ فأظَلَّهُ بِرِدائِهِ، فعَرَفْناهُ عِنْدَ ذلك.

وذكَرَ قُدُومَهُمْ على أوْسِ بنِ حُجْرٍ، وهُو أوْسُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ حُجْرٍ الأسْلَمِيّ، وبَعْضُهُمْ يَقُولُ فيهِ: ابنُ حجَرٍ بفتحتين، وكذا[1] قَيَّدَهُ الدّارَقُطْنِيّ[2] بفتحتين، والمَعْرُوفُ: ابنُ حُجْرٍ بِضَمّ الحاءِ[3]، وقد تَقَدّمَ في المَبْعَثِ ذِكْرُ مَنِ اسْمُهُ حُجْرٌ في أنْسابِ قُرَيْشٍ[4]، ومَنْ يُسَمّى حُجْرًا مِنْ غَيْرِهِمْ بِسُكُونِ الجِيمِ، ومَنْ تسَمّى الحِجْرَ بِكَسْرِ الحاءِ، فانْظُرْهُ[5] هُنالِكَ عِنْدَ ذِكْرِ خَدِيجةَ وأُمِّها، [ولا يُخْتَلَفُ في أوسِ ابن حَجَرٍ الشاعِرِ أنّهُ بِفَتْحَتَيْنِ][6].

وذكَرَ أنّ أوْسًا حَمَلَ رسولَ الله ﷺ على جمل لَهُ، يُقالُ لَهُ: الرَّدّاءُ، وفي رِوايةِ يونسَ بنِ بُكيرٍ، عن ابن إسحاق، يُقالُ لَهُ: الرَّداحُ.

وفي الخَطّابِيّ أنّهُ قالَ لِغُلامِهِ مَسْعُودٍ[7]، وهُو ابنُ هُنَيْدَةَ: «اسْلُكْ بِهِم

(١) في (ف): «ولذلك».

(٢) انظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (٢: ٦٦٢).

(٣) بعده في (ج)، (ص): «ولا يعرف أوس بن حجر إلا الشاعر». وسيأتي هذا عن (أ)، (ب) بأوضح منه بعد قوله: «عند ذكر خديجة وأمها».

(٤) انظر: (٢: ٢١٠).

(٥) في (ف): «فانظر».

(٦) عن (أ)، (ب)، (ف). وهو ما ذكرناه في التعليق السابق.

(٧) في (ص): «وهو مسعود بن هنيدة». وفي (ج): «قال لغلامه مسعود بن هنيدة».

المَخارِقَ» بِالقافِ، قالَ: والصّحِيحُ المَخارِمُ؛ يَعْنِي: مَخارِمَ الطّرِيقِ.

[وفي النّسَوِيِّ أنّ مَسْعُودًا هَذا قالَ: فكُنْتُ آخُذُ بِهِمْ أَخْفاءَ الطّرِيقِ. وفِقْهُ هَذا [الحديث][1]: أنّهُمْ كانُوا خائِفينَ؛ فلِذَلِكَ كانَ يَسلُكُ بهم أخفاءَ الطَّريقِ ومخارمَه[2]، وذكر النّسَوِيُّ في حَدِيثِ مَسْعُودٍ هَذا: أنّ أبا بَكْرٍ رضي الله عنه قالَ لَهُ: ائْتِ أبا تَمِيمٍ - يعني: مولاه - فقُلْ لَهُ: يَحْمِلُنِي على بَعِيرٍ ويَبْعَثُ إلَيْنا بِزاد ودَلِيلٍ يَدُلّنا. ففي هَذا أنّ أوْسًا كانَ يُكَنّى أبا تَمِيمٍ، وأنّ مَسْعُودًا هَذا قد رَوى عَن النبيِّ[3] ﷺ وحَفِظَ عنه حَدِيثًا في الخُمُسِ، وحَدِيثًا في صَلاةِ الإمامِ بِالواحِدِ والِاثْنَيْنِ ذكرَهُ النَّسَوِيُّ في هَذا الحَدِيثِ، غَيْرَ أنّهُ قالَ في مَسْعُودٍ: إنه غُلامُ[4] فرْوةَ الأسْلَمِيّ[5].

وقالَ أبو عُمَرَ: قد قِيلَ في أوْسٍ هَذا: إنّ اسْمَهُ تَمِيمٌ، ويُكَنّى أبا أوْسٍ، فاللهُ أعْلَمُ[6]][7].

---

(١) عن (أ).

(٢) كذا في (أ)، (ب)، وفي «سنن النسائي»، كتاب الإمامة: (٢: ٨٥): «فجعلتُ آخذ بهم في إخفاء الطريق». وقال شارحه: هو مصدر أخفى كما هو المضبوط؛ أي: في طريق تخفيهما على الناس». أما نص النسائي كما في «الروض» فلم أجد من فسّره، وعبارة السهيلي يفهم منها أن الأخفاء وصف للطريق؛ بدليل عطف المخارم وهي الطرق في الجبال عالية، وكأنه عطف تفسير، فيمكن القول بأنَّ أخفاء جمع خفًا، وأنَّ الأصل: طريق أخفاء، على حد «قدر أعشار» ثم أضيفت الصفة إلى الموصوف.

(٣) في (ف): «رسول الله».

(٤) في (أ): «هذا غلام».

(٥) «سنن النسائي»، كتاب الإمامة: (٢: ٨٤).

(٦) «الاستيعاب» (١: ١٢٢-١٢٣).

(٧) ما بين المعقوفين ليس في (ج)، (ص).

ورُوِيَ أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ لِمَسْعُودٍ حِينَ انْصَرَفَ إلى سَيّدِهِ: «مُرْ سيِّدَكَ أنْ يَسِمَ الإبِلَ في أعْناقِها قَيْدَ الفَرَسِ»، فلَمْ تَزَلْ[1] تِلْكَ سِمَتُهُمْ في إبِلِهِمْ، وقد ذَكَرْنا في شَرْحِ قَصِيدةِ أبِي طالِبٍ عِنْدَ قَوْلِهِ: «مُوسَّمةُ الأعْضادِ»[2]، أسْماءَ السِّماتِ: كالعِراضِ والخِباطِ والهِلالِ [والحِراش][3]، وذَكَرْنا قَيْدَ الفَرَسِ، وأنّهُ سِمةٌ في أعناقِها، وقول الراجزِ[4]: [من الرجز]

كُومٌ على أعْناقِها قَيْدُ الفَرَسْ   تَنْجُو إذا اللّيْلُ تَدانى والتَبَسْ

وكانَ قُدُومُ رَسُولِ اللهِ ﷺ المَدِينةَ في[5] يَوْمِ الاِثْنَيْنِ لاِثْنَتَيْ عَشْرةَ مِنْ [شهر][6] رَبِيعِ الأوّلِ، وفي شَهْرِ أيْلُولَ مِنْ شُهُورِ العَجَمِ. وقالَ غَيْرُ ابنِ إسْحاقَ: قَدِمَها لِثَمانٍ خَلَوْنَ مِنْ رَبِيعِ الأوّلِ، وقالَ ابنُ الكَلْبِيّ: خَرَجَ مِن الغارِ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ أوّلَ يَوْمٍ مِنْ رَبِيعِ الأوّلِ، ودخلَ المدينةَ يوم الجمعة لاثنتي عَشْرةَ منه، وكانَتْ بَيْعةُ العَقَبةِ أوْسَطَ أيّامِ التّشْرِيقِ.

* * *

---

(١) في غير (ص): «فلم يزل ذلك سمتهم».

(٢) انظر: (٤: ١٢٣).

(٣) عن (ج)، (ص)، (د).

(٤) «اللسان»، و«تاج العروس» (قود).

(٥) «في» ليس في: (ف).

(٦) عن (أ)، (ب).

[مَنازِلُهُ ﷺ بقُباءٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فنَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ ـ فيما يَذْكُرُونَ ـ على كُلْثُومِ بنِ هِدْمٍ، أخِي بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، ثُمَّ أحَدِ بَنِي عُبَيْدٍ، ويُقالُ: بَلْ نَزَلَ على سَعْدِ ابنِ خَيْثمةَ. ويَقُولُ مَنْ يَذْكُرُ أنَّهُ نَزَلَ على كُلْثُومِ بنِ هِدْمٍ: إنَّما كانَ رَسُولُ الله ﷺ إذا خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِ كُلْثُومِ بنِ هِدْمٍ جَلَسَ لِلنّاسِ في بَيْتِ سَعْدِ بنِ خَيْثمةَ؛ وذلك أنَّهُ كانَ عَزَبًا لا أهْلَ لَهُ، وكانَ مَنْزِلُ الأعْزابِ مِنْ أصْحابِ رَسُولِ الله ﷺ مِنَ المُهاجِرِينَ، فمِنْ هُنالِكَ يُقالُ: نَزَلَ على سَعْدِ بنِ خَيْثمةَ، وكانَ يُقالُ لِبَيْتِ سَعْدِ بنِ خَيْثمةَ: بَيْتُ الأعْزابِ. فالله أعْلَمُ أيَّ ذلك كانَ؛ كُلًّا قَدْ سَمِعْنا.

[مَنْزِلُ أبِي بَكْرٍ بقُباءٍ]

وَنَزَلَ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ الله عَنْهُ على خُبَيْبِ بنِ إسافٍ، أحَدِ بَنِي الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ بِالسُّنْحِ. ويَقُولُ قائِلٌ: كانَ مَنْزِلُهُ على خارِجةَ بنِ زَيْدِ بنِ أبِي زُهَيْرٍ، أخِي بَنِي الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ.

[مَنْزِلُ عَلِيِّ بنِ أبِي طالِبٍ بقُباءٍ]

وَأقامَ عَلِيُّ بنُ أبِي طالِبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ بِمَكّةَ ثَلاثَ لَيالٍ وأيّامَها، حَتّى أدّى عَنْ رَسُولِ الله ﷺ الوَدائِعَ الّتِي كانَتْ عِنْدَهُ لِلنّاسِ، حَتّى إذا فَرَغَ مِنْها لَحِقَ بِرَسُولِ الله ﷺ، فنَزَلَ مَعَهُ على كُلْثُومِ بنِ هِدْمٍ.

[ابنُ حُنَيْفٍ وتَكْسِيرُهُ الأَصْنامَ]

فَكانَ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ - وإنَّما كانَتْ إقامَتُهُ بقُباءٍ لَيْلةً أوْ لَيْلَتَيْنِ - يَقُولُ: كانَتْ بقُباءٍ امْرَأةٌ لا زَوْجَ لَهَا، مُسْلِمةٌ. قالَ: فرَأيْتُ إنْسانًا يأْتِيها مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، فيضْرِبُ عَلَيْها بابَها، فتَخْرُجُ إلَيْهِ فيُعْطِيها شَيْئًا مَعَهُ فتَأْخُذُهُ. قالَ: فاسْتَرَبْتُ بِشَأْنِهِ، فقُلْتُ لَهَا: يا أمةَ الله، مَنْ هذا الرَّجُلُ الَّذي يَضْرِبُ عَلَيْكِ بابَكِ كُلَّ لَيْلةٍ، فتَخْرُجِينَ إلَيْهِ، فيُعْطِيكَ شَيْئًا لا أدْرِي ما هُوَ، وأنْتِ امْرَأةٌ مُسْلِمةٌ لا زَوْجَ لَكِ؟!

قالَتْ: هذا سَهْلُ بنُ حُنَيْفِ بنِ واهِبٍ، قَدْ عَرَفَ أنِّي امْرَأةٌ لا أحَدَ لِي، فإذا أمْسى عَدا على أوْثانِ قَوْمِهِ فكَسَّرَها، ثُمَّ جاءَنِي بِها، فقالَ: احْتَطِبِي بِهذا، فكانَ عَلِيٌّ رَضِيَ الله عَنْهُ يَأْثُرُ ذلك مِنْ أمْرِ سَهْلِ بنِ حُنَيْفٍ، حَتّى هَلَكَ عِنْدَهُ بِالعِراقِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي هذا مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ رَضِيَ الله عَنْهُ، هِنْدُ بنُ سَعْدِ بنِ سَهْلِ بنِ حُنَيْفٍ رَضِيَ الله عَنْهُ.

فَصْلٌ

وذكَرَ ابنُ إسْحاقَ نُزُولَ رسولِ اللهِ ﷺ على كُلْثُومِ بنِ الهِدْمِ، وكُلْثُومٌ هَذا كُنْيَتُهُ: أبو قيس، وهو كلثومُ بنُ الهِدْمِ بنِ امرئِ القَيْسِ بنِ الحارِثِ بنِ زَيْدِ ابنِ مالِكِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمْرِو[1] بنِ عَوْفِ بنِ مالِكِ بنِ الأوْسِ، وكانَ شَيْخًا

(١) في (ص): «عمر». انظر: «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم: (ص: ٣٣٤)، و«أسد الغابة» (٤: ٩٥).

كَبيرًا ماتَ بَعْدَ قُدُومِ رَسُولِ اللهِ ﷺ المَدِينةَ[١] بيَسِيرٍ، وهو[٢] أوّلُ مَنْ ماتَ مِن الأَنْصارِ بَعْدَ قُدُومِ رسول الله ﷺ، ثُمّ ماتَ بَعْدَهُ أسْعَدُ بنُ زُرارةَ بِأيّامٍ.

وذكرَ سَعْدَ بنَ خَيْثَمةَ، وأنّهُ كانَ يُقالُ لِبَيْتِهِ: بَيْتُ العُزّابِ، هَكَذا رُوِيَ، وصَوابُهُ: الأعزاب؛ لأنه جَمْعُ عَزَبٍ، يُقالُ: رَجُلٌ عَزَبٌ[٣]، وامْرَأةٌ عَزَبٌ، وقد قِيلَ: امْرَأةٌ عَزَبةٌ بِالتّاءِ، [وهو [قليل]][٤].

[بِناءُ مَسْجِدِ قُباءٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فأقامَ رَسُولُ الله ﷺ بقُباءٍ في بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، يَوْمَ الاِثْنَيْنِ ويَوْمَ الثُّلاثاءِ ويَوْمَ الأَرْبِعاءِ ويَوْمَ الخَمِيسِ، وأَسَّسَ مَسْجِدَهُ.

[خُرُوجُهُ ﷺ مِنْ قُباءٍ وسَفَرُهُ إلى المَدِينةِ]

ثُمَّ أخْرَجَهُ اللهُ مِنْ بَيْنِ أظْهُرِهِمْ يَوْمَ الجُمُعةِ. وبَنُو عَمْرِو بنِ عَوْفٍ يَزْعُمُونَ أنَّهُ مَكَثَ فيهِمْ أكْثَرَ مِنْ ذلك، فاللهُ أعْلَمُ أيَّ ذلك كانَ. فأدْرَكَتْ رَسُولَ الله ﷺ الجُمُعةُ في بَنِي سالِمِ بنِ عَوْفٍ، فصَلّاها في المَسْجِدِ الَّذي في بَطْنِ الوادِي، وادِي رانُوناءَ، فكانَتْ أوَّلَ جُمُعةٍ صَلّاها بِالمَدِينةِ.

فَصْلٌ

وذكرَ تَأْسِيسَ مَسْجِدِ قُباءٍ[٥]، وأنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أسّسَهُ لِبَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، ثُمّ انْتَقَلَ إلى المَدِينةِ.

---

(١) «المدينة» من (ف). (٢) «هو» من (ف).

(٣) في (ص): «أعزب».

(٤) عن (ص)، (ج).

(٥) قباء: يمد ويقصر، يصرف ولا يصرف.

وذكرَ ابنُ أَبِي خَيْثَمةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ أَسَّسَهُ، كانَ هُو أَوّلَ مَنْ وضَعَ حَجَرًا في قِبْلَتِهِ، ثُمّ جاءَ أبو بَكْرٍ بِحَجَرٍ فوضَعَهُ، ثُمّ جاءَ عُمَرُ بِحَجَرٍ فوضَعَهُ إلى حَجَرِ أَبِي بَكْرٍ، ثُمّ أَخَذَ النّاسُ في البُنْيانِ.

وفي الخَطّابِيّ، عَن الشَّمُوسِ بِنْتِ النُّعْمانِ، قالَتْ: كانَ رسولُ الله ﷺ حِينَ بَنى مَسْجِدَ قُباءٍ يَأْتِي بِالحَجَرِ قد صَهَرَهُ إلى بَطْنِهِ فيضَعُهُ، فيأْتِي الرّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يُقِلَّهُ فلا يَسْتَطِيعُ حتّى يَأْمُرَهُ أَنْ يَدَعَهُ ويَأْخُذَ غَيْرَهُ[1].

يُقالُ: صَهَرَهُ وأَصْهَرَهُ: إذا أَلْصَقَهُ بِالشَّيْءِ، ومِنْهُ اشْتِقاقُ الصِّهْرِ في القَرابَةِ.

وهَذا المَسْجِدُ أَوّلُ مَسْجِدٍ بُنِيَ في الإسْلامِ، وفي أَهْلِهِ نزلَتْ: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة: ١٠٨]، فهُو على هذا المَسْجِدُ الّذِي أُسِّسَ على التّقْوى، وإنْ كانَ قد رَوى أبو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَن المَسْجِدِ الّذِي أُسِّسَ على التّقْوى، فقالَ: «هُو مَسْجِدِي هَذا»[2].

وفي رِوايةٍ أُخْرى قالَ: وفي الآخَرِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، وقد قالَ لِبَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ حِينَ نزلَتْ: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [التوبة: ١٠٨]: «ما الطُّهُورُ الّذِي أَثْنى اللهُ بِهِ عَلَيْكُمْ؟ فذَكَرُوا لَهُ الِاسْتِنْجاءَ بِالماءِ بَعْدَ الِاسْتِجْمارِ بالحجارةِ، فقال: هُوَ ذاكُم، فعَلَيْكُمُوهُ»، ولَيْسَ بَيْنَ الحَدِيثَيْنِ تَعارُضٌ؛ كِلاهُما أُسِّسَ على التّقْوى، غَيْرَ أَنّ قَوْلَهُ سُبْحانَهُ: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة: ١٠٨] يَقْتَضِي مَسْجِدَ قُباءٍ؛ لِأَنّ تَأْسِيسَهُ كانَ في أَوّلِ يَوْمٍ مِنْ حُلُولِ رَسُولِ اللهِ ﷺ دارَ هجرَتِهِ، والبَلَدَ الّذِي هُو مُهاجَرُهُ.

---

(١) «غريب الحديث» للخطابي: (١: ٦٦٢).

(٢) «مسند أحمد» (٣: ٧)، و«عارضة الأحوذي»، تفسير سورة التوبة: (١١: ٢٤٥-٢٤٧).

وفي قَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ وقد عُلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ أَوَّلَ الأَيّامِ كُلِّها، ولا أضافَهُ إلى شَيْءٍ في اللَّفْظِ الظّاهِرِ، فيهِ مِن الفِقْهِ: صِحَّةُ ما اتَّفَقَ عليه[1] الصَّحابةُ مَعَ عُمَرَ حِينَ شاورَهُمْ في التّارِيخِ، فاتَّفَقَ رَأْيُهُمْ أَنْ يَكُونَ التّارِيخُ مِنْ عامِ الهِجْرةِ؛ لِأَنَّهُ الوقْتُ الَّذِي عَزَّ فيهِ الإِسْلامُ، والحينُ الَّذِي أمنَ فيهِ النَّبيُّ ﷺ وأَسَّسَ المَساجِدَ، وعَبَدَ اللهَ آمِنًا كَما يُحِبُّ، فوافَقَ رَأْيُهُمْ هَذا ظاهِرُ التَّنْزِيلِ، وفَهِمْنا الآنَ بفعلهم أنّ قوله سُبْحانَهُ: ﴿ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾، أَنَّ ذَلِكَ اليَوْمَ هو أول أيام التاريخ الذي يؤرَّخ بِهِ الآنَ، فإنْ كانَ أصْحابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَخَذُوا هَذا مِن الآيةِ، فهُو الظَّنُّ بهم وبِأفْهامِهِمْ؛ لأنهم أَعْلَمُ النّاسِ بِتأويل كتاب اللهِ، وأَفْهَمُهُمْ[2] بما[3] في القُرْآنِ مِنْ إشاراتٍ وإفْصاحٍ، وإنْ كانَ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَنْ رَأْيٍ واجْتِهادٍ، فقد عَلِمَ اللهُ ذَلِكَ مِنْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَكُونُوا، وأشارَ إلى صِحَّتِهِ قَبْلَ أَنْ يُفْعَلَ؛ إِذْ لا يُعْقَلُ قَوْلُ القائِلِ: فَعَلْته أَوَّلَ يَوْمٍ إِلّا بِإضافةٍ إلى عامٍ مَعْلُومٍ، أَوْ شَهْرٍ مَعْلُومٍ، أَوْ تاريخٍ مَعْلُومٍ ولَيْسَ ههُنا إضافةٌ في المَعْنى إِلّا إلى هَذا التّارِيخِ المَعْلُومِ؛ لِعَدَمِ القَرائِنِ الدّالَّةِ على غَيْرِهِ؛ مِنْ قَرِينةِ لَفْظٍ، أَوْ قَرِينةِ حالٍ، فتَدَبَّرْهُ ففيهِ مُعْتَبَرٌ لِمَنِ ادَّكَرَ، وعِلْمٌ لِمَنْ رَأَى بِعَيْنِ فُؤادِهِ واسْتَبْصَرَ، والحَمْدُ للهِ.

ولَيْسَ يُحْتاجُ في قَوْلِهِ: ﴿ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ إلى إضْمارٍ كَما قَدَّرَهُ بَعْضُ النّحاةِ[4]: مِنْ تَأْسِيسِ أَوَّلِ يَوْمٍ، فِرارًا مِنْ دُخُولِ «مِنْ» على الزّمانِ، ولَوْ لَفَظَ

(١) «عليه» من (ف).

(٢) في (أ)، (ج): «وأفهم».

(٣) في (ف): «لما».

(٤) هذه مسألة خلافية، فالبصريون ذهبوا إلى أنَّ (مِن) تكون لابتداء الغاية في الأماكن، لا تدخل على الزمان أصلًا، وأجاز الكوفيون دخولها على الزمان. انظر: «سيبويه» (٤: ٢٢٤)، و«المقاصد الشافية في شرح خلاصة الكافية» للشاطبي: (٣: ٥٨٨-٥٩٢).

بِالتَّأْسِيسِ لَكانَ مَعْناهُ: مِنْ وقْتِ تَأْسِيسِ أوّلِ يَوْمٍ[١]، فإضْمارُهُ لِلتَّأْسِيسِ[٢] لا يُفيدُ شَيْئًا، و«مِنْ» تَدْخُلُ على الزّمانِ وغَيْرِهِ، ففي التّنْزِيلِ: ﴿ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ [الروم: ٤]، والقَبْلُ والبَعْدُ زَمانٌ، وفي الحَدِيثِ: «ما مِنْ دابّةٍ إلّا وهِيَ مُصِيخةٌ يَوْمَ الجُمُعةِ مِنْ حِينِ تَطْلُعُ الشّمْسُ إلى أنْ تَغْرُبَ»[٣]، وفي شعرِ النّابغةِ[٤]: [من الطويل]

تُوُرِّثْنَ مِـــنْ أزْمانِ يَــوْمِ حَلِيمةٍ ... إلى اليَوْمِ قد جُرِّبْنَ كلَّ التَّجاربِ

وبَيْنَ «مِن» الدّاخِلةِ على الزّمانِ، وبَيْنَ «مُنْذُ» فرْقٌ بَدِيعٌ قد بيّنّاهُ في شرحِ آيةِ الوصيّةِ[٥].

* * *

(١) «يوم» من (ف).

(٢) في (ف): «التأسيس».

(٣) «الموطأ»، كتاب الجمعة: (١: ١٠٨). ومصيخة: مستمعة.

(٤) «ديوانه» (ص: ٦٠).

(٥) انظر: مقدمتي لكتاب: «الفرائض وشرح آيات الوصية» للسهيلي: (ص: ١٢-١٣).

[اعْتِراضُ القَبائِلِ لَهُ ﷺ تَبْغِي نُزُولَهُ عِنْدَها]

فَأتاهُ عِتْبانُ بنُ مالِكٍ، وعَبّاسُ بنُ عُبادةَ بنِ نَضْلةَ في رِجالٍ مِنْ بَنِي سالِمِ بنِ عَوْفٍ، فقالُوا: يا رَسُولَ اللهِ، أقِمْ عِنْدَنا في العَدَدِ والعُدّةِ والمَنعةِ، قالَ: «خَلُّوا سَبِيلَها؛ فإنَّها مَأْمُورةٌ» لِناقَتِهِ، فخَلَّوْا سَبِيلها، فانْطَلَقَتْ حَتّى إذا وازَنَتْ دارَ بَنِي بَياضةَ، تَلَقّاهُ زِيادُ بنُ لَبِيدٍ، وفَرْوةُ بنُ عَمْرٍو، في رِجالٍ مِنْ بَنِي بَياضةَ، فَقالُوا: يا رَسُولَ الله: هَلُمَّ إلَيْنا، إلى العَدَدِ والعُدّةِ والمَنَعةِ، قالَ: «خَلُّوا سَبِيلَها؛ فإنّها مَأْمُورةٌ»، فخَلَّوْا سَبِيلَها. فانْطَلَقَتْ، حَتّى إذا مَرَّتْ بِدارِ بَنِي ساعِدةَ، اعْتَرَضَهُ سَعْدُ بنُ عُبادةَ، والمُنْذِرُ بنُ عَمْرٍو، في رِجالٍ مِنْ بَنِي ساعِدةَ، فقالُوا: يا رَسُولَ الله، هَلُمَّ إلَيْنا إلى العَدَدِ والعُدّةِ والمَنَعةِ، قالَ: «خَلُّوا سَبِيلَها؛ فإنَّها مَأْمُورةٌ»، فخَلَّوْا سَبِيلَها، فانْطَلَقَتْ، حَتّى إذا وازَنَتْ دارَ بَنِي الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، اعْتَرَضَهُ سَعْدُ بنُ الرَّبِيعِ، وخارِجةُ بنُ زَيْدٍ، وعَبْدُ اللهِ بنُ رَواحةَ، في رِجالٍ مِنْ بَنِي الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، فقالُوا: يا رَسُولَ الله، هَلُمَّ إلَيْنا إلى العَدَدِ والعُدّةِ والمَنَعةِ. قالَ: «خَلُّوا سَبِيلَها؛ فإنَّها مَأْمُورةٌ»، فخَلَّوْا سَبِيلَها. فانْطَلَقَتْ، حَتّى إذا مَرَّتْ بِدارِ بَنِي عَدِيِّ بنِ النَّجّارِ ـ وهُمْ أخْوالُهُ دِنْيا: أُمُّ عَبْدِ المُطَّلِبِ، سَلْمى بِنْتُ عَمْرٍو، إحْدى نِسائِهِمُ ـ اعْتَرَضَهُ سَلِيطُ بنُ قَيْسٍ، وأبو سَلِيطٍ: أُسَيْرةُ بنُ أبي خارِجةَ، في رِجالٍ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ ابنِ النَّجّارِ، فقالُوا: يا رَسُولَ الله، هَلُمَّ إلى أخْوالِكَ، إلى العَدَدِ والعُدّةِ والمَنَعةِ، قالَ: «خَلُّوا سَبِيلَها؛ فإنَّها مَأْمُورةٌ» فخَلَّوْا سَبِيلَها، فانْطَلَقَتْ.

[مَبْرَكُ ناقَتِهِ ﷺ بِدارِ بَنِي مالِكِ بنِ النَّجّارِ]

حَتّى إذا أَتَتْ دارَ بَنِي مالِكِ بنِ النَّجّارِ، بَرَكَتْ على بابِ مَسْجِدِهِ ﷺ، وهُوَ يَوْمئذٍ مِرْبَدٌ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ مِنْ بَنِي النَّجّارِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي مالِكِ بنِ النَّجّارِ، وهُما في حِجْرِ مُعاذِ بنِ عَفْراءَ، سَهْلٍ وسُهَيْلٍ ابنَيْ عَمْرٍو، فلَمّا بَرَكَتْ، ورَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْها لَمْ يَنْزِلْ، وثَبَتَ فسارَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ، ورَسُولُ اللهِ ﷺ واضِعٌ لَها زِمامَها لا يَثْنِيها بِهِ، ثُمَّ التَفَتَتْ إلى خَلْفِها، فرَجَعَتْ إلى مَبْرَكِها أوَّلَ مَرّةٍ، فبَرَكَتْ فيهِ، ثُمَّ تَحَلْحَلَتْ وزَمَّتْ ووَضَعَتْ جِرانَها، فنَزَلَ عَنْها رَسُولُ اللهِ ﷺ، فاحْتَمَلَ أبو أيُّوبَ خالِدُ بنُ زَيْدٍ رَحْلَهُ، فوَضَعَهُ في بَيْتِهِ، ونَزَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وسَأَلَ عَنِ المِرْبَدِ: لِمَنْ هُوَ؟ فقالَ لَهُ مَعاذُ بنُ عَفْراءَ: هُوَ يا رَسُولَ اللهِ لِسَهْلٍ وسُهَيْلٍ ابنَيْ عَمْرٍو، وهُما يَتِيمانِ لِي، وسَأُرْضِيهِما مِنْهُ، فاتَّخِذْهُ مَسْجِدًا.

[بِناءُ مَسْجِدِ المَدِينةِ ومَساكِنِه ﷺ]

قالَ: فأمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ أنْ يُبنى مَسْجِدًا، ونَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ على أبي أيُّوبَ حَتّى بَنى مَسْجِدَهُ ومَساكِنَهُ، فعَمِلَ فيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِيُرَغِّبَ المُسْلِمِينَ في العَمَلِ فيهِ، فعَمِلَ فيهِ المُهاجِرُونَ والأنْصارُ، ودَأبوا فيهِ، فقالَ قائِلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ:

لَئِنْ قَعَدْنا والنَّبِيُّ يَعْمَلُ   لَذاكَ مِنّا العَمَلُ المُضَلَّلُ

وارْتَجَزَ المُسْلِمُونَ وهُمْ يَبنُونَهُ يَقُولُونَ:

لا عَيْشَ إلّا عَيْشَ الآخِرَهْ   اللهُمَّ ارْحَمِ الأنْصارَ والمُهاجِرَهْ

قالَ ابنُ هِشامٍ: هذا كَلامٌ ولَيْسَ بِرَجَزٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فيقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا عَيْشَ إلّا عَيْشُ الآخِرةِ، اللهُمَّ ارْحَمِ المُهاجِرِينَ والأنْصارَ».

[إخْبارُ الرَّسُولِ لِعَمّارٍ بِقَتْلِ الفِئةِ الباغِيةِ لَهُ]

قالَ: فدَخَلَ عَمّارُ بنُ ياسِرٍ، وقَدْ أثْقَلُوهُ بِاللَّبِنِ، فقالَ: يا رَسُولَ الله، قَتَلُونِي، يَحْمِلُونَ عَلَيَّ ما لا يَحْمِلُونَ. قالَتْ أُمُّ سَلَمةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: فَرَأيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَنْفُضُ وفْرَتَهُ بِيَدِهِ، وكانَ رَجُلًا جَعْدًا، وهُوَ يَقُولُ: «وَيْحَ ابنَ سُمَيّةَ، لَيْسُوا بِالَّذِينَ يَقْتُلُونَكَ، إنَّما تَقْتُلُكَ الفِئةُ الباغِيةُ».

[ارْتِجازُ عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ في بِناءِ المَسْجِدِ]

وارْتَجَزَ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ رَضِيَ الله عَنْهُ يَوْمئِذٍ:

لا يَسْتَوِي مَنْ يَعْمُرُ المَساجِدا ... يَدْأبُ فيهِ قائِمًا وقاعِدا

وَمَنْ يُرى عَنِ الغُبارِ حائِدا

قالَ ابنُ هِشامٍ: سَألْتُ غَيْرَ واحِدٍ مِنْ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ عَنْ هذا الرَّجَزِ، فقالُوا: بَلَغَنا أنَّ عَلِيَّ بنَ أبي طالِبٍ ارْتَجَزَ بِهِ، فلا يُدْرى: أهُوَ قائِلُهُ أمْ غَيْرُهُ؟

[ما كانَ بَيْنَ عَمّارٍ وأحَدِ الصَّحابةِ مِنْ مُشادّةٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فأخَذَها عَمّارُ بنُ ياسِرٍ، فجَعَلَ يَرْتَجِزُ بِها.

قالَ ابنُ هِشامٍ: فلَمّا أكْثَرَ، ظَنَّ رَجُلٌ مِنْ أصْحابِ رَسُولِ الله ﷺ أنَّهُ إنَّما يُعَرِّضُ بِهِ، فيما حَدَّثَنا زِيادُ بنُ عَبْدِ الله البَكّائِيُّ، عَنِ ابنِ إسْحاقَ، وقَدْ سَمّى ابنُ إسْحاقَ الرَّجُلَ.

[وَصاةُ الرَّسُولِ ﷺ بِعَمّارٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فقالَ: قَدْ سَمِعْتُ ما تَقُولُ مُنْذُ اليَوْمِ يا ابنَ سُمَيّةَ، واللهِ إنِّي لَأُرانِي سَأعْرِضُ هَذِهِ العَصا لِأنْفِكَ. قالَ: وفي يَدِهِ عَصًا. قالَ: فغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قالَ: «ما لَهُمْ ولِعَمّارٍ، يَدْعُوهُمْ إلى الجَنّةِ، ويَدْعُونَهُ إلى النّارِ؟ إنَّ عَمّارًا جِلْدةُ ما بَيْنَ عَيْنَيَّ وأنْفي، فإذا بَلَغَ ذلك مِنَ الرَّجُلِ فلَمْ يُسْتَبْقَ فاجْتَنِبُوهُ».

[مَنْ بَنى أوَّلَ مَسْجِدٍ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وذَكَرَ سُفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ عَنْ زَكَرِيّا، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قالَ: إنَّ أوَّلَ مَنْ بَنى مَسْجِدًا عَمّارُ بنُ ياسِرٍ.

فَصْلٌ

وذكرَ لِقاءَ كُلِّ قَبيلةٍ مِن الأنْصارِ لَهُ يَقُولُونَ[١]: هَلُمّ إلَيْنا يا رَسُولَ اللهِ إلى العَدَدِ والعُدّةِ، فيقُولُ: «خَلُّوا سَبِيلَها؛ فإنّها مَأْمُورةٌ»، حتّى بَرَكَتْ بِمَوْضِعِ مَسْجِدِهِ، وقالَ: «تَحَلْحَلَتْ ورَزَمَتْ وألْقَتْ بِجِرانِها»؛ أيْ: بِعُنُقِها[٢]، وفَسّرَهُ ابنُ قُتَيْبةَ[٣] على تَلَحْلَحَ؛ أيْ: لَزِمَ مَكانَهُ ولَمْ يَبْرَحْ، وأنْشَدَ[٤]: [من الطويل]

أُنــاسٌ إذا قِيلَ: انْفِرُوا قد أُتِيتُمُ ... أقامُوا على أثْقالِهِمْ وتَلَحْلَحُوا

---

(١) في (ف): «يقولون له».

(٢) بعده في (ف): «حتى بركت بموضع مسجده».

(٣) «غريب الحديث» له: (١: ٤١٥).

(٤) هو تميم بن أبيّ بن مقبل، والبيت في «ديوانه» (ص: ٣٤).

قالَ: وأمّا تَحَلْحَلَ بتَقْدِيمِ الحاءِ على اللّامِ فمَعْناهُ: زالَ عَنْ مَوْضِعِهِ. وهَذا الّذِي قالَهُ قَوِيٌّ مِنْ جِهةِ الِاشْتِقاقِ؛ فإنّ التّلَحْلُحَ يُشْبِهُ أنْ يَكُونَ مِنْ لَحِحَتْ عَيْنُهُ: إذا التَصَقَتْ، وهو ابن عَمِّي لحًّا.

وأمّا التّحَلْحُلُ: فاشْتِقاقُهُ مِن الحَلِّ والِانْحِلالِ بَيّنٌ؛ لِأَنّهُ انْفِكاكُ شَيْءٍ عن شَيْءٍ، ولَكِنّ الرّوايَةَ في «سِيرةِ ابنِ إسْحاقَ»: تَحَلْحَلَتْ بتَقْدِيمِ الحاءِ، وهي[1] خِلافُ المَعْنى إلّا أنْ يَكُونَ مَقْلُوبًا مِنْ تَلَحْلَحَتْ، فيَكُونَ مَعْناهُ: لَصِقَتْ بمَوْضِعِها وأقامَتْ؛ على المَعْنى الّذِي فسّرَهُ ابنُ قُتَيْبةَ في «تَلَحْلَحَتْ».

وأمّا قَوْلُهُ: «ورَزَمَتْ»، يُقالُ[2]: رَزَمَتِ النّاقةُ رُزُومًا: إذا أقامَتْ مِن الكَلالِ، ونُوقٌ رَزْمى، وأمّا أرْزَمَتْ بالألِفِ، فمَعْناهُ: رَغَتْ ورَجَّعَتْ في رُغائِها، ويُقالُ [مِنْهُ][3]: أرْزَمَ الرّعْدُ، وأرْزَمَتِ الرِّيحُ؛ قالَهُ[4] صاحِبُ «العَيْنِ»[5].

وفي غَيْرِ هَذِهِ السّيرةِ: أنّها لَمّا أَلْقَتْ بِجِرانِها في دارِ بَنِي النّجّارِ، جَعَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلمةَ، وهُو جَبّارُ بنُ صَخْرٍ يَنْخُسُها رَجاءَ أنْ تَقُومَ فتَبْرُكَ في دارِ بَنِي سَلمةَ، فلَمْ تَفْعَلْ.

وقَوْلُهُ: «كانَ المَسْجِدُ مِرْبَدًا»؛ المِرْبَدُ والجَرِينُ والمِسْطَحُ والجُوخارُ والبَيْدَرُ والأَنْدَرُ لُغاتٌ بمَعْنًى واحِدٍ لِلْمَوْضِعِ الّذِي يُبسَطُ فيهِ الزّرْعُ والتّمْرُ لِلتّيْبِيسِ، وأنْشَدَ أبو حَنِيفةَ في المِسْطَحِ[6]: [من الطويل]

---

(١) في (ف): «وهو».

(٢) في (ف): «فيقال».

(٣) عن (أ).

(٤) «قاله» من (ف).

(٥) «العين» (٧: ٣٦٥).

(٦) البيت لابن مقبل، «ديوانه» (ص: ٣٩)، وهو في «اللسان»: سطح.

تَــرى الأندرَ المَحْــزُوَّ فيــهِ كَأنّهُ مِن الحَرِّ في نَحْرِ الظَّهيرةِ مِسْطَحُ

قالَ: والمَحْزُوُّ: هو مِنْ حَزَوتُ الشّيْءَ: إذا أظْهَرْتَه. والمِسْطَحُ بِالفارِسيّةِ[١]: هو مِشْطاحٌ، وأمّا المِسْطَحُ الّذِي هُو عُودُ الخِباءِ فعَرَبيّةٌ[٢].

وذكرَ أنّ ذَلِكَ المِرْبَدَ كانَ لِسَهْلٍ وسُهَيْلٍ ابني عمرو[٣]، يَتيمينِ كانا في حِجْرِ معاذ بن عَفْراءَ، ولَمْ يُعَرِّفْهُما بِأكْثَرَ مِنْ هَذا، وقالَ مُوسى بنُ عُقْبةَ: كانا يَتيمَيْنِ في حِجْرِ أسْعَدَ بنِ زُرارةَ، وهُما ابنا رافِعِ بنِ عمرو بن أبي عمرو بن عُبَيدِ بن ثَعْلَبَةَ ابنِ غَنْمِ بنِ مالِكِ بنِ النّجّارِ، وشَهِدَ سُهَيْلٌ مِنْهُما بَدْرًا والمَشاهِدَ كُلَّها، وماتَ في خِلافةِ عُمَرَ، ولم يَشْهَدْ سَهْلٌ بَدْرًا، وشَهِدَ غَيْرَها، وماتَ قَبْلَ أخِيهِ سُهَيْلٍ.

فَصْلٌ

وذكرَ بُنْيانَ المَسْجِدِ إلى آخِرِ القِصّةِ، وفي «الصّحِيحِ» أنّهُ قالَ: «يا بَنِي النّجّارِ، ثامِنُونِي[٤] بِحائِطِكُمْ»، حِينَ أرادَ أنْ يتّخذَه مسجدًا، وقد تَرْجَمَ البُخارِيّ

---

(١) في (ف)، (أ): «هو بالفارسية» بتقديم هو.

(٢) انظر: «المعرب» للجواليقي، تحقيق: الدكتور ف. عبد الرحيم: (ص: ٥٩٦-٥٩٧).

(٣) في (أ) حاشية منقولة من خط الشيخ علاء الدين المقدسي ذكر فيها:

١ـ أنَّ عمرًا ليس أبا سهيل وسهل الأدنى، وأنَّ أباهما الأدنى هو وهب بن ربيعة بن عمرو، وهما ابنا بيضاء، نسبةً إلى أمهما.

٢ـ أنَّ ما ذكره السهيلي من أنَّ سهيلًا مات في خلافة عمر، خطأ. صوابه: أنَّ سهلًا وسهيلًا ابني بيضاء ماتا في حياة النبي ﷺ، وصلى عليهما في المسجد، وأنَّ مسلمًا رواه في «صحيحه» عن عائشة.

٣ـ أنَّ الذي مات في خلافة عمر هو سهيل بن عمرو صاحب صلح الحديبية، وهو من مسلمة الفتح.

(٤) أي: بيعونيه بالثمن.

على هَذِهِ الكلمة بفِقْهٍ[١]، وهُو أنّ البائِعَ[٢] أوْلى بِتَسْمِيةِ الثّمَنِ الّذِي يَطْلُبُهُ[٣].
قالَ أنَسٌ: وكانَ [في][٤] مَوْضِعِ المَسْجِدِ نَخْلٌ وخِرَبٌ ومَقابِرُ مُشْرِكِينَ، فأمَرَ بِالقُبُورِ فنُبِشَتْ، وبِالخِرَبِ فسُوِّيَتْ، وبِالنَّخْلِ فقُطِعَتْ.

ويُرْوى في هَذا الحَدِيثِ: «نَخْلٌ وحَرْثٌ»[٥] مَكانَ قَوْلِهِ: «وخِرَبٌ»، ورُوِيَ عَنِ الشِّفاءِ بِنْتِ عَبْدِ الرّحْمَنِ الأنْصارِيّةِ، قالَتْ: «كانَ رسول الله ﷺ حِينَ بَنى المَسْجِدَ يَؤُمُّهُ جِبْرِيلُ إلى الكَعْبةِ ويُقِيمُ له القبلة».

وذكرَ فيهِ قَوْلَ الرّجُلِ لِعَمّار: «قد سَمِعْتُ ما تقولُ يا ابن سُمَيّةَ». قالَ ابنُ هِشامٍ: وقد سَمّى ابنُ إسْحاقَ الرّجُلَ، وكَرِهَ ابنُ هِشام أنّ يُسَمِّيَهُ؛ كَيْ لا يُذْكَرَ أحَدٌ مِنْ أصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَكْرُوهٍ، فلا يَنْبَغِي إذًا البَحْثُ على[٦] اسْمِهِ.

وسُمَيّةُ: أُمُّ عَمّار، قد[٧] تَقَدَّمَ التّعْرِيفُ بها في الهِجْرةِ الأُولى[٨]، ونَبّهْنا على غَلَطِ ابنِ قُتَيْبةَ فيها؛ فإنّهُ جَعَلَها [وسُمَيّةَ أُمَّ زِيادٍ واحِدةً، وسُمَيّةُ أُمّ زِيادٍ كانَتْ لِلْحارِثِ بنِ كَلَدةَ المُتَطَبِّبِ، والأُولى مَوْلاةٌ لِبَنِي مَخْزُومٍ[٩]؛ كَما تَقَدّمَ[١٠]][١١] وكانَ

(١) في (ف): «لفقه».
(٢) بعده في (ف): «هو».
(٣) «فتح الباري»، كتاب البيوع: (٤: ٣٢٥-٣٢٦).
(٤) عن (ص)، (ج).
(٥) انظر: «أعلام الحديث» للخطابي: (١: ٣٩٠-٣٩١)، و«فتح الباري»، كتاب الصلاة: (١: ٥٢٦).
(٦) في (ف): «عن».
(٧) في (أ)، (ب): «وقد».
(٨) انظر: (٣: ٢٠٥).
(٩) بعده في (ف): «وهي سمية بنت خياط».
(١٠) انظر: (٣: ٢٠٦).
(١١) مكانه في (أ): «وسمية بنت خياط كما تقدم».

أَهْدى سُمَيّةَ إلى الحارْثِ رَجُلٌ مِنْ مُلُوكِ اليَمَنِ، يُقالُ لَهُ: أبو جَبْرٍ[١]، [وذَلِكَ أَنّهُ عالَجَهُ مِنْ داءٍ كانَ بِهِ فبَرِئَ، فوهَبَها لَهُ، وكانَتْ قَبْلَ أَبِي جَبْرٍ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الفُرْسِ وفَدَ عَلَيْهِ أبو جَبْرٍ][٢]، فأهْداها إلَيْهِ المَلِكُ، ذكرَهُ ابنُ قُتَيْبةَ[٣].

وفي «جامِعِ مَعْمَرِ بنِ راشِدٍ»[٤]: أنّ عَمّارًا كانَ يَنْقُلُ في بنيانِ المسجدِ لَبِنتَينِ: لَبِنةً عنه، ولَبِنةً عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، والنّاسُ يَنْقُلُونَ لَبِنةً لبِنةً، فقالَ لَهُ النّبيُّ ﷺ: «لِلنّاسِ أَجْرٌ، ولَك أجْرانِ، وآخِرُ زادِك مِن الدُّنْيا شَرْبةُ لَبَنٍ، وتَقْتُلُك الفِئةُ الباغِيةُ».

فلَمّا[٥] قُتِلَ يَوْمَ صِفِّينَ دَخَلَ عَمْرٌو على مُعاوِيةَ رضي الله عنه فزِعًا، فقالَ: قُتِلَ عَمّارٌ، فقالَ مُعاوِيةُ: فماذا؟ فقالَ عَمْرٌو: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «تَقْتُلُهُ الفِئةُ الباغِيةُ»، فقالَ مُعاوِيةُ: دُحِضْتَ في بَوْلِك[٦]، أنَحْنُ قَتَلْناهُ؟! إنّما قَتَلَهُ من أخرجه[٧].

وذكرَ ابنُ إسْحاقَ[٨] في هَذا المَوْضِعِ الحَدِيثَ الوارِدَ في عَمّارٍ، وهُو: «أوّلُ مَنْ بَنى للهِ مَسْجِدًا عَمّارُ بنُ ياسِرٍ».

فيقالُ: كَيْفَ أضافَ إلى عَمّارٍ بُنْيانَ المَسْجِدِ، وقد بَناهُ مَعَهُ النّاسُ؟

---

(١) في «المعارف»: «أبو الخير».
(٢) ما بين المعقوفين سقط من (أ).
(٣) «المعارف» (ص: ٢٨٨).
(٤) (١١: ٢٣٩)، رقم (٢٠٤٢٦)، من حديث أم سلمة رضي الله عنها.
(٥) في (ف): «قال: فلما».
(٦) في (ف): «قولك».
(٧) «طبقات ابن سعد» (٣/ ١/ ١٨١).
(٨) وهو في «السيرة» من رواية ابن هشام. انظر: (١: ٤٩٨).

فنقُولُ: إنّما عَنى بهذا الحَدِيثِ مَسْجِدَ قُباءٍ؛ لِأنّ عَمّارًا هُو الّذِي أشارَ على رسولِ اللهِ ﷺ بِبُنْيانِهِ، وهُو الذي جَمَعَ الحِجارةَ لَهُ، فلَمّا أسّسَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ اسْتَتَمّ بُنْيانَهُ عَمّارٌ. كَذَلِكَ ذكرَ ابنُ إسْحاقَ في رِوايةِ يُونُسَ بنِ بُكَيْرٍ عنه.

وبُنِيَ مَسْجِدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وسُقِفَ بِالجَرِيدِ، وجُعِلَتْ قِبْلَتُهُ مِن اللّبِنِ، ويُقالُ: بَلْ مِنْ حِجارةٍ مَنْضُودةٍ بَعْضها فوق[1] بَعْضٍ، [وحِيطَ بها باللَّبِنِ][2]، وجُعِلَتْ عُمُدُه من جذوعِ النّخْلِ، فنَخِرَتْ في خِلافةِ عُمَرَ فجَدَّدَها[3]، فلَمّا كانَ عُثْمانُ بَناهُ بِالحِجارةِ المَنْقُوشةِ بِالفضّةِ[4]، وسَقَفَهُ بِالسّاجِ[5]، وجَعَلَ قِبْلَتَهُ مِن الحِجارةِ، فلَمّا كانَتْ أيّامُ بَنِي العَبّاسِ بَناهُ مُحَمّدُ بنُ أبِي جَعْفَرٍ المُتَسَمِّي بِالمَهْدِيّ، ووسّعَهُ وزادَ فيهِ، وذَلِكَ في سَنةِ سِتّينَ ومِئةٍ، ثُمّ زادَ فيهِ المَأْمُونُ بنُ الرّشِيدِ في سَنةِ ثِنْتَيْنِ ومِئَتَيْنِ، وأتقن بُنْيانَهُ، ونَقَشَ فيهِ: «هَذا ما أمَرَ بِهِ عَبْدُ اللهِ المَأْمُونُ»، في كَلامٍ كَثِيرٍ كَرِهْتُ الإطالةَ بِذِكْرِهِ، ثُمّ لَمْ يَبْلُغْنا أنّ أحَدًا غَيّرَ مِنْهُ شَيْئًا، ولا أحْدَثَ فيهِ عَمَلًا.

فَصْلٌ

وأمّا بُيُوتُهُ ﷺ فكانَتْ تِسْعةً، بَعْضُها مِنْ جَرِيدٍ مُطَيَّنٍ بِالطِّينِ، وسَقْفُها من[6] جَرِيدٍ، وبَعْضُها مِنْ حِجارةٍ مَرْضُومةٍ[7]، بَعْضها على بَعْضٍ، مُسَقَّفةٍ بِالجَرِيدِ أيْضًا.

---

(١) في (ف): «على».

(٢) عن (أ). وفي (ف): «وحيطانه» مكان: «وحيط بها».

(٣) في (ص): «فجدَّده».

(٤) «بالفضة» ليست في (ف).

(٥) السّاج: ضرب من الشجر يعظم جدًّا، ويذهب طولًا وعرضًا، وله ورق كبير.

(٦) «من» ليست في (ف).

(٧) رضم الحجارة رضمًا: جعل بعضها على بعض. وكل شيء بُني بصخر فهو رضيم.

وقالَ الحَسَنُ بنُ أَبِي الحَسَنِ[١]: كُنْتُ أدخلُ بيوتَ النّبيِّ ﷺ وأنا غُلامٌ مُراهِقٌ، فأنالُ السّقْفَ بِيَدِي، [وكان لكلِّ بيتٍ حُجرةٌ][٢]، وكانَتْ حُجَرُهُ عَلَيْهِ السّلامُ أكْسِيةً مِنْ شَعْرٍ مَرْبُوطةً في خَشَبِ عَرْعَرٍ[٣].

وفي «تاريخِ البُخاريّ» أنّ بابَهُ ﷺ كانَ يُقْرَعُ بالأظافيرِ؛ أيْ: لا حِلَقَ لَهُ[٤]، ولَمّا تُوُفِّي أزْواجُهُ عَلَيْهِ السّلامُ خُلِطَت البُيُوتُ والحُجَرُ بالمَسْجِدِ، وذَلِكَ في زَمَنِ عَبْدِ المَلِكِ بن مَرْوان، فلَمّا ورَدَ كِتابُهُ بِذَلِكَ ضَجّتْ[٥] أهْلُ المَدِينةِ بالبُكاءِ، كَيَوْمِ وفاتِهِ ﷺ.

وكانَ سَرِيرُهُ خَشَباتٍ مَشْدُودةً بِاللّيفِ، بِيعَتْ [في][٦] زَمَنِ بَنِي أُمَيّةَ، فاشْتَراها رَجُلٌ[٧] بِأرْبَعةِ آلافِ دِرْهَمٍ؛ قالَهُ ابنُ قُتَيْبةَ.

وهَذا يَدُلُّ على أنّ بُيُوتَهُ عَلَيْهِ السّلامُ إذا أُضِيفَتْ إلَيْهِ، فهِيَ إضافةُ مِلْكٍ؛ كَقَوْلِهِ عز وجل: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وإذا أُضِيفَتْ إلى أزْواجِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فلَيْسَتْ بِإضافةِ مِلْكٍ؛ وذَلِكَ أنّ ما كانَ مِلْكًا لَهُ عَلَيْهِ السّلامُ، فلَيْسَ بِمَوْرُوثٍ[٨] عنه.

---

(١) هو أبو سعيد الحسن البصري، إمام البصرة وحبر زمانه، ولد سنة (٢١هـ)، وتوفي سنة (١١٠هـ).

(٢) عن (أ).

(٣) العرعر: جنس أشجار وجنبات من الصنوبريات ـ والجَنَبات: جمع جَنْبة، وهي كل شجر يورق ويخضرُّ في الصيف، فيه أنواع تصلح للخرز والتزيين.

(٤) في (ص)، (ج): «لها».

(٥) في (أ)، (ب)، (ف): «ضجَّ أهل المدينة».

(٦) عن (أ)، (ف).

(٧) في حاشية (ص): «اسمه: عبد الله بن إسحاق، من موالي معاوية».

(٨) في (ص): «بمورث».

[مَنْزِلُهُ ﷺ مِنْ بَيْتِ أبي أيُّوبَ، وشَيْءٌ مِنْ أدَبِهِ في ذلك]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فأقامَ رَسُولُ الله ﷺ في بَيْتِ أبي أيُّوبَ، حَتّى بُنِيَ لَهُ مَسْجِدُهُ ومَساكِنُهُ، ثُمَّ انْتَقَلَ إلى مَساكِنِهِ مِنْ بَيْتِ أبي أيُّوبَ رَحْمَةُ الله عَلَيْهِ ورِضْوانُهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي يَزِيدُ بنُ أبي حَبِيبٍ، عَنْ مَرْثَدِ بنِ عَبْدِ الله اليَزَنِيِّ، عَنْ أبي رُهْمٍ السَّماعِيِّ، قالَ: حَدَّثَنِي أبو أيُّوبَ، قالَ: لَمّا نَزَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ في بَيْتِي، نَزَلَ في السُّفْلِ، وأنا وأُمُّ أيُّوبَ في العُلْوِ، فقُلْتُ لَهُ: يا نَبِيَّ الله، بِأبِـي أنْتَ وأُمِّي، إنِّي لَأكْرَهُ وأُعْظِمُ أنْ أكُونَ فوْقَكَ، وتَكُونَ تَحْتِي، فاظْهَرْ أنْتَ فكُنْ في العُلْوِ، ونَنْزِلُ نَحْنُ فنَكُونَ في السُّفْلِ، فقالَ: «يا أبا أيُّوبَ، إنَّ أرْفَقَ بِنا وبِمَنْ يَغْشانا أنْ نَكُونَ في سُفْلِ البَيْتِ». قالَ: فكانَ رَسُولُ الله ﷺ في سُفْلِهِ، وكُنّا فوْقَهُ في المَسْكَنِ، فَلَقَدِ انْكَسَرَ حُبٌّ لَنا فيهِ ماءٌ، فقُمْتُ أنا وأُمُّ أيُّوبَ بِقَطِيفةٍ لَنا، ما لَنا لِحافٌ غَيْرَها، نُنَشِّفُ بِها الماءَ، تَخَوُّفًا أنْ يَقْطُرَ على رَسُولِ الله ﷺ مِنْهُ شَيْءٌ فيُؤْذِيَهُ.

قالَ: وكُنّا نَصْنَعُ لَهُ العَشاءَ، ثُمَّ نَبْعَثُ بِهِ إلَيْهِ، فإذا رَدَّ عَلَيْنا فضْلَهُ تَيَمَّمْتُ أنا وأُمُّ أيُّوبَ مَوْضِعَ يَدِهِ، فأكَلْنا مِنْهُ نَبْتَغِي بِذلك البَرَكَةَ، حَتّى بَعَثْنا إلَيْهِ لَيْلةً بِعَشائِهِ وقَدْ جَعَلْنا لَهُ بَصَلًا أوْ ثُومًا، فرَدَّهُ رَسُولُ الله ﷺ، ولَمْ أرَ لِيَدِهِ فيهِ أثَرًا. قالَ: فجِئْتُهُ فزِعًا، فقُلْتُ: يا رَسُولَ الله، بِأبي أنْتَ وأُمِّي، رَدَدْتَ عَشاءَكَ، ولَمْ أرَ فيهِ مَوْضِعَ يَدِكَ، وكُنْتَ إذا رَدَدْتَهُ عَلَيْنا، تَيَمَّمْتُ أنا وأُمُّ

أيُّوبَ مَوْضِعَ يَدِكَ، نَبْتَغِي بِذلك البَرَكَةَ. قالَ: «إنِّي وجَدْتُ فيهِ رِيحَ هَذِهِ الشَّجَرةِ، وأنا رَجُلٌ أُناجِي، فأمّا أنْتُمْ فكُلُوهُ». قالَ: فأكَلْناهُ، ولَمْ نَصْنَعْ لَهُ تِلْكَ الشَّجَرةَ بَعْدُ.

[تَلاحُقُ المُهاجِرِينَ إلى الرَّسُولِ ﷺ بالمَدِينَةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وتَلاحَقَ المُهاجِرُونَ إلى رَسُولِ الله ﷺ، فلَمْ يَبْقَ بِمَكّةَ مِنْهُمْ أحَدٌ إلّا مَفْتُونٌ أوْ مَحْبُوسٌ، ولَمْ يُوعَبْ أَهْلُ هِجْرةٍ مِنْ مَكّةَ بِأهْلِيهِمْ وأمْوالِهِمْ إلى اللهِ تَبارَكَ وتَعالى وإلى رَسُولِ الله ﷺ إلّا أهْلُ دُورٍ مُسَمَّوْنَ: بَنُو مَظْعُونٍ مِنْ بَنِي جُمَحٍ، وبَنُو جَحْشِ بنِ رِئابٍ، حُلَفاءُ بَنِي أُمَيّةَ، وبَنُو البُكَيْرِ، مِنْ بَنِي سَعْدِ بنِ لَيْثٍ، حُلَفاءُ بَنِي عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ، فإنَّ دُورَهُمْ غُلِّقَتْ بِمَكّةَ هِجْرةً، لَيْسَ فيها ساكِنٌ.

فَصْلٌ

وذكرَ حَدِيثَ أُمِّ أيّوبَ، وقَوْلَها: «انْكَسَرَ حُبٌّ لَنا»، الحُبُّ: جَرّةٌ كَبِيرةٌ، وجَمْعُهُ: حِبَبَةٌ، مِثْلُ: جُحْرٍ وجِحَرةٍ، وكَأنّهُ أُخِذَ لَفْظُهُ مِنْ حَبابِ الماء أوْ مِنْ حَبَبِهِ، وحَبابُهُ[1]: تَدافُعُهُ. قالَ الشّاعِرُ[2]: [من الوافر]

كَأنّ صَلا جَهِيزَةَ حِينَ تَمْشِي حَبابُ الماءِ يَتَّبِعُ الحَبابا

والحَبَبُ بِغَيْرِ ألِفٍ: نُفّاخاتٌ بِيضٌ صِغارٌ تَكُونُ على وجْهِ الشّرابِ؛ قالَهُ ابنُ ثابِتٍ.

---

(١) بعده في (ف): «بالألف».

(٢) البيت في «اللسان» (حبب)، و«النتائج» للسهيلي: (ص: ٥٧).

وذكَرَ[١] قَوْلَهُ عَلَيْهِ السّلامُ لأمِّ أيّوبَ حِينَ رَدّ عَلَيْها الثّرِيدَ مِنْ أَجْلِ الثُّوم: «إنّما ردَدْتُهُ لأنّي رجلٌ أُناجِي»، ورَوى غَيْرُهُ حَدِيثَ أُمّ أيّوبَ، وقالَ فيهِ: «إنّ الملائكةَ تتأذّى بما[٢] يتأذّى به الإنس»[٣].

ورُوِيَ أنّ خُصَيْفَ بنَ الحارثِ قالَ: رَأيْتُ رسولَ الله ﷺ في المَنامِ، فقُلْتُ: «يا رَسُولَ اللهِ، الحَدِيثُ الّذِي تَرْوِيهِ عَنْك أُمُّ أيّوبَ: أنّ المَلائِكةَ تَتأذّى بما[٤] يَتَأذّى بِهِ الإنْسُ، أصَحِيحٌ هُو؟ قالَ: نَعَمْ».

ومَنْزِلُ أبِي أيّوبَ الّذِي نزلَ فيهِ رسولُ الله ﷺ تَصَيَّرَ بَعْدَهُ لأفلح[٥] مَوْلى أبي أيوب، فاشتراهُ منه بعدما خَرِبَ وتثلَّمتْ حيطانُه المُغِيرةُ بنُ عَبْدِ الرّحْمَنِ ابنِ الحارثِ بنِ هِشامٍ بألْفِ دِينارٍ، بَعْدَ حِيلةٍ احْتالَها عَلَيْهِ المُغِيرةُ ذكرَها الزُّبَيْرُ، ثُمّ أصْلَحَ المُغِيرةُ ما وهى من ذلك المنزل، وتَصَدّقَ بِهِ على أهْلِ بَيْتٍ مِنْ فُقَراءِ المَدِينةِ، فكانَ بَعْدَ ذَلِكَ أفْلَحُ يَقُولُ لِلْمُغِيرةِ: خَدَعْتَنِي، فيقُولُ لَهُ [المُغِيرةُ][٦]: لا أفْلَحَ مَنْ نَدِمَ. هَذا مَعْنى ما ذكرَهُ الزُّبَيْرُ[٧].

* * *

(١) «ذكر» من (ف).

(٢) في (ص): «مما».

(٣) «عارضة الأحوذي»، كتاب الأطعمة: (٧: ٣١٤-٣١٥)، وانظر: «أسد الغابة» (٧: ٣٠٤).

(٤) في (ص): «مما».

(٥) في (ف): «إلى أفلح».

(٦) ما بين المعقوفين ليس في (أ).

(٧) بعده في (ف): «بن أبي بكر. فصل».

[عُدْوانُ أبي سُفيانَ على دارِ بَنِي جَحْشٍ، والقِصّةُ في ذلك]

وَلَمّا خَرَجَ بَنُو جَحْشِ بنِ رِئابٍ مِنْ دارِهِمْ، عَدا عَلَيْها أبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ، فباعَها مِنْ عَمْرِو بنِ عَلْقمةَ، أخِي بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ، فلَمّا بَلَغَ بَنِي جَحْشٍ ما صَنَعَ أبو سُفيانَ بِدارِهِمْ، ذَكَرَ ذلك عَبْدُ الله بنُ جَحْشٍ لِرَسُولِ الله ﷺ، فقالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «ألا تَرْضى يا عَبْدَ الله أنْ يُعْطِيَكَ الله بِها دارًا خَيْرًا مِنْها في الجَنّةِ؟»، قالَ: بَلى، قالَ: «فذلك لَكَ». فلَمّا افْتَتَحَ رَسُولُ الله ﷺ مَكّةَ، كَلَّمَهُ أبو أحْمَدَ في دارِهِمْ، فأبْطَأ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ، فقالَ النّاسُ لِأبي أحْمَدَ: يا أبا أحْمَدَ، إنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَكْرَهُ أنْ تَرْجِعُوا في شَيْءٍ مِنْ أمْوالِكُمْ أُصِيبَ مِنْكُمْ في الله عَزَّ وجَلَّ، فأمْسَكَ عَنْ كَلامِ رَسُولِ الله ﷺ، وقالَ لِأبي سُفيانَ:

أبْلِغْ أبا سُفيانَ عَنْ ... أمْرٍ عَواقِبُهُ نَدامهْ
دارُ ابنِ عَمِّكَ بِعْتَها ... تَقْضِي بِها عَنْكَ الغَرامَهْ
وَحَلِيفُكُمْ باللهِ ... رَبِّ النّاسِ مُجْتَهِدُ القَسامَهْ
اذْهَبْ بِها، إذْهَبْ بِها ... طُوِّقْتَها طَوْقَ الحَمامَهْ

[انْتِشارُ الإسْلامَ ومَنْ بَقِيَ على شِرْكِهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فأقامَ رَسُولُ الله ﷺ بِالمَدِينةِ إذْ قَدِمَها شَهْرَ رَبِيعٍ الأوَّلِ إلى صَفَرَ مِنَ السَّنةِ الدّاخِلةِ، حَتّى بُنِيَ لَهُ فيها مَسْجِدُهُ ومَساكِنُهُ،

واسْتَجْمَعَ لَهُ إسْلامُ هذا الحَيِّ مِنَ الأنْصارِ، فلَمْ يَبْقَ دارٌ مِنْ دُورِ الأنْصارِ إلّا أسْلَمَ أهْلُها، إلّا ما كانَ مِنْ خَطْمَةَ، وواقِفٍ، ووائِلٍ، وأُمَيَّةَ، وتِلْكَ أوْسُ اللهِ، وهُمْ حَيٌّ مِنَ الأوْسِ، فإنَّهُمْ أقامُوا على شِرْكِهِمْ.

وذكرَ قَوْلَ أبِي أحْمَدَ بنِ جَحْشٍ[1] لِأبِي سُفيانَ: [من مجزوء الكامل]

دارُ ابــنِ عَمِّــك بِعْتَهــا   تَقْضِي بِها عَنْكَ الغَرامَهْ
اذْهَــبْ بِها إذْهَــبْ بِها   طُوِّقْتَها طَــوْقَ الحَمامَهْ

أبو أحْمَدَ هَذا اسْمُهُ: عَبْدٌ، وقِيلَ: ثُمامةُ، والأوّلُ أصَحُّ، وكانَتْ عِنْدَهُ الفارِعةُ بِنْتُ أبِي سُفيانَ، وبِهَذا السّبَبِ تَطَرّقَ أبو سُفيانَ إلى بَيْعِ دارِ بَنِي جَحْشٍ؛ إذْ كانَتْ بِنْتُهُ فيهِمْ. ماتَ أبو أحْمَدَ بَعْدَ أُخْتِهِ زَيْنَبَ أمِّ المؤمنين في خلافةِ عمر.

وقَوْلُهُ لِأبِي سُفيانَ: [من مجزوء الكامل]

طُوِّقْتَها طَــوْقَ الحَمامَهْ

مُتفرِّعٌ[2] من قول رسول الله ﷺ: «مَنْ غَصَبَ شِبْرًا مِنْ أرْضٍ، طُوِّقَهُ يَوْمَ القِيامةِ مِنْ سَبْعِ أرَضِينَ»، وقالَ: «طَوْقَ الحَمامَهْ»؛ لِأنّ طَوْقَها لا يُفارِقُها، ولا تُلْقِيهِ عَنْ نَفْسِها أبَدًا؛ كَما يَفْعَلُ مَنْ لَبِسَ طَوْقًا مِن الآدَمِيّينَ، ففي هَذا البَيْتِ مِن السَّمانَةِ، وحَلاوةِ الإشارةِ، ومَلاحةِ الِاسْتِعارةِ ما لا مَزِيدَ عَلَيْهِ.

وفي قَوْلِهِ: «طَوْقَ الحَمامةِ»، رَدٌّ على مَنْ تَأوّلَ قَوْلَهُ عَلَيْهِ السّلامُ: «طُوِّقَهُ

---

(١) في (ص): «قول أحمد بن أبي جحش».

(٢) في (ف): «منتزع».

مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ» أَنَّهُ مِن الطَّاقةِ[1]، لا مِنَ الطَّوْقِ في العُنُقِ، وقالَهُ الخَطَّابِيُّ في أَحَدِ قَوْلَيْهِ، مَعَ أَنَّ البُخارِيَّ قد رَواهُ فقالَ في بَعْضِ رِوايَتِهِ لَهُ[2]: «خُسِفَ بِهِ إلى سَبْعِ أَرَضِينَ»[3]، وفي «مُسْنَدِ ابنِ أَبِي شَيْبَةَ»: «مَنْ غَصَبَ شِبْرًا مِنْ أَرْضٍ، جاءَ بِهِ إِسْطامًا في عُنُقِهِ»[4]، والإِسْطامُ: كالحِلَقِ مِن الحَدِيدِ، وسِطامُ السَّيْفِ: حَدُّهُ[5].

[أَوَّلُ خُطَبِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ]

وَكانَتْ أَوَّلُ خُطْبةٍ خَطَبَها رَسُولُ اللهِ ﷺ، فيما بَلَغَنِي عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، نَعُوذُ باللهِ أَنْ نَقُولَ على رَسُولِ اللهِ ﷺ ما لَمْ يَقُلْ؛ أَنَّهُ قامَ فيهِمْ، فحَمِدَ اللهَ وأَثْنى عَلَيْهِ بِما هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قالَ: «أَمّا بَعْدُ، أَيُّها النّاسُ، فقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ، تَعَلَّمُنَّ واللهِ لَيُصْعَقَنَّ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لَيَدَعَنَّ غَنَمَهُ لَيْسَ لَها راعٍ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ رَبُّهُ، ولَيْسَ لَهُ تَرْجُمانٌ ولا حاجِبٌ يَحْجُبُهُ دُونَهُ: أَلَمْ يَأْتِكَ رَسُولِي فبَلَّغَكَ، وآتَيْتُكَ مالًا، وأَفْضَلْتُ عَلَيْكَ؟ فما قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ؟ فلَيَنْظُرَنَّ يَمِينًا وشِمالًا فلا يَرى شَيْئًا، ثُمَّ لَيَنْظُرَنَّ قُدّامَهُ فلا يَرى غَيْرَ جَهَنَّمَ، فمَنِ اسْتَطاعَ أَنْ يَقِيَ وجْهَهُ مِنَ النّارِ ولَوْ بِشِقٍّ مِنْ تَمْرةٍ فلْيَفْعَلْ، ومَنْ لَمْ يَجِدْ فبِكَلِمةٍ طَيِّبةٍ؛ فإنَّ بِها تُجْزى الحَسَنةُ عَشْرَ أَمْثالِها، إلى سَبْعِ مئة ضِعْفٍ، والسَّلامُ عَلَيْكُمْ ورَحْمةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ».

---

(١) «فتح الباري»، كتاب المظالم: (٥: ١٠٣).

(٢) «له» ليست في (ف).

(٣) «أعلام الحديث» (٢: ١٢١٩).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤: ٥٤١)، رقم (٢٢٩٧٤) من حديث أم سلمة رضي الله عنها. (ج)

(٥) «النهاية» لابن الأثير: (سطم).

فَصْلٌ

وذكرَ خُطْبةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وفيها يَقُولُ اللهُ تعالى لِعَبْدِه: «أَلَمْ أُوتِكَ مالًا وأُفْضِلْ عَلَيْك؟ فماذا قَدّمْتَ؟!»، وفي غَيْرِ هَذا الكِتابِ زِيادةٌ، وهِيَ: «أَلَمْ أُوتِكَ مالًا، وجعلتُكَ تَرْبَعُ وتَدْسَعُ؟»[1]؟ وفَسَّرَهُ[2] ابنُ الأَنْبارِيّ، فقالَ: هُو مَثَلٌ، وأصلُه: أنّ الرّئيسَ مِنَ العربِ كانَ يَربعُ قَوْمَهُ؛ أيْ: يَأْخُذُ المِرْباعَ إذا غَزا، ويَدْسَعُ؛ أي: يُعطِي ويدفعُ مِن المالِ لِمَنْ شاءَ، ومِنْهُ قَوْلُهُمْ: فُلانٌ ضَخْمُ الدَّسِيعةِ.

* * *

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير: (٤: ٥٢٨-٥٢٩)، نقلًا عن البيهقي «دلائل النبوة».

(٢) في (ف): «وفسر»، وهو في «الزاهر في معاني كلمات الناس» (١/ ٢٩٩).

[خُطْبَتُهُ الثّانِيةُ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ خَطَبَ رَسُولُ الله ﷺ النّاسَ مَرّةً أُخْرى، فقالَ: «إنَّ الحَمْدَ لله، أحْمَدُهُ وأسْتَعِينُهُ، نَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أنْفُسِنا، وسَيِّئاتِ أعْمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ، وأشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلّا اللهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، إنَّ أحْسَنَ الحَدِيثِ كِتابُ الله تَبارَكَ وتَعالى، قَدْ أفْلَحَ مَنْ زَيَّنَهُ اللهُ في قَلْبِهِ، وأدْخَلَهُ في الإسْلامِ بَعْدَ الكُفْرِ، واخْتارَهُ على ما سِواهُ مِنْ أحادِيثِ النّاسِ، إنَّهُ أحْسَنُ الحَدِيثِ وأبْلَغُهُ، أحِبُّوا ما أحَبَّ اللهُ، أحِبُّوا اللهَ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ، ولا تَمَلُّوا كَلامَ الله وذِكْرَهُ، ولا تَقْسُ عَنْهُ قُلُوبُكُمْ؛ فإنَّهُ مِنْ كُلِّ ما يَخْلُقُ اللهُ يَخْتارُ ويَصْطفي، قَدْ سَمّاهُ اللهُ خِيرَتَهُ مِنَ الأعْمالِ، ومُصْطَفاهُ مِنَ العِبادِ، والصّالِحَ مِنَ الحَدِيثِ، ومِنْ كُلِّ ما أُوتِيَ النّاسُ الحَلالُ والحَرامُ، فاعْبُدُوا اللهَ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، واتَّقُوهُ حَقَّ تُقاتِهِ، واصْدُقُوا اللهَ صالِحَ ما تَقُولُونَ بِأفْواهِكُمْ، وتَحابُّوا بِرُوحِ الله بَيْنَكُمْ، إنَّ اللهَ يَغْضَبُ أنْ يُنْكَثَ عَهْدُهُ، والسَّلامُ عَلَيْكُمْ».

وذكرَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الثّانِيَةَ، وفيها: «أحِبُّوا اللهَ مِنْ كُلّ قُلُوبِكُمْ»، يُرِيدُ: أنْ يَسْتَغْرِقَ حُبُّ اللهِ جَمِيعَ أجْزاءِ القَلْبِ، فيكُونَ ذِكْرُهُ وعَمَلُهُ خارِجًا مِنْ قَلْبِهِ خالِصًا للهِ، وإضافةُ الحُبِّ إلى اللهِ تَعالى مِنْ عَبْدِهِ مَجازٌ حَسَنٌ؛ لِأنَّ حَقِيقةَ المَحَبّةِ: إرادةٌ يُقارِنُها اسْتِدْعاءٌ لِلْمَحْبُوبِ؛ إمّا بالطَّبْعِ، وإمّا بالشَّرْعِ، وقد كَشَفْنا مَعْناها بِغايةِ البَيانِ في شَرْحِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: «إنّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبّ

الجَمالَ»[١]، ونبَّهنا هنالك[٢] على تَقْصِيرِ أَبِي المَعالِي[٣] رَحِمَهُ اللهُ في شَرْحِ المَحَبّةِ في كِتابِ الإرادةِ مِنْ كِتابِ «الشامل»، فلْتُنظَرْ هنالك[٤].

وقَوْلُهُ عَلَيْهِ السّلامُ: «لا تَملُّوا كَلامَ اللهِ وذِكْرَهُ؛ فإنّهُ مِنْ كُلِّ ما يَخْلُقُ اللهُ يَخْتارُ ويَصْطَفي». الهاءُ في قَوْلِهِ: «فإنّهُ» لا[٥] يَجُوزُ أنْ تَكُونَ عائِدةً على كَلامِ اللهِ، ولَكِنّها ضَمِيرُ الأمْرِ والحَدِيثِ؛ فكَأنّهُ[٦][٧] قالَ: إنّ الحَدِيثَ مِنْ كُلّ ما يَخْلُقُ اللهُ يَخْتارُ، فالأعْمالُ إذًا كُلُّها مِنْ خَلْقِ اللهِ، وقد اخْتارَ مِنْها ما شاءَ، قالَ اللهُ سُبْحانَهُ: ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص: ٦٨]، وقَوْلُهُ: قد سَمّاهُ الله خِيرَتَهُ من الأعمال؛ يعني: الذّكْرَ، وتِلاوةَ القُرْآنِ؛ لِقَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَيَخْتَارُ﴾، فقد اخْتارَهُ مِن الأعْمالِ.

وقَوْلُهُ: والمُصْطَفى مِنْ عِبادِه؛ أيْ: وسُمِّيَ المُصْطَفى مِنْ عِبادِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٥]، ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ مَعْناهُ: المُصْطَفى مِنْ عِبادِهِ؛ أي: العَمَل الّذِي اصْطَفاهُ مِنْهُمْ[٨] واخْتارَهُ مِنْ أعْمالِهِمْ، فلا تَكُونُ «مِنْ» على هَذا لِلتّبْعِيضِ، إنّما تَكُونُ لِابْتِداءِ الغايةِ؛

(١) «مسلم»، كتاب الإيمان: (١ : ٩٣).
(٢) «هنالك» ليست في (ف).
(٣) إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، أحد الأئمة الأعلام، عاش ستين سنة (٤١٩-٤٧٨هـ)، وكتابه «الشامل في أصول الدين» على مذهب الأشاعرة.
(٤) في (ف): «هناك».
(٥) «لا» ليست في (ف).
(٦) في (ف): «كأنه».
(٧) في (أ)، (ب): «كأنه».
(٨) في (أ)، (ب)، (ف): «من عباده».

لِأَنَّهُ عَمَلٌ اسْتَخْرَجَهُ مِنْهُمْ بِتَوْفِيقِهِ إِيّاهُمْ. والتَّأْوِيلُ الأَوّلُ أَقْرَبُ مَأْخَذًا، واللهُ أعلمُ بما أرادَ رسولُه ﷺ.

وقَوْلُهُ في أَوّلِ الخُطْبَةِ: «إنّ الحَمْدُ للهِ نحْمَدُهُ»، هَكَذا بِرَفْعِ الدّالِ مِنْ قَوْلِهِ: الحَمْدُ [للهِ][(١)] وجَدْتُهُ مُقَيَّدًا مُصَحَّحًا عَلَيْهِ. وإعْرابُهُ لَيْسَ على الحِكايَةِ، ولَكِنْ على إضْمارِ الأمْرِ؛ كَأَنّهُ قالَ: إنّ الأمْرَ الّذِي أذْكُرُهُ، وحَذَفَ الهاءَ العائِدَةَ على الأمْرِ كَيْ لا يُقَدِّمَ شَيْئًا في اللّفْظِ مِن الأسْماءِ على قَوْلِهِ: الحَمْدُ للهِ، ولَيْسَ تَقْدِيمُ «إنّ» في اللّفْظِ مِنْ بابِ تَقْدِيمِ الأسْماءِ؛ لِأَنّها حَرْفٌ مُؤَكِّدٌ لِما بَعْدَهُ مَعَ ما في اللّفْظِ مِن التّحَرّي لِلَفْظِ القُرْآنِ والتّيَمُّنِ بِهِ، واللهُ أعْلَمُ[(٢)].

[وقد ذكرَ النَّحّاسُ من هذهِ الخُطبة أوّلها بالرّفع، قال: «إنَّ» بمعنى: نعم[(٣)] ههنا[(٤)]][(٥)].

وكانَتْ خُطْبَتُهُ عليه السلام في تِلْكَ الأيّام على جِذْعٍ، فلَمّا صُنِعَ لَهُ المِنْبَرُ مِنْ طَرْفاءِ الغابةِ، وصَنَعَهُ لَهُ عَبْدٌ لِامْرَأَةٍ مِن الأنْصارِ اسْمُهُ: باقُوم، خارَ الجِذْعُ خُوارَ النّاقةِ الخَلُوجِ[(٦)]، حتّى نزلَ رسولُ الله ﷺ، فالتَزَمَهُ، وقالَ: «لَوْ لَمْ أَلْتَزِمْهُ ما زالَ يَخُورُ إلى يَوْمِ القِيامةِ»، ثُمّ دَفَنَهُ، وإنّما دَفَنَهُ؛ لِأَنّهُ قد صارَ حُكْمُهُ حُكْمَ المُؤْمِنِ؛ لَحُبِّهِ وحَنِينِهِ إلى النّبيّ ﷺ، وهَذا يَنْظُرُ إلى قَوْلِهِ عزَّ وجل: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤] الآيةَ، وإلى قَوْلِهِ ﷺ في النّخْلةِ: «مَثَلُها كَمَثَلِ

---

(١) ما بين المعقوفين ليس في (ف)، (أ)، (ب).

(٢) «والله أعلم» ليست في (ف).

(٣) بعده في (ف): «إجازة إن لم يكن سماعًا».

(٤) «ههنا» ليست في (ف).

(٥) عن (أ)، (ب).

(٦) في حاشية (أ): «أي: التي نزع عنها دارها».

المُؤْمِنِ»[١]. وحَدِيثُ خُوارِ الجِذْعِ وحَنِينِهِ مَنْقُولٌ نَقْلَ التَّواتُرِ؛ لِكَثْرةِ مَنْ شاهَدَ خُوارَهُ مِن الخَلْقِ، وكُلُّهُمْ نَقَلَ ذَلِكَ، أَوْ سَمِعَهُ من غيره فلم يُنكِرْه[٢].

[كِتابُهُ ﷺ بَيْنَ المُهاجِرِينَ والأنْصارِ ومُوادَعةُ يَهُودَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكَتَبَ رَسُولُ الله ﷺ كِتابًا بَيْنَ المُهاجِرِينَ والأنْصارِ، وادَعَ فيهِ يَهُودَ وعاهَدَهُمْ، وأقَرَّهُمْ على دِينِهِمْ وأمْوالِهِمْ، وشَرَطَ لَهُمْ، واشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ:

«بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هذا كِتابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ﷺ، بَيْنَ المُؤْمِنِينَ والمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ ويَثْرِبَ، ومَنْ تَبِعَهُمْ، فلَحِقَ بِهِمْ، وجاهَدَ مَعَهُمْ، إنَّهُمْ أُمَّةٌ واحِدةٌ مِنْ دُونِ النّاسِ، المُهاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ على رِبْعَتِهِمْ يَتَعاقَلُونَ بَيْنَهُمْ، وهُمْ يَفْدُونَ عانِيَهُمْ بِالمَعْرُوفِ والقِسْطِ بَيْنَ المُؤْمِنِينَ، وبَنُو عَوْفٍ على رِبْعَتِهِمْ يَتَعاقَلُونَ مَعاقِلَهُمُ الأُولى، كُلُّ طائِفةٍ تَفْدِي عانِيَها بِالمَعْرُوفِ والقِسْطِ بَيْنَ المُؤْمِنِينَ، وبَنُو ساعِدةَ على رِبْعَتِهِمْ يَتَعاقَلُونَ مَعاقِلَهُمُ الأُولى، وكُلُّ طائِفةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عانِيَها بِالمَعْرُوفِ والقِسْطِ بَيْنَ المُؤْمِنِينَ، وبَنُو الحارِثِ على رِبْعَتِهِمْ يَتَعاقَلُونَ مَعاقِلَهُمُ الأُولى، وكُلُّ طائِفةٍ تَفْدِي عانِيَها بِالمَعْرُوفِ والقِسْطِ بَيْنَ المُؤْمِنِينَ، وبَنُو جُشَمَ على رِبْعَتِهِمْ يَتَعاقَلُونَ مَعاقِلَهُمُ الأُولى، وكُلُّ طائِفةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عانِيَها بِالمَعْرُوفِ والقِسْطِ بَيْنَ المُؤْمِنِينَ، وبَنُو النَّجّارِ على رِبْعَتِهِمْ يَتَعاقَلُونَ مَعاقِلَهُمُ الأُولى، وكُلُّ طائِفةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عانِيَها بِالمَعْرُوفِ والقِسْطِ بَيْنَ المُؤْمِنِينَ، وبَنُو عَمْرِو بنِ عَوْفٍ على رِبْعَتِهِمْ

(١) «مسند أحمد» (٢: ١٢)، و«فتح الباري»، كتاب العلم: (١: ١٦٥)، و«مسلم»، كتاب صفة القيامة: (٤: ٢١٦٥).

(٢) انظر: «دلائل النبوة» لأبي نعيم: (ص: ٣٩٩-٤٠٤).

يَتعاقَلُونَ مَعاقِلَهُمُ الأُولى، وكُلُّ طائِفةٍ تَفْدِي عانِيَها بِالمَعْرُوفِ والقِسْطِ بَيْنَ المُؤْمِنِينَ، وبَنُو النَّبِيتِ على رِبْعَتِهِمْ يَتعاقَلُونَ مَعاقِلَهُمُ الأُولى، وكُلُّ طائِفةٍ تَفْدِي عانِيَها بِالمَعْرُوفِ والقِسْطِ بَيْنَ المُؤْمِنِينَ، وبَنُو الأَوْسِ على رِبْعَتِهِمْ يَتعاقَلُونَ مَعاقِلَهُمُ الأُولى، وكُلُّ طائِفةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عانِيَها بِالمَعْرُوفِ والقِسْطِ بَيْنَ المُؤْمِنِينَ، وإنَّ المُؤْمِنِينَ لا يَتْرُكُونَ مُفْرَحًا بَيْنَهُمْ أَنْ يُعْطُوهُ بِالمَعْرُوفِ في فِداءٍ أَوْ عَقْلٍ».

قالَ ابنُ هِشامٍ: المُفْرَحُ: المُثْقَلُ بِالدَّيْنِ والكَثِيرُ العِيالِ. قالَ الشّاعِرُ:

إذا أنْتَ لم تَــبْرَح تؤدّي أمانةً وتَحْمِلُ أُخْرى أفْرَحَتْكَ الوَدائِعُ

«وَأَنْ لا يُحالِفَ مُؤْمِنٌ مَوْلى مُؤْمِنٍ دُونَهُ، وإنَّ المُؤْمِنِينَ المُتَّقِينَ على مَنْ بَغى مِنْهُمْ، أوِ ابْتَغى دَسِيعةَ ظُلْمٍ، أَوْ إثْمٍ، أَوْ عُدْوانٍ، أَوْ فسادٍ بَيْنَ المُؤْمِنِينَ، وإنَّ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ جَمِيعًا، ولَوْ كانَ ولَدَ أَحَدِهِمْ، ولا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا في كافِرٍ، ولا يَنْصُرُ كافِرًا على مُؤْمِنٍ، وإنَّ ذِمّةَ اللهِ واحِدةٌ، يُجِيرُ عَلَيْهِمْ أدْناهُمْ، وإنَّ المُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مَوالِي بَعْضٍ دُونَ النّاسِ، وإنَّهُ مَنْ تَبِعَنا مِنْ يَهُودَ فإنَّ لَهُ النَّصْرَ والأُسْوةَ، غَيْرَ مَظْلُومِينَ ولا مُتَناصرِينَ عَلَيْهِمْ، وإنَّ سِلْمَ المُؤْمِنِينَ واحِدةٌ، لا يُسالَمُ مُؤْمِنٌ دُونَ مُؤْمِنٍ في قِتالٍ في سَبِيلِ اللهِ، إلّا على سَواءٍ وعَدْلٍ بَيْنَهُمْ، وإنَّ كُلَّ غازِيةٍ غَزَتْ مَعَنا يُعْقِبُ بَعْضُها بَعْضًا، وإنّ المُؤمنِينَ يَبِيءُ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ بِما نالَ دِماءَهُمْ في سَبِيلِ اللهِ، وإنَّ المُؤْمِنِينَ المُتَّقِينَ على أَحْسَنِ هُدًى وأَقْوَمِهِ، وإنَّهُ لا يُجِيرُ مُشْرِكٌ مالًا لقرِيشٍ ولا نفسًا، ولا يَحُولُ دُونَهُ على مُؤْمِنٍ، وإنَّهُ مَنِ اعْتَبَطَ مُؤْمِنًا قَتْلًا عَنْ بَيِّنةٍ فإنَّهُ قَوَدٌ بِهِ إلّا أَنْ يَرْضى ولِيُّ المَقْتُولِ، وإنَّ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ كافّةً، ولا يَحِلُّ لَهُمْ إلّا قِيامٌ عَلَيْهِ،

وإنَّهُ لا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أقَرَّ بما في هَذِهِ الصَّحِيفةِ، وآمَنَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ، أنْ يَنْصُرَ مُحْدِثًا ولا يُؤْوِيَهِ، وأنَّهُ مَنْ نَصَرَهُ أوْ آواهُ، فإنَّ عَلَيْهِ لَعْنَةَ اللهِ وغَضَبَهُ يَوْمَ القِيامةِ، ولا يُؤْخَذُ مِنْهُ صَرْفٌ ولا عَدْلٌ، وإنَّكُمْ مَهْما اخْتَلَفْتُمْ فيهِ مِنْ شَيْءٍ، فإنَّ مَرَدَّهُ إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ، وإلى مُحَمَّدٍ ﷺ، وإنَّ اليَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ المُؤْمِنِينَ ما دامُوا مُحارَبِينَ، وإنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ المُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ، ولِلْمُسْلِمَيْنِ دِينُهُمْ، مَوالِيهِمْ وأنْفُسُهُمْ، إلّا مَنْ ظَلَمَ وأثِمَ، فإنَّهُ لا يُوتِغُ إلّا نَفْسَهُ وأهْلَ بَيْتِهِ، وإنَّ لِيَهُودِ بَنِي النَّجّارِ مِثْلَ ما لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وإنَّ لِيَهُودِ بَنِي. الحارِثِ مِثْلَ ما لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وإنَّ لِيَهُودِ بَنِي ساعِدةَ مِثْلَ ما لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وإنَّ لِيَهُودِ بَنِي جُشَمَ مِثْلَ ما لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وإنَّ لِيَهُودِ بَنِي الأوْسِ مِثْلَ ما لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وإنَّ لِيَهُودِ بَنِي ثَعْلَبةَ مِثْلَ ما لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، إلّا مَنْ ظَلَمَ وأثِمَ، فإنَّهُ لا يُوتِغُ إلّا نَفْسَهُ وأهْلَ بَيْتِهِ، وإنَّ جَفْنَةَ بَطْنٌ مِنْ ثَعْلَبةَ كَأنْفُسِهِمْ، وإنَّ لِبَنِي الشَّطِيبةِ مِثْلَ ما لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وإنَّ البِرَّ دُونَ الإثْمِ، وإنَّ مَوالِيَ ثَعْلَبةَ كَأنْفُسِهِمْ، وإنَّ بِطانةَ يَهُودَ كَأنْفُسِهِمْ، وإنَّهُ لا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أحَدٌ إلّا بِإذْنِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وإنَّهُ لا يَنْحَجِزُ على ثَأْرِ جُرْحٍ، وإنَّهُ مَنْ فتَكَ فبِنَفْسِهِ فتَكَ، وأهْلِ بَيْتِهِ، إلّا مَنْ ظَلَمَ، وإنَّ اللهَ على أبَرِّ هذا، وإنَّ على اليَهُودِ نَفَقَتَهُمْ

وَعلى المُسْلِمِينَ نَفَقَتَهُمْ، وإنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ على مَنْ حارَبَ أهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفةِ، وإنَّ بَيْنَهُمُ النُّصْحَ والنَّصِيحةَ، والبِرَّ دُونَ الإثْمِ، وإنَّهُ لَمْ يَأْثَمِ امْرُؤٌ بِحَلِيفِهِ، وإنَّ النَّصْرَ لِلْمَظْلُومِ، وإنَّ اليَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ المُؤْمِنِينَ ما دامُوا مُحارَبِينَ، وإنَّ يَثْرِبَ حَرامٌ جَوْفُها لِأهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفةِ، وإنَّ الجارَ كالنَّفْسِ غَيْرَ مُضارٍّ ولا آثِمٌ، وإنَّهُ لا تُجارُ حُرْمةٌ إلّا بِإذْنِ أهْلِها، وإنَّهُ ما كانَ بَيْنَ أهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفةِ مِنْ حَدَثٍ أوِ اشْتِجارٍ يُخافُ فسادُهُ، فإنَّ مَرَدَّهُ إلى اللهِ

عَزَّ وجَلَّ، وإلى مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله ﷺ، وإنَّ الله على أتْقى ما في هَذِهِ الصَّحِيفةِ وأبَرِّهِ، وإنَّهُ لا تُجارُ قُرَيْشٌ ولا مَنْ نَصَرَها، وإنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ على مَنْ دَهَمَ يَثْرِبَ، وإذا دُعُوا إلى صُلْحٍ يُصالِحُونَهُ ويُلْبَسُونَهُ، فإنَّهُمْ يُصالِحُونَهُ ويُلْبَسُونَهُ، وإنَّهُمْ إذا دُعُوا إلى مِثْلِ ذلك فإنَّهُ لَهُمْ على المُؤْمِنِينَ، إلّا مَنْ حارَبَ في الدِّينِ، على كُلِّ أُناسٍ حِصَّتُهُمْ مِنْ جانِبِهِمُ الَّذي قِبَلَهُمْ، وإنَّ يَهُودَ الأوْسِ، مَوالِيَهُمْ وأنْفُسَهُمْ، على مِثْلِ ما لِأهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفةِ، مَعَ البِرِّ المَحْضِ مِنْ أهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفةِ». قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: مَعَ البَرِّ المُحْسِنِ مِنْ أهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفةِ. قالَ ابنُ إسْحاقَ: «وإنَّ البِرَّ دُونَ الإثْمِ، لا يَكْسِبُ كاسِبٌ إلّا على نَفْسِهِ، وإنَّ الله على أصْدَقِ ما في هَذِهِ الصَّحِيفةِ وأبَرِّهِ، وإنَّهُ لا يَحُولُ هذا الكِتابُ دُونَ ظالِمٍ وآثِمٍ، وإنَّهُ مَنْ خَرَجَ آمِنٌ، ومَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالمَدِينةِ، إلّا مَنْ ظَلَمَ أوْ أثِمَ، وإنَّ اللهَ جارٌ لِمَنْ بَرَّ واتَّقى، ومُحَمَّدٌ رَسُولُ الله ﷺ».

كِتابُ[1] رَسُولِ اللهِ ﷺ فيما بَيْنَهُ وبَيْنَ يَهُودَ[2]

شَرَطَ لَهُمْ فيهِ، وشَرَطَ عَلَيْهِمْ، وأمَّنَهُمْ فيهِ على أنْفُسِهِمْ وأهْلِيهِمْ وأمْوالِهِمْ، وكانَتْ أرْضُ يَثْرِبَ لَهُمْ قَبْلَ نُزُولِ الأنْصارِ بها، فلَمّا كانَ سَيْلُ العَرِمِ، وتَفَرَّقَتْ سَبَأٌ، نزلَتِ الأوْسُ والخَزْرَجُ بِأمْرِ طَرِيفةَ الكاهِنةِ، وأمرِ عِمْرانَ بنِ عامِرٍ؛ فإنَّهُ كانَ كاهِنًا [أيْضًا][3]، وبِما سَجَعَتْ بِهِ لِكُلِّ قَبِيلةٍ مِنْ سَبَأٍ، فَسَجَعَتْ لِبَنِي حارِثةَ ابنِ ثَعْلَبَةَ ـ وهُم الأوْسُ والخزرجُ ـ أن ينزِلُوا يثربَ ذاتَ النَّخْلِ، فنَزَلُوها على

---

(١) في (ف): «فصل كتاب».

(٢) في (ف)، (أ)، (ج): «اليهود».

(٣) ما بين المعقوفين ليس في (ف)، (أ)، (ب).

يَهُودَ وحالَفُوهُمْ وأقامُوا مَعَهُمْ، فكانَتِ الدّارُ دارًا[(١)] واحِدةً.

والسَّبَبُ في كَوْنِ اليَهُودِ بِالمَدِينَةِ، وهِيَ وسَطَ أرْضِ العَرَبِ، مَعَ أنّ اليَهُودَ أصْلُهُمْ مِنْ أرْضِ كَنْعانَ: أنّ بَنِي إسْرائِيلَ كانَتْ تُغِيرُ عَلَيْهِم العَمالِيقُ مِنْ أرْضِ الحِجازِ، وكانَتْ مَنازِلُهُمْ يَثْرِبَ والجُحْفَةَ إلى مَكّةَ، فشَكَتْ بَنُو إسْرائِيلَ ذَلِكَ إلى مُوسى عليه السلام، فوجّهَ إلَيْهِمْ جَيْشًا، وأمَرَهُمْ أنْ يَقْتُلُوهُمْ ولا يُبْقُوا مِنْهُمْ أحَدًا، ففَعَلُوا وتَرَكُوا مِنْهُمُ ابنَ مَلِيكٍ[(٢)] لَهُمْ كانَ غُلامًا حَسَنًا، فرَقُّوا لَهُ.

يُقالُ لِلْمَلِكِ: الأرْقَمُ بنُ الأرْقَمِ فيما ذكرَ الزّبَيْرُ، ثُمّ رجَعُوا إلى الشّام وموسى قد مات، فقالَتْ بَنُو إسْرائِيلَ[(٣)]: قد عَصَيْتُمْ وخالَفْتُمْ، فلا نُؤوِيكم، فقالُوا: نَرْجِعُ إلى البِلادِ الّتِي غُلِبْنا عَلَيْها فنَكُونُ بِها، فرَجَعُوا إلى يَثْرِبَ، فاسْتَوْطَنُوها وتَناسَلُوا بِها إلى أنْ نزلَتْ عَلَيْهِم الأوْسُ والخَزْرَجُ بَعْدَ سَيْلِ العَرِمِ. هَذا مَعْنى ما ذكَرَهُ أبو الفَرَجِ الأصْبَهانِيُّ في كِتابِهِ الكَبِيرِ المَعْرُوفِ بِكِتابِ «الأغاني»[(٤)].

[وأصحُّ من هذا ما ذكرَهُ الطَّبريُّ: أنّ نزولَ بني إسرائيلَ بالحجازِ ووادِي القُرى كانَ حينَ وطئَ بختُ نصَّرَ بلادَهم بالشّام وخرّب بيتَ المقدس، وإيّاه عنى الله عزَّ وجلَّ في قوله: ﴿ فَجَاسُوا۟ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ ﴾][(٥)] [الإسراء: ٥].

---

(١) «دارًا» ليست في (ف).

(٢) في (أ)، (ب)، (ف): «ملك».

(٣) بعده في (ف): «لهم».

(٤) انظر: «الأغاني»، أخبار أوس بن زبّى اليهودي: (٢٥: ٨٨٠١-٨٨٠٣).

(٥) مكانه في (ف)، (أ)، (ب): «ولا أحسب هذا صحيحًا؛ لبعد عهد موسى عليه السلام، والذي قاله غيره: أن طائفة من بني إسرائيل لحقت بأرض الحجاز حين دوَّخَ بخت نصّر البابلي في بلادهم، وجاسوا خلال ديارهم، فحينئذٍ لحق من لحق منهم بأرض الحجاز كقريظة والنضير، وسكنوا خيبر والمدينة. وهذا معنى ما ذكره الطبري، والله أعلم».

وأمّا يَثْرِبُ فاسْمُ رَجُلٍ نزلَ بِها أوّل مِن[١] العَمالِيقِ فعُرِفَتْ[٢] باسْمِهِ، وهُو يَثْرِبُ بنُ قاينَ بنِ عَبيلِ بنِ مِهْلايلِ بنِ عوصِ بنِ عِمْلاقِ بنِ لاوذِ[٣] بنِ إرَمَ. وفي بَعْضِ هَذِهِ الأَسْماءِ اخْتِلافٌ، وبَنُو عَبيلٍ هُم الّذِينَ سَكَنُوا الجُحْفةَ فأجْحَفَتْ بِهِم السُّيُولُ، وبِذَلِكَ سُمِّيَتِ الجُحْفَةَ، فلَمّا احْتَلّها رَسُولُ اللهِ ﷺ كَرِهَ لَها هَذا الِاسْمَ؛ أعْنِي: يَثْرِبَ؛ لِما فيهِ مِنْ لَفْظِ التَّثْرِيبِ[٤]، وسَمّاها: طَيْبَةَ، وطابَةَ، والمَدِينَةَ.

فَإنْ قُلْت: كَيْفَ[٥] كَرِهَ اسْمًا ذكَرَها اللهُ في القُرْآنِ بِهِ، وهُو المُقْتَدِي بِكِتابِ اللهِ سبحانه، وأهْلٌ ألا يَعْدِلَ عَنْ تَسْمِيَةِ اللهِ تعالى؟

قُلْنا: إنّ اللهَ سُبْحانَهُ إنّما ذكَرَها بهذا الِاسْمِ حاكِيًا عَن المُنافِقِينَ: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ [الأحزاب: ١٣]، فنَبَّهَ بِما حَكى عنهمْ أنّهُمْ قد رَغِبُوا عنِ اسْمٍ سَمّاها اللهُ بِهِ ورَسُولُهُ، وأبَوْا إلّا ما كانُوا عَلَيْهِ في جاهِلِيّتِهِمْ، واللهُ سُبْحانَهُ قد سَمّاها: المَدِينَةَ، فقالَ غَيْرَ حاكٍ عَنْ أحَدٍ: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ ﴾ [التوبة: ١٢٠] الآيَةَ، وفي الخبرِ عن كعبِ الأحبارِ، قالَ: «إنّا نَجِدُ في التَّوْراةِ يَقُولُ اللهُ لِلْمَدِينَةِ: يا طابَةُ، يا طَيْبَةُ، ويا مِسْكِينَةُ، لا تَقْبَلِي الكُنُوزَ، أرْفَعُ أجاجِيرَكِ[٦] على أجاجِيرِ القُرى»[٧]. وقد

(١) في (ف): «زمن».

(٢) في (ف): «وعرفت».

(٣) في (ص): «لاوذ بن ولاد بن إرم». وانظر: «معجم البلدان» لياقوت: (يثرب). و«تاج العروس» (ثرب، لوذ). و«تفسير ابن كثير»، سورة الأحزاب، الآية ١٣، (٦: ٩١)، و«التعريف والإعلام» للسهيلي عند هذه الآية.

(٤) يقال: ثَرَّبَ عليهم فِعْلهم: قبّحه.

(٥) في (ف): «وكيف».

(٦) الأجاجير: جمع إجّار، وهو السطح ليس عليه سُتْرة تردّ الساقط منه.

(٧) رواه أبو زيد عُمَر بن شبة بإسناده إلى كعب الأحبار. انظر: «تاريخ المدينة المنورة» «أخبار =

رُوِي هذا الحديثُ عن عَلِيّ بنِ أبِي طالِبٍ يَرْفَعُهُ. ورُوِيَ أيْضًا أنّ لَها في التَّوْراةِ أحَدَ عَشَرَ اسْمًا: المَدِينةُ، وطابةُ، وطَيْبةُ، والمِسْكِينةُ، والجابِرةُ، والمُحِبّةُ، والمَحْبُوبةُ، والقاصِمةُ، والمَجْبُورةُ، والعَذْراءُ، والمَرْحُومةُ[1].

ورُوِيَ في مَعْنى قوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ [الإسراء: ٨٠]: أنّها المدينة، وأنّ ﴿ مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ [الإسراء: ٨٠]: أنها مكّة، و﴿ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٠]: الأنْصارُ.

وفي الكِتابِ: «بَنُو فُلانٍ على رِبَعاتِهِمْ»[2]. هَكَذا رَواهُ أبو عُبَيْدٍ، عَنِ ابنِ بُكَيْرٍ، عَنْ عُقَيْلِ بنِ خالدٍ، عَنِ الزُّهْرِيّ، ورَواهُ عَنْ عَبْدِ الله بن صالِحٍ بِهَذا الإسْنادِ، فقالَ: «رِباعَتِهِمْ» ـ الألِفُ[3] بَعْدَ الباءِ ـ ثُمّ قالَ أبو عُبَيْدٍ: يُقالُ: فُلانٌ[4] رِباعةُ قَوْمِهِ: إذا كانَ قَيِّمَهُمْ ووافِدَهُمْ[5].

قالَ الشَّيخ الحافظ أبو القاسم: وكَسْرُ الرّاءِ فيهِ [هو][6] القِياسُ على هَذا المَعْنى؛ لِأنّها وِلايةٌ، وإنْ جَعَلْتَ الرَّباعةَ مَصْدَرًا، فالقِياسُ فَتْحُ الرّاءِ؛ أيْ: على شَأْنِهِمْ وعادَتِهِمْ مِنْ أحْكامِ الدِّياتِ والدِّماءِ، يَتَعاقَلُونَ مَعاقِلَهُم الأولى، جمع مَعْقَلةٍ ومَعْقُلةٍ من العَقْلِ وهُو الدِّيةُ[7].

= المدينة النبوية» (١: ١٧٣).

(١) انظر: «تفسير ابن كثير»، آية الأحزاب (١٣): (٦: ٢٧٩١).

(٢) في (ص): «ربعتهم»، وفي (ب): «رباعتهم». وانظر: «الأموال» لأبي عبيد: (ص: ٢١٥).

(٣) في (ب): «بالألف».

(٤) بعده في (ف): «على».

(٥) انظر: «الأموال» (ص: ٢١٧).

(٦) عن (أ)، (ب).

(٧) انظر: «تاج العروس» (عقل).

وقالَ في «الكِتابِ»: وألّا يُتْرَكَ مُفْرَحٌ. وفَسّرَهُ ابنُ هِشامٍ كَما فسّرَهُ أبو عُبَيْدٍ: [أنّهُ][1] الّذِي أثْقَلَهُ الدَّيْنُ، وأنْشَدَ البَيْتَ الّذِي أنْشَدَهُ أبو عُبَيْدٍ[2]: [من الطويل]

إذا أنْـتَ لَمْ تَبْـرَحْ تُـؤَدِّي أمانَةً وتَحْمِلُ أُخْرى أفْرَحَتْكَ الودائِعُ[3]

أيْ: أثْقَلَتْكَ، يَجُوزُ أنْ تكُونَ[4] مِنْ أفْعالِ السّلْبِ؛ أيْ: سَلَبَتْك الفَرَحَ؛ كَما قِيلَ في[5]: أقْسَطَ الرّجُلُ: إذا عَدَلَ؛ أيْ: أزالَ القِسْطَ، وهُو الاِعْوجاجُ، ويَجُوزُ أنْ تَكُونَ الفاءُ مُبْدَلَةً مِنْ باءٍ، فتكُونَ[6] مِن البَرْحِ وهُو الشِّدّةُ، تَقُولُ[7]: لَقِيتُ مِنْ فُلانٍ بَرْحًا؛ أيْ: شِدّةً.

وذكَرَ أبو عُبَيْدٍ رِوايَةً أُخْرى: «مُفْرَجٌ» بِالجِيمِ، وذكَرَ في مَعْناهُ أقْوالًا؛ مِنْها: أنّهُ الّذِي لا دِيوانَ لَهُ، ومِنْها: أنّهُ القَتِيلُ بَيْنَ القَرْيَتَيْنِ لا يُدْرى مَنْ قَتَلَهُ، ومِنْها: أنّهُ في مَعْنى المُفرَحِ بِالحاءِ؛ أيِ: الّذِي لا شَيْءَ لَهُ وقد أثْقَلَهُ الدَّيْنُ، أوْ[8] نَحْو هَذا، فيُقْضى عنه مِنْ بَيْتِ المالِ.

وفيهِ: لا يُوتِغُ إلّا نَفْسَهُ؛ أيْ: لا يُوبِقُ ولا يُهْلِكُ إلّا نَفْسَهُ، يُقالُ: وَتِغَ الرّجُلُ، وأوْتَغَهُ غَيْرُهُ، قالَهُ أبو عُبَيْدٍ[9].

---

(١) عن (ص).

(٢) «غريب الحديث» له: (١: ٣١).

(٣) هو بَيْهس العذري كما في «تاج العروس» (فرح).

(٤) في (ف): «يكون».

(٥) «في» ليست في (ف).

(٦) في (ف): «فيكون».

(٧) في (ف): «يقال».

(٨) في (ف): «و».

(٩) «غريب الحديث» (٣: ١٧٠).

ومَعْنى قَوْلِهِ: «يُبِيءُ»[(١)] مِن البَواءِ؛ أي: المُساواةِ، ومِنْهُ قَوْلُ مُهَلْهِلٍ حِينَ قَتَلَ ابنًا لِلْحارِثِ بن عُباد[(٢)]: «بُؤْ بِشِسْعِ نَعلِ كُلَيب»[(٣)].

وقوله: «إنّ البِرَّ دُونَ الإثْمِ»؛ أيْ: إنّ البِرَّ والوفاءَ يَنْبَغِي أنْ يَكُونَ حاجِزًا عَن الإثْمِ.

وقَوْلُهُ: «وإنّ اللهَ على أتْقى ما في هَذِهِ الصّحِيفةِ وأبَرِّهِ»؛ أيْ: إنّ اللهَ وحِزْبَهُ المُؤْمِنِينَ على الرِّضَا بِهِ.

وقالَ أبو عُبَيْدٍ في كِتابِ «الأمْوالِ»: إنّما كَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذا الكِتابَ قَبْلَ أنْ تُفْرَضَ الجِزْيَةُ، وإذْ كانَ الإسْلامُ ضَعِيفًا. قالَ: وكانَ لِلْيَهُودِ إذْ ذاكَ نَصِيبٌ في المَغْنَمِ إذا قاتَلُوا مَعَ المُسْلِمِينَ؛ كَما شَرَطَ عَلَيْهِمْ في هَذا الكِتابِ النَّفَقةَ مَعَهُمْ في الحُرُوبِ[(٤)].

* * *

(١) بعده في (ف): «هو».

(٢) «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (٣: ١٥٢٣).

(٣) «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري: (٢: ١)، والشِّسع: سير يمسك النعل بأصابع القدم. ويقال: فلان بَواء فلان: كفؤه ونظيره في القصاص. يقول الزمخشري: «قم مقام شسعهِ؛ فإنك لستَ ببواءٍ له، يضرب في فرط اتِّضاع الشيء عن الشيء، حتى لا يعادل كله ببعضه».

(٤) «الأموال» لأبي عبيد: (ص ٢١٩).

المُؤاخاةُ بَيْنَ المُهاجِرِينَ والأَنْصارِ

[مَنْ آخى بَيْنَهُمْ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وآخى رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَصْحابِهِ مِنَ المُهاجِرِينَ والأَنْصارِ، فقالَ فيما بَلَغَنا، ونَعُوذُ باللهِ أَنْ نَقُولَ عَلَيْهِ ما لَمْ يَقُلْ: «تَآخَوْا في اللهِ أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ»، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ، فقالَ: «هذا أَخِي».

فَكانَ رَسُولُ الله ﷺ سَيِّدَ المُرْسَلِينَ، وإمامَ المُتَّقِينَ، ورَسُولَ رَبِّ العالَمِينَ، الَّذي لَيْسَ لَهُ خَطِيرٌ ولا نَظِيرٌ مِنَ العِبادِ، وعَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، أَخَوَيْنِ، وكانَ حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، أَسَدُ الله وأَسَدُ رَسُولِهِ ﷺ، وعَمُّ رَسُولِ الله ﷺ، وزَيْدُ بنُ حارِثَةَ، مَوْلى رَسُولِ الله ﷺ، أَخَوَيْنِ، وإلَيْهِ أَوْصى حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ حَيْنَ حَضَرَهُ القِتالُ إنْ حَدَثَ بِهِ حادِثُ المَوْتِ، وجَعْفَرُ بنُ أبي طالِبٍ ذُو الجَناحَيْنِ، الطَّيّارُ في الجَنّةِ ومَعاذُ بنُ جَبَلٍ، أَخُو بَنِي سَلِمةَ، أَخَوَيْنِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وكانَ جَعْفَرُ بنُ أبي طالِبٍ يَوْمَئِذٍ غائِبًا بِأَرْضِ الحَبَشةِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ الله عَنْهُ، ابنُ أبي قُحافةَ، وخارِجةُ بنُ زُهَيْرٍ، أَخُو بَلْحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، أَخَوَيْنِ، وعُمَرُ بنُ الخَطّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ، وعِتْبانُ بنُ مالِكٍ، أَخُو بَنِي سالِمِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ أَخَوَيْنِ، وأبو عُبَيْدةَ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ الجَرّاحِ، واسْمُهُ: عامِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ، وسَعْدُ بنُ مُعاذِ بنِ النُّعْمانِ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ،

أخَوَيْنِ، وعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، وسَعْدُ بنُ الرَّبِيعِ أخُو بَلْحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، أخَوَيْنِ، والزُّبَيْرُ بنُ العَوّامِ، وسَلامةُ بنُ سَلامةَ بنِ وقْشٍ، أخُو بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ، أخَوَيْنِ. ويُقالُ: بَلِ الزُّبَيْرُ وعَبْدُ الله بنُ مَسْعُودٍ، حَلِيفُ، بَنِي زُهْرةَ، أخَوَيْنِ، وعُثْمانُ بنُ عَفّانَ، وأوْسُ بنُ ثابِتِ بنِ المُنْذِرِ، أخُو بَنِي النَّجّارِ، أخَوَيْنِ، وطَلْحةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ، وكَعْبُ بنُ مالِكٍ، أخُو بَنِي سَلِمةَ، أخَوَيْنِ، وسَعْدُ بنُ زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ نُفيلٍ، وأُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، أخُو بَنِي النَّجّارِ، أخَوَيْنِ، ومُصْعَبُ بنُ عُمَيْرِ بنِ هاشِمٍ، وأبو أيُّوبَ خالِدُ بنُ زَيْدٍ، أخُو بَنِي النَّجّارِ أخَوَيْنِ، وأبو حُذَيْفةَ بنُ عُتْبةَ بنِ رَبِيعةَ، وعَبّادُ بنُ بِشْرِ ابنِ وقْشٍ، أخُو بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ أخَوَيْنِ، وعَمّارُ بنُ ياسِرٍ، حَلِيفُ بَنِي مَخْزُومٍ، وحُذَيْفةُ بنُ اليَمانِ، أخُو بَنِي عَبْدِ عَبْسٍ، حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ أخَوَيْنِ. ويُقالُ: ثابِتُ ابنُ قَيْسِ بنِ الشَّمّاسِ، أخُو بَلْحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، خَطِيبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وعَمّارُ بنُ ياسِرٍ أخَوَيْنِ، وأبو ذَرٍّ، وهُوَ بُرَيْرُ بنُ جُنادةَ الغِفارِيُّ، والمُنْذِرُ بنُ عَمْرٍو، المُعْنِقُ لِيَمُوتَ، أخُو بَنِي ساعِدةَ بنِ كَعْبِ بنِ الخَزْرَجِ أخَوَيْنِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وسَمِعْتُ غَيْرَ واحِدٍ مِنَ العُلَماءِ يَقُولُ: أبو ذَرٍّ: جُنْدَبُ ابنُ جُنادةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ حاطِبُ بنُ أبِي بَلْتَعةَ، حَلِيفُ بَنِي أسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى، وعُوَيْمُ بنُ ساعِدةَ، أخُو بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، أخَوَيْنِ، وسَلْمانُ الفارِسِيُّ، وأبو الدَّرْداءِ، عُوَيْمِرُ بنُ ثَعْلَبةَ، أخُو بَلْحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، أخَوَيْنِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: عُوَيْمِرُ بنُ عامِرٍ، ويُقالُ: عُوَيْمِرُ بنُ زَيْدٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وبِلالٌ، مَوْلى أبي بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُما، مُؤَذِّنُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وأبو رُوَيْحَةَ، عَبْدُ اللهِ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الخَثْعَمِيُّ، ثُمَّ أحَدُ الفَزَعِ، أخَوَيْنِ. فهَؤُلاءِ مَنْ سُمِّيَ لَنا، مِمَّنْ كانَ رَسُولُ الله ﷺ آخى بَيْنَهُمْ مِنْ أصْحابِهِ.

[بِلالٌ يُوصِي بِدِيوانِهِ لِأبِي رُوَيْحَةَ]

فَلَمّا دَوَّنَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ الدَّواوِينَ بِالشّامِ، وكانَ بِلالٌ قَدْ خَرَجَ إلى الشّامِ، فأقامَ بِها مُجاهِدًا، فقالَ عُمَرُ لِبِلالٍ: إلى مَنْ تَجْعَلُ دِيوانَكَ يا بِلالُ؟ قالَ: مَعَ أبي رُوَيْحَةَ، لا أُفارِقُهُ أبَدًا، لِلْأُخُوّةِ الَّتِي كانَ رَسُولُ الله ﷺ عَقَدَ بَيْنَهُ وبَيْنِي، فضُمَّ إلَيْهِ، وضُمَّ دِيوانُ الحَبَشَةِ إلى خَثْعَمَ؛ لِمَكانِ بِلالٍ مِنْهُمْ، فهُوَ في خَثْعَمَ إلى هذا اليَوْمِ بِالشّامِ.

أبو أُمامةَ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وهَلَكَ في تِلْكَ الأشْهُرِ أبو أُمامةَ، أسْعَدُ بنُ زُرارةَ، والمَسْجِدُ يُبنى، أخَذَتْهُ الذَّبْحةُ أوِ الشَّهْقةُ.

[مَوْتُهُ وما قالَهُ اليَهُودُ في ذلك]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَمْرِو ابنِ حَزْمٍ، عَنْ يَحْيى بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أسْعَدَ بنِ زُرارةَ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قالَ: «بِئْسَ المَيِّتُ أبو أُمامةَ لِيَهُودَ ومُنافِقِي العَرَبِ؛ يَقُولُونَ: لَوْ كانَ نَبِيًّا لَمْ يَمُتْ صاحِبُهُ، ولا أمْلِكُ لِنَفْسِي ولا لِصاحِبِي مِنَ اللهِ شَيْئًا».

[بِمَوْتِهِ كانَ النَّبِيُّ ﷺ نَقِيبًا لِبَنِي النَّجّارِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ الأنْصارِيُّ: أنَّهُ لَمّا

مات أبو أُمامةَ، أسْعَدُ بنُ زُرارةَ، اجْتَمَعَتْ بَنُو النَّجّارِ إلى رَسُولِ الله ﷺ، وكانَ أبو أُمامةَ نَقِيبَهُمْ، فقالُوا لَهُ: يا رَسُولَ الله، إنَّ هذا قَدْ كانَ مِنّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ، فاجْعَلْ مِنّا رَجُلًا مَكانَهُ يُقِيمُ مِنْ أمْرِنا ما كانَ يُقِيمُ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ لَهُمْ: «أنْتُمْ أخْوالِي، وأنا بِما فيكُمْ، وأنا نَقِيبُكُمْ»، وكَرِهَ رَسُولُ الله ﷺ أنْ يَخُصَّ بِها بَعْضَهُمْ دُونَ بَعْضٍ. فكانَ مِنْ فضْلِ بَنِي النَّجّارِ الَّذي يَعُدُّونَ على قَوْمِهِمْ: أنْ كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نقيبَهم.

فصْلٌ
في المُؤاخاةِ بَيْنَ الصّحابةِ

وآخى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أصْحابِهِ حِينَ نَزَلُوا المَدِينَةَ؛ لِيُذْهِبَ عنهمْ وحْشةَ الغُرْبةِ، ويُؤْنِسَهُمْ مِنْ مُفارَقةِ الأهْلِ والعَشِيرةِ، ويَشُدَّ أزْرَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، فلَمّا عَزّ الإسْلامُ، واجْتَمَعَ الشّمْلُ، وذهبت الوحشةُ، أنزلَ اللهُ سبحانه: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب: ٦]؛ أعْنِي: في المواريث، ثُمّ جعلَ المؤمنين كلَّهم إخوةً، فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]؛ يعني: في التَّوادِّ وشمولِ الدَّعوة.

وذكرَ مؤاخاتَهُ بَيْنَ أبِي ذَرٍّ والمنْذِرِ بنِ عَمْرٍو، وقد ذَكَرْنا إنْكارَ الواقِدِيّ لِذَلِكَ في آخِرِ حَدِيثِ بَيْعةِ العَقَبةِ[1].

وذكرَ مُؤاخاةَ سَلْمانَ وأبِي الدَّرْداءِ، وأبو الدَّرْداءِ اسْمُهُ: عُويمرُ بنُ عامِرٍ، وقِيلَ: عُوَيْمِرُ بنُ زَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ، وقِيلَ: عُوَيْمِرُ بنُ مالِكِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عَمْرِو بنِ

---

(١) انظر: «أسد الغابة»، ترجمة: عويمر بن عامر: (٤: ٣١٨)، وترجمة: أبي الدرداء: (٦: ٩٧)، وترجمة: خيرة بنت أبي حدرد: (٧: ١٠٠).

قَيْسِ بنِ أُمَيّةَ بنِ بَلْحارِثِ بن الخزرج، أمُّه: مُحِبّة بنتُ واقدِ بنِ عَمْرِو بنِ الإطْنابةِ، وامْرَأتُهُ: أُمُّ الدّرْداءِ، اسْمُها: خَيْرةُ بِنْتُ أَبِي حَدْرَدٍ، وأُمُّ الدّرْداءِ الصُّغْرى اسْمُها: جُمانةُ، ماتَ أبو الدّرْداءِ بِدِمَشْقَ سَنةَ اثْنَتيْنِ وثَلاثِينَ، وقِيلَ: سَنةَ أَرْبَعٍ وثَلاثِينَ[١].

فصْلٌ

وذكرَ مُؤاخاةَ أبِي رُوَيْحةَ وبِلالٍ، وسَمّاهُ: عَبْدَ اللهِ بنَ عَبْدِ الرّحْمَنِ، وقالَ: هُو أحَدُ الفَزَعِ، ولَمْ يُبَيِّنْهُ أكْثَرَ[٢] مِنْ هَذا، والفَزَعُ عِنْدَ أهْلِ النَّسَبِ: هُو ابنُ شَهْرانَ بن عِفْرِسِ بنِ حُلْفِ بنِ أفْتَلَ، وأفْتَلُ هُو خَثْعَمُ. وقد تَقَدّمَ في أول الكتاب: لم سُمِّيَ خثعَمَ وهُو ابنُ أنْمارٍ؟ وقد تَقَدّمَ خِلافُ النّسّابِينَ فيما بَعْدَ أنْمارٍ[٣].

والفَزَعُ هَذا بِفَتْحِ الزّايِ، وأمّا الفَزْعُ بِسُكُونِ الزّايِ، فهُو ابنُ عَبْدِ الله بنِ رَبيعةَ، أحدُ بني سعدِ بنِ زيدِ مناةَ بنِ[٤] تميمٍ، والفَزْعُ أيضًا في كَلْب مثله بالسُّكون، وفي خُزاعةَ، مثله قالَهُ محمدُ بنُ حَبِيبٍ[٥]، [وقالَ الدّارَقُطْنِيّ[٦]: الفَزَعُ بِفَتْحِ الزّايِ، يَرْوِي عَنِ ابنِ عُمَرَ.

وذُكِرَ آخَرُ في الرُّواةِ أيْضًا بِفَتْحِ الزّايِ، يَرْوِي حَدِيثًا في الكَذِبِ على[٧]

(١) «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (٤: ١٨١٨).
(٢) في (ف): «بأكثر».
(٣) انظر: (١: ٢٧٣).
(٤) «بن» من (ف).
(٥) «مؤتلف القبائل ومختلفها» لأبي جعفر محمد بن حبيب: (ص: ٨٢). (ج)
(٦) «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (٤: ١٨١٧).
(٧) في (ف): «عن».

رَسُولِ اللهِ ﷺ، ويُرْوَى[1] أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ][2] عَقَدَ لِأَبِي رُوَيْحةَ الخَثْعَمِيِّ لِواءً عامَ الفَتْحِ، وأمَرَهُ أنْ يُنادِيَ: مَنْ دَخَلَ تَحْتَ لِواءِ أَبِي رُوَيْحةَ، فهُو آمِنٌ[3].

فَصْلٌ

وذكرَ مُؤاخاةَ حاطِبِ بنِ أَبِي بَلْتَعةَ وعُوَيْمِر بنِ ساعِدةَ، وقالَ في حاطِبٍ: حَلِيفُ بَنِي أَسَدٍ، وقالَ غَيْرُهُ: كانَ عَبْدًا لِعبدِ اللهِ بنِ حُمَيْدِ بنِ زُهَيْرِ بنِ أَسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى، وقِيلَ: كانَ مِنْ مَذْحِجَ، والأشْهَرُ: أنّهُ مِنْ لَخْمِ بنِ عَدِيٍّ، واسْمُ أَبِي بَلْتَعةَ: عَمْرُو بنُ راشد بنِ مُعاذٍ. والبَلْتَعةُ مِنْ قَوْلِهِمْ: تَبَلْتَعَ الرّجُلُ: إذا تَظَرّفَ؛ قالَهُ أبو عُبَيْدٍ في «الغريب المصنَّف»[4].

* * *

(١) في (ف): «ويروى».

(٢) عن (أ).

(٣) «أسد الغابة» (٦: ١١٥).

(٤) «الغريب المصنف» (١: ١١٧).

خبر الأذان

[التَّفْكِيرُ في اتِّخاذِ بُوقٍ أوْ ناقُوسٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا اطْمَأنَّ رَسُولُ الله ﷺ بِالمَدِينةِ، واجْتَمَعَ إلَيْهِ إخْوانُهُ مِنَ المُهاجِرِينَ، واجْتَمَعَ أمْرُ الأنْصارِ، اسْتَحْكَمَ أمْرُ الإسْلامِ، فقامَتِ الصَّلاةُ، وفُرِضَتِ الزَّكاةُ والصِّيامُ، وقامَتِ الحُدُودُ، وفُرِضَ الحَلالُ والحَرامُ، وتَبَوَّأ الإسْلامُ بَيْنَ أظْهُرِهِمْ، وكانَ هذا الحَيُّ مِنَ الأنْصارِ هُمُ الَّذينَ تَبَوَّؤُوا الدّارَ والإيمانَ، وقَدْ كانَ رَسُولُ الله ﷺ حَيْنَ قَدِمَها إنَّما يَجْتَمِعُ النّاسُ إلَيْهِ لِلصَّلاةِ لِحِينِ مَواقِيتِها، بِغَيْرِ دَعْوةٍ، فهَمَّ رَسُولُ الله ﷺ حَيْنَ قَدِمَها أنْ يَجْعَلَ بُوقًا كَبُوقِ يَهُودَ الَّذينَ يَدْعُونَ بِهِ لِصَلاتِهِمْ، ثُمَّ كَرِهَهُ، ثُمَّ أمَرَ بِالنّاقُوسِ، فنُحِتَ لِيُضْرَبَ بِهِ لِلْمُسْلِمَيْنِ لِلصَّلاةِ.

[رُؤْيا عَبْدِ الله بنِ زَيْدٍ في الأذانِ]

فَبَيْنَما هُمْ على ذلك، إذْ رَأى عَبْدُ الله بنُ زَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عَبْدِ رَبِّهِ، أخُو بَلْحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، النِّداءَ، فأتى رَسُولَ الله ﷺ، فقالَ لَهُ: يا رَسُولَ الله، إنَّهُ طافَ بِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ طائِفٌ: مَرَّ بِي رَجُلٌ عَلَيْهِ ثَوْبانِ أخْضَرانِ، يَحْمِلُ ناقُوسًا في يَدِهِ، فقُلْتُ لَهُ: يا عَبْدَ الله، أتَبِيعُ هذا النّاقُوسَ؟ قالَ: وما تَصْنَعُ بِهِ؟ قالَ: قُلْتُ: نَدْعُو بِهِ إلى الصَّلاةِ، قالَ: أفَلا أدُلُّكَ على خَيْرٍ مِنْ ذلك؟ قالَ: قُلْتُ: وما هُوَ؟ قالَ: تَقُولُ: الله أكْبَرُ الله أكْبَرُ، الله أكْبَرُ الله أكْبَرُ،

أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلّا اللهُ، أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلّا اللهُ، أشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، أشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَيَّ على الصَّلاةِ، حَيَّ على الصَّلاةِ، حَيَّ على الفَلاحِ، حَيَّ على الفَلاحِ، اللهُ أكْبَرُ اللهُ أكْبَرُ، لا إلَهَ إلّا اللهُ.

[تَعْلِيمُ بِلالٍ الأذانَ]

فَلَمّا أخْبَرَ بِها رَسُولَ اللهِ ﷺ، قالَ: «إنَّها لَرُؤْيا حَقٌّ إنْ شاءَ اللهُ، فقُمْ مَعَ بِلالٍ فألْقِها عَلَيْهِ، فلْيُؤَذِّنْ بِها؛ فإنَّهُ أنْدى صَوْتًا مِنْكَ».

فَلَمّا أذَّنَ بِها بِلالٌ سَمِعَها عُمَرُ بنُ الخَطّابِ وهُوَ في بَيْتِهِ، فخَرَجَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ وهُوَ يَجُرُّ رِداءَهُ، وهُوَ يَقُولُ: يا نَبِيَّ اللهِ، والَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، لَقَدْ رَأيْتُ مِثْلَ الَّذي رَأى، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَلِلَّهِ الحَمْدُ على ذلك».

[رُؤْيا عُمَرَ في الأذانِ، وسَبْقُ الوَحْيِ بِهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي بِهذا الحَدِيثِ مُحَمَّدُ بنُ إبْراهِيمَ بنِ الحارِثِ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ زَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عَبْدِ رَبِّهِ، عَنْ أبيهِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وذَكَرَ ابنُ جُرَيْجٍ، قالَ: قالَ لِي عَطاءٌ: سَمِعْتُ عُبَيْدَ بنَ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيَّ يَقُولُ: ائْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ وأصْحابُهُ بِالنّاقُوسِ لِلاجْتِماعِ لِلصَّلاةِ، فبَيْنَما عُمَرُ بنُ الخَطّابِ يُرِيدُ أنْ يَشْتَرِيَ خَشَبَتَيْنِ لِلنّاقُوسِ، إذْ رَأى عُمَرُ ابنُ الخَطّابِ في المَنامِ: لا تَجْعَلُوا النّاقُوسَ، بَلْ أذِّنُوا لِلصَّلاةِ. فذَهَبَ عُمَرُ إلى النَّبِيِّ ﷺ لِيُخْبِرَهُ بِالَّذِي رَأى، وقَدْ جاءَ النَّبِيَّ ﷺ الوَحْيُ بِذلك، فما راعَ عُمَرَ إلّا بِلالٌ يُؤَذِّنُ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أخْبَرَهُ بِذلك: «قَدْ سَبَقَكَ بِذلك الوَحْيُ».

[ما كانَ يَقُولُهُ بِلالٌ قَبْلَ الأذانِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ امْرَأةٍ مِنْ بَنِي النَّجّارِ، قالَتْ: كانَ بَيْتِي مِنْ أطْوَلِ بَيْتٍ حَوْلَ المَسْجِدِ، فكانَ بِلالٌ يُؤَذِّنُ عَلَيْهِ لِلْفَجْرِ كُلَّ غداةٍ، فيأْتِي بِسَحَرٍ، فيجْلِسُ على البَيْتِ يَنْتَظِرُ الفَجْرَ، فإذا رَآهُ تَمَطّى، ثُمَّ قالَ: اللهُمَّ إنِّي أحْمَدُكَ وأسْتَعِينُكَ على قُرَيْشٍ أنْ يُقِيمُوا على دِينِكَ. قالَتْ: واللهِ ما عَلِمْتُهُ كانَ يَتْرُكُها لَيْلَةً واحِدَةً.

بَدْءُ الأذانِ

ذكرَ حَدِيثَ عَبْدِ اللهِ بن زَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عَبْدِ رَبِّهِ، هَكَذا ذكرهُ، وأكْثَرُ النُّسّابِ يَقُولُونَ: زَيْدُ بنُ عَبْدِ رَبِّهِ، وثَعْلَبَةُ أخُو زَيْدٍ[١] عِنْدَما شاورَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أصْحابَهُ في الأذانِ، فقالَ بَعْضُهُمْ: ناقُوسٌ كَناقُوسِ النّصارى، وقالَ بَعْضُهُمْ: بُوقٌ كَبُوقِ اليَهُودِ، وفي غَيْرِ «السِّيرةِ»[٢] أنَّهُمْ ذَكَرُوا الشَّبُّورَ، وهُو البُوقُ. قالَ الأصْمَعِيّ لِلْمُفَضَّلِ وقد نازَعَهُ في مَعْنى بَيْتٍ مِن الشِّعْرِ، فرَفَعَ المُفَضَّلُ صَوْتَهُ، فقالَ الأصْمَعِيُّ: لَوْ نَفَخْتَ في الشَّبُّورِ ما نَفَعَك، تكَلَّمْ كَلامَ النَّمْلِ وأَصِبْ!

وذَكَرُوا أيْضًا: «القُنْعَ» وهُو القَرْنُ، وقالَ بَعْضُهُمْ: هُو تَصْحِيفٌ، إنّما هُو القُبْعُ. والقُنْعُ أوْلى بِالصّوابِ؛ لِأنّهُ مِنْ أقْنَعَ صَوْتَهُ: إذا رَفَعَهُ[٣].

---

(١) انظر: «أسد الغابة» (٣: ٢٤٧).

(٢) الحديث في «سنن أبي داود»، كتاب الصلاة: (١: ١٣٤).

(٣) انظر: «غريب الحديث» للخطابي: (١: ١٧٢-١٧٣)، و«تاج العروس» (قبع، قتع، قثع، قنع).

وقالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُوقِدُ نارًا ونَرْفَعُها، فإذا[١] رَآها النّاسُ أقْبَلُوا إلى الصّلاةِ، وقالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نَبْعَثُ رِجالًا يُنادُونَ بالصَّلاة. فبينا هم في ذَلِكَ[٢] أُرِيَ عَبْدُ اللهِ[٣] الرُّؤيا الّتِي ذكرَها ابنُ إسْحاقَ، فلَمّا أخْبَرَ بها رَسُولَ اللهِ ﷺ وأمَرَهُ أنْ يُلْقِيَها على بلالٍ، قالَ: يا رَسُولَ اللهِ، أنا رَأيتها، وأنا كُنْتُ أُحِبُّها لِنَفْسِي، فقالَ: «لِيُؤَذِّنْ بِلالٌ، ولْتُقِمْ أنْتَ». ففي هَذا مِن الفِقْهِ: جَوازُ أنْ يُؤَذِّنَ الرّجُلُ، ويُقِيمَ غَيْرُهُ، وهُو مُعارِضٌ لِحَدِيثِ زِيادِ بنِ الحارِثِ الصُّدائِيِّ حِينَ قالَ لَهُ رسول الله ﷺ: «مَنْ أذّنَ فهُو أحَقّ أنْ يُقِيمَ»، في حَدِيثٍ طَوِيلٍ[٤]، إلّا أنّهُ يَدُورُ على عَبْدِ الرّحْمَنِ بنِ زِيادِ بنِ أنْعُم الأفْرِيقِيّ وهُو ضَعِيفٌ[٥]، والأوّلُ أصَحُّ مِنْهُ. قالَ أبو داوُدَ: وتَزْعُمُ[٦] الأنْصارُ أنّ عَبْدَ اللهِ بنَ زَيْدٍ حِينَ أُرِيَ[٧] النِّداءَ كانَ مَرِيضًا، ولَوْلا ذَلِكَ لَأمَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بالأذانِ[٨].

وقد تَكَلّمَ العُلَماءُ في الحِكْمَةِ الّتِي خَصّتِ الأذانَ بأنْ يراهُ رَجُلٌ مِن المُسْلِمِينَ في نَوْمِهِ، ولَمْ يَكُنْ عَنْ وحْيٍ مِن اللهِ سبحانه لِنَبِيّهِ كَسائِرِ العِباداتِ

---

(١) في (ف): «وإذا».

(٢) في (ف): «فينا هم كذلك»

(٣) في (ف): «عبد الله بن زيد».

(٤) «سنن أبي داود» (١: ١٤٢)، و«عارضة الأحوذي» (١: ٣١٥)، وابن ماجه: (١: ٢٣٧)، و«مسند أحمد» (٤: ١٦٩).

(٥) عبد الرحمن بن زياد بن أنْعُم المعافري، الأفريقي، سمع من جلة التابعين، فقيه، محدِّث، تولى قضاء إفريقية في خلافة أبي جعفر المنصور، وكان محمودًا في قضائه. توفي سنة (١٦١هـ). انظر ترجمته في: «طبقات علماء إفريقية وتونس» لأبي العرب تميم القيرواني: (ص: ٩٥) وما يليها، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي: (٦: ٤١١-٤١٢).

(٦) في (ف): «فتزعم».

(٧) في (ب)، (ج): «رأى».

(٨) «سنن أبي داود»، كتاب الصلاة: (١: ١٣٥).

والأحْكامِ الشّرْعِيّةِ، وفي قول النبي ﷺ له: «إنّها لَرُؤْيا[1] حَقّ»، ثُمّ بَنى حُكْمَ الأذانِ عَلَيْها، وهَلْ كانَ ذَلِكَ عَنْ وحْيٍ مِن اللهِ تعالى[2] أمْ لا؟ ولَيْسَ في الحَدِيثِ دَلِيلٌ على أنّ قَوْلَهُ ذَلِكَ كانَ عَنْ وحْيٍ، وتكَلّمُوا: لِمَ لَمْ يُؤَذِّنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ وهَلْ أذّنَ قَطّ مَرّةً[3] مِنْ دَهْرِهِ أمْ لا؟

أمّا الحكمةُ في تخصيصِ الأذانِ برُؤيا رَجُلٍ مِن المُسْلِمِينَ ولَمْ يَكُنْ عَنْ وحْيٍ؛ فلِأنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قد أُرِيَهُ لَيْلةَ الإسْراءِ، وأُسْمِعَهُ مُشاهَدةً فوْقَ سَبْعِ سَمواتٍ، وهَذا أقْوى مِن الوحْيِ، فلَمّا تَأخّرَ فرْضُ الأذانِ إلى المَدِينةِ، وأرادُوا إعْلامَ النّاسِ بوقْتِ الصّلاةِ، تَلَبّثَ الوحْيُ حتّى رَأى عَبْدُ اللهِ الرُّؤْيا، فوافَقَتْ ما رَأى رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ فلِذَلِكَ قالَ: «إنّها لَرُؤْيا حَقٌّ إنْ شاءَ اللهُ»، وعَلِمَ حِينَئِذٍ أنّ مُرادَ الله تعالى بما أراهُ الله في السّماءِ، أنْ يَكُونَ سُنّةً في الأرْضِ، وقَوّى ذلك عنده موافقةُ رُؤيا عمرَ للأنصاريِّ، مَعَ أنّ السّكِينةَ تَنْطِقُ على لِسانِ عُمَرَ.

واقتضتِ الحكمةُ الإلهيةُ أنْ يَكُونَ الأذانُ على لِسانِ غَيْرِ النّبيِّ ﷺ مِن المُؤْمِنينَ؛ لِما فيهِ مِن التّنْويهِ مِن اللهِ بِعَبْدِهِ، والرَّفْعِ لِذِكْرِهِ، فلَأنْ يَكُونَ ذَلِكَ على لِسانِ غيرِهِ أنْوهُ بِهِ وأفْخَمُ لِشَأْنِهِ، وهَذا مَعْنًى بَيِّنٌ؛ فإنّ اللهَ سُبْحانَهُ يَقُولُ: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤]، فمِنْ رَفْعِ ذِكْرِهِ أنْ أشادَ بِهِ على لِسانِ غَيْرِهِ.

فإنْ قِيلَ: فمَنْ رَوى أنّهُ أُرِيَ النِّداءَ مِنْ فوْقِ سَبْعِ سَمواتٍ؟

قُلْنا: هُو في «مُسْنَدِ أبِي بَكْرٍ أحْمَدَ بنِ عَمْرِو بنِ عَبْدِ الخالِقِ البَزّار»، حَدّثَنا

---

(١) في (ف): «لرؤية».

(٢) «تعالى» مكانه في (ف): «له».

(٣) في (ف): «مرة قط».

به أبو بَكْرٍ مُحَمّدُ بنُ طاهِرٍ الإشْبيلِيُّ سَماعًا وإجازةً عَنْ أَبِي عَلِيّ الغَسّانِيّ، عَنْ أَبِي عُمَرَ النَّمَرِيّ بِإسْنادِهِ إلى البَزّارِ، قالَ البَزّارُ: حدَّثَنا مُحَمّدُ بنُ عُثْمانَ ابنِ مَخْلَدٍ، [قال](١): حدَّثَنا أَبِي عَنْ زِيادِ بنِ المُنْذِرِ، عَنْ مُحَمّدِ بنِ عَلِيّ بنِ الحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَلِيّ بنِ أَبِي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قالَ: «لَمّا أرادَ اللهُ أَنْ يُعَلِّمَ رَسُولَهُ(٢) الأذانَ، أتاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام بِدابّةٍ يُقالُ لَها(٣): البُراقُ، فذَهَبَ يَرْكَبُها، فاستصعَبتْ، فقال لها جبريل: اسكُنِي، فواللهِ ما رَكِبَكِ عَبْدٌ أَكْرَمُ على اللهِ مِنْ مُحَمّدٍ ﷺ. قالَ: فرَكِبَها حتّى انْتَهى إلى الحِجابِ الّذِي يَلِي الرّحْمَنَ تَبارَكَ وتَعالى، قالَ: فبَيْنَما هُو كَذَلِكَ؛ إذْ خَرَجَ مَلَكٌ مِن الحِجابِ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يا جِبْرِيلُ، مَنْ هَذا؟ فَقالَ: والّذِي بَعَثَك بِالحَقِّ إنّي لَأَقْرَبُ الخَلْقِ مَكانًا، وإنّ هَذا المَلَكَ ما رَأَيْتُهُ مُنْذُ خُلِقْتُ قَبْلَ ساعَتِي هَذِهِ. فقالَ المَلَكُ: اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ. قالَ: فقِيلَ لَهُ(٤) مِنْ وراءِ الحِجابِ: صَدَقَ عَبْدِي، أنا أَكْبَرُ، أنا أَكْبَرُ، ثُمّ قالَ المَلَكُ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلّا اللهُ، قالَ(٥): فقِيلَ لَهُ مِنْ وراءِ الحِجابِ: صَدَقَ عَبْدِي، أنا [لا إِلَهَ إلّا أنا، قالَ: فقالَ المَلَكُ: أَشْهَدُ أنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللهِ، قالَ: فقِيلَ مِنْ وراءِ الحِجابِ: صَدَقَ عَبْدِي](٦)، أنا أَرْسَلْتُ مُحَمّدًا، قالَ المَلَكُ: [حَيَّ على الصّلاةِ](٧)، حَيَّ على الفَلاحِ(٨)، ثُمّ

---

(١) عن (أ)، حاشية (ب).

(٢) في (ف): «نبيه».

(٣) في (أ): «له».

(٤) «له» ليست في (ف).

(٥) «قال» ليست في (ف).

(٦) ما بين المعقوفين سقط من «كشف الأستار»، وهو ثابت في «مجمع الزوائد» (١: ٣٢٨).

(٧) ما بين المعقوفين ليس في (أ).

(٨) بعده في «كشف الأستار»، و«مجمع الزوائد»: «قد قامت الصلاة»، وليس في نسخنا.

قالَ المَلَكُ: اللهُ أكْبَرُ، اللهُ أكْبَرُ، قالَ: فقِيلَ مِنْ وراءِ الحِجابِ: صَدَقَ عَبْدِي، أنا أكْبَرُ، أنا أكْبَرُ، ثُمّ قالَ: لا إلَهَ إلّا اللهُ، قالَ: فقِيلَ له[1] مِنْ وراءِ الحِجابِ: صَدَقَ عَبْدِي، أنا لا إلَهَ إلّا أنا، قالَ: ثُمّ أخَذَ المَلَكُ بِيَدِ مُحَمّدٍ ﷺ فقَدّمَهُ فأمَّ أهْلَ السّماءِ، فيهِمْ آدَمُ ونُوحٌ».

قالَ أبو جَعْفَرٍ مُحَمّدُ بنُ عَلِيّ: يَوْمَئِذٍ أكْمَلَ اللهُ لِمُحَمّدٍ ﷺ الشّرَفَ على أهْلِ السّمواتِ والأرْضِ.

قالَ المُؤَلِّفُ: وأخْلِقْ بِهَذا الحَدِيثِ أنْ يَكُونَ صَحِيحًا؛ لِما يَعْضُدُهُ ويُشاكِلُهُ مِنْ أحادِيثِ الإسْراءِ، فبِمَجْمُوعِها يَحْصُلُ أنّ مَعانِيَ الصّلاةِ كُلَّها أو أكْثَرَها، قد[2] جَمَعَها ذَلِكَ الحَدِيثُ؛ أعْنِي حديثَ الإسْراءَ؛ لِأنّ اللهَ تعالى رَفَعَ الصَّلاةَ الّتِي هِيَ مُناجاةٌ له على[3] أنْ تُفْرَضَ في الأرْضِ، لَكِنْ بِالحَضْرةِ المُقَدَّسةِ المُطَهَّرةِ، و[4] عِنْدَ الكَعْبةِ العُلْيا، وهِيَ البَيْتُ المَعْمُورُ، وقد ذَكَرْنا طَرَفًا مِنْ هَذا الغَرَضِ، ونُبَذًا[5] مِنْ هَذا المَقْصِدِ في شَرْحِ حَدِيثِ الإسْراءِ[6].

ويَنْضافُ إلَيْها في هَذا الحَدِيثِ ذِكْرُ الأذانِ الّذِي تَضَمَّنَهُ حَدِيثُ البَزّارِ، مَعَ ما رُوِيَ أيْضًا أنّهُ مَرّ وهُو على البُراقِ بِمَلائِكةٍ قِيامٍ، ومَلائِكةٍ رُكُوعٍ،

(١) «له» ليست في (ف).

(٢) «قد» ليست في (ف).

(٣) في (ف): «عن».

(٤) «و» ليست في (ف).

(٥) في (ف): «ونبدأ».

(٦) «كشف الأستار عن زوائد البزار»، كتاب الصلاة: (١: ١٧٨-١٧٩)، و«مجمع الزوائد»، كتاب الصلاة: (١: ٣٢٨-٣٢٩).

ومَلائِكةٍ سُجُودٍ، ومَلائِكةٍ جُلُوسٍ، والكُلّ يُصَلّونَ للهِ سبحانه، فجُمِعَتْ لَهُ هَذِهِ الأحْوالُ [كلُّها][(١)] في صَلاتِهِ، وحِينَ مَثَلَ بالمَقامِ الأعلى، ودَنا فتَدَلّى، أُلْهِمَ أنْ يَقُولَ: التّحِيّاتُ للهِ، إلى قَوْلِهِ: الصّلَواتُ للهِ، فقالَت المَلائِكةُ: السّلامُ عَلَيْك أيّها النّبِيّ ورَحْمةُ اللهِ، فقالَ: السّلامُ عَلَيْنا وعلى عِبادِ اللهِ الصّالِحِينَ، فقالَت المَلائِكةُ: أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلّا اللهُ، وأشْهَدُ أنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللهِ، فجُمِعَ لَهُ ذَلِكَ في تَشَهُّدِهِ.

وانْظُرْ بِقَلْبِكَ كَيْفَ شُرِعَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ ولِأُمّتِهِ أنْ يَقُولُوا تِسْعَ مَرّاتٍ في اليَوْمِ واللّيْلةِ في تِسْعِ جَلَساتٍ في الصّلَواتِ الخَمْسِ بَعْدَ ذِكْرِ التّحِيّاتِ: السّلامُ عَلَيْنا وعلى عِبادِ اللهِ الصّالِحِينَ، فيحَيُّونَ ويُحَيَّونَ بتَحِيّةٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبارَكةٍ[(٢)]، وهي قَوْلهم[(٣)]: «السّلامُ عَلَيْنا»؛ كَما قِيلَ لَهُمْ: ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٦١]، ومِنْ ثَمّ قالَ[(٤)]: الطَّيِّباتُ المُبارَكاتُ؛ كَما في رِوايةِ ابنِ عَبّاسٍ[(٥)] [في التّشَهُّدِ][(٦)].

انظُرْ إلى هَذا كُلِّهِ وأنّه عليه السَّلام حَيّا وحُيِّيَ تِسْعَ مَرّاتٍ، حَيَّتْهُ مَلائِكةُ كُلِّ سَماءٍ وحَيّاهُمْ، ثُمّ مَلائِكةُ الكُرْسِيّ، ثُمّ مَلائِكةُ العَرْشِ، [فهَذِهِ تِسْعٌ][(٧)]، فجُعِلَ التَّشَهُّدُ في الصّلَواتِ على عَدَدِ تِلْكَ المَرّاتِ الّتِي سَلَّمَ فيها وسُلِّمَ عَلَيْهِ،

---

(١) عن (أ)، (ب)، (ف).

(٢) في (ف): «مباركة طيبة».

(٣) في (ص)، (ج): «وهي قوله».

(٤) في (ف): «قالوا».

(٥) «مسلم»، كتاب الصلاة: (١: ٣٠٢-٣٠٣).

(٦) عن (أ)، (ب)، (ف).

(٧) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

وكُلُّها تَحِيّاتٌ للهِ ـ أيْ: مِنْ عِنْدِ اللهِ ـ مُبارَكةٌ طَيِّبةٌ.

هَذا إلى نُكَتٍ ذَكَرْناها في شَرْحِ «سُبْحانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ»، فإذا جَمَعْتَ بَعْضَ ما ذَكَرْناهُ إلى بَعْضٍ عَرَفْتَ جُمْلةً مِنْ أسْرارِ الصّلاةِ وفَوائِدِها الجَلِيّةِ دُونَ الخَفيةِ، وأمّا بَقِيّةُ أسْرارِها وما تَضَمّنَتْهُ أحادِيثُ الإسْراءِ مِنْ أنْوارِها، وما في الأذانِ مِنْ لَطائِفِ المَعانِي والحِكَمِ في افْتِتاحِهِ بِالتَّكْبِيرِ، وخَتْمِهِ بِالتَّكْبِيرِ مَعَ التَّكْرارِ، وقَوْلِ: لا إلَهَ إلّا اللهُ في آخِرِهِ، وأشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلّا اللهُ في أوّلِهِ، وما تَحْتَ هَذا كُلِّهِ مِن الحِكَمِ الإلَهِيّةِ الّتِي تَمْلأُ الصُّدُورَ هَيْبةً، وتُنَوِّرُ القُلُوبَ بِنُورِ المَحَبّةِ، وكَذَلِكَ ما تَضَمّنَتْهُ الصّلاةُ في شَفْعِها ووَتْرِها والتّكْبِيرِ في أرْكانِها، ورَفْعِ اليَدَيْنِ في افْتِتاحِها، وتَخْصِيصِ البُقْعةِ المُكَرّمةِ بِالتّوجُّهِ إلَيْها، مَعَ فوائِدِ الوُضُوءِ مِن الأحْداثِ؛ فإنّ في ذَلِكَ كُلِّهِ مِنْ فوائِدِ الحِكْمةِ، ولَطائِفِ المَعْرِفةِ ما يَزِيدُ في ثَلَجِ الصّدُورِ، ويُكَحِّلُ عَيْنَ البَصِيرةِ بِالضِّياءِ والنُّورِ، ونَعُوذُ بِاللهِ أنْ نَنْزِعَ في ذَلِكَ بِمَنْزَعٍ فلْسَفيٍّ، أوْ مَقالةِ صوفي، أوْ رَأْيٍ مُجَرّدٍ مِنْ دَلِيلٍ شَرْعِيّ، ولَكِنْ بِتَلْوِيحاتٍ مِن الشّرِيعةِ، وإشاراتٍ مِن الكِتابِ والسّنّةِ يَعْضُدُ بَعْضُها بَعْضًا، ويُنادِي بَعْضُها بِتَصْدِيقِ بَعْضٍ: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

لَكِنْ أضْرَبْنا في هَذا الكِتابِ عَنْ بَثِّ هَذِهِ الأسْرارِ؛ فإنّ ذَلِكَ يَخْرُجُ عَن الغَرَضِ المَقْصُودِ، ويَشْغَلُ عَمّا صَمَدْنا إلَيْهِ في أوّلِ الكِتابِ، ووعَدْنا بِهِ النّاظِرَ فيهِ مِنْ شَرْحِ أنْسابٍ ولُغاتٍ وآدابٍ، واللهُ المُسْتَعانُ.

وقد عُرِفَتْ رُؤْيا عَبْدِ اللهِ بن زَيْدٍ وكَيْفيَّتُها بِروايةِ ابنِ إسْحاقَ وغَيْرِهِ، ولَمْ تُعْرَفْ كَيْفيةُ رُؤْيا عُمَرَ حِينَ أُرِيَ النِّداءَ، وقد قالَ: قد رَأيْتُ مِثْلَ الّذِي رَأى، لَكِنْ في «مُسْنَدِ الحارِثِ» بيانٌ لَها.

رَوى الحارِثُ في «مُسْنَدِهِ»: أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «أوّلُ مَنْ أذّنَ بِالصَّلاةِ جِبْرِيلُ، أذّنَ بِها في سَماءِ الدُّنْيا، فَسَمِعَهُ عُمَرُ وبِلالٌ، فَسَبَقَ عُمَرُ بِلالًا إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فأخْبَرَهُ[1] بِها، فقالَ عَلَيْهِ السّلامُ لِبِلالٍ: سَبَقَك بِها عُمَر»، وذكرَ باقِيَ الحَدِيثِ[2].

وظاهِرُ هَذا الحَدِيثِ: أنّ عُمَرَ سَمِعَ ذَلِكَ في اليَقَظَةِ، وكَذَلِكَ رُؤْيا عَبْدِ اللهِ ابنِ زَيْدٍ في الأذانِ رَآها وهُو بَيْنَ النّائِمِ واليَقْظانِ. قالَ: ولَوْ شِئْتُ لقلتُ[3]: كنتُ يقظانَ.

فَصْلٌ

وأمّا قَوْلُ السّائِلِ: هَلْ أذّنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِنفْسِهِ قَطّ؟! فقد رَوى التّرْمِذِيّ مِنْ طَرِيقٍ يَدُورُ[4] على عُمَرَ بنِ الرَّمّاحِ قاضي بلخَ يَرْفَعُهُ إلى أبِي هُرَيْرَةَ: أنّ رسولَ اللهِ[5] ﷺ أذّنَ في سَفَرٍ، وصَلّى بِأصْحابِهِ وهُمْ على رَواحِلِهِمُ؛ السّماءُ مِنْ فوْقِهِمْ، والبِلّةُ مِنْ أسْفَلِهِمْ[6]، فنَزَعَ بَعْضُ النّاسِ بِهَذا الحَدِيثِ إلى أنّهُ أذّنَ بِنَفْسِهِ، ورواه الدّارَقُطْنِيّ بِإسْنادِ التّرْمِذِيّ[7]، ووافَقَهُ[8] في إسْنادٍ ومَتْنٍ، لَكِنّهُ

(١) في (ف): «وأخبره».

(٢) «المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية» (١: ٦٣).

(٣) في (ف): «قلت».

(٤) في (ف): «تدور».

(٥) في (ف): «أن النبي».

(٦) «عارضة الأحوذي»، أبواب الصلاة: (٢: ٢٠٣-٢٠٤).

(٧) تميزت (ص) بعده بالآتي: «إلّا أنه لم يذكر عمر بن الرماح ووافقه في إسنادٍ ومتن». والحديث أخرجه الدارقطني في كتاب الصلاة: (١: ٣٨٠)، وفي سنده عمر بن الرماح.

(٨) لفظ (ج): «ووافقه فيما بعده من إسنادٍ ومتن».

قال فيه: فَقامَ المُؤَذِّنُ، فأذّنَ[١]، ولَمْ يَقُلْ: أَذَّنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، والمُفصَّلُ يَقْضِي على المُجْمَلِ المُحْتَمِلِ، واللهُ أَعْلَمُ[٢].

أبو قَيْسِ بنُ أبي أنَسٍ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا اطْمَأنَّتْ بِرَسُولِ الله ﷺ دارُهُ، وأظْهَرَ اللهُ بِها دِينَهُ، وسَرَّهُ بِما جَمَعَ إلَيْهِ مِنَ المُهاجِرِينَ والأنْصارِ مِنْ أهْلِ وِلايَتِهِ، قالَ أبو قَيْسٍ صِرْمةُ بنُ أبي أنَسٍ، أخُو بَنِي عَدِيِّ بنِ النَّجّارِ.

[نَسَبُهُ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: أبو قَيْسٍ، صِرْمةُ بنُ أبي أنَسِ بنِ صِرْمةَ بنِ مالِكِ بنِ عَدِيِّ بنِ عامِرِ بنِ غَنْمِ بنِ عَدِيِّ بنِ النَّجّارِ.

حَدِيثُ صِرْمةَ بنِ أبي أنَس

واسْمُ أَبِي أَنَسٍ: قَيْسُ بنُ صِرْمةَ بنِ مالِكِ بنِ عَدِيِّ بنِ عمرٍو[٣] بنِ غَنْم بن عَدِيِّ بنِ النَّجّارِ الأنْصارِيُّ، وهُو الّذِي أنْزَلَ اللهُ تعالى فيهِ وفي عُمَرَ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، إلى قوله: ﴿وَعَفَا عَنكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] فهَذِهِ في عُمَرَ، ثُمّ قالَ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ [البقرة: ١٨٧] إلى آخِرِ الآيةِ، فهَذِهِ في صِرْمةَ بنِ أَبِي أَنَسٍ، وذَلِكَ أنّ إتْيانَ النِّساءِ لَيْلًا في رمضان كانَ مُحَرّمًا عَلَيْهِمْ في أوّلِ الإسْلامِ بَعْدَ النّوْمِ، وكَذَلِكَ الأكْلُ والشُّرْبُ

---

(١) نص الدارقطني: «فأمر المؤذن فأذن وأقام، أو أقام بغير أذان».

(٢) في (أ)، (ب)، (ف): «والله المستعان».

(٣) كذا في النسخ، وفي «جمهرة ابن حزم» (ص: ٣٥١): «عامر بن غنم»، ومثله في «أسد الغابة».

كانَ حرامًا عَلَيْهِمْ بَعْدَ النَّوْمِ، فأمّا عُمَرُ فأرادَ امْرَأَتَهُ ذاتَ لَيْلةٍ، فقالَتْ لَهُ: إنّي قد نِمْت، فقالَ: كَذَبْتِ، ثُمّ وقَعَ عَلَيْها، وأمّا صِرْمةُ فإنّهُ عَمِلَ في حائِطِهِ وهُو صائِمٌ، فجاءَ اللّيْلُ وقد جَهَدَهُ الكَلالُ فغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ قَبْلَ أنْ يُفْطِرَ، فجاءَتْهُ امْرَأَتُهُ بِطَعامٍ كانَتْ قد صَنَعَتْهُ لَهُ، فوجَدَتْهُ قد نامَ، فقالَتْ لَهُ: الخَيْبةُ لَك، حَرُمَ عَلَيْك الطّعامُ والشّرابُ! فباتَ صائِمًا، وأصْبَحَ إلى حائِطِهِ يَعْمَلُ فيهِ[1]، فمَرّ بِهِ رسولُ الله ﷺ وهو طَلِيحٌ[2] قد جَهَدَهُ العَطَشُ مَعَ ما بِهِ مِن الجُوعِ والنَّصَبِ، فسَألَهُ النبيُّ ﷺ، فأخبره بقصَّته، فرقّ له عليه السلام ودَمَعَتْ عَيْناهُ، فأنْزَلَ اللهُ تَعالى الرّخْصةَ، وجاءَ بِالفَرَجِ.

وبَدَأ بِقِصّةِ عُمَرَ لِفَضْلِهِ، فقال: ﴿ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ثم بصرمةَ، فقال: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ ﴾، قالَ بَعْضُ أشْياخِ الصُّوفيةِ: هَذِهِ العِنايةُ مِن اللهِ، أخْطَأَ عُمَرُ خَطِيئةً فرُحِمَت الأُمّةُ بِسَبَبِها.



(١) انظر: «تفسير ابن كثير» عند آية البقرة (١٨٧): (١: ٤٧٢) وما بعدها.

(٢) الطليح: المجهود المتعب.

[إسْلامُهُ وشَيْءٌ مِنْ شِعْرِهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ رَجُلًا قَدْ تَرَهَّبَ في الجاهِلِيّةِ، ولَبِسَ المُسُوحَ، وفارَقَ الأوْثانَ، واغْتَسَلَ مِنَ الجَنابةِ، وتَطَهَّرَ مِنَ الحائِضِ مِنَ النِّساءِ، وهَمَّ بِالنَّصْرانِيّةِ، ثُمَّ أمْسَكَ عَنْها، ودَخَلَ بَيْتًا لَهُ، فاتَّخَذَهُ مَسْجِدًا لا تَدْخُلُهُ عَلَيْهِ فيهِ طامِثٌ ولا جُنُبٌ، وقالَ: أعْبُدُ رَبَّ إبْراهِيمَ، حَيْنَ فارَقَ الأوْثانَ وكَرِهَها، حَتّى قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينةَ، فأسْلَمَ وحَسُنَ إسْلامُهُ وهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ، وكانَ قَوّالًا بِالحَقِّ، مُعَظِّمًا لله عَزَّ وجَلَّ في جاهِلِيَّتِهِ، يَقُولُ أشْعارًا في ذلك حِسانًا، وهُوَ الَّذي يَقُولُ:

يَقُولُ أبــو قَيْسٍ وأصْبَــحَ غادِيًا: ألا ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ وَصاتيَ فافْعَلُوا
فَأُوصِيكُــمُ بالله والــبِرِّ والتُّقى وأعْراضِكُــمْ، والــبِرُّ بــالله أوَّلُ
وَإنْ قَوْمُكُمْ سادُوا فلا تَحْسُدُنَّهُمْ وإنْ كُنْتُــمُ أهل الرِّئاســة فاعْدِلُوا
وَإنْ نَزَلَتْ إحْدى الدَّواهِي بِقَوْمِكُمْ فأنْفُسَكُمْ دُونَ العَشِيرةِ فاجْعَلُوا
وَإنْ نــابَ غُرْمٌ فــادِحٌ فارْفُقُوهُمُ وما حَمَّلُوكُــمْ في المُلِمّاتِ فاحْمِلُوا
وَإنْ أنْتُــمُ أمْعَرْتُــمُ فتعَفَّفُــوا وإنْ كانَ فضْلُ الخَيْرِ فيكُمْ فأفْضِلُوا

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُرْوى:

وَإنْ نابَ أمْرٌ فادِحٌ فارْفِدُوهُمُ

وذكرَ مِنْ شِعْرِ صِرْمةَ: [من الطويل]

فَأُوصِيكُمُ بِــاللهِ والبِرِّ والتُّقى وأعْراضِكُمْ والبِــرُّ بِاللهِ أوّلُ

برَفْعِ «البِرُّ» على الِابْتِداءِ، و«أوّلُ» خَبَرٌ لَهُ، وقد يَحْتَمِلُ في الظّاهِرِ أنْ يَكُونَ ظَرْفًا في مَوْضِعِ الخَبَرِ، ولَكِنْ لا يَجُوزُ ذَلِكَ في هَذِهِ الظُّرُوفِ المَبنِيّةِ على الضَّمّ أنْ تكُونَ خَبَرًا لمُبْتَدَأ، لا تَقُولُ: الصّلاةُ قَبْلَ، إلّا أنْ تَقُولَ: قَبْلَ كَذا، ولا الخُرُوجُ بَعْدَ، إلّا أنْ تَقُولَ: بَعْدَ كَذا، وذَلِكَ لِسِرٍّ دَقِيقٍ قد حَوّمَ عَلَيْهِ أبو الفتح بنُ جِنّي فلَمْ[1] يُصِبِ الْمَفْصِلَ، والّذِي مَنَعَ مِنْ ذَلِكَ: أنّ هَذِهِ الغاياتِ إنّما تَعْمَلُ فيها الأفْعالُ المَلْفُوظُ بها؛ لِأنّها غاياتٌ لِأفْعالٍ مُتَقَدِّمةٍ، فإذا لَمْ تَأْتِ بِفِعْلٍ يَعْمَلُ فيها، لَمْ تَكُنْ غايةً لِشَيْءٍ مَذْكُورٍ، وصارَ العامِلُ فيها مَعْنَوِيًّا، وهُوَ: الِاسْتِقْرارُ، وهِيَ[2] مُضافةٌ في المَعْنى إلى شَيْءٍ، والشّيْءُ المُضافُ إلَيْهِ مَعْنَوِيّ، لا لَفْظِيّ، فلا يَدُلُّ العامِلُ المَعْنَوِيُّ على مَعْنَوِيٍّ آخَرَ، إنّما يَدُلُّ عَلَيْهِ الظّاهِرُ اللّفْظِيّ، فتَأمّلْهُ، فالضّمّةُ[3] في «أوّلُ» على هَذا حَرَكةُ إعْرابٍ، لا حَرَكةُ بناءٍ، ولَوْ قالَ: ابْدَأْ بِالبِرّ أوّلُ لَكانَتْ حَرَكةَ بناءٍ، ولَكِنّ مَنْ رَواهُ: «والبِرِّ[4] بِاللهِ أوّلُ» بِخَفْضِ الرّاءِ مِن «البِرِّ»، فـ«أوّلُ» حِينَئِذٍ ظَرْفٌ مَبنِيٌّ على الضّمِّ يَعْمَلُ فيهِ «أُوصِيكُمْ».

وفيهِ: [من الطويل]

وإنْ أنْتُمُ أمْعَرْتُمُ فتَعَفَّفُوا[5]

الإمعارُ: الفقرُ.

---

(١) في (ف): «ولم».

(٢) في (أ): «فهي».

(٣) في (ف): «والضمة».

(٤) في (ف): «البر» بدون الواو.

(٥) في (أ): «فإن».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ أبو قَيْسٍ صِرْمةُ أيْضًا:

سَبِّحُوا اللهَ شَرْقَ كُلِّ صباحٍ طَلَعَتْ شَمْسُـــهُ وكُلَّ هِلالِ
عالِمَ الـــسِّرِّ والبَيـــانِ لَدَيْنا لَيْـــسَ ما قالَ رَبُّنـــا بِضَلالِ
وَلَهُ الطَّـــيْرُ تَسْـــتَرِيدُ وتَأْوِي في وُكُورٍ مِـــنْ آمِناتِ الجِبالِ
وَلَهُ الوَحْشُ بِالفَـــلاةِ تَراها في حِقافٍ وفي ظِلالِ الرِّمالِ
وَلَهُ هَـــوَّدَتْ يَهُـــودُ ودانَـــتْ كُلَّ دِينٍ إذا ذَكَـــرْتَ عُضالِ
وَلَهُ شَمَّسَ النَّصارى وقامُوا كُلَّ عِيـــدٍ لِرَبِّهِـــمْ واحْتِفالِ
وَلَهُ الرّاهِـــبُ الحَبِيـــسُ تَراهُ رَهْـــنَ بُـــوسٍ وكانَ ناعِمَ بالِ
يا بَنِيَّ الأَرْحـــامَ لا تَقْطَعُوها وصِلُوها قَصِيرةً مِـــنْ طِوالِ
واتَّقُوا اللهَ في ضِعافِ اليَتامى رُبَّما يُسْـــتَحَلُّ غَيْرُ الحَلالِ
واعْلَمُـــوا أنَّ لِلْيَتِيـــمِ وَلِيًّـــا عالِمًا يَهْتَدِي بِغَيْرِ السُّـــؤالِ
ثُمَّ مـــالَ اليَتِيـــمِ لا تَأْكُلُوهُ إنَّ مـــالَ اليَتِيمِ يَـــرْعاهُ والِي
يا بَـــنِيَّ التُّخُـــومَ لا تَخْزِلُوها إنَّ خَزْلَ التُّخُـــومِ ذُو عُقّالِ
يـــا بَـــنِيَّ الأَيّـــامَ لا تَأْمَنُوها واحْذَرُوا مَكْرَها ومَرَّ اللَّيالِي
واعْلَمُـــوا أنَّ مُرَّها لنفادِ الْـ ـخَلْقِ ما كانَ مِنْ جَدِيدٍ وبالِي
واجْمَعُوا أمْرَكُمْ على البِرِّ والتَّقْـ ـوى وتَرْكِ الخَنا وأخْذِ الحَلالِ

ومِنْ شِعْرِهِ: [من الخفيف]

سَبِّحُوا اللهَ شَـــرْقَ كُلِّ صباحٍ طَلَعَـــتْ شَمْسُـــهُ وكُلَّ هِلالِ

الشَّرْقُ: طُلُوعُ الشَّمْسِ، وهُو مِنْ أسْمائِها[1]، وكَذَلِكَ الشَّرَقُ بِفَتْحِ الرّاءِ،

---

(١) بعده في (ف): «أيضًا».

و«كُلَّ هِلالِ»، بِالنَّصْبِ على الظَّرْفِ؛ أيْ: وقْتَ كُلِّ هِلالٍ، ولَوْ قُلْتَ في مِثْلِ هَذا: «وكُلَّ قَمَرٍ» على الظَّرْفِ، لَمْ يَجُزْ، لِأنّ الهِلالَ قد أُجْرِيَ مُجْرى المَصادِرِ في قَوْلِهِمْ: اللَّيْلَةُ الهِلالُ؛ فلِذَلِكَ صَحّ أنْ يَكُونَ ظَرْفًا؛ لِأنَّ المَصادِرَ قد تَكُونُ ظُرُوفًا لَمَعانٍ وأسْرارٍ لَيْسَ هَذا مَوْضِعًا لِذِكْرِها، ولَوْ خَفَضْتَ «وكُلِّ هِلالٍ» عَطْفًا على «صَباحٍ» لَمْ يَجُزْ؛ لِأنّ الشَّرْقَ لا يُضافُ إلى الهِلالِ كَما يُضافُ إلى الصَّباحِ.

وفيهِ: «ولَهُ شَمَّسَ النَّصارى»؛ يعني: دين الشَّمامسة، وهُم الرُّهْبانُ؛ لِأنَّهُمْ يُشَمِّسُونَ أنْفُسَهُمْ، يُرِيدُونَ تَعْذِيبَ النُّفُوسِ بِذَلِكَ في زَعْمِهِمْ.

وفيهِ: [من الخفيف]

يا بَنِـيَّ الأرْحامَ لا تَقْطَعُوها

بِنَصْبِ «الأرْحامَ»، وهُو أجْوَدُ مِن الرَّفْعِ في هَذا المَوْضِعِ؛ لِلنَّهْيِ.

وقَوْلُهُ: [من الخفيف]

وصِلُوها قصيـرةً من طوالِ

وقد أمْلَيْنا فيها في غَيْرِ هَذا الكِتابِ ما نعيدُهُ ههنا بِحَوْلِ اللهِ تعالى، وأمْلَيْنا أيْضًا في مَعْنى الرّحِمِ واستِحقاقِ الأُمِّ بِإضافةِ الرّحِمِ إلَيْها، ووضْعِها فيهِ عِنْدَ خَلْقِ آدَمَ وحَـوّاءَ، وكَـوْنِ الأُمِّ أعْظَمَ حَظًّا في البرّ مِن الأبِ، مَعَ أنّها في المِيراثِ دُونَهُ أسْرارًا بَدِيعةً، ومَعانِيَ لَطِيفةً أوْدَعْناها كِتابَ «الفَرائِضِ» و«شَرْحَ آياتِ[1] الوصِيّةِ» لنا، فلْيُنْظَرْ هُنالِكَ[2].

وأمّا قَوْلُهُ: قَصِيرةً مِنْ طِوالِ، فيحْتَمِلُ تَأْوِيلَيْنِ؛ أحَدُهُما: أنْ يُرِيدَ: صِلُوا

---

(١) في (ص): «آية».

(٢) انظر: «كتاب الفرائض وشرح آيات الوصية» للسهيلي: (ص: ٥٤-٥٧).

قِصَرَها مِنْ طُولِكُمْ؛ أيْ: كُونُوا أنْتُمْ طِوالًا بِالصّلةِ والبرّ إنْ قَصُرَتْ هِيَ، وفي الحَدِيثِ: «أَسْرَعُكُنّ لُحُوقًا بِي: أطْولُكُنّ يَدًا»[1]، أرادَ: الطّول بِالصّدَقةِ والبرّ، فكانَتْ تِلْكَ صِفةَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ. والتّأْوِيلُ الآخَرُ: أنْ يُرِيدَ مَدْحًا لِقَوْمِهِ بِأنّ أرْحامَهُمْ قَصِيرةُ النَّسَبِ، ولَكِنّها مِنْ قَوْمٍ طِوالٍ؛ كَما قالَ[2]: [من الطويل]

أُحِــبُّ مِن النِّسْــوانِ كُلَّ طَوِيلةٍ لَها نَسَبٌ في الصّالِحِينَ قَصِيرُ[3]

وقالَ الطّائِيّ[4]: [من الكامل]

أنْتُمْ بَنُو النّسَبِ القَصِيرِ وطُولُكُمْ بــادٍ علــى الكُبَراءِ والأشْــرافِ

والنَّسَبُ القَصِيرُ: أنْ يَقُولَ: أنا ابنُ فلانٍ فيُعرَفُ، وتلك صفةُ الأشْرافِ، ومَنْ لَيْسَ بِشَرِيفٍ لا يُعْرَفُ حتّى يَأْتِيَ بِنِسْبةٍ طَوِيلةٍ يَبْلُغُ بِها رَأْسَ القَبِيلةِ. وقد قالَ رُؤْبةُ: قالَ لِي النّسّابةُ: مَنْ أنْتَ؟ انْتَسِبْ. فقُلْت: رُؤْبةُ بنُ العَجّاجِ، فقالَ: قَصَّرْتَ وعُرِفْتَ[5].

وقَوْلُهُ: [من الخفيف]

إنّ خَزْلَ[6] التَّخُومِ ذُو عُقّالِ[7]

---

(١) مسلم، كتاب فضائل الصحابة: (٤: ١٩٠٧).

(٢) يُنسب لكُثيِّر عزة، وهو ضمن أبيات مفردة في «ديوانه» (ص: ٥٠٣)، ورواية «الديوان»، و«تاج العروس»: «كل قصيرة»، وفسّر بأنها مقصورة محبوسة. ونسب قصير؛ أي: تعرف بأبيها الأول دون أن تُنسب إلى أكثر منه.

(٣) بعده في (ص): «يريد بقصيرة: مقصورة». ولا مكان لهذه الزيادة إلا على رواية «الديوان».

(٤) في «تاج العروس» (قصر).

(٥) «غريب الحديث» لابن قتيبة: (٢: ٤٦١)، وفيه: «النسابة البكري». (ج)

(٦) في (ف): «جَزْل».

(٧) الخزل: القطع. وفي «شرح السيرة» لأبي ذر: (١: ١٣٧): «لا تجزلوها». والجزل والخزل بمعنًى.

التَّخُومُ: جَمْعُ تَخُومةٍ، ومَنْ قالَ: تُخْمٌ في الواحِدِ، قالَ في الجَمْعِ: تُخُومٌ بِضَمِّ التّاءِ، [وأرادَ بالتَّخُوم ههنا: الحُدُودَ بين الأَرَضين المتملَّكةِ، والمعروفُ فيها أنّها الأُرَف، يقال: أَرَّفْتُ الأرضَ: إذا حدَّدتَها. وفي الحديثِ: «إذا وُضِعَتِ الأُرَفُ فلا شُفعةَ»[١]، وأما التُّخومُ: فهي حدودُ المدائنِ والكُورِ؛ كذلك قالَ أبو حَنِيفةَ][٢]: والعُقّالُ. ما يَمْنَعُ الرِّجلَ مِن المَشْيِ، ويَعْقِلُها؛ يُرِيدُ: أنّ الظُّلْمَ يُخلِّفُ[٣] صاحِبَهُ ويَعْقِلُهُ عَن السِّباقِ، ويَحْبِسُهُ في مَضايِقِ الاِحْتِقاقِ[٤].

* * *

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤: ٤٥٤)، رقم (٢٢٠٧١) موقوفًا على عثمان رضي الله عنه، بلفظ: «الأُرَفُ تقطع كل شفعة». (ج)

(٢) مكانه في (أ)، (ب)، (ف): «وأراد بها: الأُرف، وهي الحدود. وقال أبو حنيفةَ: التُّخوم والتَّخوم: حدود البلاد والقرى. ولم يذكر في حدود الأحقال إلا الأرف، وفي الحديث: إذا وضعت الأُرف فلا شفعة».

(٣) هذا من كلام عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ كما في «غريب الحديث» لأبي عبيد: (٣: ٤١٧)، وانظر: «إصلاح غلط أبي عبيد» لابن قتيبة: (ص: ١٠٩).

(٤) أي: يُؤَخّره. واحتقَّ الرجلان احتقاقًا: تخاصما وادّعى كلٌّ منهما الحقَّ لنفسه.

وَقالَ أبو قَيْسٍ صِرْمةُ أيْضًا، يَذْكُرُ ما أكْرَمَهُمُ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى بِهِ مِنَ الإسْلامِ، وما خَصَّهُمُ اللهُ بِهِ مِنْ نُزُولِ رَسُولِهِ ﷺ عَلَيْهِمْ:

ثَوى في قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرةَ حِجّةً ... يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقى صَدِيقًا مُواتِيا
وَيَعْرِضُ في أهْلِ المَواسِمِ نَفْسَهُ ... فلَمْ يَرَ مَن يؤوي ولَمْ يَرَ داعِيا
فَلَمّا أتانا أظْهَرَ اللهُ دِينَهُ ... فأصْبَحَ مَسْرُورًا بطَيْبَةَ راضِيا
وَألْفى صَدِيقًا واطْمَأنَّتْ بِهِ النَّوى ... وكانَ لَهُ عَوْنًا مِنَ اللهِ بادِيا
يَقُصُّ لَنا ما قالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ ... وما قالَ مُوسى إذْ أجابَ المُنادِيا
فَأصْبَحَ لا يَخْشى مِنَ النّاسِ واحِدًا ... قَرِيبًا ولا يَخْشى مِنَ النّاسِ نائِيا
بَذَلْنا لَهُ الأمْوالَ مِنْ حِلِّ مالِنا ... وأنْفُسَنا عِنْدَ الوَغى والتَّآسِيا
وَنَعْلَمُ أنَّ اللهَ لا شَيْءَ غَيْرُهُ ... ونَعْلَمُ أنَّ اللهَ أفْضَلُ هادِيا
نُعادِي الَّذي عادى مِنَ النّاسِ كلِّهِمْ ... جَمِيعًا وإنْ كانَ الحَبِيبَ المُصافيا
أقُولُ إذا أدْعُوكَ في كُلِّ بيعةٍ: ... تَبارَكْتَ قَدْ أكْثَرْتُ لِاسْمِكَ داعِيا
أقُولُ إذا جاوَزْتُ أرْضًا مَخُوفةً: ... حَنانَيْكَ لا تُظْهِرْ عَلَيَّ الأعادِيا
فَطَأْ مُعْرِضًا إنَّ الحُتُوفَ كَثِيرةٌ ... وإنَّكَ لا تُبْقِي لنَفسك باقِيا
فواللهِ ما يَدْرِي الفَتى كَيْفَ يَتَّقِي ... إذا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللهُ واقِيا
وَلا تَحْفِلُ النَّخْلُ المُعِيمةُ رَبَّها ... إذا أصبَحت ريّا وأصبحَ ثاوِيا

قالَ ابنُ هِشامٍ: البَيْتُ الَّذي أوَّلُهُ:

فَطَأْ مُعْرِضًا إنَّ الحُتُوفَ كَثِيرةٌ

والبَيْتُ الّذي يَلِيهِ:

فوالله ما يَدْرِي الفَتى كَيْفَ يَتَّقِي

لِأَفْنُونَ التَّغْلِبِيِّ، وهُوَ صُرَيْمُ بنُ مَعْشَرٍ، في أبْياتٍ لَهُ.

وذكرَ قَصِيدَه الياوِيَّ، وقالَ فيه: «فطَأْ مُعْرِضًا...» البَيْتَ، قالَ ابنُ هِشامٍ: هُو لِأُفْنُونٍ التَّغْلِبِيِّ، واسْمُهُ: صُرَيْمُ بنُ مَعْشَرٍ.

قالَ المُؤَلِّفُ: وسُمِّيَ أُفْنُونًا في قَوْلِ ابنِ دُرَيْدٍ ببَيْتٍ[1] قالَهُ فيه: [من البسيط]

مَنَّيَتَنا الودَّ يـا أُفنونُ مظنُونا

أوْ نَحو هَذا من اللّفْظِ. والأُفْنُونُ: الغُصْنُ النّاعِمُ، والأُفْنُونُ أيْضًا: العَجُوزُ الفانِيةُ، وأُفْنُونٌ هُو الّذِي يَقُولُ[2]: [من البسيط]

لَـوْ أنّني كُنْـتُ مِنْ عادٍ ومِـنْ إرَمٍ ... غَـذِيَّ بَهْـمٍ ولُقْمـانٍ وذِي جَدَنِ

لَمـا وفَـوْا بِأخِيهِـمْ مِـنْ مُهَوِّلَـةٍ ... أخا السَّكُونِ ولا جارُوا عَن السَّنَنِ

أنّى جَـزَوْا عامِرًا سُـوءًا بِفِعْلِهِمُ؟ ... أمْ كَيْفَ يَجْزُونَنِي السُّوأى مِن الحَسَنِ؟

أمْ كَيْفَ يَنْفَعُ ما تُعْطِـي العَلُوقُ بِهِ ... رِئمـانُ أنـفٍ إذا ما ضُـنَّ باللَّبَنِ؟

وقَوْلُ[3] ابنِ هِشامٍ في البَيْتَيْنِ « فطَأْ مُعْرِضًا» والّذِي..........

(١) كذا في (ص)، وفي غيرها: «لبيت». والبيت كما في «خزانة الأدب» (١١: ١٥١):

مَنَّيَتَنا الودَّ يا مضنونُ مضنونا ... أيامنـا إن للشـبان أفنونـا

وانظر: «الاشتقاق» لابن دريد: (ص: ٣٣٦)، و«شرح أبيات مغني اللبيب» (١: ٢٥٣).

(٢) «المفضليات» (٢٦٢-٢٦٣)، و«شرح أبيات مغني اللبيب» للبغدادي: (١: ٢٤٢-٢٤٣).

(٣) في (ف): «وقال».

بَعْدَهُ[١]: إنّهُما لِأُفْنُونٍ التَّغْلِبِيّ مَذْكُورٌ عِنْدَ أَهْلِ الأَخْبارِ، ولَها سَبَبٌ: ذَكَرُوا أَنّ أُفْنُونًا خَرَجَ في رَكْبٍ، فمَرُّوا بِرَبْوةٍ تُعْرَفُ بِالإِلَهةِ، وكانَ الكاهِنُ قَبْلَ ذَلِكَ قد حَدّثَهُ[٢] أَنّهُ يَمُوتُ بِها، فمَرّ بِها في ذَلِكَ الرّكْبِ، فلَمّا أَشْرَفُوا عَلَيْها وأُعْلِمَ باسْمِها، كَرِهَ المُرُورَ عليها[٣]، وأبى أَصْحابُهُ إلّا أَنْ يَمُرّوا بِها، وقالُوا لَهُ: لا نَنْزِلُ عِنْدَها، ولَكِنْ نَجُوزُها سَعْيًا، فلَمّا دَنا مِنْها بَرَكَتْ بِهِ ناقَتُهُ على حَيّةٍ، فنزلَ لِيَنْظُرَ[٤] فنَهَشَتْهُ الحَيّةُ فماتَ، فقَبْرُهُ هُنالِكَ.

وقِيلَ في حَدِيثِهِ: إنّهُ مَرّ بِها لَيْلًا، فلَمْ يَعْرِفْ بِها حتّى رَبَضَ [به][٥] العَيْر الّذِي كانَ عَلَيْهِ، وعَلِمَ أَنّهُ عِنْدَ الإِلَهةِ، فجَزِعَ[٦]، فقِيلَ لَهُ: إنه لا بَأْسَ عَلَيْك، قالَ: فلِمَ رَبَضَ العَيْرُ؟ فأَرْسَلَها مَثَلًا. ذكرَهُ يعقوب، وعندما أحَسّ بِالمَوْتِ قالَ هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ اللّذَيْنِ ذكرَ ابنُ إسْحاقَ، وبَعْدَهُما: [من الطويل]

كَفى حَزَنًا أنْ يَرْحَلَ الرَّكْبُ غُدوةً　　　وأُتْرَكَ فــي جَنبِ الإلهــةِ ثاويا

* * *

(١) في (ف): «بعدهما».
(٢) في (أ): «قال»، وفي (ف): «قال له».
(٣) في (أ)، (ف): «بها».
(٤) في (أ)، (ب)، (ف): «لينظر إليها».
(٥) ما بين المعقوفين ليس في (أ)، (ف).
(٦) كذا في (أ)، وفي غيرها: «فخرج».

الأَعْداءُ مِنْ يَهُودَ

[سَبَب عداوتهم للْمُسلِمين]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ونَصَبَتْ عِنْدَ ذلك أحْبارُ يَهُودَ لِرَسُولِ الله ﷺ العَداوةَ؛ بَغْيًا وحَسَدًا وضِغْنًا، لِما خَصَّ اللهُ تَعالى بِهِ العَرَبَ مِنْ أخْذِهِ رَسُولَهُ مِنْهُمْ، وانْضافَ إلَيْهِمْ رِجالٌ مِنَ الأوْسِ والخَزْرَجِ، مِمَّنْ كانَ عسى على جاهِلِيَّتِهِ فكانُوا أهْلَ نِفاقٍ على دِينِ آبائِهِمْ مِنَ الشِّرْكِ والتَّكْذِيبِ بِالبَعْثِ، إلّا أنَّ الإسْلامَ قَهَرَهُمْ بِظُهُورِهِ واجْتِماعِ قَوْمِهِمْ عَلَيْهِ، فظَهَرُوا بِالإسْلامِ، واتَّخَذُوهُ جُنَّةً مِنَ القَتْلِ ونافَقُوا في السِّرِّ، وكانَ هَواهُمْ مَعَ يَهُودَ؛ لِتَكْذِيبِهِمُ النَّبِيَّ ﷺ، وجُحُودِهِمُ الإسْلامَ. وكانَتْ أحْبارُ يَهُودَ هُمُ الَّذِينَ يَسْألُونَ رَسُولَ الله ﷺ ويَتَعَنَّتُونَهُ، ويَأْتُونَهُ بِاللَّبْسِ؛ لِيَلْبِسُوا الحَقَّ بِالباطِلِ، فكانَ القُرْآنُ يَنْزِلُ فيهِمْ فيما يَسْألُونَ عَنْهُ، إلّا قَلِيلًا مِنَ المَسائِلِ في الحَلالِ والحَرامِ كانَ المُسْلِمُونَ يَسْألُونَ عَنْها.

[الأعْداءُ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ]

مِنْهُمْ: حُيَيُّ بنُ أخْطَبَ، وأخَواهُ: أبو ياسِرِ بنُ أخْطَبَ، وجُدَيُّ بنُ أخْطَبَ، وسَلّامُ بنُ مِشْكَمٍ، وكِنانَةُ بنُ الرَّبِيعِ بنِ أبي الحُقَيْقِ، وسَلّامُ بنُ أبي الحُقَيْقِ، أبو رافِعٍ الأعْوَرُ، وهُوَ الَّذي قَتَلَهُ أصْحابُ رَسُولِ الله ﷺ بِخَيْبَرَ، والرَّبِيعُ بنُ الرَّبِيعِ ابنِ أبي الحُقَيْقِ، وعَمْرُو بنُ جحاشٍ، وكَعْبُ بنُ الأشْرَفِ، وهُوَ مِنْ طَيِّئٍ، ثُمَّ أحَدُ بَنِي نَبْهانَ، وأُمُّهُ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ، والحَجّاجُ بنُ عَمْرٍو، حَلِيفُ كَعْبِ بنِ الأشْرَفِ،

وكَرْدَمُ بنُ قَيْسٍ، حَلِيفُ كَعْبِ بنِ الأشْرَفِ، فهَؤُلاءِ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ.

[مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ]

وَمِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ بنُ الفِطْيَوْنِ: عَبْدُ اللهِ بنُ صُورِيّا الأعْوَرُ، ولَمْ يَكُنْ بِالحِجازِ في زَمانِهِ أحَدٌ أعْلَمَ بِالتَّوْراةِ مِنْهُ، وابنُ صَلُوبا، ومُخَيْرِيقٌ، وكانَ حَبْرَهُمْ، أسْلَمَ.

تَسْمِيةُ اليَهُودِ الَّذِينَ نزلَ فيهِم القُرْآنُ

ذَكَرَ[1] فيهِمْ جُدَيَّ بنَ أخْطَبَ، بِالجِيمِ، وهُو أخُو حُيَيِّ بنِ أخْطَبَ، وأمّا حُدَيٌّ بِالحاءِ [المهملة][2]، فذكرَهُ الدّارَقُطْنِيّ في نَسَبِ عُتَيبةَ بنِ الحارثِ بنِ شهابِ بنِ حُديٍّ التَّميميِّ فارسِ العرب[3].

وذكر عزيزَ بنَ أبي عزيز، وألْفيتُ بِخَطّ الحافِظِ أبي بَحْرٍ في هَذا المَوْضِعِ يَقُولُ: عُزَيْزُ بنُ أبِي عُزَيْزٍ، بِزايَيْنِ، قَيّدْناهُ في الجُزْءِ قَبْلَ هَذا.

وذكرَ ثَعْلَبَةَ بنَ الفِطْيَوْنِ، والفِطْيَوْنُ كَلِمةٌ عِبْرانِيّةٌ[4]، وهِيَ عِبارةٌ عَنْ كُلِّ مَنْ وَلِيَ أمْرَ اليَهُودِ ومَلَكَهُمْ؛ كَما أنّ النّجاشِي عِبارةٌ عَنْ كُلِّ مَنْ مَلكَ الحَبَشَةَ، وخاقانَ مَلِكُ التُّرْكِ، وقد تَقَدّمَ مِنْ هَذا البابِ جُمْلَةٌ[5].

(١) في (ف): «وذكر».

(٢) عن (أ).

(٣) «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (٣: ١٦١٠).

(٤) انظر: «الاشتقاق» لابن دريد: (ص: ٤٣٦)، و«المعرب» للجواليقي: (ص: ٤٧٧).

(٥) انظر: (٣: ٢٠٨).

[مِنْ بَنِي حارِثَةَ]

وَمِنْ يَهُودِ بَنِي حارِثَةَ: كِنانةُ بنُ صُورِيّا.

[مِنْ بَنِي قَيْنُقاعَ]

وَمِنْ بَنِي قَيْنُقاعَ: زَيْدُ بنُ اللَّصِيتِ، ويُقالُ: ابنُ اللُّصَيتِ فيما قالَ ابنُ هِشامٍ، وسَعْدُ بنُ حُنَيْفٍ، ومَحْمُودُ بنُ سَيْحانَ، وعُزَيْزُ بنُ أبي عُزَيْزٍ، وعَبْدُ الله ابنُ صَيْفٍ. قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: ابنُ ضَيْفٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وسُوَيْدُ بنُ الحارِثِ، ورِفاعةُ بنُ قَيْسٍ، وفِنْحاصُ، وأَشْيُعُ، ونُعْمانُ بنُ أضا، وبَحْرِيُّ بنُ عَمْرٍو، وشَأْسُ بنُ عَدِيٍّ، وشَأْسُ بنُ قَيْسٍ، وزَيْدُ بنُ الحارِثِ، ونُعْمانُ بنُ عَمْرٍو، وسُكَيْنُ بنُ أبي سُكَيْنٍ، وعَدِيُّ ابنُ زَيْدٍ، ونُعْمانُ بنُ أبي أَوْفى، أبو أَنَسٍ، ومَحْمُودُ بنُ دِحْيةَ، ومالِكُ بنُ صَيْفٍ. قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: ابنُ ضَيْفٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكَعْبُ بنُ راشِدٍ، وعازِرٌ، ورافِعُ بنُ أبي رافِعٍ، وخالِدٌ، وإزارُ بنُ أبي إزارٍ. قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: آزِرُ بنُ آزِرَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ورافِعُ بنُ حارِثَةَ، ورافِعُ بنُ حُرَيْمِلةَ، ورافِعُ بنُ خارِجةَ، ومالِكُ بنُ عَوْفٍ، ورِفاعةُ بنُ زَيْدِ بنِ التّابُوتِ، وعَبْدُ اللهِ بنُ سَلامِ بنِ الحارِثِ رضي الله عنه، وكانَ حَبْرَهُمْ وأَعْلَمَهُمْ، وكانَ اسْمُهُ: الحُصَيْنَ، فلَمّا أَسْلَمَ سَمّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: عَبْدَ اللهِ. فهَؤُلاءِ مِنْ بَنِي قَيْنُقاعَ.

[مِنْ بَنِي قُرَيْظةَ]

وَمِنْ بَنِي قُرَيْظةَ: الزُّبَيْرُ بنُ باطا بنُ وهْبٍ، وعَزّالُ بنُ شَمْوِيلٍ، وكَعْبُ

ابنُ أسَدٍ، وهُوَ صاحِبُ عَقْدِ بَنِي قُرَيْظَةَ الَّذي نُقِضَ عامَ الأَحْزابِ، وشَمْوِيلُ ابنُ زَيْدٍ، وجَبَلُ بنُ عَمْرِو بنِ سُكَيْنَةَ، والنَّحّامُ بنُ زَيْدٍ، وقَرْدَمُ بنُ كَعْبٍ، ووَهْبُ بنُ زَيْدٍ، ونافِعُ بنُ أبي نافِعٍ، وأبو نافِعٍ، وعَدِيُّ بنُ زَيْدٍ، والحارِثُ بنُ عَوْفٍ، وكَرْدَمُ بنُ زَيْدٍ، وأُسامةُ بنُ حَبِيبٍ، ورافِعُ بنُ رُمَيْلَةَ، وجَبَلُ بنُ أبي قُشَيْرٍ، ووَهْبُ بنُ يَهُوذا، فهَؤُلاءِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ.

وذكَرَ فيهِمْ عَبْدَ اللهِ بنَ صُورِيا[1] الأعْورَ، وكانَ أعْلَمَهُمْ بالتّوْراةِ، ذكرَ النّقّاشُ أنّهُ أسْلَمَ لَمّا تَحقّقَ مِنْ صِفاتِ النبيِّ[2] ﷺ في التّوْراةِ وأنّهُ هُو، ولَيْسَ في «سِيرةِ ابنِ إسْحاقَ» ذِكْرٌ لإسْلامِهِ.

[مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ]

وَمِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ: لَبِيدُ بنُ أعْصَمَ، وهُوَ الَّذي أخَّذَ رَسُولَ الله ﷺ عَنْ نِسائِهِ.

[مِنْ بَنِي عَمْرٍو]

وَمِنْ يَهُودِ بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ: قَرْدَمُ بنُ عَمْرٍو.

[مِنْ بَنِي النَّجّارِ]

وَمِنْ يَهُودِ بَنِي النَّجّارِ: سِلْسِلَةُ بنُ بَرْهامٍ.

فَهَؤُلاءِ أحْبارُ اليَهُودِ، أهْلُ الشُّرُورِ والعَداوةِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وأصْحابِهِ،

---

(١) في (ص): «صورا»، وفي (ف): «صوري»، وفي «تاج العروس»: «صوريا، ويقال: صُورِي».
(٢) في (أ)، (ب): «من صفات محمد».

وأصْحابُ المَسْألةِ والنَّصْبِ لِأمْرِ الإسْلامِ الشُّرُورَ لِيُطْفِئُوهُ، إلّا ما كانَ مِنْ عَبْدِ الله بنِ سَلامٍ ومُخَيْرِيقٍ.

فَصْلٌ

وقَوْلُهُ: ومِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ، ومِنْ يَهُودِ بَنِي حارِثَةَ، وذكرَ قَبائِلَ مِن الأنْصارِ، وإنّما اليَهُودُ بَنُو إسْرائِيلَ، وجُمْلَةُ مَنْ كانَ مِنْهُمْ بِالمَدِينةِ وخَيْبَرَ إنّما هُمْ قُرَيْظَةَ والنَّضِيرُ وبَنُو قَيْنُقاع، غَيْرَ أنّ في الأوْسِ والخَزْرَجِ مَنْ قد تَهَوّدَ، وكانَ مِنْ نِسائِهِمْ مَنْ تَنْذِرُ إذا ولَدَتْ إنْ عاشَ ولَدُها أنْ تُهَوِّدَهُ؛ لِأنّ اليَهُودَ كانُوا [عِنْدَهُمْ][1] أهْلَ عِلْمٍ وكِتابٍ، وفي هؤلاء الأبناءِ الّذِينَ تَهَوَّدُوا نزلَتْ[2]: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، حِينَ أرادَ آباؤُهُمْ إكْراهَهُمْ على الإسْلامِ [في أحَدِ الأقْوالِ][3].

وأمّا لَبِيدُ بنُ الأعْصَمِ الّذِي ذكرَهُ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ، وقالَ: هُو الّذِي أخَذَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ نِسائِهِ؛ يَعْنِي: مِن[4] الأُخْذةِ، وهِيَ[5] ضَرْبٌ مِن السِّحْرِ، [وفي الخَبرِ: أنّ القاسمَ بنَ محمدِ بن الحَنَفِيّةِ كان مُؤَخَّذًا عن مَسجِدِ رسولِ اللهِ ﷺ لا يَستطيعُ أنْ يَدْخُلَهُ][6]. وكانَ لَبِيدٌ هَذا قد سَحَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وجَعَلَ سِحْرَهُ في مُشطٍ ومُشاطةٍ. ويروى: مُشاقةٍ بِالقافِ، وهِيَ مُشاقةُ الكَتّانِ، وجُفِّ

---

(١) عن (ب)، (ج).

(٢) في (ص): «قد أُنزلت».

(٣) عن (أ)، (ب).

(٤) في (أ): «عن».

(٥) في (ف): «وهو».

(٦) عن (أ)، (ب)، (ف).

طَلْعةٍ ذَكَرٍ؛ يعني: فُحّالَ النّخْلِ، وهُو ذُكّارُها[١]. والجُفُّ: غِلافُ الطّلْعةِ[٢]، ويَكُونُ لِغَيْرِها، ويُقالُ لِلْجُفِّ: القِيقاءُ، وتُصْنَعُ مِنْهُ آنِيةٌ يُقالُ لَها: التَّلاتِلُ[٣]. قالَهُ أبو حَنِيفةَ، ودَفَنَهُ في بئر ذي أَرْوانَ[٤] ـ وأكثر أهل الحديث يقول: ذَرْوان ـ تحت راعُوفةِ البئر، وهِيَ صَخْرةٌ في أسْفَلِهِ يَقِفُ عَلَيْها المائِحُ، وهَذا الحَدِيثُ مَشْهُورٌ عِنْدَ النّاسِ، ثابِتٌ عِنْدَ أهْلِ الحَدِيثِ[٥]، غَيْرَ أنِّي لَمْ أجِدْ في الكُتُبِ المَشْهُورةِ: كَمْ لَبِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ السِّحْرِ حتّى شُفِيَ مِنْهُ؟ ثُمّ وقَعْتُ على البَيانِ في «جامِعِ مَعْمَرِ بنِ راشِدٍ».

رَوى مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيّ، قالَ: سُحِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَنةً، يُخَيَّلُ إلَيْهِ أنّهُ يَفْعَلُ الفِعْلَ وهُو لا يَفْعَلُهُ[٦].

وقد طَعَنَتِ المُعْتَزِلةُ في هَذا الحَدِيثِ وطَوائِفُ مِنْ أهْلِ البِدَعِ، وقالُوا: لا يَجُوزُ على الأنْبياءِ أنْ يُسْحَرُوا، ولَوْ جازَ أنْ يُسْحَرُوا، لَجازَ أنْ يُجَنُّوا. ونزعَ بعضهم بِقَوْلِهِ عَزّ وجَلّ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، والحَدِيثُ

---

(١) في (أ)، (ف): «ذكاره».

(٢) في (أ)، (ب): «للطلعة».

(٣) التلاتل: جمع تَلْتَلة، وهي إناء للشرب.

(٤) ذو أَرْوانَ: بئر لبني زُرَيق بالمدينة، ويرى الأصمعي أنه الصواب. وقد يقال له: ذَرْوان، وأنه قد يصحف إلى ذي أوان. انظر: «معجم البلدان» (ذَرْوان).

(٥) أخرجه البخاري في غير باب، «فتح الباري»، كتاب الطب: (١٠: ٢٣٢-٢٣٣)، وكتاب الأدب: (١٠: ٤٧٩)، والدعوات: (١١: ١٩٢-١٩٣)، و«مسلم»، كتاب السلام: (٤: ١٧١٩-١٧٢١).

(٦) رواه ابن جرير، والحاكم في «مستدركه»، والترمذي. انظر: «تفسير الطبري» (٦: ٣٠٨)، و«المستدرك» (٢: ٣١٣)، و«عارضة الأحوذي»، تفسير سورة المائدة: (١١: ١٧٤-١٧٥)، و«تفسير ابن كثير» (٣: ١٢٠٦-١٢٠٧).

ثابتٌ خرّجَهُ أهْلُ الصّحِيحِ، ولا مَطْعَنَ فيهِ مِنْ جِهةِ النّقْلِ، ولا مِنْ جِهةِ العَقْلِ؛ لِأنّ العِصْمةَ إنّما وجَبَتْ لَهُمْ في عُقُولِهِمْ وأدْيانِهِمْ، وأمّا أبْدانُهُمْ، فإنّهُمْ يُبْتَلَوْنَ فيها، ويُخلَصُ إليهم بالجراحةِ والضَّربِ والسُّمومِ والقتل، والأُخْذةُ الّتِي أُخِذَها رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ هَذا الفَنّ، إنّما كانَتْ في بعضِ جوارِحهِ.

وأما قوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ فإنما نزلتْ في سورة المائدة وكان نزولها بأَخَرةٍ، وكان يُحْرَسُ في مغازيه، حتّى نزلَتْ عليه: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ فأمَرَحُرّاسَهُ أنْ يَنْصرِفُوا عنه، وقالَ: «لا حاجةَ لِي بِكُمْ؛ فقد عَصَمَنِي اللهُ تعالى مِن النّاسِ»، أوْ كَما قالَ[1].

وأمّا ما فيهِ مِن الفِقْهِ، فإنّ عائِشةَ قالَتْ لَهُ: هَلّا تَنَشَّرْتَ[2]؟ فقالَ: «أمّا أنا فقد شَفانِي اللهُ، وأكْرَهُ أنْ أُثِيرَ على النّاسِ شَرًّا»، وهُو حَدِيثٌ مُشْكِلٌ في ظاهِرِهِ، وإنّما جاءَ الإشْكالُ فيهِ مِنْ قِبَلِ الرُّواةِ؛ فإنهم جعلوا جوابَين لكلامين جوابًا[3] واحدًا، وذلك أنّ عائِشةَ قالَتْ لَهُ أيْضًا: هَلّا اسْتَخْرَجْته؟ أيْ: هَلّا اسْتَخْرَجْتَ السِّحْرَ مِن الجُفِّ والمُشاقةِ[4] حتّى يُنْظَرَ إلَيْهِ؟ فلِذَلِكَ قالَ: «وأكْرَهُ أنْ أُثِيرَ على النّاسِ شَرًّا». قالَ ابنُ بَطّالٍ: كَرِهَ أنْ يُخْرِجَهُ، فيتَعَلّمَ مِنْهُ بَعْضُ النّاسِ، فذَلِكَ [هُو][5] الشّرُّ الّذِي كَرِهَهُ.

---

(١) أخرجه الترمذي: أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة، رقم (٣٠٤٦) من حديث عائشة رضي الله عنها، ولفظه: «يا أيها الناس انصرفوا؛ فقد عصمني الله». (ج)

(٢) في (ص)، (ج): «تنشّرتم». والمعنى: هلّا طلبت العلاج من النُّشْرة؟ وهي نوع من الرقية والعين.

(٣) في (ف): «كلامًا».

(٤) في غير (ص): «والمشاطة». وقد سبق ذكر الروايتين.

(٥) ما بين المعقوفين ليس في (ب).

قالَ المُؤَلِّفُ: ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ الشَّرُّ غَيْرَ هَذا، وذَلِكَ أنَّ السّاحِرَ كانَ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ، فلَوْ أظْهَرَ سِحْرَهُ لِلنّاسِ وأراهُمْ إيّاهُ، لَأوْشَكَ أنْ يُرِيدَ طائِفَةٌ مِن المُسْلِمِينَ قَتْلَهُ، ويَتَعَصَّبَ لَهُ آخَرُونَ مِنْ عَشِيرَتِهِ، فيَثُورَ شَرٌّ؛ كَما ثارَ في حَدِيثِ الإفْكِ مِن الشَّرّ ما سَيَأْتِي بَيانُهُ[١][٢].

وقَوْلُ عائِشَةَ له: «هَلّا اسْتَخْرَجْته؟»، هُو في حَدِيثَيْنِ رَواهُما البُخارِيّ جَمِيعًا، وأمّا جَوابُهُ لَها في حَدِيثِ: «هَلّا تَنَشَّرْتَ؟»، فقَوْلُهُ: «أمّا أنا فقد شَفانِي اللهُ تعالى»، وجَوابُهُ لَها حِينَ قالَتْ: «هَلّا اسْتَخْرَجْته؟»، بِأنْ قالَ: «أكْرَهُ أنْ أُثِيرَ على النّاسِ شَرًّا»، فلَمّا جَمَعَ الرّاوِي بَيْنَ الجَوابَيْنِ في حَدِيثٍ واحِدٍ اسْتَغْلَقَ الكَلامُ، وإذا نُظِرَتِ الأحادِيثُ مُتَفَرِّقَةً تَبَيَّنَتْ، وعلى هَذا النَّحْوِ شَرَحَ هَذا الحَدِيثَ ابنُ بَطّالٍ[٣].

وأمّا الفِقْهُ الّذِي أشَرْنا إلَيْهِ: فهُو إباحَةُ النُّشْرةِ مِنْ قَوْلِ عائِشَةَ: هَلّا تَنَشَّرْت؟ ولَمْ يُنْكِرْ عَلَيْها قولها.

وذكرَ البُخارِيُّ عَنْ سَعِيدِ بنِ المُسَيِّبِ، أنَّهُ سُئِلَ عَن النُّشْرةِ لِلّذِي يُؤْخَذُ عَنْ أهْلِهِ، فقالَ: لا بَأْسَ؛ لَمْ يُنْهَ عَن الصَّلاحِ، إنّما نُهِيَ عَن الإفساد[٤]، ومَنِ اسْتَطاعَ أنْ يَنْفَعَ أخاهُ فلْيَفْعَلْ[٥]. ومِن النّاسِ مَنْ كَرِهَ النُّشْرةَ على العُمُومِ، ونَزَعَ بِحَدِيثٍ خَرّجَهُ أبو داوُدَ مَرْفُوعًا: «أنَّ النُّشْرةَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ»[٦]، وهَذا ـ واللهُ أعْلَمُ ـ

---

(١) في (ف): «ذكره».

(٢) انظر: (٦: ٤٠٤).

(٣) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال: (٩: ٤٤٣). (ج)

(٤) في (ف): «الفساد».

(٥) «فتح الباري»، كتاب الطب: (١٠: ٢٣٢).

(٦) «سنن أبي داود»، كتاب الطب: (٤: ٦).

في النُّشْرةِ الّتِي فيها الخَواتِمُ والعَزائِمُ، وما لا يُفْهَمُ مِن الأسْماءِ الأعَجَمِيّةِ، ولَوْلا الإطالةُ المُخْرِجةُ لَنا عَنْ غَرَضِنا لَقَوَّيْنا الرّخْصةَ بِالآثارِ، وهَذا القدرُ كافٍ، واللهُ المُسْتَعانُ.

وكانَتْ عُقَدُ السِّحْرِ إحَدى عَشْرةَ عُقْدةً، فأنْزَلَ اللهُ تَعالى المُعَوِّذَتَيْنِ إحَدى عَشْرة آيةً، فانْحَلّتْ بِكُلِّ آيةٍ عُقْدةٌ، وقالَ سبحانه: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ [الفلق: ٤]، ولَمْ يَقُلْ: النّفّاثِينَ[1]، وإنّما كانَ الّذِي سَحَرَهُ رَجُلًا.

والجَوابُ: أنّ الحَدِيثَ قد رَواهُ إسْماعِيلُ القاضي[2]، وزادَ في رِوايَتِهِ: أنّ زَيْنَبَ اليَهُودِيّةَ أعانَتْ لَبِيدَ بنَ الأعْصَمِ على ذَلِكَ السّحْرِ، مَعَ أنّ الأُخْذةَ في الغالِبِ مِنْ عَمَلِ النّساءِ وكَيْدِهِنّ.

* * *

(١) في (أ)، (ف): «النفاثين في العقد»، وفي (ج): «من شر النفاثين».

(٢) هو إسماعيل بن إسحاق الأزدي، ولي قضاء القضاة، من بيت علم، توارثوا العلم نحو ثلاث مئة عام، وكان صديقًا للمبرِّد، ألّف له كتابه «التعازي والمراثي». توفي في بغداد وعاش بين سنتي (٢٠٠-٢٨٢هـ).

إسْلامُ عَبْدِ اللهِ بنِ سَلامٍ

[كَيْفَ أسْلَمَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بنِ سَلامٍ، كَما حَدَّثَنِي بَعْضُ أهْلِهِ عَنْهُ وعَنْ إسْلامِهِ حَيْنَ أسْلَمَ، وكانَ حَبْرًا عالِمًا، قالَ: لَمّا سَمِعْتُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ عَرَفْتُ صِفَتَهُ واسْمَهُ وزَمانَهُ الّذي كنّا نتوكّفُ لَهُ، فكُنْتُ مُسِرًّا لِذلك، صامِتًا عَلَيْهِ، حَتّى قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ، فلَمّا نَزَلَ بقُباءٍ، في بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، أقْبَلَ رَجُلٌ حَتّى أخْبَرَ بِقُدُومِهِ، وأنا في رَأْسِ نَخْلَةٍ لِي أعْمَلُ فيها، وعمتي خالدةُ بنتُ الحارِثِ تَحْتِي جالِسةٌ، فلَمّا سَمِعْتُ الخَبَرَ بِقُدُومِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَبَّرْتُ، فقالَتْ لِي عَمَّتِي، حَيْنَ سَمِعَتْ تَكْبِيرِي: خَيَّبَكَ اللهُ، واللهِ لَوْ كُنْتَ سَمِعْتَ بِمُوسى بنِ عِمْرانَ قادِمًا ما زِدْتَ، قالَ: فقُلْتُ لَهَا: أيْ عَمّةُ، هُوَ واللهِ أخُو مُوسى بنِ عِمْرانَ، وعلى دِينِهِ، بُعِثَ بِما بُعِثَ بِهِ. قالَ: فقالَتْ: أيِ ابنَ أخِي، أهُوَ النَّبِيُّ الَّذي كُنّا نُخْبَرُ أنَّهُ يُبْعَثُ مَعَ نَفَسِ السّاعةِ؟ قالَ: فقُلْتُ لَهَا: نَعَمْ. قالَ: فقالَتْ: فذاكَ إذًا. قالَ: ثُمَّ خَرَجْتُ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فأسْلَمْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ إلى أهْلِ بَيْتِي، فأمَرْتُهُمْ فأسْلَمُوا.

[قَوْمُهُ يُكَذِّبُونَهُ ولا يَتَّبِعُونَهُ]

قالَ: وكَتَمْتُ إسْلامِي مِنْ يَهُودَ، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فقُلْتُ لَهُ: يا رَسُولَ اللهِ، إنَّ يَهُودَ قَوْمٌ بُهْتٌ، وإنِّي أُحِبُّ أنْ تُدْخِلَنِي في بَعْضِ بُيُوتِكَ،

وتُغَيِّبَنِي عَنْهُمْ، ثُمَّ تَسْأَلَهُمْ عَنِّي، حَتّى يُخْبِرُوكَ كَيْفَ أنا فيهِمْ، قَبْلَ أنْ يَعْلَمُوا بِإسْلامِي، فإنَّهُمْ إنْ عَلِمُوا بِهِ بَهَتُونِي وعابُونِي. قالَ: فأدْخَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ في بَعْضِ بُيُوتِهِ، ودَخَلُوا عَلَيْهِ، فكَلَّمُوهُ وساءَلُوهُ، ثُمَّ قالَ لَهُمْ: «أيُّ رَجُلٍ الحُصَيْنُ بنُ سَلامٍ فيكُمْ؟» قالُوا: سَيِّدُنا وابنُ سَيِّدِنا، وحَبْرُنا وعالِمُنا. قالَ: فلَمّا فرَغُوا مِنْ قَوْلِهِمْ خَرَجْتُ عَلَيْهِمْ، فقُلْتُ لَهُمْ: يا مَعْشَرَ يَهُودَ، اتَّقُوا اللهَ واقْبَلُوا ما جاءَكُم بِهِ، فواللهِ إنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ إنَّهُ لَرَسُولُ الله ﷺ، تَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ في التَّوْراةِ بِاسْمِهِ وصِفَتِهِ، فإنِّي أشْهَدُ أنَّهُ رَسُولُ الله ﷺ، وأُومِنُ بِهِ وأُصَدِّقُهُ وأعْرِفُهُ، فقالُوا: كَذَبْتَ، ثُمَّ وقَعُوا بِي، قالَ: فقُلْتُ لِرَسُولِ الله ﷺ: ألَمْ أُخْبِرْكَ يا رَسُولَ اللهِ أنَّهُمْ قَوْمٌ بُهتٌ، أهْلُ غَدْرٍ وكَذِبٍ وفُجُورٍ! قالَ: فأظْهَرْتُ إسْلامِي وإسْلامَ أهْلِ بَيْتِي، وأسْلَمَتْ عَمَّتِي خالِدَةُ بِنْتُ الحارِثِ، فحَسُنَ إسْلامُها.

إسْلامُ عَبْدِ اللهِ بنِ سَلامٍ

سَلامٌ بِتَخْفيفِ اللّامِ[1]، ولا يُوجَدُ مَنِ اسْمُهُ سَلامٌ بِالتّخْفيفِ في المُسْلِمِينَ؛ لِأنّ السّلامَ مِنْ أسْماءِ اللهِ، فيقالُ إذًا: [عَبْدُ السّلامِ، ويُقالُ][2]: سَلّامٌ بِالتّشْدِيدِ، وهُو كَثِيرٌ، وإنّما سَلامٌ بِالتّخْفيفِ في اليَهُودِ، وهُو[3] والِدُ عَبْدِ اللهِ بنِ سَلامٍ مِنْهُمْ[4].

---

(١) في (ف): «سلام هذا بالتخفيف».

(٢) عن (ب).

(٣) «هو» ليس في (ف).

(٤) انظر: «تبصير المنتبه» لابن حجر: (٣: ٧٠٢-٧٠٣).

ذكرَ[١] فيهِ قَوْلَ عَمّتِهِ خالِدَةَ: أَهُو النبيُّ الذي كُنّا نحدَّثُ[٢] أنّهُ يُبْعَثُ مَعَ نَفَسِ السّاعةِ؟ وهَذا الكَلامُ في مَعْنى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السّلامُ: «إنّي لأجِدُ نَفَسَ السّاعةِ بَيْنَ كَتِفي»، وفي مَعْنى قَوْلِهِ سبحانه: ﴿نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦]، ومَنْ كانَ بَيْنَ يَدَيْ طالِبِهِ، فنَفَسُ الطّالِبِ بين كتفيه، وكأن النَّفَس في هذا الحديث عِبارةٌ عَن الفِتَنِ المُؤْذِنةِ بِقِيامِ السّاعةِ، وكانَ بَدْؤُها حِينَ ولّى أُمّتَهُ ظَهْرَهُ خارجًا مِنْ بَيْنِ ظَهْرانَيْهِمْ إلى اللهِ تَعالى، ألا تَراهُ يَقُولُ في حَدِيثٍ آخَرَ: «وأنا أمانٌ لِأُمّتي، فإذا ذَهَبْتُ أتى أُمّتِي ما يُوعَدُون»؟ فكانَتْ بَعْدَهُ الرِّدةُ، ثُمّ الهَرْجُ المُتّصِلُ بِيَوْمِ القِيامةِ، ونَحْوٌ مِنْ هَذا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السّلامُ: «بُعِثْتُ أنا والسّاعةُ كَهاتَيْنِ»[٣]؛ يَعْنِي: السّبّابةَ والوُسْطى.

وهُو حَدِيثٌ يَرْوِيهِ أَنَسُ بنُ مالِكٍ، وابنُ بُرَيْدةَ عَنْ أبِيهِ، وجُبَيْرُ بنُ مُطْعِمٍ، وجابِرُ بنُ سَمُرةَ وأبو هُرَيْرةَ وسَهْلُ بنُ سَعْدٍ كُلُّهُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وفي حَدِيثِ سَهْلٍ: «سَبَقْتُها بِما سَبَقَتْ هَذِهِ هَذِهِ»؛ يَعْنِي: الوُسْطى والسَّبّابةَ، وفي بَعْضِ أَلْفاظِ الحَدِيثِ: «إنْ كادَتْ لَتَسْبِقُنِي». ورَواهُ أَيْضًا أبو جُبَيْرةَ، فقالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «جِئْت أنا والسّاعةُ كَهاتَيْنِ، سَبَقْتُها كَما سَبَقَتْ هَذِهِ هَذِهِ في نَفَسٍ مِن السّاعةِ، أوْ في نَفَسِ السّاعةِ»، خَرّجَها[٤] الطّبَرِيُّ[٥] بِجَمِيعِ أسانِيدِها، وبَعْضُها في «الصّحِيحَيْنِ»، وفي بَعْضِها زِيادةٌ على بَعْضٍ.

---

(١) في (ف): «وذكر».

(٢) في (ف): «نتحدث».

(٣) «فتح الباري»، كتاب الطلاق (٩: ٣٤٩)، ومسلم: كتاب الفتن (٢٩٥٠)، و«مسند أحمد» (٥: ٣٤٨).

(٤) في (ف): «خرجه».

(٥) «تفسير الطبري» (١: ١٢).

وخالِدةُ بِنْتُ الحارِثِ قد ذكرَ إسْلامَها، وهِيَ[١] مِمّا أغْفَلَهُ أبو عُمَرَ في كتاب «الصحابة»[٢]، وقد استدركناها [عَلَيْهِ][٣] في جُمْلةِ الِاسْتِدْراكاتِ الّتِي ألْحَقْناها بِكِتابِهِ[٤].

حَدِيثُ مُخَيْرِيقٍ

[إسْلامُهُ ومَوْتُهُ ووَصاتُهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ مِنْ حَدِيثِ مُخَيْرِيقٍ، وكانَ حَبْرًا عالِمًا، وكانَ رَجُلًا غَنِيًّا كَثِيرَ الأمْوالِ مِنَ النَّخْلِ، وكانَ يَعْرِفُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِصِفَتِهِ، وما يَجِدُ في عِلْمِهِ، وغَلَبَ عَلَيْهِ إلْفُ دِينِهِ، فلَمْ يَزَلْ على ذلك، حَتّى إذا كانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وكانَ يَوْمُ أُحُدٍ يَوْمَ السَّبْتِ، قالَ: يا مَعْشَرَ يَهُودَ، واللهِ إنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أنَّ نَصْرَ مُحَمَّدٍ عَلَيْكُمْ لَحَقٌّ. قالُوا: إنَّ اليَوْمَ يَوْمُ السَّبْتِ، قالَ: لا سَبْتَ لَكُمْ.

ثُمَّ أخَذَ سِلاحَهُ، فخَرَجَ حَتّى أتى رَسُولَ اللهِ ﷺ بِأُحُدٍ، وعَهِدَ إلى مَنْ وراءَهُ مِنْ قَوْمِهِ: إنْ قُتِلْتُ هذا اليَوْمَ، فأمْوالِي لِمُحَمَّدٍ ﷺ يَصْنَعُ فيها ما أراهُ اللهُ. فلَمّا اقْتَتَلَ النّاسُ قاتَلَ حَتّى قُتِلَ، فكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فيما بَلَغَنِي يَقُولُ: «مُخَيْرِيقٌ خَيْرُ يهودَ». وقَبَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أمْوالَهُ، فعامّةُ صَدَقاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالمَدِينةِ مِنْها.

---

(١) في (ف): «وهو».

(٢) في (أ)، (ب): «في كتابه»؛ يعني: كتابه «الاستيعاب في معرفة الأصحاب».

(٣) عن (أ)، (ب).

(٤) انظر: «أسد الغابة» (٧: ٧٨) بتحقيقنا.

شَهادةٌ عَنْ صَفيةَ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني عَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَمْرِو ابنِ حَزْمٍ، قالَ: حُدِّثْتُ عَنْ صَفيةَ بِنْتِ حُيَيِّ بنِ أخْطَبَ أنَّها قالَتْ: كُنْتُ أحَبَّ ولَدِ أبي إلَيْهِ، وإلى عَمِّي أبي ياسِرٍ، لَمْ ألْقَهُما قَطُّ مَعَ ولَدٍ لَهُما إلّا أخَذاني دُونَهُ. قالَتْ: فَلَمّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ المَدينةَ، ونَزَلَ قُباءً، في بَني عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، غَدا عَلَيْهِ أبي حُيَيُّ بنُ أخْطَبَ، وعَمِّي أبو ياسِرِ بنُ أخْطَبَ، مُغَلِّسَيْنِ. قالَتْ: فلَمْ يَرْجِعا حَتّى كانا مَعَ غُرُوبِ الشَّمْسِ. قالَتْ: فأتَيا كالَّيْنِ كَسْلانَيْنِ ساقِطَيْنِ يَمْشِيانِ الهُوَيْنى. قالَتْ: فهَشِشْتُ إلَيْهِما كَما كنتُ أصنعُ، فوالله ما التَفَتَ إلَيَّ واحِدٌ مِنْهُما، مَعَ ما بِهِما مِنَ الغَمِّ. قالَتْ: وسَمِعْتُ عَمِّي أبا ياسِرٍ وهُوَ يَقُولُ لِأبي حُيَيِّ بنِ أخْطَبَ: أهُوَ هُوَ؟ قالَ: نَعَمْ واللهِ، قالَ: أتَعْرِفُهُ وتُثْبِتُهُ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: فما في نَفْسِكَ مِنْهُ؟ قالَ: عَداوَتُهُ واللهِ ما بَقِيتُ.

مَنِ اجْتَمَعَ إلى يَهُودَ مِنْ مُنافِقِي الأنْصارِ

[مِنْ بَني عَمْرٍو]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ مِمَّنِ انْضافَ إلى يَهُودَ، مِمَّنْ سُمِّيَ لَنا مِنَ المُنافِقِينَ مِنَ الأوْسِ والخَزْرَجِ، والله أعْلَمُ، مِنَ الأوْسِ، ثُمَّ مِنْ بَني عَمْرِو ابنِ عَوْفِ بنِ مالِكِ بنِ الأوْسِ، ثُمَّ مِنْ بَني لَوْذانَ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفٍ: زُوَيُّ ابنُ الحارِثِ.

[من بني حبيب]

وَمِن بني حبيبِ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفٍ: جُلاسُ بنُ سُوَيْدِ بنِ الصّامِتِ، وأخوهُ الحارِثُ بنُ سُوَيْدٍ.

[شَيْءٌ عَنْ جُلاسَ]

وَجُلاسُ الَّذي قالَ ـ وكانَ مِمَّنْ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ في غَزْوَةِ تَبُوكَ ـ: لَئِنْ كانَ هذا الرَّجُلُ صادِقًا لَنَحْنُ شَرٌّ مِنَ الحُمُرِ. فرَفَعَ ذلك مِنْ قَوْلِهِ إلى رَسُولِ الله ﷺ عُمَيْرُ بنُ سَعْدٍ، أحَدُهُمْ، وكانَ في حِجْرِ جُلاسَ، خَلَفَ جُلاسَ على أُمِّهِ بَعْدَ أبيهِ، فقالَ لَهُ عُمَيْرُ بنُ سَعْدٍ: والله يا جُلاسُ، إنَّكَ لَأحَبُّ النّاسِ إلَيَّ، وأحْسَنُهُمْ عِنْدِي يَدًا، وأعَزُّهُمْ عَلَيَّ أنْ يُصِيبَهُ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ، ولَقَدْ قُلْتَ مَقالَةً لَئِنْ رَفَعْتُها عَلَيْكَ لَأفْضَحَنَّكَ، ولَئِنْ صَمَتُّ عَلَيْها لَيَهْلِكَنَّ دِينِي، ولَإحْداهُما أيْسَرُ عَلَيَّ مِنَ الأُخْرى. ثُمَّ مَشى إلى رَسُولِ الله ﷺ، فذَكَرَ لَهُ ما قالَ جُلاسُ، فحَلَفَ جُلاسُ باللهِ لِرَسُولِ الله ﷺ: لَقَدْ كَذَبَ عَلَيَّ عُمَيْرٌ، وما قُلْتُ ما قالَ عُمَيْرُ بنُ سَعْدٍ. فأنْزَلَ الله عَزَّ وجَلَّ فيهِ: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [التوبة: ٧٤].

قالَ ابنُ هِشامٍ: الأليمُ: المُوجِعُ. قالَ ذُو الرُّمّةِ يَصِفُ إبِلًا:

وَتَرْفَعُ مِنْ صُدُورِ شَمَرْدَلاتٍ   يَصُكُّ وُجُوهَها وهَجٌ ألِيمُ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فزَعَموا أنَّهُ تابَ فحَسُنَتْ تَوْبَتُهُ، حَتّى عُرِفَ مِنْهُ الخَيْرُ والإسْلامُ.

[شَيْءٌ عَنِ الحارِثِ بنِ سُوَيْدٍ]

وَأخُوهُ الحارِثُ بنُ سُوَيْدٍ، الَّذي قَتَلَ المُجَذَّرَ بنَ ذِيادٍ البَلَوِيَّ، وقَيْسَ ابنَ زَيْدٍ، أحَدَ بَني ضُبَيْعةَ، يَوْمَ أُحُدٍ، خَرَجَ مَعَ المُسْلِمِينَ، وكانَ مُنافِقًا، فلَمّا التَقى النّاسُ عَدا عَلَيْهِما، فقَتَلَهُما ثُمَّ لَحِقَ بِقُرَيْشٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وكانَ المُجَذَّرُ بنُ ذِيادٍ قَتَلَ سُوَيْدَ بنَ صامِتٍ في بَعْضِ الحُرُوبِ الَّتِي كانَتْ بَيْنَ الأوْسِ والخَزْرَجِ، فلَمّا كانَ يَوْمُ أُحُدٍ طَلَبَ الحارِثُ ابنُ سُوَيْدٍ غِرّةَ المُجَذَّرِ بنِ ذِيادٍ، لِيَقْتُلَهُ بِأبيهِ، فقَتَلَهُ وحْدَهُ، وسَمِعْتُ غَيْرَ واحِدٍ مِنْ أهْلِ العِلْمِ يَقُولُ: والدَّلِيلُ على أنَّهُ لَمْ يَقْتُلْ قَيْسَ بنَ زَيْدٍ: أنَّ ابنَ إسْحاقَ لَمْ يَذْكُرْهُ في قَتْلى أُحُدٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ، قَتَلَ سُوَيْدَ بنَ صامِتٍ مُعاذُ بنُ عَفْراءَ غِيلةً، في غَيْرِ حَرْبٍ، رَماهُ بِسَهْمٍ فقَتَلَهُ قَبْلَ يَوْمِ بُعاثَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ رَسُولُ الله ﷺ فيما يَذْكُرُونَ قَدْ أمَرَ عُمَرَ بنَ الخَطّابِ بِقَتْلِهِ إنْ هُوَ ظَفِرَ بِهِ، ففاتَهُ، فكانَ بِمَكّةَ، ثُمَّ بَعَثَ إلى أخِيهِ جُلاسَ يَطْلُبُ التَّوْبَةَ، لِيَرْجِعَ إلى قَوْمِهِ، فأنْزَلَ الله تَبارَكَ وتَعالى فيهِ فيما بَلَغَني عَنِ ابنِ عَبّاسٍ: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٦] إلى آخِرِ القِصّةِ.

[مِنْ بَنِي ضُبَيْعَةَ]

وَمِنْ بَنِي ضُبَيْعَةَ بنِ زَيْدِ بنِ مالِكِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفٍ: بِجادُ ابنُ عُثْمانَ بنِ عامِرٍ.

[مِنْ بَنِي لَوْذانَ]

وَمِنْ بَنِي لَوْذانَ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفٍ: نَبْتَلُ بنُ الحارِثِ، وهُوَ الَّذي قالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ فيما بَلَغَني: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إلى الشَّيْطانِ، فلْيَنْظُرْ إلى نَبْتَلِ بنِ الحارِثِ»، وكانَ رَجُلًا جَسِيمًا أَذْلَمَ ثائِرَ شَعْرِ الرَّأْسِ أَحْمَرَ العَيْنَيْنِ أَسْفَعَ الخَدَّيْنِ، وكانَ يَأْتِي رَسُولَ الله ﷺ يَتَحَدَّثُ إلَيْهِ فيسْمَعُ مِنْهُ، ثُمَّ يَنْقُلُ حَدِيثَهُ إلى المُنافِقِينَ، وهُوَ الَّذي قالَ: إنَّما مُحَمَّدٌ أُذُنٌ، مَنْ حَدَّثَهُ شَيْئًا صَدَّقَهُ. فأَنْزَلَ الله عَزَّ وجَلَّ فيهِ: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١].

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي بَعْضُ رِجالِ بَلْعَجْلانَ أَنَّهُ حُدِّثَ: أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَتى رَسُولَ الله ﷺ فقالَ لَهُ: إنَّهُ يَجْلِسُ إلَيْكَ رَجُلٌ أَذْلَمُ، ثائِرُ شَعْرِ الرَّأْسِ، أَسْفَعُ الخَدَّيْنِ، أَحْمَرُ العَيْنَيْنِ، كَأَنَّهُما قِدْرانِ مِنْ صُفْرٍ، كَبِدُهُ أَغْلَظُ مِنْ كَبِدِ الحِمارِ، يَنْقُلُ حَدِيثَكَ إلى المُنافِقِينَ، فاحْذَرْهُ. وكانَتْ تِلْكَ صِفَةَ نَبْتَلِ بنِ الحارِثِ، فيما يَذْكُرُونَ.

[مِنْ بَنِي ضُبَيْعَةَ]

وَمِنْ بَنِي ضُبَيْعَةَ: أبو حَبِيبَةَ بنُ الأَزْعَرِ، وكانَ مِمَّنْ بَنى مَسْجِدَ الضِّرارِ،

وثَعْلَبَةُ بنُ حاطِبٍ، ومُعَتِّبُ بنُ قُشَيْرٍ، وهُما اللَّذانِ عاهَدا اللهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ ولَنَكُونَنَّ مِنَ الصّالِحِينَ، إلَخ القِصّةِ. ومُعَتِّبٌ الَّذي قالَ يَوْمَ أُحُدٍ: لَوْ كانَ لَنا مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنا ههُنا. فأنْزَلَ اللهُ تَعالى في ذلك مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤] إلى آخِرِ القِصّةِ.

وهُوَ الَّذي قالَ يَوْمَ الأحْزابِ: كانَ مُحَمَّدٌ يَعِدُنا أنْ نأْكُلَ كُنُوزَ كِسْرى وقَيْصَرَ، وأحَدُنا لا يَأْمَنُ أنْ يَذْهَبَ إلى الغائِطِ. فأنْزَلَ الله عَزَّ وجَلَّ فيهِ: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]، والحارِثُ بنُ حاطِبٍ.

[مُعَتِّبٌ وابنا حاطِبٍ بَدْرِيُّونَ ولَيْسُوا مُنافِقِينَ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: مُعَتِّبُ بنُ قُشَيْرٍ، وثَعْلَبَةُ والحارِثُ ابنا حاطِبٍ، وهُمْ مِنْ بَنِي أُمَيّةَ بنِ زَيْدٍ، مِنْ أهْلِ بَدْرٍ، ولَيْسُوا مِنَ المُنافِقِينَ فيما ذَكَرَ لِي مَنْ أثِقُ بِهِ مِنْ أهْلِ العِلْمِ، وقَدْ نَسَبَ ابنُ إسْحاقَ ثَعْلَبَةَ والحارِثَ في بَنِي أُمَيّةَ ابنِ زَيْدٍ في أسْماءِ أهْلِ بَدْرٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعَبّادُ بنُ حُنَيْفٍ، أخُو سَهْلِ بنِ حُنَيْفٍ، وبَحْزَجُ، وهُمْ مِمَّنْ كانَ بَنى مَسْجِدَ الضِّرارِ، وعَمْرُو بنُ خِذامٍ، وعَبْدُ اللهِ بنُ نَبْتَلٍ.

[مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ]

وَمِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفٍ: جارِيَةُ بنُ عامِرِ بنِ العَطّافِ، وابناهُ: زَيْدٌ ومُجَمِّعٌ، ابنا جارِيَةَ، وهُمْ مِمَّنِ اتَّخَذَ مَسْجِدَ الضِّرارِ، وكانَ مُجَمِّعٌ

غُلامًا حَدَثًا قَدْ جَمَعَ مِنَ القُرْآنِ أكْثَرَهُ، وكانَ يُصَلِّي بِهِمْ فيهِ، ثُمَّ إنَّهُ لَمّا أُخْرِبَ المَسْجِدُ، وذَهَبَ رِجالٌ مِنْ بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، كانُوا يُصَلُّونَ بِبَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ في مَسْجِدِهِمْ، وكانَ زَمانُ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ، كُلِّمَ في مُجَمِّعٍ لِيُصَلِّيَ بِهِمْ، فقالَ: لا، أوَلَيْسَ بِإمامِ المُنافِقِينَ في مَسْجِدِ الضِّرارِ؟ فقالَ لِعُمَرَ: يا أمِيرَ المُؤْمِنِينَ، واللهِ الَّذي لا إلَهَ إلّا هُوَ، ما عَلِمْتُ بِشَيْءٍ مِنْ أمْرِهِمْ، ولَكِنِّي كُنْتُ غُلامًا قارِئًا لِلْقُرْآنِ، وكانُوا لا قُرْآنَ مَعَهُمْ، فقَدَّمُونِي أُصَلِّي بِهِمْ، وما أرى أمْرَهُمْ إلّا على أحْسَنِ ما ذَكَرُوا. فَزَعَمُوا أنَّ عُمَرَ تَرَكَهُ فصَلّى بِقَوْمِهِ.

[مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ]

وَمِنْ بَنِي أُمَيَّةَ بنِ زَيْدِ بنِ مالِكٍ: ودِيعةُ بنُ ثابِتٍ، وهُوَ مِمَّنْ بَنى مَسْجِدَ الضِّرارِ، وهُوَ الَّذي قالَ: إنَّما كُنّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ. فأنْزَلَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [التوبة: ٦٥] إلى آخِرِ القِصَّةِ.

[مِنْ بَنِي عُبَيْدٍ]

وَمِنْ بَنِي عُبَيْدِ بنِ زَيْدِ بنِ مالِكٍ: خِذامُ بنُ خالِدٍ، وهُوَ الَّذي أُخْرِجَ مَسْجِدُ الضِّرارِ مِنْ دارِهِ، وبِشْرٌ ورافِعٌ ابنا زَيْدٍ.

[مِنْ بَنِي النَّبِيتِ]

وَمِنْ بَنِي النَّبِيتِ قالَ ابنُ هِشامٍ: النَّبِيتُ: عَمْرُو بنُ مالِكِ بنِ الأوْسِ، قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ مِنْ بَنِي حارِثَةَ بنِ الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ عَمْرِو بنِ

مالِكِ بنِ الأوْسِ: مِرْبَعُ بنُ قَيْظِيٍّ، وهُوَ الَّذي قالَ لِرَسُولِ الله ﷺ حَيْنَ أجازَ في حائِطِهِ ورَسُولُ الله ﷺ عامِدٌ إلى أُحُدٍ: لا أُحِلُّ لَكَ يا مُحَمَّدُ، إنْ كُنْتَ نَبِيًّا، أنْ تَمُرَّ في حائِطِي، وأخَذَ في يَدِهِ حَفْنَةً مِنْ تُرابٍ، ثُمَّ قالَ: والله لَوْ أعْلَمُ أنِّي لا أُصِيبُ بِهذا التُّرابِ غَيْرَكَ لَرَمَيْتُكَ بِهِ. فابْتَدَرَهُ القَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «دَعُوهُ، فَهَذا الأعْمى، أعْمى القَلْبِ، أعْمى البَصِيرَةِ». فضَرَبَهُ سَعْدُ بنُ زَيْدٍ، أخُو بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ بِالقَوْسِ فشَجَّهُ، وأخُوهُ أوْسُ بنُ قَيْظِيٍّ، وهُوَ الَّذي قالَ لِرَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ الخَنْدَقِ: يا رَسُولَ الله: إنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ، فأْذَنْ لَنا فلْنَرْجِعْ إلَيْها. فأنْزَلَ اللهُ تَعالى فيهِ: ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣].

قالَ ابنُ هِشامٍ: عَوْرَةٌ؛ أيْ: مُعْوِرَةٌ لِلْعَدُوِّ وضائِعَةٌ، وجَمْعُها: عَوْراتٌ.

قالَ النّابِغَةُ الذُّبْيانِيُّ:

مَتى تَلْقَهُمْ لا تَلْقَ لِلْبَيْتِ عَوْرَةً ولا الجارَ مَحْرُومًا ولا الأمْرَ ضائِعا

وَهذا البَيْتُ في أبْياتٍ لَهُ. والعَوْرَةُ أيْضًا: عَوْرَةُ الرَّجُلِ، وهِيَ حُرْمَتُهُ. والعَوْرَةُ أيْضًا: السَّوْأةُ.

[مِنْ بَنِي ظَفَرٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي ظَفَرٍ ـ واسْمُ ظَفَرٍ: كَعْبُ بنُ الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ ـ: حاطِبُ بنُ أُمَيَّةَ بنِ رافِعٍ، وكانَ شَيْخًا جَسِيمًا قَدْ عَسا في جاهِلِيَّتِهِ وكانَ لَهُ ابنٌ مِنْ خِيارِ المُسْلِمِينَ، يُقالُ لَهُ: يَزِيدُ بنُ حاطِبٍ أُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ حَتّى أثْبَتَتْهُ الجِراحاتُ، فحُمِلَ إلى دارِ بَنِي ظَفَرٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ، أَنَّهُ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مَنْ بِها مِنْ رِجالِ المُسْلِمِينَ ونِسائِهِمْ وهُوَ بِالمَوْتِ، فجَعَلُوا يَقُولُونَ: أَبْشِرْ يا ابن حاطِبٍ بِالجَنّةِ. قالَ فنَجَمَ نِفاقُهُ حِينَئِذٍ، فجَعَلَ يَقُولُ أبوهُ: أَجَلْ جَنّةٌ واللهِ مِنْ حَرْمَلٍ، غَرَرْتُمْ واللهِ هذا المِسْكِينَ مِنْ نَفْسِهِ.

وذكرَ حَدِيثَ مُخَيْرِيقٍ، وقالَ فيهِ: مُخَيْرِيقٌ خَيْرُ يَهُودَ، ومُخَيْرِيقٌ مُسْلِمٌ، ولا يَجُوزُ أَنْ يُقالَ في مُسْلِمٍ: هُو خَيْرُ النّصارى، ولا خَيْرُ اليَهُودِ؛ لِأنّ «أَفْعَلَ مِنْ كَذا» إذا أُضِيفَ فهُو بَعْضُ ما أُضِيفَ إلَيْهِ.

فإنْ قِيلَ: فكيفَ جازَ هذا؟ قلنا: لِأَنّهُ قالَ: خَيْرُ يَهُودَ، ولَمْ يَقُلْ: خَيْرُ اليَهُودِ، ويَهُودُ اسْمُ عَلَمٍ كَثَمُودَ، يُقالُ: إنّهُمْ نسبوا إلى يهوذ[1] بنِ يَعْقُوبَ، ثُمّ عُرِّبَت الذّالُ دالًا، فإذا قُلْت: اليَهُودُ بِالألِفِ واللّامِ، احْتَمَلَ وجْهَيْنِ: النّسَبَ، والدِّينَ الّذِي هُو اليَهُودِيّةُ، أمّا النّسَبُ فعلى حَدِّ قَوْلِهِم: التّيْمُ في التّيْمِيِّينَ، وأمّا الدِّينُ فعلى حَدِّ قَوْلِك: النّصارى والمَجُوسُ؛ أعْنِي: أنّها صِفةٌ، لا [أنّها][2] نَسَبٌ إلى أبٍ. وفي القُرْآنِ لَفْظٌ ثالِثٌ، لا يُتَصَوّرُ فيهِ إلّا مَعْنًى واحِدٌ، وهُو الدِّينُ دُونَ النّسَبِ، وهُو قَوْلُهُ سُبْحانَهُ: وقالُوا: ﴿كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾ [البقرة: ١٣٥]، بِحَذْفِ الياءِ، ولَمْ يَقُلْ: كُونُوا يَهُودَ؛ لِأَنّهُ أرادَ التّهَوُّدَ، وهُو التّدَيُّنُ بِدِينِهِمْ، ولَوْ قالَ: كُونُوا يَهُودًا بِالتّنوِينِ، لَجازَ أَيْضًا على أَحَدِ الوجْهَيْنِ المُتَقَدِّمَيْنِ[3]، ولَوْ قِيلَ لِقَوْمٍ مِن العَرَبِ: كُونُوا يَهُودَ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ، لَكانَ

(١) في (أ)، (ف): «يهوذا».
(٢) عن (ص)، (ج).
(٣) بعده في (ف): «قبل».

مُحالًا؛ لِأنّ تَبْدِيلَ النّسَبِ حَقِيقةً مُحالٌ، [وقد قِيلَ في[١] هُودٍ: جَمْعُ هائِدٍ، وهُو في مَعْنى ما قُلْناهُ][٢]، فلْتَعْرِفِ الفَرْقَ بَيْنَ قَوْلِك هُودًا بغَيْرِ ياءٍ، ويَهُودًا بالياءِ والتّنْوِينِ، ويَهُودَ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ؛ فإنّها تَفْرِقةٌ حَسَنةٌ صَحِيحةٌ، واللهُ أعْلَمُ.

ولَمْ يُسْلِمْ مِنْ أحْبارِ يَهُودَ على عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلا اثْنانِ، وقد جاءَ في الحَدِيثِ: «لَوِ اتّبَعَنِي عَشَرةٌ مِن اليَهُودِ، لَمْ يَبْقَ على الأرْضِ يَهُودِيٌّ إلّا اتّبَعَنِي»[٣]، رَواهُ أبو هُرَيْرةَ. وسَمِعَ كعب الأحبار أبا هُرَيْرةَ يُحَدِّثُ به، فقالَ لَهُ: إنّما الحَدِيثُ: اثْنا عَشَرَ مِن اليَهُودِ، ومِصْداقُ ذَلِكَ في القرآن: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢]، فسَكَتَ أبو هُرَيْرةَ. قالَ ابنُ سِيرِينَ: أبو هُرَيْرةَ أصْدَقُ مِنْ كَعْبٍ. قالَ يَحْيى بنُ سَلّامٍ: كِلاهُما صَدَقَ؛ لِأنّ النبيَّ ﷺ إنّما أرادَ: لَوِ اتّبَعَنِي عَشَرةٌ مِن اليَهُودِ بَعْدَ هَذَيْنِ اللّذَيْنِ قد أسلما.

فَصْلٌ

وذَكرَ نَبْتَلًا مِن المُنافِقِينَ، قالَ: وكانَ أدْلَمَ، والأدْلَمُ: الأسْودُ الطّوِيلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وقِيلَ لِجَماعةِ النّمْلِ: دَيْلَمٌ؛ لِسَوادِهِمْ. مِنْ كِتابِ «العَيْنِ»[٤].

وذكرَ الحارِثَ بنَ سُوَيْدٍ، وقَتْلَهُ لِلْمُجَذَّرِ بنِ ذِيادٍ، واسْمُ المُجَذِّرِ: عَبْدُ اللهِ، والمُجَذَّرُ: الغَلِيظُ الخَلْقِ.

وذكرَ أنّ اللهَ تَعالى أنْزَلَ في الحارِثِ بنِ سُوَيْدٍ وارْتِدادِهِ: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ

---

(١) «في» ليست في (ف).

(٢) عن (أ)، (ب).

(٣) «فتح الباري»، كتاب مناقب الأنصار: (٧: ٢٧٤). وانظر: ما تعقب به صاحب «فتح الباري» على السهيلي: (٧: ٢٧٥-٢٧٦).

(٤) انظر: «مختصر العين» للزبيدي: (٢: ٣٠٤-٣٠٥).

قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾ [آل عمران: ٨٦]، فقِيلَ: إنَّ هَذِهِ الآيَةَ مَقْصُورةٌ على سَبَبِها، مَخْصُوصةٌ بِمَنْ سَبَقَ في عِلْمِ اللهِ أنَّهُ لا يَهْدِيهِ مِنْ كُفْرِهِ، ولا يَتُوبُ عَلَيْهِ مِنْ ظُلْمِهِ، وإلّا فالتَّوْبةُ مَعرُوضةٌ، وقد تابَ قَوْمٌ بَعْدَ ارْتِدادِهِمْ، فقُبِلَتْ تَوْبَتُهُمْ.

وقِيلَ: لَيْسَ فيها نَفيٌ لِقَبُولِ التَّوْبةِ؛ فإنّهُ قالَ: كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قومًا، ولَمْ يَقُلْ: لا يَهْدِي اللهُ، على أنّهُ قد قالَ في آخِرِها: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٦]، وذَلِكَ يَرْجِعُ إلى الخُصُوصِ كَما قَدّمْنا، أوْ إلى مَعْنى: الهِدايةِ في الظُّلْمةِ الّتِي عِنْدَ الصِّراط بالنُّورِ التّامِّ يوم القيامة؛ فإنّ ذلكَ مُنتَفٍ عَمّنْ ماتَ غَيْرَ تائِبٍ مِنْ كُفْرِهِ وظُلْمِهِ. واللهُ أعْلَمُ.

* * *

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وبُشَيْرُ بنُ أُبَيْرِقٍ، وهُوَ أبو طُعْمةَ، سارِقُ الدِّرْعَيْنِ، الَّذي أنْزَلَ اللهُ تَعالى فيهِ: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ﴾ [النساء: ١٠٧]، وقُزْمانُ: حَلِيفٌ لَهُمْ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كانَ يَقُولُ: «إنَّهُ لَمِنْ أهْلِ النّارِ». فلَمّا كانَ يَوْمُ أُحُدٍ قاتَلَ قِتالًا شَدِيدًا حَتّى قَتَلَ بِضْعةَ نَفَرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، فأثْبَتَتْهُ الجِراحاتُ، فحُمِلَ إلى دارِ بَنِي ظَفَرٍ، فقالَ لَهُ رِجالٌ مِنَ المُسْلِمِينَ: أبْشِرْ يا قُزْمانُ، فقَدْ أبْلَيْتَ اليَوْمَ، وقَدْ أصابَكَ ما تَرى في اللهِ. قالَ: بِماذا أُبَشَّرُ؟ فواللهِ ما قاتَلْتُ إلّا حَمِيّةً عَنْ قَوْمِي، فلَمّا اشْتَدَّتْ بِهِ جِراحاتُهُ وآذَتْهُ أخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنانَتِهِ، فقَطَعَ بِهِ رَواهِشَ يَدِهِ، فقَتَلَ نَفْسَهُ.

[مِنْ بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمْ يَكُنْ في بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ مُنافِقٌ ولا مُنافِقةٌ يُعْلَمُ، إلّا أنَّ الضَّحّاكَ بنَ ثابِتٍ، أحَدَ بَنِي كَعْبٍ، رَهْطِ سَعْدِ بنِ زَيْدٍ، قَدْ كانَ يُتَّهَمُ بِالنِّفاقِ وحُبِّ يَهُودَ.

قالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ:

مَنْ مُبْلِغُ الضَّحّـاكِ أنَّ عُرُوقَهُ ... أعْيَتْ على الإسْلامِ أنْ تَتَمَجَّدا؟
أتُحِبُّ يُهْدانَ الحِجـازِ ودِينَهُمْ ... كِبْدَ الحِمـارِ، ولا تُحِبُّ مُحَمَّدا؟
دِينًا لَعَمْـرِي لا يُوافِـقُ دِينَنا ... ما اسْـتَنَّ آلٌ في الفَضاءِ وخَوَّدا

وَكانَ جُلاسُ بنُ سُوَيْدِ بنِ صامِتٍ قَبْلَ تَوْبَتِهِ فيما بَلَغَني ومُعَتِّبُ ابن قُشَيْرٍ، ورافِعُ بنُ زَيْدٍ، وبِشْرٌ، وكانُوا يُدْعَوْنَ بِالإسْلامِ، فدَعاهُمْ رِجالٌ مِنَ المُسْلِمِينَ في خُصُومةٍ كانَتْ بَيْنَهُمْ إلى رَسُولِ الله ﷺ، فدَعَوْهُمْ إلى الكُهّانِ، حُكّامِ أهْلِ الجاهِلِيّةِ، فأنْزَلَ الله عَزَّ وجَلَّ فيهِمْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]. إلى آخِرِ القِصّةِ.

[مِنَ الخَزْرَجِ]

وَمِنَ الخَزْرَجِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي النَّجّارِ: رافِعُ بنُ ودِيعةَ، وزَيْدُ بنُ عَمْرٍو، وعَمْرُو بنُ قَيْسٍ، وقَيْسُ بنُ عَمْرِو بنِ سَهْلٍ.

[مِنْ بَنِي جُشَمَ]

وَمِنْ بَنِي جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي سَلِمةَ: الجَدُّ بنُ قَيْسٍ، وهُوَ الَّذي يَقُولُ: يا مُحَمَّدُ، ائْذَنْ لِي، ولا تَفْتِنِّي. فأنْزَلَ اللهُ تَعالى فيهِ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩] إلى آخِرِ القِصّةِ.

[مِنْ بَنِي عَوْفٍ]

وَمِنْ بَنِي عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ: عَبْدُ الله بنُ أُبَيِّ بنِ سَلُولٍ، وكانَ رَأْسَ المُنافِقِينَ وإلَيْهِ يَجْتَمِعُونَ، وهُوَ الَّذي قالَ: لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ في غَزْوةِ بَنِي المُصْطَلِقِ. وفي قَوْلِهِ ذلك، نَزَلَتْ سُورةُ المُنافِقِينَ بِأسْرِها، وفيهِ وفي ودِيعةَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَوْفٍ ومالِكِ بنِ أبي قَوْقَلَ،

وسُوَيْدٍ، وداعِسٍ، وهُمْ مِنْ رَهْطِ عَبْدِ الله بنِ أُبَيِّ بنِ سَلُولٍ، وعَبْدِ الله بنِ أُبَيِّ بنِ سَلُولَ. فهَؤُلاءِ النَّفَرُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذينَ كانُوا يَدُسُّونَ إلى بَنِي النَّضِيرِ حَيْنَ حاصَرَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: أن اثبتوا، فوالله لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ، ولا نُطِيعُ فيكُمْ أحَدًا أبدًا، وإنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ. فأنْزَلَ الله تَعالى فيهِمْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الحشر: ١١]، ثُمَّ القِصَّةُ مِنَ السُّورةِ حَتّى انْتَهى إلى قَوْلِهِ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦].

مَنْ أسْلَمَ مِنْ أحْبارِ يَهُودَ نِفاقًا

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ مِمَّنْ تَعَوَّذَ بِالإسْلامِ، ودَخَلَ فيهِ مَعَ المُسْلِمِينَ وأظْهَرَهُ وهُوَ مُنافِقٌ، مِنْ أحْبارِ يَهُودَ.

[مِنْ بَنِي قَيْنُقاعَ]

مِنْ بَنِي قَيْنُقاعَ: سَعْدُ بنُ حُنَيْفٍ، وزَيْدُ بنُ اللُّصَيْتِ، ونُعْمانُ بنُ أوْفى ابنِ عَمْرٍو، وعُثْمانُ بنُ أوْفى. وزَيْدُ بنُ اللُّصَيْتِ، الَّذي قاتَلَ عُمَرَ بنَ الخَطّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ بِسُوقِ بَنِي قَيْنُقاعَ، وهُوَ الَّذي قالَ حَيْنَ ضَلَّتْ ناقةُ رَسُولِ الله ﷺ: يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أنَّهُ يَأْتِيهِ خَبَرُ السَّماءِ وهُوَ لا يَدْرِي أيْنَ ناقَتُهُ! فقالَ رَسُولُ الله ﷺ، وجاءَهُ الخَبَرُ بما قالَ عَدُوُّ الله في رَحْلِهِ، ودَلَّ الله تَبارَكَ وتَعالى رَسُولَهُ ﷺ على ناقَتِهِ «إنَّ قائِلًا قالَ: يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أنَّهُ يَأْتِيهِ خَبَرُ السَّماءِ،

ولا يَدْرِي أيْنَ ناقَتُهُ! وإنِّي واللهِ ما أعْلَمُ إلّا ما عَلَّمَنِي اللهُ، وقَدْ دَلَّنِي اللهُ عَلَيْها، فهِيَ في هذا الشِّعْبِ، قَدْ حَبَسَتْها شَجَرةٌ بِزِمامِها»، فذَهَبَ رِجالٌ مِنَ المُسْلِمِينَ، فوَجَدُوها حَيْثُ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وكَما وصَفَ.

ورافِعُ بنُ حُرَيْمِلةَ، وهُوَ الَّذي قالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ فيما بَلَغَنا حَيْنَ ماتَ: «قَدْ ماتَ اليَوْمَ عَظِيمٌ مِنْ عُظَماءِ المُنافِقِينَ».

ورِفاعةُ بنُ زَيْدِ بنِ التّابُوتِ، وهُوَ الَّذي قالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَيْنَ هَبَّتْ عَلَيْهِ الرِّيحُ، وهُوَ قافِلٌ مِنْ غَزْوةِ بَنِي المُصْطَلِقِ، فاشْتَدَّتْ عَلَيْهِ حَتّى أشْفَقَ المُسْلِمُونَ مِنْها، فقالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَخافُوا، فإنَّما هَبَّتْ لِمَوْتِ عَظِيمٍ مِنْ عُظَماءِ الكُفّارِ». فلَمّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينةَ وجَدَ رِفاعةَ ابنَ زَيْدِ بنِ التّابُوتِ ماتَ ذلك اليَوْمَ الَّذي هَبَّتْ فيهِ الرِّيحُ. وسِلْسِلةُ بنُ بَرْهامٍ، وكِنانةُ بنُ صُورِيّا.

ذِكْرُ حَدِيثِ بَشِيرِ بنِ أُبَيْرِقٍ سارِقِ الدِّرْعَيْنِ

وذكَرَ أنَّ اللهَ تعالى أنْزَلَ فيهِ: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ الآيةَ [النساء: ١٠٧]، وكانَ مِنْ قِصّةِ الدِّرْعَيْنِ وقِصّةِ بَشِيرٍ: أنَّ بَنِي أُبَيْرِقٍ ـ وهُمْ ثَلاثةٌ: بِشْرٌ ومُبَشِّرٌ وبُشَيرٌ ـ نَقَبُوا مَشْرُبةً[1]، أوْ نَقَبَها بَشِيرٌ وحْدَهُ على ما قالَ ابنُ إسْحاقَ، وكانَتِ المَشْرُبةُ لِرِفاعةَ بنِ زَيْدٍ، وسَرَقُوا أدْراعًا لَهُ، وطَعامًا، فعُثِرَ على ذَلِكَ، فجاءَ ابنُ أخِيهِ قَتادةُ بنُ النُّعمانِ يشكوهم إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فجاءَ أُسَيْدُ ابنُ عُرْوةَ بنِ أُبَيْرِقٍ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، إنَّ هَؤُلاءِ

---

(١) المشرُبة ـ بفتح الراء وضمِّها ـ: الغرفة.

عَمَدُوا إلى أَهْلِ بَيْتٍ هُمْ أَهْلُ صَلاحٍ ودِينٍ، فأَبَنُوهُمْ[١] بالسّرِقةِ، ورَمَوْهُمْ بِها مِنْ غَيْرِ بَيّنةٍ، وجَعَلَ يُجادِلُ عنهمْ حتّى غَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ على قَتادةَ ورفاعةَ، فأَنْزَلَ اللهُ تبارك وتَعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡ ﴾ الآيَةَ [النساء: ١٠٧]، وأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا ﴾ [النساء: ١١٢]، وكانَ البَرِيءُ الّذِي رَمَوْهُ بالسّرِقةِ لَبِيدَ بنَ سَهْلٍ[٢]، قالُوا: ما سَرَقْناهُ، وإنّما سَرَقَهُ لبيدُ بنُ سَهْلٍ[٣]، فبَرّأَهُ اللهُ تعالى، فلَمّا أَنْزَلَ اللهُ فيهِمْ ما أَنْزَلَ، هَرَبَ ابنُ أُبَيْرِقٍ [السّارِقُ][٤] إلى مَكّةَ، ونزلَ على سُلافةَ بِنْتِ سَعْدِ بنِ شُهَيدٍ[٥]، فقالَ فيها حَسّانُ بنُ ثابتٍ بَيْتًا، يُعَرِّضُ فيه بها، فقالَتْ: إنّما أَهْدَيْتَ لِي شِعْرَ حَسّانَ، وأَخَذَتْ رَحْلَهُ فطَرَحَتْهُ خارِجَ المَنْزِلِ، وقالَتْ: حَلَقْتُ وسَلَقْتُ وخَرَقْتُ[٦] إنْ بِتَّ في مَنْزِلِي لَيْلةً سَوْداءَ. فهَرَبَ إلى خَيْبَرَ، ثُمّ إنّهُ نَقَبَ بَيْتًا ذاتَ لَيْلةٍ، فسَقَطَ الحائِطُ عَلَيْهِ فماتَ.

ذكرَ هَذا الحَدِيثَ بِكَثِيرٍ من أَلفاظِهِ التِّرمذي، وذكره الكَشِّيُّ[٧] والطَّبَرِيُّ

---

(١) أي: رموهم وعابوهم.

(٢) في (ص): «سهيل». وانظر: ترجمة لبيد بن سهل في «أسد الغابة» (٤: ٥١٧).

(٣) في (ص): «سهيل».

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (أ)، (ف).

(٥) كذا في نسخنا، وفي «دلائل النبوة» (٣: ٣٢٨): «بن الشهيد». وفي «عارضة الأحوذي» (١١: ١٦٧): «ابن سمية». ومثله في «التعريف والإعلام» للسهيلي، و«تفسير ابن كثير» (٣: ١٠١٣).

(٦) تدعو على نفسها بذلك. روى مسلم في كتاب الإيمان: (١: ١٠٠): أن رسول الله ﷺ، قال: «أنا بريء ممّن حلقَ وسلقَ وخرق». والحالقة: هي التي تحلق شعرها عند المصيبة. والسالقة: التي ترفع صوتها عند المصيبة كذلك. والخارقة: التي تشقُّ ثوبها عند ذلك. من عادات الجاهلية.

(٧) هو أبو محمد عبد بن حميد بن نصر الكشّي ـ بفتح الكاف وتشديد الشّين ـ نسبة إلى كَشّ قرية على ثلاثة فراسخ من جرجان، من الثقات. روى عن عبد الرزاق، وعنه: مسلم =

بِأَلْفاظٍ مُخْتَلِفةٍ، وذكرَ قِصّةَ مَوْتِهِ يَحْيى بنُ سَلّامٍ في «تَفْسِيرِهِ» ووقَعَ اسْمُهُ في أَكْثَرِ التّفاسِيرِ: طُعْمةُ بنُ أُبَيْرِقٍ، وفي كُتُبِ الحَدِيثِ: بَشِيرُ بنُ أُبَيْرِقٍ، وقالَ ابنُ إسْحاقَ [في رِوايةِ يُونُسَ بنِ بُكَيْرٍ عنه][1]: بَشِيرٌ أبو طُعْمةَ، فلَيْسَ طُعْمةُ إذًا اسْمًا لَهُ، وإنّما هُو أبو طُعْمةَ، كَما ذكرَ ابنُ إسْحاقَ في هَذِهِ الرّوايةِ، واللهُ أعْلَمُ.

وفي رِوايةِ يُونُسَ أيْضًا: أنّ الحائِطَ الّذِي سقطَ عليهِ كانَ بالطّائفِ لا بخيبرَ، كَما قالَ ابنُ سَلّامٍ، وأنّ أهْلَ الطّائِفِ قالُوا حِينَئِذٍ: ما فارَقَ مُحَمَّدًا مِنْ أصْحابِهِ مَنْ فيهِ خَيْرٌ.

والأبْيات الّتِي رَمى بِها حَسّانُ المَرْأةَ، وهِيَ مِنْ بَنِي عَمْرِو بنِ عوف، وقد تقدَّم اسمُها[2]: [من الطويل]

وما سارِقُ الدِّرْعَيْنِ إنْ كُنْتُ ذاكِرًا[3] بِذِي[4] كَـرَمٍ مِن الرِّجـالِ أُوادِعُهْ
وقد أنزلَتْـهُ بِنْتُ سَـعْدٍ فأصبحَتْ يُنازِعُهـا جـارَ اسْـتِها وتُنازِعُـهْ
ظَنَنْتُمْ بِأنْ يَخْفَـى الّذِي قد صَنَعْتُمُ وفينـا نَبِيٌّ عِنْـدَهُ الوحْـيُ واضِعُهْ

وقَعَ هَذا البَيْتُ في «كِتابِ سِيبَوَيْهِ»[5]. وذكرَ الشّعْرَ والخَبَرَ بِطُولِهِ ابنُ إسْحاقَ في رِوايةِ يُونُسَ عنه.

* * *

= والترمذي، توفي سنة (٢٩٤هـ). «تهذيب التهذيب» (٦: ٤٥٥-٤٥٦).
(١) عن (ص)، (ج).
(٢) «ديوان حسان» (١: ١٣١)، وهي من أبيات سبعة.
(٣) في (ف): «صادقًا».
(٤) في (ف): «بني».
(٥) أي: البيت الثالث، وهو في «الكتاب» (٢: ٥١).

[طَرْدُ المُنافِقِينَ مِنْ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ]

وَكانَ هَؤُلاءِ المُنافِقُونَ يَحْضُرُونَ المَسْجِدَ فيسْتَمِعُونَ أحادِيثَ المُسلمين، وَيَسْخَرون ويَسْتَهْزِئون بِدِينِهِمْ، فاجْتَمَعَ يَوْمًا في المَسْجِدِ مِنْهُمْ ناسٌ، فرَآهُمْ رَسُولُ الله ﷺ يَتحَدَّثُونَ بَيْنَهُمْ، خافِضِي أصْواتِهِمْ، قَدْ لَصِقَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، فأمَرَ بِهِمْ رَسُولُ الله ﷺ فأُخْرِجُوا مِنَ المَسْجِدِ إخْراجًا عَنِيفًا، فقامَ أبو أيُّوبَ، خالِدُ بنُ زَيْدِ بنِ كُلَيْبٍ، إلى عُمرَ بنِ قَيْسٍ، أحَدِ بَنِي غَنْمِ بن مالِكِ ابنِ النَّجّارِ كانَ صاحِبَ آلِهَتِهِمْ في الجاهِلِيّةِ، فأخَذَ بِرِجْلِهِ فسَحَبَهُ حَتّى أخْرَجَهُ مِنَ المَسْجِدِ، وهُوَ يَقُولُ: أتُخْرِجُنِي يا أبا أيُّوبَ مِنْ مِرْبَدِ بَنِي ثَعْلَبَةَ، ثُمَّ أقْبَلَ أبو أيُّوبَ أيْضًا إلى رافِعِ بنِ وَدِيعَةَ، أحَدِ بَنِي النَّجّارِ فلَبَّبَهُ بِرِدائِهِ ثم نَتَرَهُ نَتْرًا شَدِيدًا، ولَطَمَ وجْهَهُ، ثُمَّ أخْرَجَهُ مِنَ المَسْجِدِ، وأبو أيُّوبَ يَقُولُ لَهُ: أُفٍّ لَكَ مُنافِقًا خَبِيثًا، أدْراجَكَ يا مُنافِقُ مِنْ مَسْجِدِ رَسُولِ الله ﷺ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: أي ارْجِعْ مِنَ الطَّرِيقِ الَّتِي جِئْتَ مِنْها. قالَ الشّاعِرُ:

فَــوَلّى وأدْبَــرَ أدْراجَــهُ ... وقَدْ باءَ بِالظُّلْمِ مَنْ كانَ ثَمّ

وَقامَ عُمارةُ بنُ حَزْمٍ إلى زَيْدِ بنِ عَمْرٍو، وكانَ رَجُلًا طَوِيلَ اللِّحْيةِ، فأخَذَ بِلِحْيَتِهِ فقادَهُ بِها قَوْدًا عَنِيفًا حَتّى أخْرَجَهُ مِنَ المَسْجِدِ، ثُمَّ جَمَعَ عُمارةُ يَدَيْهِ فلَدَمَهُ بِهِما في صَدْرِهِ لَدْمةً خَرَّ مِنْها. قالَ: يَقُولُ: خَدَشْتَنِي يا عُمارةُ، قالَ: أبْعَدَكَ اللهُ يا مُنافِقُ، فما أعَدَّ اللهُ لَكَ مِنَ العَذابِ أشَدُّ مِنْ ذلك، فلا تَقْرَبَنَّ مَسْجِدَ رَسُولِ الله ﷺ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: اللَّدْمُ: الضَّرْبُ بِبَطْنِ الكَفِّ. قالَ تَمِيمُ بنُ أُبَيِّ بنِ مُقْبِلٍ:

وَلِلْفُـؤادِ وجِيبٌ تَحْـتَ أبْهَرِهِ لَدْمَ الوَلِيدِ وراءَ الغَيْبِ بِالحَجَرِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: الغَيْبُ: ما انْخَفَضَ مِنَ الأرْضِ. والأبْهَرُ: عِرْقُ القَلْبِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقامَ أبو مُحَمَّدٍ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّجّارِ، كانَ بَدْرِيًّا، وأبو مُحَمَّدٍ مَسْعُودُ بنُ أوْسِ بنِ زَيْدِ بنِ أصْرَمَ بنِ زَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ غَنْمِ ابنِ مالِكِ بنِ النَّجّارِ إلى قَيْسِ بنِ عَمْرِو بنِ سَهْلٍ، وكانَ قَيْسٌ غُلامًا شابًّا، وكانَ لا يُعْلَمُ في المُنافِقِينَ شابٌّ غَيْرُهُ، فجَعَلَ يَدْفَعُ في قَفاهُ حَتّى أخْرَجَهُ مِنَ المَسْجِدِ.

وَقامَ رَجُلٌ مِنْ بَلْخُدْرَةَ بنِ الخَزْرَجِ، رَهْطِ أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، يُقالُ لَهُ: عَبْدُ اللهِ بنُ الحارِثِ، حَيْنَ أمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بإخْراجِ المُنافِقِينَ مِنَ المَسْجِدِ إلى رَجُلٍ يُقالُ لَهُ: الحارِثُ بنُ عَمْرٍو، وكانَ ذا جُمَّةٍ، فأخَذَ بِجُمَّتِهِ فسَحَبَهُ بِها سَحْبًا عَنِيفًا على ما مَرَّ بِهِ مِنَ الأرْضِ، حَتّى أخْرَجَهُ مِنَ المَسْجِدِ. قالَ:

يَقُولُ المُنافِقُ: لَقَدْ أغْلَظْتَ يا ابن الحارِثِ، فقالَ لَهُ: إنَّكَ أهْلٌ لِذلك أيْ عَدُوَّ الله لِما أنْزَلَ اللهُ فيكَ، فلا تَقْرَبَنَّ مَسْجِدَ رَسُولِ الله ﷺ؛ فإنَّكَ نَجِسٌ.

وَقامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ إلى أخِيهِ زُوَيِّ بنِ الحارِثِ، فأخْرَجَهُ مِنَ المَسْجِدِ إخْراجًا عَنِيفًا، وأفَّفَ مِنْهُ، وقالَ: غَلَبَ عَلَيْكَ الشَّيْطانُ وأمْرُهُ.

فَهَؤُلاءِ مَنْ حَضَرَ المَسْجِدَ يَوْمَئِذٍ مِنَ المُنافِقِينَ، وأمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِإخْراجِهِمْ.

فَصْلٌ

وأنْشَدَ ابنُ هِشامٍ[١]: [من البسيط]

لَدْمَ الغُلامِ وراءَ الغَيبِ بالحَجَرِ

والبيتُ لتَميمِ بنِ أُبيٍّ بنِ مُقبِل، واللّدْم: الضَّرب. والغَيبُ: الغائرُ مِن الأرْضِ.

وذكرَ ابنُ إسْحاقَ في بابِ إخْراجِ المُنافِقِينَ مِن المَسْجِدِ أبا مُحَمّدٍ، وقالَ: هُو رَجُلٌ مِنْ بَنِي النّجّارِ[٢]، ولَمْ يُعَرِّفْهُ بأكْثَرَ مِنْ هَذا، وهُو: أبو محمَّد مسعودُ بنُ أوْسِ بنِ زَيْدِ بنِ أصْرَمَ بنِ زَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ غَنْمِ بنِ مالِكِ بنِ النَّجّارِ، يُعَدُّ في الشّامِيِّينَ، وهُو الّذِي زَعَمَ أنّ الوِتْرَ واجِبٌ، فقالَ عُبادةُ: كَذَبَ أبو مُحَمّدٍ[٣]. وهُو مَعْدُودٌ في البَدْرِيِّينَ عِنْدَ الواقِدِيّ[٤] وطائفة، ولم يذكرهُ ابنُ إسحاق فيهم.

* * *

(١) «ديوان ابن مقبل» (ص: ٨٤).

(٢) بعده في «السيرة» ما ذكره السهيلي من التعريف بهذا الرجل، ويبدو أنها زيادة أُضيفت إلى نص ابن إسحاق.

(٣) «الموطأ»، كتاب صلاة الليل: (١: ١٢٣).

(٤) «المغازي» للواقدي: (١: ١٦٢).

ما نَزَلَ مِنَ البَقَرةِ في المُنافِقِينَ ويَهُودَ

[ما نَزَلَ في الأَحْبارِ]

فَفي هَؤُلاءِ مِنْ أَحْبارِ يَهُودَ، والمُنافِقِينَ مِنَ الأَوْسِ والخَزْرَجِ، نَزَلَ صَدْرُ سُورةِ البَقَرة إلى المئةِ مِنْها فيما بَلَغَني، واللهُ أَعْلَمُ.

يَقُولُ اللهُ سُبْحانَهُ وبِحَمْدِهِ: ﴿ الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة: ١، ٢]؛ أَيْ: لا شَكَّ فيهِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: قالَ ساعِدةُ بنُ جُؤَيّةَ الهُذَلِيُّ:

فَقالُوا: عَهِدْنا القَوْمَ قَدْ حَصَرُوا بِهِ   فلا رَيْبَ أَنْ قَدْ كانَ ثَمَّ لَحِيمُ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. والرَّيْبُ أيضًا: الرِّيبةُ. قالَ خالِدُ بنُ زُهَيرٍ الهُذَلِيُّ:

كَأَنَّني أَرْبِبُهُ بِرَيْبِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: ومِنْهُمْ مَنْ يرويهِ:

كأنني أريته بِرَيْبِ

وَهذا البَيْتُ في أَبْياتٍ لَهُ. وهُوَ ابنُ أَخِي أَبي ذُؤَيْبٍ الهُذَلِيِّ.

﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢]؛ أَيِ: الَّذِينَ يَحْذَرُونَ مِنَ اللهِ عُقُوبَتَهُ في تَرْكِ

ما يَعْرِفُونَ مِنَ الهُدى، ويَرْجُونَ رَحْمَتَهُ بِالتَّصْدِيقِ بِما جاءَهُمْ مِنْهُ، ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]؛ أيْ: يُقِيمُونَ الصَّلاةَ بِفَرْضِها، ويُؤْتُونَ الزَّكاةَ احْتِسابًا لَها، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [البقرة: ٤]؛ أيْ: يُصَدِّقُونَكَ بِما جِئْتَ بِهِ مِنَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، وما جاءَ بِهِ مَنْ قَبْلَكَ مِنَ المُرْسَلِينَ، لا يُفَرِّقُونَ بَيْنَهُمْ، ولا يَجْحَدُونَ ما جاؤُوهُمْ بِهِ مِنْ رَبِّهِمْ، ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]، أيْ: بِالبَعْثِ والقِيامَةِ والجَنَّةِ والنّارِ والحِسابِ والمِيزانِ، أيْ: هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِما كانَ مِنْ قَبْلِكَ، وبِما جاءَكَ مِنْ رَبِّكَ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ﴾ [البقرة: ٥]؛ أيْ: على نُورٍ مِنْ رَبِّهِمْ واسْتِقامَةٍ على ما جاءَهُمْ، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]؛ أيِ: الَّذِينَ أَدْرَكُوا ما طَلَبُوا، ونَجَوْا مِنْ شَرِّ ما مِنْهُ هَرَبُوا، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ٦]، أيْ: بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ، وإنْ قالُوا: إنّا قَدْ آمَنّا بِما جاءَنا قَبْلَكَ، ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]؛ أيْ: إنَّهُمْ قَدْ كَفَرُوا بِما عِنْدَهُمْ مِنْ ذِكْرِكَ، وجَحَدُوا ما أُخِذَ عَلَيْهِمُ المِيثاقُ لَكَ، فَقَدْ كَفَرُوا بِما جاءَكَ وبِما عِنْدَهُمْ مِمّا جاءَهُمْ بِهِ غَيْرُكَ، فَكَيْفَ يَسْتَمِعُونَ مِنْكَ إِنْذارًا أَوْ تَحْذِيرًا، وقَدْ كَفَرُوا بِما عِنْدَهُمْ مِنْ عِلْمِكَ؟! ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ﴾ [البقرة: ٧]؛ أيْ: عَنِ الهُدى أَنْ يُصِيبُوهُ أَبَدًا، يَعْنِي: بِما كَذَّبُوكَ بِهِ مِنَ الحَقِّ الَّذِي جاءَكَ مِنْ رَبِّكَ حَتّى يُؤْمِنُوا بِهِ، وإنْ آمَنُوا بِكُلِّ ما كانَ قَبْلَكَ، ﴿وَلَهُمْ﴾ [البقرة: ٧] بِما هُمْ عَلَيْهِ مِنْ خِلافِكَ ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧].

فَهذا في الأَحْبارِ مِنْ يَهُودَ فِيما كَذَّبُوا بِهِ مِنَ الحَقِّ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ.

فَصْلٌ

وذكرَ ما أَنْزَلَ اللهُ تعالى في المُنافِقِينَ والأحْبارِ مِنْ يَهُودَ مِنْ صَدْرِ سُورةِ البَقَرةِ، واسْتَشْهَدَ ابنُ هِشامٍ على الرَّيْبِ بمَعْنى: الرِّيبةِ بِقَوْلِ خالِدِ بنِ زُهَيْرٍ ابنِ أُخْتِ أَبِي ذُؤَيْبٍ، واسْمُ أَبِي ذُؤَيْبٍ: خُوَيْلِدُ بنُ خالِدٍ، والرّجَزُ الذي استشهدَ ببيتٍ منه[1]: [من الرجز]

يا قومُ ما لي وأبا ذُؤَيْبِ؟ كُنْتُ إذا أَتَيْتُهُ مِنْ غَيْبِ
يَشَمُّ[2] عِطْفي ويَمَسُّ ثَوْبِي كَأَنَّني[3] أَرَبْتُهُ بِرَيْبِ[4]

وكانَ أبو ذُؤَيْبٍ قد اتَّهَمَهُ بِامْرَأَتِهِ؛ فلِذَلِكَ قالَ هَذا.

وذكرَ ابنُ إسْحاقَ: (والَّذِينَ يُقِيمُونَ الصّلاةَ)، وأَغْفَلَ التّلاوةَ[5]، وإنّما هُو: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٣]، وكَذَلِكَ وجَدْته مُنَبَّهًا عَلَيْهِ في «حاشِيةِ» الشَّيْخِ.

وفي الإيمانِ بِالغَيْبِ أَقْوالٌ؛ مِنْها: أَنَّ الغيب ههنا: ما بعدَ الموتِ من أمورِ الآخرة، ومنها: أنّ الغيب: القدر، ومنها: قَوْلُ مَنْ قالَ: إنّ الغَيْبَ القَلْبُ؛ أيْ: يُؤْمِنُونَ بِقُلُوبِهِمْ، وقِيلَ: يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ؛ أيْ: بِاللهِ عَزّ وجَلّ، وأَحْسَنُ ما

---

(١) «ديوان الهذليين» (١: ١٦٥).

(٢) في (ف): «يضم».

(٣) في (ف): «كأنما».

(٤) في (أ)، (ب): «كأنما أربته»، وأثبت في «الديوان»: «كأنني قد ربته»، وعُلِّقَ عليه بأنَّ «المعروف في هذا: أربته. و«أربت» غير متعدٍّ: إذا كان صاحب ريبة». وليس ما ذكر بمسلَّم، بل ورد (أراب) متعدِّيًا بمعنى رابَه: إذا جعل فيه الرِّيبة والشك.

(٥) أُثبتت الآية على الصواب في مطبوعة «السيرة»، ويعني بوهمه في أول السورة: الآية الثالثة من سورة البقرة، وقد نبّهَ عليها.

في هَذِهِ الأَقْوالِ قَوْلُ الرَّبيعِ بنِ أَنَسٍ[(١)]؛ أَيْ: يُؤْمِنُونَ بِظَهْرِ الغَيْبِ؛ أَيْ: لَيْسُوا كالمُنافِقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ إِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا ويَكْفُرُونَ إِذا غابُوا عنهمْ، ويَدُلُّ على صِحَّةِ هَذا التَّأْوِيلِ سِياقَةُ الكَلامِ، مَعَ قَوْلِهِ: ﴿ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ ﴾ [الأنبياء: ٤٩]، فلا يَحْتَمِلُ قَوْلُهُ: ﴿ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ ﴾ إِلَّا تَأْوِيلًا واحِدًا، فإِلَيْهِ يُرَدُّ ما اخْتُلِفَ فيهِ.

وقوله سبحانه: ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢]، وقد ارْتابَ فيهِ كَثِيرٌ مِن النّاسِ، قِيلَ: هُو على الخُصُوصِ في المُؤْمِنِينَ؛ أَيْ: لا رَيْبَ فيهِ عِنْدَهم.

قالَ المُؤَلِّفُ: وهَذا ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّ التَّبْرِئَةَ تُعْطِي العُمُومَ، وأَصَحُّ مِنْهُ: أَنَّ الكَلامَ ظاهِرُهُ الخَبَرُ، ومَعْناهُ: النَّهْيُ؛ أَيْ: لا تَرْتابُوا، وهَذا النَّهْيُ عامٌّ لا يُخَصَّصُ، وأَدَقُّ مِنْ هَذا أَنْ يَكُونَ خَبَرًا مَحْضًا عَن القُرْآنِ؛ أَيْ: لَيْسَ فيهِ ما يَرِيبُ، تَقُولُ: رابَنِي مِنْك كَذا وكَذا: إِذا رَأَيْتَ ما تُنْكِرُ، ولَيْسَ في القُرْآنِ ما تُنْكِرُهُ العُقُولُ. والرَّيْبُ وإِنْ كانَ مَصْدَرًا، فقد يُعَبَّرُ بِهِ عَن الشَّيْءِ الَّذِي يَرِيبُ؛ كَما يُعَبَّرُ بالضَّيْفِ عَن الضّائِفِ، وبِالطَّيْفِ عَن الخَيالِ الطّائِفِ، ويَشْهَدُ لِهذا المَعْنى قَوْلُهُ تَعالى: ﴿ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [آل عمران: ٩]، فهَذا خَبَرٌ؛ لِأَنَّ النَّهْيَ لا يَكُونُ في مَوْضِعِ الصِّفَةِ.

وقَوْلُهُ: ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ في مَوْضِعِ الصِّفَةِ لـ«يَوْم»، والحَياةُ بَعْدَ المَوْتِ لَيْسَ فيهِ ما يَرِيبُك؛ لِأَنَّ مَنْ قَدَرَ على البَداءةِ، فهُو على الإِعادةِ أَقْدَرُ، ولَيْسَ الرَّيْبُ بِمَعْنى: الشَّكِّ على الإِطْلاقِ؛ لِأَنَّك تَقُولُ: رابَنِي منك رِيبٌ، ولا تَقُولُ: شَكَّنِي، بَلْ تَقُولُ: ارْتَبْتُ كَما تَقُولُ: شَكَكْت، والِارْتِيابُ[(٢)]: قَرِيبٌ مِن الشَّكِّ.

---

(١) انظر: «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن القيم: (٢: ٣٣٩).

(٢) في (ف): «فالارتياب».

[ما نَزَلَ في مُنافِقِي الأوْسِ والخَزْرَجِ]

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨]، يَعْنِي: المُنافِقِينَ مِنَ الأوْسِ والخَزْرَجِ، ومَنْ كانَ على أمْرِهِمْ، ﴿ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [البقرة: ٩، ١٠]؛ أيْ: شَكٌّ ﴿ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة: ١٠]، أيْ: شَكًّا، ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: ١٠] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١١]، أيْ: إنَّما نُرِيدُ الإصْلاحَ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وأهْلِ الكِتابِ. يَقُولُ اللهُ تَعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٢-١٤] مِنْ يَهُودَ، الَّذِينَ يَأْمُرُونَهُمْ بِالتَّكْذِيبِ بِالحَقِّ، وخِلافِ ما جاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٤]؛ أيْ: إنّا على مِثْلِ ما أنْتُمْ عَلَيْهِ. ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقرة: ١٤]؛ أيْ: إنَّما نَسْتَهْزِئُ بِالقَوْمِ، ونَلْعَبُ بِهِمْ. يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة: ١٥].

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: يَعْمَهُونَ: يَحارُونَ. تَقُولُ العَرَبُ: رَجُلٌ عَمِهٌ وعامِهٌ؛ أيْ: حَيْرانُ. قالَ رُؤْبَةُ بنُ العَجّاجِ يَصِفُ بَلَدًا:

أعْمى الهُدى بِالجاهِلِينَ العُمَّهِ

وَهذا البَيْتُ في أُرْجُوزةٍ لَهُ. فالعُمَّهُ: جَمْعُ عامِهٍ، وأمّا عَمِهٌ، فجَمْعُهُ: عَمِهُونَ.

والمَرْأةُ: عَمِهةٌ وعَمْهاءُ

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾ [البقرة: ١٦]؛ أي: الكُفْرَ بِالإيمانِ، ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٦].

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ ضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا، فقالَ تَعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴾ [البقرة: ١٧]؛ أيْ: لا يُبْصِرُونَ الحَقَّ ويَقُولُونَ بِهِ، حَتّى إذا خَرَجُوا بِهِ مِنْ ظُلْمةِ الكُفْرِ أطْفَؤُوهُ بِكُفْرِهِمْ بِهِ ونِفاقِهِمْ فيهِ، فتَرَكَهُمُ اللهُ في ظُلُماتِ الكُفْرِ، فهُمْ لا يُبْصِرُونَ هُدًى، ولا يَسْتَقِيمُونَ على حَقٍّ. ﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٨]؛ أيْ: لا يَرْجِعُونَ إلى الهُدى، صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ عَنِ الخَيْرِ، لا يَرْجِعُونَ إلى خَيْرٍ، ولا يُصِيبُونَ نَجاةً ما كانُوا على ما هُمْ عَلَيْهِ، ﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٩].

قالَ ابنُ هِشامٍ: الصَّيِّبُ: المَطَرُ، وهُوَ مِنْ صابَ يَصُوبُ، مِثْلُ قَوْلِهِمْ: السَّيِّدُ، مَنْ سادَ يَسُودُ، والمَيِّتُ: مَنْ ماتَ يَمُوتُ، وجَمْعُهُ: صَيائِبُ. قالَ عَلْقَمةُ ابنُ عَبَدَةَ، أحَدُ بَني رَبِيعةَ بنِ مالِكِ بن زَيْدِ مَناةَ بنِ تَمِيمٍ:

كَأنَّهُمُ صابت عَلَيْهِم سحابةٌ   صَواعِقُها لِطَيْرِهِنَّ دَبِيبُ

وَفيها:

فَــلا تَعْــدِلِي بَيْنِي وبَــيْنَ مُغَمَّرٍ   سَقَتْكِ رَوايا المُزْنِ حَيْثُ تَصُوبُ

وَهذانِ البَيْتانِ في قَصِيدةٍ لَهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: أيْ: هُمْ مِنْ ظُلْمةِ ما هُمْ فيهِ مِنَ الكُفْرِ والحَذَرِ مِنَ القَتْلِ، مِنَ الَّذي هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الخِلافِ والتَّخَوُّفِ لَكُمْ، على مِثْلِ ما وُصِفَ مِنَ الَّذي هُوَ في ظُلْمةِ الصَّيِّبِ، يَجْعَلُ أصابِعَهُ في أُذُنِيهِ مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ المَوْتِ.

يَقُولُ: واللهُ مُنْزِلٌ ذلك بِهِمْ مِنَ النِّقْمةِ؛ أيْ: هُوَ مُحِيطٌ بِالكافِرِينَ. ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٠]؛ أيْ: لِشِدّةِ ضَوْءِ الحَقِّ، ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ﴾ [البقرة: ٢٠]؛ أيْ: يَعْرِفُونَ الحَقَّ ويَتَكَلَّمُونَ بِهِ، فهُمْ مِنْ قَوْلِهِمْ بِهِ على اسْتِقامةٍ، فإذا ارْتَكَسُوا مِنْهُ في الكُفْرِ قامُوا مُتَحَيِّرِينَ، ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ﴾ [البقرة: ٢٠]؛ أيْ: لِما تَرَكُوا مِنَ الحَقِّ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٠].

ثُمَّ قالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ﴾ [البقرة: ٢١] لِلْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا، مِنَ الكُفّارِ والمُنافِقِينَ؛ أيْ: وحِّدُوا رَبَّكُمُ ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: الأنْدادُ: الأمْثالُ، واحِدُهُمْ نِدٌّ. قالَ لَبِيدُ بنُ رَبِيعةَ:

أَحْمَـدُ اللهَ فلا نِـدَّ لَهُ بِيَدَيْهِ الخَيْرُ ما شاءَ فَعَلْ

وَهذا البَيْتُ في قصيدةٍ لَهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: أيْ: لا تُشْرِكُوا باللهِ غَيْرَهُ مِنَ الأنْدادِ الَّتِي لا تَنْفَعُ ولا تَضُرُّ، وأنْتُم تَعْلَمُونَ أنَّهُ لا رَبَّ لَكُمْ يَرْزُقُكُمْ غَيْرُهُ، وقَدْ عَلِمْتُمْ أنَّ الَّذي يَدْعُوكُمْ إلَيْهِ الرَّسُولُ مِنْ تَوْحِيدِهِ هُوَ الحَقُّ لا شَكَّ فيهِ، ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ [البقرة: ٢٣]؛ أيْ: في شَكٍّ مِمّا جاءَكُمْ بِهِ، ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٣]؛ أيْ: مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ أعْوانِكُمْ على ما أنْتُمْ عَلَيْهِ ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣]، ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا ﴾ [البقرة: ٢٤] فقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمُ الحَقُّ، ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤]؛ أيْ: لِمَنْ كانَ على مِثْلِ ما أنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الكُفْرِ.

ثُمَّ رَغَّبَهُمْ وحَذَّرَهُمْ نَقْضَ المِيثاقِ الَّذي أخَذَ عَلَيْهِمْ لِنَبِيِّهِ ﷺ إذ جاءَهُمْ، وذَكَرَ لَهُمْ بَدْءَ خَلْقِهِمْ حِينَ خَلَقَهُمْ، وشَأْنَ أبيهِمْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ وأمْرَهُ، وكَيْفَ صَنَعَ بِهِ حِينَ خالَفَ عَنْ طاعَتِهِ، ثُمَّ قالَ: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [البقرة: ٤٠] لِلْأحْبارِ مِنْ يَهُودَ ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٠]؛ أيْ: بَلائِي عِنْدَكُمْ وعِنْدَ آبائِكُمْ، لما كانَ نَجّاهُمْ بِهِ مِنْ فِرْعَوْنَ وقَوْمِهِ، ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي ﴾ [البقرة: ٤٠] الَّذي أخَذْتُ في أعْناقِكُمْ لِنَبِيِّي أحْمَدَ إذا جاءَكُمْ، ﴿ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٠] أُنْجِزْ لَكُمْ ما وعَدْتُكُمْ على تَصْدِيقِهِ واتِّباعِهِ بِوَضْعِ ما كانَ عَلَيْكُمْ مِنَ الآصارِ والأغْلالِ الَّتِي كانَتْ في أعْناقِكُمْ بِذُنُوبِكُمُ الَّتِي كانَتْ مِنْ أحْداثِكُمْ، ﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [البقرة: ٤٠]؛ أيْ:

أنْ أُنْزِلَ بِكُمْ ما أنزَلْتُ بِمَنْ كانَ قَبْلَكُمْ مِنْ آبائِكُمْ مِنَ النَّقْماتِ الَّتِي قَدْ عَرَفْتُمْ مِنَ المَسْخِ وغَيْرِهِ.

﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ ﴾ [البقرة: ٤١] وعِنْدَكُمْ مِنَ العِلْمِ فيهِ ما لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِكُمْ، ﴿ وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ * وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٤١، ٤٢]؛ أيْ: لا تَكْتُمُوا ما عِنْدَكُمْ مِنَ المَعْرِفةِ بِرَسُولِي وبِما جاءَ بِهِ، وأنْتُمْ تَجِدُونَهُ عِنْدَكُمْ فيما تَعْلَمُونَ مِنَ الكُتُبِ الَّتِي بِأيْدِيكُمْ. ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤]، أيْ: أتَنْهَوْنَ النّاسَ عَنِ الكُفْرِ بِما عِنْدَكُمْ مِنَ النُّبُوّةِ والعَهْدِ مِنَ التَّوْراةِ وتَتْرُكُونَ أنْفُسَكُمْ؟ أيْ: وأنْتُمْ تَكْفُرُونَ بِما فيها مِنْ عَهْدِي إلَيْكُمْ في تَصْدِيقِ رَسُولِي، وتَنْقُضُونَ مِيثاقِي، وتَجْحَدُونَ ما تَعْلَمُونَ مِنْ كِتابِي؟!

ثُمَّ عَدَّدَ عَلَيْهِمْ أحْداثَهُمْ، فذَكَرَ لَهُمُ العِجْلَ وما صَنَعُوا فيهِ، وتَوْبَتَهُ عَلَيْهِمْ، وإقالَتَهُ إيّاهُمْ، ثُمَّ قَوْلَهُمْ: أرِنا اللهَ جَهْرَةً.

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: جَهْرَةً؛ أيْ: ظاهِرًا لَنا لا شَيْءَ يَسْتُرُهُ عَنّا. قالَ أبو الأخْزَرِ الحِمّانِيُّ، واسْمُهُ قُتَيْبَةُ:

يَجْهَرُ أجْوافَ المِياهِ السُّدُمِ

وَهذا البَيْتُ في أُرْجُوزَةٍ لَهُ.

يَجْهَرُ: يَقُولُ: يُظْهِرُ الماءَ ويَكْشِفُ عَنْهُ ما يَسْتُرُهُ مِنَ الرَّمْلِ وغَيْرِهِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأخْذَ الصّاعِقةِ إيّاهُمْ عِنْدَ ذلك لِغِرَّتِهِمْ، ثُمَّ إحْياءَهُ إيّاهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، وتَظْلِيلَهُ عَلَيْهِمُ الغَمامَ، وإنْزالَهُ عَلَيْهِمُ المَنَّ والسَّلْوى، وقَوْلَهُ لَهُمْ: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ [البقرة: ٥٨]، أيْ: قُولُوا ما آمُرُكُمْ بِهِ أحُطُّ بِهِ ذُنُوبَكُمْ عَنْكُمْ. وتَبْدِيلَهُمْ ذلك مِنْ قَوْلِهِ اسْتِهْزاءً بِأمْرِهِ، وإقالَتَهُ إيّاهُمْ ذلك بَعْدَ هُزْئِهِمْ.

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: المَنُّ: شَيْءٌ كانَ يَسْقُطُ في السَّحَرِ على شَجَرِهِمْ، فيجْتَنُونَهُ حُلْوًا مِثْلَ العَسَلِ، فيشْرَبُونَهُ ويَأْكُلُونَهُ. قالَ أعْشى بَنِي قَيْسِ بنِ ثَعْلَبةَ:

لَوْ أُطْعِمُوا المَنَّ والسَّلْوى مَكانَهُمُ ... ما أبْصَرَ النّاسُ طُعْمًا فيهِمُ نَجَعا

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. والسَّلْوى: طَيْرٌ، واحِدَتُها: سَلْواةٌ، ويُقالُ: إنَّها السُّمانى، ويُقالُ لِلْعَسَلِ أيْضًا: السَّلْوى. وقالَ خالِدُ بنُ زُهَيْرٍ الهُذَلِيُّ:

وَقاسَمَها بالله حَقًّا: لَأنْتُمُ ... ألَذُّ مِنَ السَّلْوى إذا ما نَشُورُها

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. وحِطّةٌ؛ أيْ: حُطَّ عَنّا ذُنُوبَنا.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ مِنْ تَبْدِيلِهِمْ ذلك، كَما حَدَّثَنِي صالِحُ بنُ كَيْسانَ، عَنْ صالِحٍ مولى التّوأمةِ بِنْتِ أُمَيّةَ بنِ خَلَفٍ، عَنْ أبِي هُرَيْرةَ، ومَنْ لا أتَّهِمُ عَنِ ابنِ عَبّاسٍ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، قالَ: «دَخَلُوا البابَ الَّذي أُمِرُوا أنْ يَدْخُلُوا مِنْهُ سُجَّدًا يَزْحَفُونَ وهُمْ يَقُولُونَ: حِنْطٌ في شَعِيرٍ». قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُرْوى: حِنْطةٌ في شَعِيرةٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: واسْتِسْقاءَ مُوسى لِقَوْمِهِ، وأمْرَهُ إيّاهُ أنْ يَضْرِبَ بِعَصاهُ

الحَجَرَ، فانْفَجَرَتْ لَهُمْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرةَ عَيْنًا، لِكُلِّ سِبْطٍ عَيْنٌ يَشْرَبُونَ مِنْها، قَدْ عَلِمَ كُلُّ سِبْطٍ عَيْنَهُ الَّتي مِنْها يَشْرَبُ، وقَوْلَهُمْ لِمُوسى عَلَيْهِ السلامُ: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا﴾ [البقرة: ٦١].

قالَ ابنُ هِشامٍ: الفُومُ: الحِنْطةُ. قالَ أُمَيّةُ بنُ أبي الصَّلْتِ الثَّقَفيُّ:

فَوْقَ شِيزى مِثْلِ الجَوابِي عَلَيْها ... قِطَعٌ كالوَذِيلِ في نِقْيِ فُومِ

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: الوَذِيلُ: قِطَعُ الفِضّةِ، والفُومُ: القَمْحُ، واحِدَتُهُ: فُومةٌ. وهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ﴾ [البقرة: ٦١].

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمْ يَفْعَلُوا. ورَفْعَهُ الطُّورَ فوْقَهُمْ لِيَأْخُذُوا ما أُوتُوا، والمَسْخَ الَّذي كانَ فيهِمْ، إذْ جَعَلَهُمْ قِرَدةً بِأحْداثِهِمْ، والبَقَرةَ الَّتِي أراهُمُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ بِها العِبْرَةَ في القَتِيلِ الَّذي اخْتَلَفُوا فيهِ، حَتّى بَيَّنَ اللهُ لَهُمْ أمْرَهُ بَعْدَ التَّرَدُّدِ على مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ في صِفةِ البَقَرةِ. وقَسْوةَ قُلُوبِهِمْ بَعْدَ ذلك حَتّى كانَتْ كالحِجارةِ أوْ أشَدَّ قَسْوةً، ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ٧٤]؛ أيْ: وإنَّ مِنَ الحِجارةِ لَألْيَنُ مِنْ قُلُوبِكُمْ عَمّا تَدْعُونَ إلَيْهِ مِنَ الحَقِّ، ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

ثُمَّ قالَ لِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ولِمَنْ مَعَهُ مِنَ المُؤْمِنِينَ يُؤَيِّسُهُم مِنْهُمْ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]، ولَيْسَ قَوْلُهُ: يَسْمَعُونَ التَّوْراةَ، أَنَّ كُلَّهُمْ قَدْ سَمِعَها، ولَكِنَّهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ، أيْ: خاصّةً.

قالَ ابنُ إسْحاقَ ـ فيما بَلَغَنِي عَنْ بَعْضِ أَهْلِ العِلْمِ ـ: قالُوا لِمُوسى: يا مُوسى، قَدْ حِيلَ بَيْنَنا وبَيْنَ رُؤْيَةِ اللهِ، فأَسْمِعْنا كَلامَهُ حَيْنَ يُكَلِّمُكَ. فطَلَبَ ذلك مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ رَبِّهِ، فقالَ لَهُ: نَعَمْ، مُرْهُمْ فلْيَطَّهَّرُوا، أوْ لِيُطَهِّرُوا ثِيابَهُمْ، ولْيَصُومُوا، ففَعَلُوا، ثُمَّ خَرَجَ بِهِمْ حَتّى أتى بِهِمُ الطُّورَ، فلَمّا غَشِيَهُمُ الغَمامُ أَمَرَهُمْ مُوسى فوَقَعُوا سُجَّدًا، وكَلَّمَهُ رَبُّهُ، فسَمِعُوا كَلامَهُ تبارَكَ وتَعالى؛ يَأْمُرُهُمْ ويَنْهاهُمْ، حَتّى عَقَلُوا عَنْهُ ما سَمِعُوا، ثُمَّ انْصَرَفَ بِهِمْ إلى بَنِي إسْرائِيلَ، فلَمّا جاءَهُمْ حَرَّفَ فرِيقٌ مِنْهُمْ ما أمَرَهُمْ بِهِ، وقالُوا حَيْنَ قالَ مُوسى لِبَنِي إسْرائِيلَ: إنَّ اللهَ قَدْ أمَرَكُمْ بِكَذا وكَذا، قالَ ذلك الفَرِيقُ الَّذي ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: إنَّما قالَ كَذا وكَذا، خِلافًا لِما قالَ اللهُ لَهُمْ، فهُمُ الَّذينَ عَنى اللهُ عَزَّ وجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ.

ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ٧٦]؛ أيْ: بِصاحِبِكُمْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ولَكِنَّهُ إلَيْكُمْ خاصّةً. وإذا خَلا بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ قالُوا: لا تُحَدِّثُوا العَرَبَ بِهذا، فإنَّكُمْ قَدْ كُنْتُمْ تَسْتَفْتِحُونَ بِهِ عَلَيْهِمْ، فكانَ فيهِمْ. فأنْزَلَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ فيهِمْ: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٦]؛ أيْ: تُقِرُّونَ بِأَنَّهُ نَبِيٌّ، وقَدْ عَرَفْتُمْ

أنَّهُ قَدْ أُخِذَ لَهُ الميثاقُ عَلَيْكُمْ بِاتِّباعِهِ، وهُوَ يُخْبِرُكُمْ أنَّهُ النَّبِيُّ الَّذي كُنّا نَنْتَظِرُ ونَجِدُ في كِتابِنا، اجْحَدُوهُ ولا تُقِرُّوا لَهُمْ بِهِ. يَقُولُ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٧، ٧٨].

[تَفْسيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَريبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ، عَنْ أبي عُبَيْدَةَ: إلّا أمانِيَّ: إلّا قِراءةً، لِأنَّ الأُمِّيَّ: الَّذي يَقْرَأُ ولا يَكْتُبُ. يَقُولُ: لا يَعْلَمُونَ الكِتابَ إلّا أنَّهُمْ يَقْرَؤُونَهُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: عَنْ أبي عُبَيْدَةَ ويُونُسَ أنَّهُما تَأوَّلا ذلك عَنِ العَرَبِ في قَوْلِ الله عَزَّ وجَلَّ، حَدَّثَنِي أبو عُبَيْدَةَ بِذلك.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي يُونُسُ بنُ حَبِيبٍ النَّحْوِيُّ وأبو عُبَيْدَةَ: أنَّ العَرَبَ تَقُولُ: تَمَنّى، في مَعْنى قَرَأ. وفي كِتابِ الله تَبارَكَ وتَعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢].
قالَ: وأنْشَدَنِي أبو عُبَيْدَةَ النَّحْوِيُّ:

تَمَنّى كِتابَ اللهِ أوَّلَ لَيْلِهِ ... وآخِرَهُ وافى حِمامَ المَقادِرِ

وَأنْشَدَنِي أيْضًا:

تَمَنّى كِتابَ الله في اللَّيْلِ خالِيًا ... تَمَنِّيَ داوُدَ الزَّبُورَ على رِسْلِ

وَواحِدةُ الأمانِيِّ: أُمْنِيَّةٌ. والأمانِيُّ أيْضًا: أنْ يَتَمَنّى الرَّجُلُ المالَ أوْ غَيْرَهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]؛ أيْ: لا يَعْلَمُونَ الكِتابَ ولا يَدْرُونَ ما فيهِ، وهُمْ يَجْحَدُونَ نُبُوَّتَكَ بِالظَّنِّ. ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا

ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةًۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٨٠].

[دَعْوى اليَهُودِ قِلّةَ العَذابِ في الآخِرةِ، وردُّ الله عَلَيْهِمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مَوْلًى لِزَيْدِ بنِ ثابِتٍ عَنْ عِكْرِمةَ، أوْ عَنْ سَعِيدِ بن جُبَيْرٍ، عَنِ ابنِ عَبّاسٍ، قالَ: قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ المَدِينةَ واليَهُودُ تَقُولُ: إنَّما مُدّةُ الدُّنْيا سَبْعةُ آلافِ سَنةٍ، وإنَّما يُعَذِّبُ اللهُ النّاسَ في النّارِ بِكُلِّ أَلْفِ سَنةٍ مِنْ أيّامِ الدُّنْيا يَوْمًا واحِدًا في النّارِ مِنْ أيّامِ الآخِرةِ، وإنَّما هِيَ سَبْعةُ أيّامٍ ثُمَّ يَنْقَطِعُ العَذابُ. فأنْزَلَ اللهُ في ذلك مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةًۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۞ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ [البقرة: ٨٠، ٨١]؛ أيْ: مَنْ عَمِلَ بِمِثْلِ أعْمالِكُمْ، وكَفَرَ بِمِثْلِ ما كَفَرْتُمْ بِهِ، يُحِيطُ كُفْرُهُ بِما لَهُ عِنْدَ الله مِنْ حَسَنةٍ، ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨١]؛ أيْ: خُلْدٌ أبَدًا ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨٢]؛ أيْ مَنْ آمَنَ بِما كَفَرْتُمْ بِهِ، وعَمِلَ بِما تَرَكْتُمْ مِنْ دِينِهِ، فلَهُمُ الجَنّةُ خالِدِينَ فيها، يُخْبِرُهُمْ أنَّ الثّوابَ بِالخَيْرِ والشَّرِّ مُقِيمٌ على أهْلِهِ أبَدًا، لا انْقِطاعَ لَهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ قالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ يُؤَنِّبُهُمْ: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ [البقرة: ٨٣]؛ أيْ: مِيثاقَكُمْ ﴿ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانًا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنًا وَأَقِيمُواْ

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ﴾ [البقرة: ٨٣]؛ أيْ: تَرَكْتُمْ ذلك كُلَّهُ لَيْسَ بِالتَّنَقُّصِ. ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ ﴾ [البقرة: ٨٤].

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: تَسْفِكُونَ: تَصُبُّونَ. تَقُولُ العَرَبُ: سَفَكَ دَمَهُ؛ أيْ: صَبَّهُ، وسَفَكَ الزِّقَّ؛ أيْ: هَراقَهُ. قالَ الشّاعِرُ:

وَكُنّا إذا ما الضَّيْفُ حَلَّ بِأَرْضِنا سَفَكْنا دِماءَ البُدْنِ في تُرْبَةِ الحالِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: يَعْنِي «بِالحالِ»: الطِّينَ الَّذي يُخالِطُهُ الرَّمْلُ، وهُوَ الَّذي تَقُولُ لَهُ العَرَبُ: السَّهْلَةُ. وقَدْ جاءَ في الحَدِيثِ: أَنَّ جِبْرِيلَ لَمّا قالَ فِرْعَوْنُ: ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ [يونس: ٩٠] أَخَذَ مِنْ حالِ البَحْرِ وَحَمْأَتِهِ، فضَرَبَ بِهِ وجْهَ فِرْعَوْنَ. والحالُ: مِثْلُ الحَمْأَةِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ﴿ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴾ [البقرة: ٨٤].

على أنَّ هذا حَقٌّ مِنْ مِيثاقِي عَلَيْكُمْ، ﴿ ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ﴾ [البقرة: ٨٥]، أيْ: أَهْلَ الشِّرْكِ، حَتّى يَسْفِكُوا دِماءَهُمْ مَعَهُمْ، ويُخْرِجُوهُمْ مِنْ دِيارِهِمْ مَعَهُمْ. ﴿ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ ﴾ [البقرة: ٨٥] وقَدْ عَرَفْتُمْ أَنَّ ذلك عَلَيْكُمْ في دِينِكُمْ ﴿ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [البقرة: ٨٥] في كِتابِكُمْ ﴿ إِخۡرَاجُهُمۡۚ ﴾ [البقرة: ٨٥]، ﴿ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ ﴾ [البقرة: ٨٥]؛ أيْ أَتُفادُونَهُمْ مُؤْمِنِينَ بِذلك، وتُخْرِجُونَهُمْ كُفّارًا بِذلك؟ ﴿ فَمَا

جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥، ٨٦]، فأنَّبَهُمُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ بِذلك مِنْ فِعْلهم، وقَدْ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ في التَّوْراةِ سَفْكَ دِمائِهِمْ، وافْتَرَضَ عَلَيْهِمْ فيها فِداءَ أَسْراهُمْ.

فَكانُوا فرِيقَيْنِ، مِنْهُمْ بَنُو قَيْنُقاعَ ولَفُّهُمْ، حُلَفاءُ الخَزْرَجِ، والنَّضِيرُ وقُرَيْظَةُ ولَفُّهُمْ، حُلَفاءُ الأَوْسِ. فكانُوا إذا كانَتْ بَيْنَ الأَوْسِ والخَزْرَجِ حَرْبٌ، خَرَجَتْ بَنُو قَيْنُقاعَ مَعَ الخَزْرَجِ، وخَرَجَتِ النَّضِيرُ وقُرَيْظَةُ مَعَ الأَوْسِ، يُظاهِرُ كُلُّ واحِدٍ مِنَ الفَرِيقَيْنِ حُلَفاءَهُ على إخْوانِهِ، حَتّى يَتَسافَكُوا دِماءَهُمْ بَيْنَهُمْ، وبِأَيْدِيهِمُ التَّوْراةُ يَعْرِفُونَ فيها ما عَلَيْهِمْ وما لَهُمْ، والأَوْسُ والخَزْرَجُ أَهْلُ شِرْكٍ يَعْبُدُونَ الأَوْثانَ؛ لا يَعْرِفُونَ جَنَّةً ولا نارًا، ولا بَعْثًا ولا قِيامةً ولا كِتابًا، ولا حَلالًا ولا حَرامًا، فإذا وضَعَتِ الحَرْبُ أَوْزارَها افْتَدَوْا أُسارَاهُمْ تَصْدِيقًا لِما في التَّوْراةِ، وأَخَذَ بِهِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، يَفْتَدِي بَنُو قَيْنُقاعَ مَنْ كانَ مِنْ أَسْراهُمْ في أَيدِي الأَوْسِ، وتَفْتَدِي النَّضِيرُ وقُرَيْظَةُ ما في أَيْدِي الخَزْرَجِ مِنْهُمْ، ويُطِلُّونَ ما أصابُوا مِنَ الدِّماءِ، وقَتْلى مَنْ قُتِلُوا مِنْهُمْ فيما بَيْنَهُمْ، مُظاهَرةً لِأَهْلِ الشِّرْكِ عَلَيْهِمْ. يَقُولُ اللهُ تَعالى عز وجل لَهُمْ حَيْنَ أَنَّبَهُمْ بِذلك: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٨٥]؛ أَيْ: تُفادِيهِ بِحُكْمِ التَّوْراةِ وتَقْتُلُهُ، وفي حُكْمِ التَّوْراةِ أَلّا تَفْعَلَ، تَقْتُلُهُ وتُخْرِجُهُ مِنْ دارِهِ وتُظاهِرُ عَلَيْهِ مَنْ يُشْرِكُ باللهِ ويَعْبُدُ الأَوْثانَ مِنْ دُونِهِ، ابْتِغاءَ عَرَضِ الدُّنْيا. ففي ذلك مِنْ فِعْلِهِمْ مَعَ الأَوْسِ والخَزْرَجِ فيما بَلَغَنِي نَزَلَتْ هَذِهِ القِصّةُ.

ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [البقرة: ٨٧]، أيْ: الآياتِ الَّتي وُضِعَتْ على يَدَيْهِ، مِنْ إحْياءِ المَوْتى، وخَلْقِهِ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ، ثُمَّ يَنْفُخُ فيهِ فيكُونُ طَيْرًا بِإذْنِ اللهِ، وإبْراءِ الأسْقامِ، والخَبَرِ بِكَثيرٍ مِنَ الغُيُوبِ مِمّا يَدَّخِرُونَ في بُيُوتِهِمْ، وما رَدَّ عَلَيْهِمْ مِنَ التَّوْراةِ مَعَ الإنْجيلِ، الَّذي أحْدَثَ اللهُ إلَيْهِ، ثُمَّ ذَكَرَ كُفْرَهُمْ بِذلك كُلِّهِ، فقالَ: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧]، ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ [البقرة: ٨٨]: في أكِنَّةٍ. يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٨٨]. ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٨٩].

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ عَنْ أشْياخٍ مِنْ قَوْمِهِ، قالَ: قالُوا: فينا واللهِ وفيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ القِصّةُ، كُنّا قَدْ عَلَوْناهُمْ ظَهْرًا في الجاهِلِيّةِ ونَحْنُ أهْلُ شِرْكٍ وهُمْ أهْلُ كِتابٍ، فكانُوا يَقُولُونَ لَنا: إنَّ نَبِيًّا يُبْعَثُ الآنَ نَتَّبِعُهُ قَدْ أظَلَّ زَمانُهُ، نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عادٍ وإرَمَ. فلَمّا بَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ مِنْ قُرَيْشٍ فاتَّبَعْناهُ كَفَرُوا بِهِ. يَقُولُ اللهُ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ * بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [البقرة: ٨٩، ٩٠]، أيْ: أنْ جَعَلَهُ في غَيرِهم. ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [البقرة: ٩٠].

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ﴾؛ أيِ: اعْتَرَفُوا بِهِ واحْتَمَلُوهُ. قالَ أعْشى بَنِي قَيْسِ بنِ ثَعْلَبَةَ:

أُصالِحُكُمْ حَتّى تَبُوؤُوا بِمِثْلِها ... كَصَرْخَةِ حُبْلى يَسَّرَتْها قَبِيلُها

قالَ ابنُ هِشامٍ: يَسَّرَتْها: أجْلَسَتْها لِلْوِلادةِ. وهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فالغَضَبُ على الغَضَبِ لِغَضَبِهِ عَلَيْهِمْ فيما كانُوا ضَيَّعُوا مِنَ التَّوْراةِ وهِيَ مَعَهُمْ، وغَضَبٌ بِكُفْرِهِمْ بِهذا النَّبِيِّ ﷺ الَّذي أحْدَثَ الله إلَيْهِمْ.

ثُمَّ أنَّبَهُمْ بِرَفْعِ الطُّورِ عَلَيْهِمْ، واتِّخاذِهِمُ العِجْلَ إلَهًا دُونَ رَبِّهِمْ، يَقُولُ الله عز وجل لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤]؛ أيِ: ادْعُوا بِالمَوْتِ على أيِّ الفَرِيقَيْنِ أكْذَبُ عِنْدَ اللهِ، فأبَوْا ذلك على رَسُولِ الله ﷺ. يَقُولُ الله جَلَّ ثَناؤُهُ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٥]؛ أيْ: بِعِلْمِهِمْ بِما عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ بِكَ، والكُفْرِ بِذلك، فيقالُ: لَوْ تَمَنَّوْهُ يَوْمَ قالَ ذلك لَهُمْ ما بَقِيَ على وجْهِ الأرْضِ يَهُودِيٌّ إلّا ماتَ. ثُمَّ ذَكَرَ رَغْبَتَهُمْ في الحَياةِ الدُّنْيا وطُولِ العُمْرِ، فقالَ تَعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة: ٩٦] اليَهُودُ ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ [البقرة: ٩٦]؛ أيْ: ما هُوَ بِمُنْجِيهِ مِنَ العَذابِ، وذلك أنَّ المُشْرِكَ لا يَرْجُو بَعْثًا بَعْدَ المَوْتِ، فهُوَ يُحِبُّ طُولَ الحَياةِ، وأنَّ اليَهُودِيَّ قَدْ عَرَفَ ما لَهُ في الآخِرةِ

مِنَ الخِزْيِ بِما ضَيَّعَ مِمّا عِنْدَهُ مِنَ العِلْمِ. ثُمَّ قالَ اللهُ تَعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧].

[سُؤالُ اليَهُودِ الرَّسُولَ، وإجابَتُهُ لَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَني عَبْدُ الله بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن أبي حُسَيْنٍ المَكِّيُّ، عَنْ شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ الأشْعَرِيِّ: أنَّ نَفَرًا مِنْ أحْبارِ يَهُودَ جاؤُوا رَسُولَ الله ﷺ، فقالُوا: يا مُحَمَّدُ، أخْبِرْنا عَنْ أرْبَعٍ نَسْأَلُكَ عَنْهُنَّ، فإنْ فَعَلْتَ ذلك اتَّبَعْناكَ وصَدَّقْناكَ، وآمَنّا بِكَ. قالَ: فقالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِذلك عَهْدُ الله ومِيثاقُهُ، لَئِنْ أنا أخْبَرْتُكُمْ بِذلك لَتُصَدِّقُنَّني؟» قالُوا: نَعَمْ، قالَ: «فاسْألُوا عَمّا بَدا لَكُمْ»، قالُوا: فأخْبِرْنا كَيْفَ يُشْبِهُ الوَلَدُ أُمَّهُ، وإنَّما النُّطْفَةُ مِنَ الرَّجُلِ؟ قالَ: فقالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: «أَنْشُدُكُمْ بالله وبِأيّامِهِ عِنْدَ بَنِي إسْرائِيلَ، هَلْ تَعْلَمُونَ أنَّ نُطْفَةَ الرَّجُلِ بَيْضاءُ غَلِيظَةٌ، ونُطْفَةَ المَرْأةِ صَفْراءُ رَقِيقَةٌ، فأيَّتُهُما عَلَتْ صاحِبَتَها كانَ لَها الشَّبَهُ؟» قالُوا: اللهُمَّ نَعَمْ، قالُوا: فَأَخْبِرْنا كَيْفَ نَوْمُكَ؟ فقالَ: «أَنْشُدُكُمْ بالله وبِأيّامِهِ عِنْدَ بَنِي إسْرائِيلَ، هَلْ تَعْلَمُونَ أنَّ نَوْمَ الَّذي تَزْعُمُونَ أنِّي لَسْتُ بِهِ تَنامُ عَيْنُهُ وقَلْبُهُ يَقْظانُ؟» فقالُوا: اللهُمَّ نَعَمْ، قالَ: «فكَذلك نَوْمِي، تَنامُ عَيْني وقَلْبِي يَقْظانُ»، قالُوا: فأخْبِرْنا عَمّا حَرَّمَ إسْرائِيلُ على نَفْسِهِ؟ قالَ: «أَنْشُدُكُمْ بالله وبِأيّامِهِ عِنْدَ بَنِي إسْرائِيلَ، هَلْ تَعْلَمُونَ أنَّهُ كانَ أحَبَّ الطَّعامِ والشَّرابِ إلَيْهِ ألْبانُ الإبِلِ ولُحُومُها، وأنَّهُ اشْتَكى شَكْوى، فعافاهُ اللهُ مِنْها، فحَرَّمَ على نَفْسِهِ أحَبَّ الطَّعامِ والشَّرابِ إلَيْهِ شُكْرًا لله، فحَرَّمَ على نَفْسِهِ لُحُومَ الإبِلِ وألْبانَها؟» قالُوا: اللهُمَّ نَعَمْ، قالُوا: فأخْبِرْنا عَنِ الرُّوحِ؟ قالَ: «أَنْشُدُكُمْ بالله وبِأيّامِهِ عِنْدَ بَنِي إسْرائِيلَ، هَلْ تَعْلَمُونَهُ جِبْرِيلُ، وهُوَ الَّذي يَأْتِينِي؟» قالُوا: اللهُمَّ

نَعَمْ، ولَكِنَّهُ يا مُحَمَّدُ لَنا عَدُوٌّ، وهُوَ مَلَكٌ، إنَّما يَأْتِي بِالشِّدَّةِ وبِسَفْكِ الدِّماءِ، ولَوْلا ذلك لاتَّبَعْناكَ، قالَ: فأنْزَلَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ فيهِمْ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧] إلى قَوْلِهِ تَعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة: ١٠٠-١٠٢]؛ أي: السِّحْر، ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

[إنْكارُ اليَهُودِ نُبُوَّةَ داوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ، ورَدُّ اللهِ عَلَيْهِمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وذلك أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فيما بَلَغَنِي لَمّا ذَكَرَ سُلَيْمانَ ابنَ داوُدَ في المُرْسَلِينَ، قالَ بَعْضُ أحْبارِهِمْ: ألا تَعْجَبُونَ مِنْ مُحَمَّدٍ، يَزْعُمُ أنَّ سُلَيْمانَ بنَ داوُدَ كانَ نَبِيًّا؟! واللهِ ما كانَ إلّا ساحِرًا. فأنْزَلَ اللهُ تَعالى في ذلك مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة: ١٠٢]؛ أيْ بِاتِّباعِهِمُ السِّحْرَ وعَمَلِهِمْ بِهِ. ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي بَعْضُ مَنْ لا أتَّهِمُ عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابنِ عَبّاسٍ، أنَّهُ كانَ يَقُولُ: الَّذي حَرَّمَ إسْرائِيلُ على نَفْسِهِ: زائِدَتا الكَبِدِ، والكُلْيَتانِ، والشَّحْمُ، إلّا ما كانَ على الظَّهْرِ، فإنَّ ذلك كانَ يُقَرَّبُ لِلْقُرْبانِ، فتَأْكُلُهُ النّارُ.

[كِتابُهُ ﷺ إلى يَهُودِ خَيْبَرَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكَتَبَ رَسُولُ الله ﷺ إلى يَهُودِ خَيْبَرَ، فيما حَدَّثَنِي مَوْلًى لِآلِ زَيْدِ بنِ ثابِتٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ أوْ عَنْ سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابنِ عَبّاسٍ: «بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله ﷺ، صاحِبِ مُوسى وأخِيهِ، والمُصَدِّقِ لِما جاءَ بِهِ مُوسى: ألا إنَّ الله قَدْ قالَ لَكُمْ يا مَعْشَرَ أهْلِ التَّوْراةِ، وإنَّكُمْ لَتَجِدُونَ ذلك في كِتابِكُمْ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

وَإنِّي أنْشُدُكُمْ بالله، وأنْشُدُكُمْ بِما أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ، وأنْشُدُكُمْ بِالَّذِي أطْعَمَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ مِنْ أسْباطِكُمُ المَنَّ والسَّلْوى، وأنْشُدُكُمْ بِالَّذِي أيْبَسَ البَحْرَ لِآبائِكُمْ حَتّى أنْجاهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وعَمَلِهِ، إلّا أخْبَرْتُمُونِي: هَلْ تَجِدُونَ فيما أنْزَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ أنْ تُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ؟ فإنْ كُنْتُمْ لا تَجِدُونَ ذلك في كِتابِكُمْ فلا كُرْهَ عَلَيْكُمْ، قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ، فأدْعُوكُمْ إلى الله وإلى نَبِيِّهِ».

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابن هِشام: شَطْؤُه: فِراخُهُ، وواحِدَتُهُ: شَطْأَةٌ. تَقُولُ العَرَبُ: قَدْ أشْطَأَ الزَّرْعُ: إذا أخْرَجَ فِراخَهُ. وآزَرَهُ: عاوَنَهُ، فصارَ الَّذي قَبْلَهُ مِثْلَ الأُمَّهاتِ.

قالَ امْرُؤُ القَيْسِ بنُ حُجْرٍ الكِنْدِيُّ:

بِمَحْنِيةٍ قَدْ آزَرَ الضّالَّ نَبْتُها مَجَرَّ جُيُـوشٍ غانِمِينَ وخُيَّبِ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. وقالَ حُمَيْدُ بنُ مالِكٍ الأرْقَطُ، أحَدُ بَنِي رَبِيعةَ ابنِ مالِكِ بنِ زَيْدِ مَناةَ:

زَرْعًا وقَضْبًـا مُؤْزَرَ النَّباتِ

وَهذا البَيْتُ في أُرْجُوزةٍ لَهُ.

وسُوقُهُ غَيْرَ مَهْمُوزٍ: جَمْعُ ساقٍ، لِساقِ الشَّجَرةِ.

[ما نَزَلَ في أبي ياسِرٍ وأخِيهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ مِمَّنْ نَزَلَ فيهِ القُرْآنُ، بِخاصّةٍ مِنَ الأحْبارِ وكُفّارِ يَهُودَ، الَّذي كانُوا يَسْأَلُونَهُ ويَتَعَنَّتُونَهُ لِيَلْبِسُوا الحَقَّ بِالباطِلِ فيما ذُكِرَ لِي عَنْ عَبْدِ الله بنِ عَبّاسٍ وجابِرِ بنِ عَبْدِ الله بنِ رِئابٍ: أنَّ أبا ياسِرِ بنَ أخْطَبَ مَرَّ بِرَسُولِ الله ﷺ وهُوَ يَتْلُو فاتِحَةَ البَقَرةِ: ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ١، ٢]، فَأَتى أخاهُ حُيَيَّ بنَ أخْطَبَ في رِجالٍ مِنْ يَهُودَ، فقالَ: تَعَلَّمُوا واللهِ، لَقَدْ سَمِعْتُ مُحَمَّدًا يَتْلُو فيما أُنْزِلَ عَلَيْهِ: ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة: ١، ٢]، فقالُوا: أنْتَ سَمِعْتَهُ؟ فقالَ: نعم، فمشى حُيَيُّ بنُ أخْطَبَ في أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنْ يَهُودَ إلى رَسُولِ الله ﷺ، فقالُوا لَهُ: يا مُحَمَّدُ، أَلَمْ يُذْكَرْ لَنا أنَّكَ تَتْلُو فيما أُنْزِلَ إلَيْكَ: ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة: ١، ٢]؟ فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «بَلى»، قالُوا: أجاءَكَ بِها جِبْرِيلُ مِنْ عِنْدِ الله؟ فَقالَ: «نَعَمْ»، قالُوا: لَقَدْ بَعَثَ الله قَبْلَكَ أنْبِياءَ، ما نَعْلَمُهُ بَيَّنَ لِنَبِيٍّ مِنْهُمْ ما مُدّةُ مُلْكِهِ، وما أُكْلُ أُمَّتِهِ غَيْرُكَ،

فقالَ حُيَيُّ بنُ أخْطَبَ، وأقْبَلَ على مَنْ مَعَهُ، فقالَ لَهُمْ: الألِفُ واحِدةٌ، واللّامُ ثَلاثُونَ، والمِيمُ أرْبَعُونَ، فهَذِهِ إحْدى وسَبْعُونَ سَنةً، أفَتَدْخُلُونَ في دِينٍ؟ إنَّما مُدّةُ مُلْكِهِ وأكْلُ أُمَّتِهِ إحْدى وسَبْعُونَ سَنةً؟ ثُمَّ أقْبَلَ على رَسُولِ الله ﷺ، فقالَ: يا مُحَمَّدُ، هَلْ مَعَ هذا غَيْرُهُ؟ قالَ: «نَعَمْ»، قالَ: ماذا؟ قالَ: «﴿الٓمٓصٓ﴾ [الأعراف: ١]». قالَ: هَذِهِ والله أثْقَلُ وأطْوَلُ، الألِفُ واحِدةٌ، واللّامُ ثَلاثُونَ، والمِيمُ أرْبَعُونَ، والصّادُ تِسْعُونَ، فهَذِهِ إحْدى وستّون ومئة سَنةٍ، هَلْ مَعَ هذا يا مُحَمَّدُ غَيْرُهُ؟ قالَ: «نَعَمْ، ﴿الٓر﴾ [يونس: ١]». قالَ: هَذِهِ والله أثْقَلُ وأطْوَلُ، الألِفُ واحِدةٌ، واللّامُ ثَلاثُونَ، والرّاءُ مِئَتانِ، فهَذِهِ إحْدى وثَلاثُونَ ومئتان، هَلْ مَعَ هذا غَيْرُهُ يا مُحَمَّدُ؟ قالَ: «نَعَمْ ﴿الٓمٓر﴾ [الرعد: ١]». قالَ: هَذِهِ واللهِ أثْقَلُ وأطْوَلُ، الألِفُ واحِدةٌ، واللّامُ ثَلاثُونَ، والمِيمُ أرْبَعُونَ، والرّاءُ مِئَتانِ، فهَذِهِ إحْدى وسَبْعُونَ ومِئَتا سَنةٍ، ثُمَّ قالَ: لَقَدْ لُبِّسَ عَلَيْنا أمْرُكَ يا مُحَمَّدُ، حَتّى ما نَدْرِي أقَلِيلًا أُعْطِيتَ أمْ كَثِيرًا؟ ثُمَّ قامُوا عَنْهُ، فقالَ أبو ياسِرٍ لِأخِيهِ حُيَيِّ بنِ أخْطَبَ ولِمَنْ مَعَهُ مِنَ الأحْبارِ: ما يُدْرِيكُمْ لَعَلَّهُ قَدْ جُمِعَ هذا كُلُّهُ لِمُحَمَّدٍ، إحْدى وسَبْعُونَ، وإحْدى وسِتُّونَ ومِئةٌ، وإحْدى وثَلاثُونَ وَمِئَتانِ، وإحْدى وسَبْعُونَ ومِئَتانِ، فذلك سَبْعُ مِئةٍ وأرْبَعٌ وثَلاثُونَ سَنةً، فقالُوا: لَقَدْ تَشابَهَ عَلَيْنا أمْرُهُ. فيزْعُمُونَ أنَّ هَؤُلاءِ الآياتِ نَزَلَتْ فيهِمْ: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ سَمِعْتُ مَنْ لا أتَّهِمُ مِنْ أهْلِ العِلْمِ يَذْكُرُ أنَّ هَؤُلاءِ الآياتِ إنَّما أُنْزِلْنَ في أهْلِ نَجْرانَ، حَيْنَ قَدِمُوا على رَسُولِ الله ﷺ يَسْألُونَهُ عَنْ عِيسى بنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ أبي أُمامةَ بنِ سَهْلِ بنِ حُنَيْفٍ،

أنَّهُ قَدْ سَمِعَ أنَّ هَؤُلاءِ الآياتِ إنَّما أُنْزِلْنَ في نَفَرٍ مِنْ يَهُودَ، ولَمْ يُفَسِّرْ ذلك لِي. فالله أعْلَمُ أيَّ ذلك كانَ.

[كُفْرُ اليَهُودِ بِهِ ﷺ بَعْدَ اسْتِفْتاحِهِمْ بِهِ، وما نَزَلَ في ذلك]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ فيما بَلَغَنِي عَنْ عِكْرِمةَ مَوْلى ابنِ عَبّاسٍ، أوْ عَنْ سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابنِ عَبّاسٍ: أنَّ يَهُودَ كانُوا يَسْتَفْتِحُونَ على الأوْسِ والخَزْرَجِ بِرَسُولِ الله ﷺ قَبْلَ مَبْعَثِهِ، فلَمّا بَعَثَهُ الله مِنَ العَرَبِ كَفَرُوا بِهِ، وجَحَدُوا ما كانُوا يَقُولُونَ فيهِ. فقالَ لَهُمْ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ وبِشْرُ ابنُ البَراءِ بنِ مَعْرُورٍ، أخُو بَنِي سَلِمةَ: يا مَعْشَرَ يَهُودَ، اتَّقُوا الله وأسْلِمُوا، فقَدْ كُنْتُمْ تَسْتَفْتِحُونَ عَلَيْنا بِمُحَمَّدٍ ونَحْنُ أهْلُ شِرْكٍ، وتُخْبِرُونَنا أنَّهُ مَبْعُوثٌ، وتَصِفُونَهُ لَنا بِصِفتِهِ، فقالَ سَلّامُ بنُ مِشْكَمٍ، أحَدُ بَنِي النَّضِيرِ: ما جاءَنا بِشَيْءٍ نَعْرِفُهُ، وما هُوَ بِالَّذِي كُنّا نَذْكُرُهُ لَكُمْ، فأنْزَلَ الله في ذلك مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

[ما نَزَلَ في نُكْرانِ مالِكِ بنِ الصَّيفِ العَهْدَ إلَيْهِمْ بِالنَّبِيِّ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ مالِكُ بنُ الصَّيفِ، حِيْنَ بُعِثَ رَسُولُ الله ﷺ، وذَكَرَ لَهُمْ ما أُخِذَ عَلَيْهِمْ لَهُ مِنَ المِيثاقِ، وما عَهِدَ الله إلَيْهِمْ فيهِ: واللهِ ما عُهِدَ إلَيْنا في مُحَمَّدٍ عَهْدٌ، وما أُخِذَ لَهُ عَلَيْنا مِنْ مِيثاقٍ. فأنْزَلَ الله فيهِ: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

[البقرة: ١٠٠].

[ما نَزَلَ في قَوْلِ أبي صَلُوبا: «ما جِئْتَنا بِشَيْءٍ نَعْرِفُهُ»]

وَقالَ أبو صَلُوبا الفِطْيَوْنِيُّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يا مُحَمَّدُ، ما جِئْتَنا بِشَيْءٍ نَعْرِفُهُ، وما أنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ مِنْ آيةٍ فنَتَّبِعَكَ لَها. فأنْزَلَ اللهُ تَعالى في ذلك مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [البقرة: ٩٩].

[ما نَزَلَ في قَوْلِ ابنِ حُرَيْمِلةَ ووَهْبٍ]

وَقالَ رافِعُ بنُ حُرَيْمِلةَ، ووَهْبُ بنُ زَيْدٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يا مُحَمَّدُ، ائْتِنا بِكِتابٍ تُنَزِّلُهُ عَلَيْنا مِنَ السَّماءِ نَقْرَؤُهُ، وفَجِّرْ لَنا أنهارًا نَتَّبِعْكَ ونُصَدِّقْكَ. فأنْزَلَ اللهُ تَعالى في ذلك مِنْ قَوْلِهِما: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [البقرة: ١٠٨].

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: سَواءُ السَّبِيلِ: وسَطُ السَّبِيلِ. قالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ:

يا ويْحَ أنْصارِ النَّبِيِّ ورَهْطِهِ   بَعْدَ المُغَيَّبِ في سَواءِ المُلْحَدِ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ سَأذْكُرُها في مَوْضِعِها إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

[ما نَزَلَ في صَدِّ حُيَيٍّ وأخِيهِ النّاسَ عَنِ الإسْلامِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ حُيَيُّ بنُ أخْطَبَ وأخُوهُ أبو ياسِرِ بنُ أخْطَبَ مِنْ أشَدِّ يَهُودَ لِلْعَرَبِ حَسَدًا؛ إذْ خَصَّهُمُ اللهُ تَعالى بِرَسُولِهِ ﷺ، وكانا جاهِدَيْنِ في رَدِّ النّاسِ عَنِ الإسْلامِ بِما اسْتَطاعا، فأنْزَلَ اللهُ تَعالى فيهِما: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ

مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

[تنازُعُ اليَهُودِ والنَّصارى عِنْدَ الرَّسُولِ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمّا قَدِمَ أهْلُ نَجْرانَ مِنَ النَّصارى على رَسُولِ الله ﷺ أتَتْهُمْ أحْبارُ يَهُودَ، فتَنازَعُوا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، فقالَ رافِعُ بنُ حُرَيْمِلَةَ: ما أنْتُمْ على شَيْءٍ، وكَفَرَ بِعِيسى وبِالإنْجِيلِ، فقالَ رَجُلٌ مِنْ أهْلِ نَجْرانَ مِنَ النَّصارى لِلْيَهُودِ: ما أنْتُمْ على شَيْءٍ، وجَحَدَ نُبُوّةَ مُوسى وكَفَرَ بِالتَّوْراةِ، فأنْزَلَ اللهُ تَعالى في ذلك مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ [البقرة: ١١٣]؛ أيْ كُلٌّ يَتْلُو في كِتابِهِ تَصْدِيقَ ما كَفَرَ بِهِ؛ أيْ يَكْفُرُ اليَهُودُ بِعِيسى، وعِنْدَهُمُ التَّوْراةُ فيها ما أخَذَ الله عَلَيْهِمْ على لِسانِ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ بِالتَّصْدِيقِ بِعِيسى عَلَيْهِ السَّلامُ، وفي الإنْجِيلِ ما جاءَ بِهِ عِيسى عَلَيْهِ السَّلامُ، مِنْ تَصْدِيقِ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ، وما جاءَ بِهِ مِنَ التَّوْراةِ مِنْ عِنْدِ الله، وكُلٌّ يَكْفُرُ بِما في يَدِ صاحِبِهِ.

[ما نَزَلَ في طَلَبِ ابنِ حُرَيْمِلةَ أنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ رافِعُ بنُ حُرَيْمِلةَ لِرَسُولِ الله ﷺ: يا مُحَمَّدُ، إنْ كُنْتَ رَسُولًا مِنَ الله كَما تَقُولُ، فقُلْ لله فلْيُكَلِّمْنا حَتّى نَسْمَعَ كَلامَهُ. فَأنْزَلَ الله تَعالى في ذلك مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ

أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٨].

[ما نَزَلَ في سُؤالِ ابنِ صُورِيّا لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بِأَنْ يَتَهَوَّدَ]

وَقالَ عَبْدُ اللهِ بنُ صُورِيَا الأَعْوَرُ الفِطْيَوْنِيُّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: ما الهُدى إلّا ما نَحْنُ عَلَيْهِ، فاتَّبِعْنا يا مُحَمَّدُ تَهْتَدِ، وقالَتِ النَّصارى مِثْلَ ذلك.

فَأَنْزَلَ اللهُ تَعالى في ذلك مِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللهِ بنِ صُورِيَا وما قالَتِ النَّصارى: ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة: ١٣٥]. ثُمَّ القِصّةَ إلى قَوْلِ اللهِ عز وجل: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٤].

[مَقالةُ اليَهُودِ عِنْدَ صَرْفِ القِبْلةِ إلى الكَعْبةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمّا صُرِفَتِ القِبْلةُ عَنِ الشّامِ إلى الكَعْبةِ، وصُرِفَتْ في رَجَبٍ على رَأْسِ سَبْعةَ عَشَرَ شَهْرًا مِنْ مَقْدَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ المَدِينةَ، أتى رَسُولَ اللهِ ﷺ رِفاعةُ بنُ قَيْسٍ، وقَرْدَمُ بنُ عَمْرٍو، وكَعْبُ بنُ الأَشْرَفِ، ورافِعُ ابنُ أَبِي رافِعٍ، والحَجّاجُ بنُ عَمْرٍو، حَلِيفُ كَعْبِ بنِ الأَشْرَفِ، والرَّبِيعُ بنُ الرَّبِيعِ بنِ أَبِي الحُقَيْقِ، وكِنانةُ بنُ الرَّبِيعِ بنِ أَبِي الحُقَيْقِ، فقالُوا: يا مُحَمَّدُ، ما ولّاكَ عَنْ قِبْلَتِكَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها وأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ على مِلّةِ إبراهِيمَ ودِينِهِ؟ ارْجِعْ إلى قِبْلَتِكَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها نَتَّبِعْكَ ونُصَدِّقْكَ. وإنَّما يُرِيدُونَ بِذلك فِتْنَتَهُ عَنْ دِينِهِ، فأَنْزَلَ اللهُ تَعالى فيهِمْ: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ

عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ ﴾ [البقرة: ١٤٢، ١٤٣]؛ أي ابْتِلاءً واخْتِبارًا ﴿ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أيْ مِنَ الفِتَنِ: أي الَّذينَ ثَبَّتَ اللهُ ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أيْ: إيمانَكُمْ بِالقِبْلَةِ الأُولى، وتَصْدِيقَكُمْ نَبِيَّكُمْ، واتِّباعَكُمْ إيّاهُ إلى القِبْلَةِ الآخِرةِ، وطاعَتَكُمْ نَبِيَّكُمْ فيها؛ أيْ: لَيُعْطِيَنَّكُمْ أجْرَهُما جَمِيعًا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ ﴾ [البقرة: ١٤٤].

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: شَطْرَهُ: نَحْوَهُ وقَصْدَهُ. قالَ عَمْرُو بنُ أحْمَرَ الباهِلِيُّ وباهِلةُ ابن يَعْصُرَ بنِ سَعْدِ بنِ قَيْسِ بنِ عَيْلانَ يَصِفُ ناقةً لَهُ:

تَعْدُو بِنا شَـطْرَ جَمْعٍ وهْيَ عاقِدةٌ ... قَدْ كارَبَ العَقْدُ مِنْ إيفادِها الحَقَبا

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

وَقالَ قَيْسُ بنُ خُوَيْلِدٍ الهُذَلِيُّ يَصِفُ ناقَتَهُ:

إنَّ النَّعُـوسَ بِها داءٌ مُخامِرُها ... فشَطْرَها نَظَرُ العَيْنَيْنِ مَحْسُورُ

وَهذا البَيْتُ في أبْياتٍ لَهُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: والنَّعُوسُ: ناقَتُه، وكانَ بِها داءٌ، فنَظَرَ إلَيْها نَظَرَ حَسِيرٍ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ وَهُوَ حَسِيرٞ ﴾ [الملك: ٤].

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ * وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٤٥].

قالَ ابنُ إسْحاقَ: إلى قَوْلِهِ تعالى: ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [البقرة: ١٤٧].

[كِتْمانُهُمْ ما في التَّوْراةِ مِنَ الحَقِّ]

وَسَأَلَ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ أخُو بَنِي سَلِمةَ، وسَعْدُ بنُ مُعاذٍ أخُو بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، وخارِجَةُ بنُ زَيْدٍ أخُو بَلْحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، نَفَرًا مِنْ أَحْبارِ يَهُودَ عَنْ بَعْضِ ما في التَّوْراةِ، فكَتَمُوهُمْ إيّاهُ، وأَبَوْا أنْ يُخْبِرُوهُمْ عَنْهُ، فأَنْزَلَ اللهُ تَعالى فيهِمْ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٩].

[جَوابُهُمْ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ حِينَ دَعاهُمْ إلى الإِسْلامِ]

قالَ: ودَعا رَسُولُ اللهِ ﷺ اليَهُودَ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ إلى الإِسْلامِ ورَغَّبَهُمْ فيهِ، وحَذَّرَهُمْ عَذابَ اللهِ ونِقْمَتَهُ، فقالَ لَهُ رافِعُ بنُ خارِجَةَ، ومالِكُ بنُ عَوْفٍ: بَلْ نَتَّبِعُ يا مُحَمَّدُ ما وجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا، فهُمْ كانُوا أَعْلَمَ وخَيْرًا مِنّا.

فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ في ذلك مِنْ قَوْلِهِما: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠].

[جَمْعُهُمْ في سُوقِ بَنِي قَيْنُقاعَ]

وَلَمّا أصابَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ قُرَيْشًا يَوْمَ بَدْرٍ، جَمَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَهُودَ في سُوقِ بَنِي قَيْنُقاعَ حَيْنَ قَدِمَ المَدِينَةَ، فقالَ: يا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِمِثْلِ ما أصابَ بِهِ قُرَيْشًا، فقالُوا لَهُ: يا مُحَمَّدُ، لا يَغُرَّنَّكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ، كانُوا أَغْمارًا لا يَعْرِفُونَ القِتالَ، إنَّكَ واللهِ لَوْ قاتَلْتَنا لَعَرَفْتَ أَنّا نَحْنُ النّاسُ، وأَنَّكَ لَمْ تَلْقَ مِثْلَنا. فأنْزَلَ اللهُ تَعالى في ذلك مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ * قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران: ١٢، ١٣].

[دُخُولُهُ ﷺ بَيْتَ المِدْراسِ]

قالَ: ودَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْتَ المِدْراسِ على جَماعةٍ مِنْ يَهُودَ، فدَعاهُمْ إلى اللهِ، فقالَ لَهُ النُّعْمانُ بنُ عَمْرٍو، والحارِثُ بنُ زَيْدٍ: على أيِّ دِينٍ أنْتَ يا مُحَمَّدُ؟ قالَ: «على مِلّةِ إبْراهِيمَ ودِينِهِ»، قالا: فإنَّ إبْراهِيمَ كانَ يَهُودِيًّا، فقالَ لَهُما رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فهَلُمَّ إلى التَّوْراةِ، فهِيَ بَيْنَنا وبَيْنَكُمْ». فَأَبَيا عَلَيْهِ، فأنْزَلَ اللهُ تَعالى فيهِما: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣، ٢٤].

[اخْتِلافُ اليَهُودِ والنَّصارى في إبْراهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ]

وَقالَ أحْبارُ يَهُودَ ونَصارى نَجْرانَ حَيْنَ اجْتَمَعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ

فتَنازَعُوا، فقالَتِ الأحْبارُ: ما كانَ إبْراهِيمُ إلّا يَهُودِيًّا، وقالَتِ النَّصارى مِنْ أهْلِ نَجْرانَ: ما كانَ إبْراهِيمُ إلّا نَصْرانِيًّا. فأنْزَلَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ فيهِمْ: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٥-٦٨].

[ما نَزَلَ فيما هَمَّ بِهِ بَعْضُهُمْ مِنَ الإيمانِ غُدْوةً، والكُفْرِ عَشِيّةً]

وَقالَ عَبْدُ الله بنُ صَيْفٍ، وعَدِيُّ بنُ زَيْدٍ، والحارِثُ بنُ عَوْفٍ، بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تَعالَوْا نُؤْمِنْ بِما أُنْزِلَ على مُحَمَّدٍ وأصْحابِهِ غُدْوةً، ونَكْفُرْ بِهِ عَشِيّةً، حَتّى نَلْبِسَ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَصْنَعُونَ كَما نَصْنَعُ، ويَرْجِعُونَ عَنْ دِينِهِ. فأنْزَلَ اللهُ تَعالى فيهِمْ: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٧١-٧٣].

[ما نَزَلَ في قَوْلِ أبي رافِعٍ والنَّجْرانِيِّ: أتُرِيدُ أنْ نَعْبُدَكَ كَما تَعْبُدُ النَّصارى عِيسى؟]

وَقالَ أبو رافِعٍ القُرَظِيُّ، حِينَ اجْتَمَعَتِ الأحْبارُ مِنْ يَهُودَ، والنَّصارى مِنْ أهْلِ نَجْرانَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، ودَعاهُمْ إلى الإسْلامِ: أتُرِيدُ مِنّا يا مُحَمَّدُ

أنْ نَعْبُدَكَ كَما تَعْبُدُ النَّصارى عِيسى بنَ مَرْيَمَ؟ وقالَ رَجُلٌ مِنْ أهْلِ نَجْرانَ نَصْرانِيٌّ، يُقالُ لَهُ: الرِّبيِّسُ، وَيُرْوى: الرَّيِّسُ، والرَّئِيسُ: أوَذاكَ تُرِيدُ مِنّا يا مُحَمَّدُ وإلَيْهِ تَدْعُونا؟ أوْ كَما قالَ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَعاذَ اللهِ أنْ أعْبُدَ غَيْرَ اللهِ، أوْ آمُرَ بِعِبادةِ غَيْرِهِ، فما بِذلك بَعَثَني اللهُ، ولا أمَرَنِي»، أوْ كَما قالَ. فأنْزَلَ اللهُ تَعالى في ذلك مِنْ قَوْلِهِما: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩] إلى قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٠].

قالَ ابنُ هِشامٍ: الرَّبّانِيُّونَ: العُلَماءُ الفُقَهاءُ السّادةُ، واحِدُهُمْ: رَبّانِيٌّ.

قالَ الشّاعِرُ:

لَوْ كُنْتُ مُرْتَهَنًا في القَوْسِ أفْتَنَني ... مِنْها الكَلامُ ورَبّانِيّ أحْبارِ

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: القُوسُ: صَوْمَعةُ الرّاهِبِ. و(أفْتَنَنِي) لُغةُ تَمِيمٍ، و(فَتَنَنِي) لُغةُ قَيْسٍ.

قالَ جَرِيرٌ:

لا وصْلَ إذْ صَرَمَتْ هِنْدٌ ولَوْ وقَفَتْ ... لاسْتَنْزَلَتْنِي وذا المِسْحَيْنِ في القُوسِ

أيْ: صَوْمَعةِ الرّاهِبِ. والرَّبّانِيُّ: مُشْتَقٌّ مِنَ الرَّبِّ، وهُوَ السَّيِّدُ، وفي كِتابِ اللهِ: ﴿ فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ﴾ [يوسف: ٤١]؛ أيْ: سَيِّدَهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم

بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٠].

[ما نَزَلَ في أَخْذِ المِيثاقِ عَلَيْهِمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ ذَكَرَ ما أخَذَ الله عَلَيْهِمْ وعلى أنْبيائِهِمْ مِنَ المِيثاقِ بِتَصْدِيقِهِ إذْ هُوَ جاءَهُمْ، وإقْرارِهِمْ، فقالَ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١] إلى آخِرِ القِصّةِ.

[سَعْيُهُمْ في الوَقِيعةِ بَيْنَ الأنْصارِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومَرَّ شَأْسُ بنُ قَيْسٍ ـ وكانَ شَيْخًا قَدْ عَسا، عَظِيمَ الكُفْرِ شَدِيدَ الضِّغْنِ على المُسْلِمِينَ، شَدِيدَ الحَسَدِ لَهُمْ ـ على نَفَرٍ مِنْ أصْحابِ رَسُولِ الله ﷺ مِنَ الأوْسِ والخَزْرَجِ في مَجْلِسٍ قَدْ جَمَعَهُمْ، يَتَحَدَّثُونَ فيهِ، فغاظَهُ ما رَأى مِنْ أُلْفَتِهِمْ وجَماعَتِهِمْ، وصَلاحِ ذاتِ بَيْنِهِمْ على الإسْلامِ، بَعْدَ الَّذي كانَ بَيْنَهُمْ مِنَ العَداوةِ في الجاهِلِيّةِ، فقالَ: قَدِ اجْتَمَعَ مَلَأُ بَنِي قَيْلَةَ بِهَذِهِ البِلادِ، لا واللهِ ما لَنا مَعَهُمْ إذا اجْتَمَعَ مَلَؤُهُمْ بِها مِنْ قَرارٍ. فأمَرَ فتًى شابًّا مِنْ يَهُودَ كانَ مَعَهُمْ، فقالَ: اعْمِدْ إلَيْهِمْ، فاجْلِسْ مَعَهُمْ، ثُمَّ اذْكُرْ يَوْمَ بُعاثَ وما كانَ قَبْلَهُ، وأنْشِدْهُمْ بَعْضَ ما كانُوا تَقاوَلُوا فيهِ مِنَ الأشْعارِ.

[شَيْءٌ عَنْ يَوْمِ بُعاثَ]

وَكانَ يَوْمُ بُعاثَ يَوْمًا اقْتَتَلَتْ فيهِ الأوْسُ والخَزْرَجُ، وكانَ الظَّفَرُ فيهِ

يَوْمئذٍ لِلْأَوْسِ على الخَزْرَجِ، وكانَ على الأَوْسِ يَوْمَئِذٍ حُضَيْرُ بنُ سِماكٍ الأَشْهَلِيُّ، أبو أُسَيْدِ بنِ حُضَيْرٍ، وعلى الخَزْرَجِ عَمْرُو بنُ النُّعْمانِ البَياضِيُّ، فقُتِلا جَمِيعًا.

قالَ ابنُ هِشامٍ: قالَ أبو قَيْسِ بنُ الأَسْلَتِ:

على أنْ قَدْ فُجِعْتُ بِذِي حِفاظٍ فعـاوَدَنِي لَهُ حُـزْنٌ رَصِينُ
فَإمّـا تَقْتُلُـوهُ فـإنَّ عَمْرًا أُعِضَّ بِرَأْسِـهِ عَضْبٌ سَنِينُ

وَهذانِ البَيْتانِ في قَصِيدةٍ لَهُ. وحَدِيثُ يَوْمِ بُعاثَ أطْوَلُ مِمّا ذَكَرْتُ، وإنَّما مَنَعَنِي مِنِ اسْتِقْصائِهِ ما ذَكَرْتُ مِنَ القَطْعِ.

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: سَنِين: مَسْنُونٌ؛ مِنْ سَنَّهُ: إذا شَحَذَهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ففَعَلَ، فتَكَلَّمَ القَوْمُ عِنْدَ ذلك وتَنازَعُوا وتَفاخَرُوا حَتّى تَواثَبَ رَجُلانِ مِنَ الحَيَّيْنِ على الرُّكَبِ: أَوْسُ بنُ قَيْظِيٍّ، أحَدُ بَنِي حارِثَةَ بنِ الحارِثِ، مِنَ الأَوْسِ، وجَبّارُ بنُ صَخْرٍ، أحَدُ بَنِي سَلِمةَ مِنَ الخَزْرَجِ، فتَقاوَلا، ثُمَّ قالَ أحَدُهُما لِصاحِبِهِ: إنْ شِئْتُمْ رَدَدْناها الآنَ جَذَعَةً، فغَضِبَ الفَرِيقانِ جَمِيعًا، وقالُوا: قَدْ فعَلْنا، مَوْعِدُكُمُ الظّاهِرةُ، والظّاهِرةُ: الحرّةُ. السِّلاحَ السِّلاحَ.

فَخَرَجُوا إِلَيْها، فبَلَغَ ذلك رَسُولَ الله ﷺ، فخَرَجَ إِلَيْهِمْ فيمَنْ مَعَهُ مِنْ أصْحابِهِ المُهاجِرِينَ حَتّى جاءَهُمْ، فقالَ: «يا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، اللهَ اللهَ، أبِدَعْوى الجاهِلِيّةِ وأنا بَيْنَ أظْهُرِكُمْ بَعْدَ أنْ هَداكُمُ اللهُ لِلْإسْلامِ، وأكْرَمَكُمْ بِهِ، وقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أمْرَ الجاهِلِيّةِ، واسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِنَ الكُفْرِ، وألَّفَ بِهِ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟»، فعَرَفَ القَوْمُ أنَّها نَزْغةٌ مِنَ الشَّيْطانِ، وكَيْدٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ،

فبَكَوْا وعانَقَ الرِّجالُ مِنَ الأوْسِ والخَزْرَجِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ثُمَّ انْصَرَفُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سامِعِينَ مُطِيعِينَ، قَدْ أطْفَأ اللهُ عَنْهُمْ كَيْدَ عَدُوِّ اللهِ شاسِ ابنِ قَيسٍ. فأنْزَلَ اللهُ تَعالى في شأسِ بنِ قَيْسٍ وما صَنَعَ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ٩٨، ٩٩].

وَأنْزَلَ اللهُ في أوْسِ بنِ قَيْظِيٍّ وجَبّارِ بنِ صَخْرٍ ومَنْ كانَ مَعَهُما مِنْ قَوْمِهِما الَّذينَ صَنَعُوا ما صَنَعُوا عَمّا أدْخَلَ عَلَيْهِمْ شَأْسٌ مِنْ أمْرِ الجاهِلِيَّةِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠٢] إلى قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

[ما نَزَلَ في قَوْلِهِمْ: ما آمَنَ إلّا شِرارُنا]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمّا أسْلَمَ عَبْدُ اللهِ بنُ سَلامٍ، وثَعْلَبَةُ بنُ سَعْيَةَ، وأُسَيْدُ ابنُ سَعْيَةَ، وأسَدُ بنُ عُبَيْدٍ، ومَنْ أسْلَمَ مِنْ يَهُودَ مَعَهُمْ، فآمَنُوا وصَدَّقُوا ورَغِبُوا في الإسْلامِ، ورَسَخُوا فيهِ، قالَتْ أحْبارُ يَهُودَ، أهْلُ الكُفْرِ مِنْهُمْ: ما آمَنَ بِمُحَمَّدٍ ولا اتَّبَعَهُ إلّا شِرارُنا، ولَوْ كانُوا مِنْ أخْيارِنا ما تَرَكُوا دِينَ آبائِهِمْ وذَهَبُوا إلى غَيْرِهِ.

فَأنْزَلَ اللهُ تَعالى في ذلك مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿ لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٣].

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: آناءَ اللَّيْلِ: ساعاتِ اللَّيْلِ، وواحِدُها: إِنْيٌ. قالَ المُتَنَخِّلُ الهُذَلِيُّ، واسْمُهُ: مالِكُ بنُ عُوَيْمِرٍ، يَرْثِي أُثَيْلَةَ ابنَهُ:

حُلْوٌ ومُرٌّ كَعَطْفِ القِدْحِ شِيمَتُهُ في كُلِّ إِنْيٍ قَضـاهُ اللَّيْـلُ يَنْتَعِلُ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. وقالَ لَبِيدُ بنُ رَبِيعةَ يَصِفُ حِمارَ وحْشٍ:

يُطَرِّبُ آنـاءَ النَّهـارِ كَأَنَّهُ غَوِيٌّ سَـقاهُ في التِّجارِ نَدِيمُ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ، ويُقالُ: إِنًى مَقْصُورٌ، فيما أَخْبَرَنِي يُونُسُ.

﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران: ١١٤].

[ما نَزَلَ في نَهْيِ المُسْلِمِينَ عَنْ مُباطَنةِ اليَهُودِ]

قالَ ابنُ إِسْحاقَ: وكانَ رِجالٌ مِنَ المُسْلِمِينَ يُواصِلُونَ رِجالًا مِنَ اليَهُودِ، لِما كانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الجِوارِ والحِلْفِ، فأَنْزَلَ اللهُ تَعالى فيهِمْ يَنْهاهُمْ عَنْ مُباطَنَتِهِمْ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۞ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ﴾ [آل عمران: ١١٨، ١١٩]؛ أيْ: تُؤْمِنُونَ بِكِتابِكُمْ وبِما مَضى مِنَ الكُتُبِ قَبْلَ ذلك، وهُمْ يَكْفُرُونَ بِكِتابِكُمْ، فأَنْتُمْ كُنْتُمْ أَحَقَّ بِالبَغْضاءِ لَهُمْ مِنْهُمْ لَكُمْ، ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ ﴾ [آل عمران: ١١٩] إلى آخِرِ القِصَّةِ.

[ما كانَ بَيْنَ أبي بَكْرٍ وفِنْحاصَ]

وَدَخَلَ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ بَيْتَ المِدْراسِ على يَهُودَ، فوَجَدَ مِنْهُمْ ناسًا كَثِيرًا قَدِ اجْتَمَعُوا إلى رَجُلٍ مِنْهُمْ، يُقالُ لَهُ: فِنْحاصُ، وكانَ مِنْ عُلَمائِهِمْ وأَحْبارِهِمْ، ومَعَهُ حَبْرٌ مِنْ أحْبارِهِمْ، يُقالُ لَهُ: أشْيَعُ، فقالَ أبو بَكْرٍ لِفِنْحاصَ: ويْحَكَ يا فِنحاصُ! اتَّقِ الله وأسلم، فواللهِ إنَّكَ لَتَعْلَمُ إنَّ مُحَمَّدًا لَرَسُولُ الله، قَدْ جاءَكُمْ بِالحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ، تَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ في التَّوْراةِ والإنْجِيلِ. فقالَ فِنْحاصُ لِأَبي بَكْرٍ: والله يا أبا بَكْرٍ، ما بِنا إلى الله مِنْ فقْرٍ، وإنَّهُ إلَيْنا لَفَقِيرٌ، وما نَتَضَرَّعُ إلَيْهِ كَما يَتَضَرَّعُ إلَيْنا، وإنّا عَنْهُ لَأَغْنِياءُ، وما هُوَ عَنّا بِغَنِيٍّ، ولَوْ كانَ عَنّا غَنِيًّا ما اسْتَقْرَضَنا أمْوالَنا كَما يَزْعُمُ صاحِبُكُمْ، يَنْهاكُمْ عَنِ الرِّبا ويُعْطِيناهُ، ولَوْ كانَ عَنّا غَنِيًّا ما أعْطانا الرِّبا. قالَ: فغَضِبَ أبو بَكْرٍ، فضَرَبَ وجْهَ فِنْحاصَ ضَرْبًا شَدِيدًا، وقالَ: والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلا العَهْدُ الَّذي بَيْنَنا وبَيْنَكُمْ لَضَرَبْتُ رَأْسَكَ أيْ عَدُوَّ الله. قالَ: فذَهَبَ فِنْحاصُ إلى رَسُولِ الله ﷺ، فقالَ: يا مُحَمَّدُ، انْظُرْ ما صَنَعَ بِي صاحِبُكَ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ لِأَبي بَكْرٍ: «ما حَمَلَكَ على ما صَنَعْتَ؟»، فقالَ أبو بَكْرٍ: يا رَسُولَ الله، إنَّ عَدُوَّ اللهِ قالَ قَوْلًا عَظِيمًا، إنَّهُ زَعَمَ أنَّ الله فقِيرٌ وأنَّهُمْ أغْنِياءُ، فلَمّا قالَ ذلك غَضِبْتُ لله مِمّا قالَ، وضَرَبْتُ وجْهَهُ. فجَحَدَ ذلك فِنْحاصُ، وقالَ: ما قُلْتُ ذلك. فأنْزَلَ الله تَعالى فيما قالَ فِنْحاصُ رَدًّا عَلَيْهِ، وتَصْدِيقًا لِأَبي بَكْرٍ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وَنَزَلَ في أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ الله عَنْهُ، وما بَلَغَهُ في ذلك مِنَ الغَضَبِ: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ

ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

ثُمَّ قالَ فيما قالَ فِنْحاصُ والأحْبارُ مَعَهُ مِنْ يَهُودَ: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ۞ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [آل عمران: ١٨٧، ١٨٨]؛ يَعْني: فِنْحاصَ وأشْيَعَ وأشْباهَهُما مِنَ الأحْبارِ، الَّذينَ يَفْرَحُونَ بما يُصِيبُونَ مِنَ الدُّنْيا على ما زَيَّنُوا لِلنّاسِ مِنَ الضَّلالَةِ، ويُحِبُّونَ أنْ يُحْمَدُوا بما لَمْ يَفْعَلُوا، أنْ يَقُولَ النّاسُ: عُلَماءُ، ولَيْسُوا بأهْلِ عِلْمٍ، لَمْ يَحْمِلُوهُمْ على هُدًى ولا حَقٍّ، ويُحِبُّونَ أنْ يَقُولَ النّاسُ: قَدْ فعَلُوا.

[أمْرُهُمُ المُؤْمِنِينَ بِالبُخْلِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ كَرْدَمُ بنُ قَيْسٍ، حَلِيفُ كَعْبِ بنِ الأشْرَفِ، وأُسامَةُ بنُ حَبِيبٍ، ونافِعُ بنُ أبي نافِعٍ، وبَحْرِيُّ بنُ عَمْرٍو، وحُيَيُّ بنُ أخْطَبَ، ورِفاعَةُ بنُ زَيْدِ بنِ التّابُوتِ، يَأْتُونَ رِجالًا مِنَ الأنْصارِ كانُوا يُخالِطُونَهُمْ، يَنْتَصِحُونَ لَهُمْ، مِنْ أصْحابِ رَسُولِ الله ﷺ، فيقُولُونَ لَهُمْ: لا تُنْفِقُوا أمْوالَكُمْ؛ فإنّا نَخْشى عَلَيْكُمُ الفَقْرَ في ذَهابِها، ولا تُسارِعُوا في النَّفَقَةِ؛ فإنَّكُمْ لا تَدْرُونَ عَلامَ يَكُونُ. فأنْزَلَ الله فيهِمْ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ ﴾ [النساء: ٣٧]، أيْ: مِنَ التَّوْراةِ، الَّتِي فيها تَصْدِيقُ ما جاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ: ﴿ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾ [النساء: ٣٧].

﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ [النساء: ٣٨] إلى قَوْلِهِ: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٣٩].

[جَحْدُهُمُ الحَقَّ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ رِفاعةُ بنُ زَيْدِ بنِ التّابُوتِ مِنْ عُظَماءِ يَهُودَ، إذا كَلَّمَ رَسُولَ الله ﷺ لَوى لِسانَهُ، وقالَ: أَرْعِنا سَمْعَكَ يا مُحَمَّدُ، حَتّى نُفْهِمَكَ. ثُمَّ طَعَنَ في الإسْلامِ وعابَهُ، فأنْزَلَ اللهُ فيهِ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ * وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴾ ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا مُصَدِّقًا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا ﴾ [النساء: ٤٤-٤٦]؛ أيْ: راعِنا سَمْعَكَ، ﴿لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٤٦].

وكَلَّمَ رَسُولُ الله ﷺ رُؤَساءَ مِنْ أحْبارِ يَهُودَ، مِنْهُمْ: عَبْدُ الله بنُ صُورِيّا الأعْوَرُ، وكَعْبُ بنُ أسَدٍ، فقالَ لَهُمْ: «يا مَعْشَرَ يَهُودَ، اتَّقُوا الله وأسْلِمُوا، فواللهِ إنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أنَّ الَّذي جِئْتُكُمْ بِهِ الحَقُّ»، قالُوا: ما نَعْرِفُ ذلك يا مُحَمَّدُ: فجَحَدُوا ما عَرَفُوا، وأصَرُّوا على الكُفْرِ، فأنْزَلَ اللهُ تعالى فيهِمْ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [النساء: ٤٧].

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: نَطْمِسَ وجوهًا: نَمْسَحَها فنُسَوِّيَها، فلا يُرى فيها عَيْنٌ ولا أنْفٌ ولا فمٌ، ولا شَيْءٌ مِمّا يُرى في الوَجْهِ، وكَذلك ﴿ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ ﴾ [القمر: ٣٧].

المَطْمُوسُ العَيْنِ: الَّذي لَيْسَ بَيْنَ جفْنَيْهِ شَقٌّ. ويُقالُ: طَمَسْتُ الكِتابَ والأَثَرَ، فلا يُرى مِنْهُ شَيْءٌ. قالَ الأَخْطَلُ، واسْمُهُ: الغَوْثُ بنُ هُبَيْرَةَ بنِ الصَّلْتِ التَّغْلِبِيُّ، يَصِفُ إبِلًا كَلَّفَها ما ذَكَرَ:

وتَكْلِيفُناها كُلَّ طامِسَةِ الصُّوى ... شَطُونٍ تَرى حِرْباءَها يَتَمَلْمَلُ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: واحِدةُ الصُّوى: صُوّةٌ، والصُّوى: الأعْلامُ الَّتِي يُسْتَدَلُّ بِها على الطُّرُقِ والمِياهِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: يَقُولُ: مُسِحَتْ فاسْتَوَتْ بِالأَرْضِ، فلَيْسَ فيها شَيْءٌ ناتِئٌ.

[النَّفَرُ الَّذينَ حَزَّبُوا الأَحْزابَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ الَّذينَ حَزَّبُوا الأَحْزابَ مِنْ قُرَيْشٍ وغَطَفانَ وبَنِي قُرَيْظَةَ: حُيَيُّ بنُ أَخْطَبَ، وسَلّامُ بنُ أبي الحُقَيْقِ أبو رافِعٍ، والرَّبِيعُ بنُ الرَّبِيعِ ابنِ أبي الحُقَيْقِ، وأبو عَمّارٍ، ووَحْوَحُ بنُ عامِرٍ، وهَوْذَةُ بنُ قَيْسٍ. فأَمّا وحْوَحُ، وَأبو عَمّارٍ، وهَوْذَةُ، فمِنْ بَنِي وائِلٍ، وكانَ سائِرُهُمْ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ، فلَمّا قَدِمُوا على قُرَيْشٍ قالُوا: هَؤُلاءِ أَحْبارُ يَهُودَ، وأَهْلُ العِلْمِ بِالكِتابِ الأَوَّلِ، فسَلُوهُمْ: دِينُكُمْ خَيْرٌ أَمْ دِينُ مُحَمَّدٍ؟ فسَأَلُوهُمْ، فقالُوا: بَلْ دِينُكُمْ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ، وأَنْتُمْ أَهْدى مِنْهُ ومِمَّنِ اتَّبَعَهُ. فأَنْزَلَ اللهُ تَعالى فيهِمْ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء: ٥١].

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: الجِبْتُ عِنْدَ العَرَبِ: ما عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ تَبارَكَ وتَعالى.

والطّاغُوتُ: كُلُّ ما أضَلَّ عَنِ الحَقِّ. وجَمْعُ الجِبْتِ: جُبُوتٌ، وجَمْعُ الطّاغُوتِ: طَواغِيتُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وبَلَغَنا عَنِ ابنِ أبي نَجِيحٍ أنَّهُ قالَ: الجِبْتُ: السِّحْرُ، والطّاغُوتُ: الشَّيْطانُ.

﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٥١].

قالَ ابنُ إسْحاقَ: إلى قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٥٤].

[إنْكارُهُمُ التَّنْزِيلَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ سُكَيْنٌ وعَدِيُّ بنُ زَيْدٍ: يا مُحَمَّدُ، ما نَعْلَمُ أنَّ اللهَ أنْزَلَ على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ مُوسى. فأنْزَلَ اللهُ تَعالى في ذلك مِنْ قَوْلِهِما: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۞ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۞ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٥].

وَدَخَلَتْ على رَسُولِ اللهِ ﷺ جَماعةٌ مِنْهُمْ، فقالَ لَهُمْ: «أما واللهِ إنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أنِّي رَسُولٌ مِنَ اللهِ إلَيْكُمْ»، قالُوا: ما نَعْلَمُهُ، وما نَشْهَدُ عَلَيْهِ. فَأنْزَلَ اللهُ تَعالى في ذلك مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٦٦].

[اجْتِماعُهُمْ على طَرْحِ الصَّخْرةِ على رَسُولِ الله ﷺ]

وَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ إلى بَنِي النَّضِيرِ يَسْتَعِينُهُمْ في دِيَةِ العامِرِيَّيْنِ اللَّذَيْنِ قَتَلَ عَمْرُو بنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، فلَمّا خَلا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ قالُوا: لَنْ تَجِدُوا مُحَمَّدًا أقْرَبَ مِنْهُ الآنَ، فمَنْ رَجُلٌ يَظْهَرُ على هذا البَيْتِ، فيطْرَحُ عَلَيْهِ صَخْرةً فيرِيحُنا مِنْهُ؟ فقالَ عَمْرُو بنُ جُحاشِ بنِ كَعْبٍ: أنا، فأتى رَسُولَ الله ﷺ الخَبَرُ، فانْصَرَفَ عَنْهُمْ، فأنْزَلَ الله تَعالى فيهِ وفيما أرادَ هُوَ وقَوْمُهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [المائدة: ١١].

[ادِّعاؤُهُمْ أنَّهُمْ أحِبّاءُ الله]

وَأتى رَسُولَ الله ﷺ نُعْمانُ بنُ أضاءَ، وبَحْرِيُّ بنُ عَمْرٍو، وشأسُ بنُ عَدِيٍّ، فكَلَّمُوهُ وكَلَّمَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ، ودَعاهُمْ إلى الله، وحَذَّرَهُمْ نِقْمَتَهُ، فقالُوا: ما تُخَوِّفُنا يا مُحَمَّدُ؟ نَحْنُ واللهِ أبناءُ اللهِ وأحِبّاؤُهُ، كَقَوْلِ النَّصارى، فأنْزَلَ الله تَعالى فيهِمْ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [المائدة: ١٨].

[إنْكارُهُمْ نُزُولَ كِتابٍ بَعْدَ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ودَعا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَهُودَ إلى الإسْلامِ ورَغَّبَهُمْ فيهِ، وحَذَّرَهُمْ غِيَرَ الله وعُقُوبَتَهُ، فأبَوْا عَلَيْهِ، وكَفَرُوا بِما جاءَهُمْ بِهِ، فقالَ لَهُمْ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ، وسَعْدُ بنُ عُبادَةَ، وعُقْبَةُ بنُ وهْبٍ: يا مَعْشَرَ يَهُودَ، اتّقوا اللهَ،

فوالله إنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أنَّهُ رَسُولُ الله، ولَقَدْ كُنْتُمْ تَذْكُرُونَهُ لَنا قَبْلَ مَبْعَثِهِ، وتَصِفُونَهُ لَنا بِصِفَتِهِ، فقالَ رافِعُ بنُ حُرَيْمِلَةَ، ووَهْبُ بنُ يَهُوذا: ما قُلْنا لَكُمْ هذا قَطُّ، وما أنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتابٍ بَعْدَ مُوسى، ولا أرْسَلَ بَشِيرًا ولا نَذِيرًا بَعْدَهُ. فأنْزَلَ الله تَعالى في ذلك مِنْ قَوْلِهِما: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [المائدة: ١٩].

ثُمَّ قَصَّ عَلَيْهِمْ خَبَرَ مُوسى وما لَقِيَ مِنْهُمْ، وانْتِقاضَهُمْ عَلَيْهِ، وما رَدُّوا عَلَيْهِ مِنْ أمْرِ الله حَتّى تاهُوا في الأرْضِ أرْبَعِينَ سَنَةً عُقُوبةً.

[رُجُوعُهُمْ إلى النَّبِيِّ ﷺ في حُكْمِ الرَّجْمِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني ابنُ شِهابٍ الزُّهْرِيُّ: أنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا مِنْ مُزَيْنَةَ، مِنْ أهْلِ العِلْمِ، يُحَدِّثُ سَعِيدَ بنَ المُسَيِّبِ، أنَّ أبا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُمْ: أنَّ أحْبارَ يَهُودَ اجْتَمَعُوا في بَيْتِ المِدْراسِ، حِيْنَ قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ المَدِينَةَ، وقَدْ زَنى رَجُلٌ مِنْهُمْ بَعْدَ إحْصانِهِ بِامْرَأةٍ مِنْ يَهُودَ قَدْ أحْصَنَتْ، فقالُوا: ابْعَثُوا بِهذا الرَّجُلِ وهَذِهِ المَرْأةِ إلى مُحَمَّدٍ، فَسَلُوهُ: كَيْفَ الحُكْمُ فيهِما؟ ووَلُّوهُ الحُكْمَ عَلَيْهِما، فإنْ عَمِلَ فيهِما بِعَمَلِكُمْ مِنَ التَّجْبِيةِ - والتَّجْبِيةُ: الجَلْدُ بِحَبْلٍ مِنْ لِيفٍ مَطْلِيٍّ بِقارٍ، ثُمَّ تُسَوَّدُ وُجُوهُهُما، ثُمَّ يُحْمَلانِ على حِمارَيْنِ، وتُجْعَلُ وُجُوهُهُما مِنْ قِبَلِ أدْبارِ الحِمارَيْنِ - فاتَّبِعُوهُ، فإنَّما هُوَ مَلِكٌ، وصَدِّقُوهُ، وإنْ هُوَ حَكَمَ فيهِما بِالرَّجْمِ فإنَّهُ نَبِيٌّ، فاحْذَرُوهُ على ما في أيْدِيكُمْ أنْ يَسْلُبَكُمُوهُ. فأتَوْهُ، فقالُوا: يا مُحَمَّدُ، هذا رَجُلٌ قَدْ زَنى بَعْدَ إحْصانِهِ بِامْرَأةٍ قَدْ أحْصَنَتْ، فاحْكُمْ فيهِما فقَدْ ولَّيْناكَ الحُكْمَ فيهِما. فمَشى رَسُولُ الله ﷺ

حتّى أتى أحْبارَهُمْ في بَيْتِ المِدْراسِ، فقالَ: «يا مَعْشَرَ يَهُودَ، أخْرِجُوا إلَيَّ عُلَماءَكُمْ». فأُخْرِجَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بنُ صُورِيّا.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ حَدَّثَني بَعْضُ بَني قُرَيْظَةَ: أنَّهُمْ قَدْ أخْرَجُوا إلَيْهِ يَوْمئِذٍ، مَعَ ابنِ صُورِيّا، أبا ياسِرِ بنَ أخْطَبَ، ووَهْبَ بنَ يَهُوذا، فقالُوا: هَؤُلاءِ عُلَماؤُنا. فَسَألَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ، حَتّى حَصَّلَ أمْرَهُمْ، إلى أنْ قالُوا لِعَبْدِ الله ابن صُورِيّا: هذا أعْلَمُ مَنْ بَقِيَ بِالتَّوْراةِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: مِنْ قَوْلِهِ: «وَحَدَّثَني بَعْضُ بَني قُرَيْظَةَ» إلى: «أعْلَمُ مَنْ بَقِيَ بِالتَّوْراةِ» مِنْ قَوْلِ ابنِ إسْحاقَ، وما بَعْدَهُ مِنَ الحَدِيثِ الَّذي قَبْلَهُ.

فَخَلا بِهِ رَسُولُ الله ﷺ، وكانَ غُلامًا شابًّا مِنْ أحْدَثِهِمْ سِنًّا، فألَظَّ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ المَسْألَةَ، يَقُولُ لَهُ: «يا ابن صُورِيّا، أنْشُدُكَ اللهَ وأُذَكِّرُكَ بِأيّامِهِ عِنْدَ بَني إسْرائِيلَ، هَلْ تَعْلَمُ أنَّ الله حَكَمَ فيمَنْ زَنى بَعْدَ إحْصانِهِ بِالرَّجْمِ في التَّوْراةِ؟» قالَ: اللهُمَّ نَعَمْ، أما واللهِ يا أبا القاسِمِ إنَّهُمْ لَيَعْرِفُونَ إنَّكَ لَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ ولَكِنَّهُمْ يَحْسُدُونَكَ. قالَ: فخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ، فأمَرَ بِهِما فرُجِما عِنْدَ بابِ مَسْجِدِهِ في بَني غَنْمِ بنِ مالِكِ بنِ النَّجّارِ. ثُمَّ كَفَرَ بَعْدَ ذلك ابنُ صُورِيّا، وجَحَدَ نُبُوّةَ رَسُولِ الله ﷺ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فأنْزَلَ الله تَعالى فيهِمْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ﴾ [المائدة: ٤١]؛ أي: الَّذينَ بَعَثُوا مِنْهُمْ مَنْ بَعَثُوا وتَخَلَّفُوا، وأمَرُوهُمْ بِما أمَرُوهُمْ بِهِ مِنْ تَحْرِيفِ الحُكْمِ عَنْ مَواضِعِهِ. ثُمَّ قالَ: ﴿يُحَرِّفُونَ

﴿ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ [المائدة: ٤١]؛ أي: الرَّجْمَ، ﴿فَٱحْذَرُوا۟﴾ [المائدة: ٤١] إلى آخِرِ القِصَّةِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ طَلْحَةَ بنِ يَزِيدَ بنِ رُكانَةَ، عَنْ إسْماعِيلَ بنِ إبْراهِيمَ، عَنِ ابنِ عَبّاسٍ، قالَ: أمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِرَجْمِهِما، فرُجِما بِبابِ مَسْجِدِهِ، فلَمّا وجَدَ اليَهُودِيُّ مَسَّ الحِجارةِ قامَ إلى صاحِبَتِهِ فجَنَأَ عَلَيْها، يَقِيها مَسَّ الحِجارةِ، حَتّى قُتِلا جَمِيعًا.

قالَ: وكانَ ذلك مِمّا صَنَعَ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ في تَحْقِيقِ الزِّنا مِنْهُما.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي صالِحُ بنُ كَيْسانَ، عَنْ نافِعٍ مَوْلى عَبْدِ اللهِ ابنِ عُمَرَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ، قالَ: لَمّا حَكَّمُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فيهِما، دَعاهُمْ بِالتَّوْراةِ، وجَلَسَ حَبْرٌ مِنْهُمْ يَتْلُوها، وقَدْ وضَعَ يَدَهُ على آيةِ الرَّجْمِ، قالَ: فضَرَبَ عَبْدُ اللهِ بنُ سَلامٍ يَدَ الحَبْرِ، ثُمَّ قالَ: هَذِهِ يا نَبِيَّ اللهِ آيةُ الرَّجْمِ، يَأْبى أنْ يَتْلُوَها عَلَيْكَ، فقالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ويْحَكُمْ يا مَعْشَرَ يَهُودَ! ما دَعاكُمْ إلى تَرْكِ حُكْمِ اللهِ وهُوَ بِأيْدِيكُمْ؟» قالَ: فقالُوا: أما واللهِ إنَّهُ قَدْ كانَ فينا يُعْمَلُ بِهِ، حَتّى زَنى رَجُلٌ مِنّا بَعْدَ إحْصانِهِ، مِنْ بُيُوتِ المُلُوكِ وأهْلِ الشَّرَفِ، فمَنَعَهُ المَلِكُ مِنَ الرَّجْمِ، ثُمَّ زَنى رَجُلٌ بَعْدَهُ، فأرادَ أنْ يَرْجُمَهُ، فقالُوا: لا واللهِ، حَتّى تَرْجُمَ فُلانًا، فلَمّا قالُوا لَهُ ذلك اجْتَمَعُوا فأصْلَحُوا أمْرَهُمْ على التَّجْبِيةِ، وأماتُوا ذِكْرَ الرَّجْمِ والعَمَلَ بِهِ. قالَ: فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فأنا أوَّلُ مَنْ أحْيا أمْرَ اللهِ وكِتابَهُ وعَمِلَ بِهِ»، ثُمَّ أمَرَ بِهِما فرُجِما عِنْدَ بابِ مَسْجِدِهِ. قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ عُمَرَ: فكُنْتُ فيمَنْ رَجَمَهُما.

[ظُلْمُهُمْ في الدِّيةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي داوُدَ بنُ الحُصَيْنِ، عَنْ عِكْرِمةَ، عَنِ ابنِ عَبّاسٍ: أنَّ الآياتِ مِنَ المائِدةِ الّتِي قالَ الله فيها: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢] إنّما أُنْزِلَتْ في الدِّيةِ بَيْنَ بَنِي النَّضِيرِ وبَيْنَ بَنِي قُرَيْظةَ؛ وذلك أنَّ قَتْلى بَنِي النَّضِيرِ، وكانَ لَهُمْ شَرَفٌ، يُؤَدُّونَ الدِّيةَ كامِلةً، وأنَّ بَنِي قُرَيْظةَ كانُوا يُؤَدُّونَ نِصْفَ الدِّيةِ، فتَحاكَمُوا في ذلك إلى رَسُولِ الله ﷺ، فأنْزَلَ الله ذلك فيهِمْ، فحَمَلَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ على الحَقِّ في ذلك، فجَعَلَ الدِّيةَ سَواءً.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فالله أعْلَمُ أيَّ ذلك كانَ.

[قَصْدُهُمُ الفِتْنةَ بِرَسُولِ الله ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ كَعْبُ بنُ أسَدٍ، وابنُ صَلُوبا، وعَبْدُ الله بنُ صُورِيّا، وشأسُ بنُ قَيْسٍ، بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: اذْهَبُوا بِنا إلى مُحَمَّدٍ، لَعَلَّنا نَفْتِنَهُ عَنْ دِينِهِ، فإنَّما هُوَ بَشَرٌ، فأتَوْهُ، فقالُوا لَهُ: يا مُحَمَّدُ، إنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أنّا أحْبارُ يَهُودَ وأشْرافُهُمْ وسادَتُهُمْ، وأنّا إنِ اتَّبَعْناكَ اتَّبَعَتْكَ يَهُودُ ولَمْ يُخالِفُونا، وأنَّ بَيْنَنا وبَيْنَ بَعْضِ قَوْمِنا خُصُومةً، أفَنُحاكِمُهُمْ إلَيْكَ فتَقْضِيَ لَنا عَلَيْهِمْ، ونُؤْمِنُ بِكَ ونُصَدِّقُكَ؟ فأبى ذلك رَسُولُ الله ﷺ عَلَيْهِمْ، فأنْزَلَ الله فيهِمْ: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ * أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٩، ٥٠].

[جُحُودُهُمْ نُبُوّةَ عِيسى عَلَيْهِ السَّلامُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأتى رَسُولَ الله ﷺ نَفَرٌ مِنْهُمْ: أبو ياسِرِ بنُ أخْطَبَ، ونافِعُ بنُ أبي نافِعٍ، وعازِرُ بنُ أبي عازِرٍ، وخالِدٌ، وزَيْدٌ، وإزارُ بنُ أبي إزارٍ، وأشْيَعُ، فسَألُوهُ عَمَّنْ يُؤْمنُ بِهِ مِنَ الرُّسُلِ، فقالَ رَسُول الله ﷺ: «نؤمِنُ باللهِ وما أُنْزِلَ إلَيْنا، وما أُنْزِلَ إلى إبْراهِيمَ وإسْماعِيلَ وإسْحاقَ ويَعْقُوبَ والأسْباطِ، وما أُوتِيَ مُوسى وعِيسى، وما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ، لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أحَدٍ مِنْهُمْ، ونَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ». فلَمّا ذَكَرَ عِيسى بنَ مَرْيَمَ جَحَدُوا نُبُوَّتَهُ، وقالُوا: لا نُؤْمِنُ بِعِيسى بنِ مَرْيَمَ ولا بِمَنْ آمَنَ بِهِ. فأنْزَلَ اللهُ تَعالى فيهِمْ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٥٩].

[ادِّعاؤُهُمْ أنَّهُمْ على الحَقِّ]

وَأتى رَسُولَ الله ﷺ رافِعُ بنُ حارِثَةَ، وسَلّامُ بنُ مِشْكَمٍ، وَمالِكُ بنُ الصَّيْفِ، ورافِعُ بنُ حُرَيْمِلةَ، فقالُوا: يا مُحَمَّدُ، ألَسْتَ تَزْعُمُ أنَّكَ على مِلّةِ إبْراهِيمَ ودِينِهِ، وتُؤْمِنُ بما عِنْدَنا مِنَ التَّوْراةِ، وتَشْهَدُ أنَّها مِنَ الله حَقٌّ؟

قالَ: «بَلى، ولَكِنَّكُمْ أحْدَثْتُمْ وجَحَدْتُمْ ما فيها مِمّا أخَذَ الله عَلَيْكُمْ مِنَ المِيثاقِ فيها، وكَتَمْتُمْ مِنْها ما أُمِرْتُمْ أنْ تُبَيِّنُوهُ لِلنّاسِ، فبَرِئْتُ مِنْ إحْداثِكُمْ»، قالُوا: فإنّا نَأْخُذُ بِما في أيْدِينا، فإنّا على الهُدى والحَقِّ، ولا نُؤْمِنُ بِكَ، ولا نَتَّبِعُكَ. فأنْزَلَ الله تَعالى فيهِمْ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٨].

[إشراكُهُمْ بالله]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأتى رَسُولَ الله ﷺ النَّحّامُ بنُ زَيْدٍ، وقَرْدَمُ بن كَعْبٍ، وبَحْرِيُّ بنُ عَمْرٍو، فقالُوا لَهُ: يا مُحَمَّدُ، أما تَعْلَمُ مَعَ الله إلَهًا غَيْرَهُ؟ فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الله لا إلَهَ إلّا هُوَ، بِذلك بُعِثْتُ، وإلى ذلك أدْعُو». فأنْزَلَ الله فيهِمْ وفي قَوْلِهِمْ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٩، ٢٠].

[نَهْيُهُ تَعالى لِلْمُؤْمِنِينَ عَنْ مُوادَّتِهِمْ]

وَكانَ رِفاعةُ بنُ زَيْدِ بنِ التّابُوتِ، وسُوَيْدُ بنُ الحارِثِ، قَدْ أظْهَرا الإسْلامَ ونافَقا، فكانَ رِجالٌ مِنَ المُسْلِمِينَ يُوادُّونَهُما، فأنْزَلَ الله تَعالى فيهِما: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧] إلى قَوْله: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: ٦١].

[سُؤالُهُمْ عَنْ قِيامِ السّاعةِ]

وَقالَ جَبَلُ بنُ أبي قُشَيْرٍ، وشَمْويلُ بنُ زَيْدٍ، لِرَسُولِ الله ﷺ: يا مُحَمَّدُ، أخْبِرْنا، مَتى تَقُومُ السّاعةُ إنْ كُنتَ نَبِيًّا كَما تَقُولُ؟ فأنْزَلَ الله تَعالى فيهِما: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: ﴿أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ﴾: مَتى مُرْساها. قالَ قَيْسُ بنُ الحُدادِيّةِ الخُزاعِيُّ:

فَجِئْتُ ومُخْفى السِّرِّ بَيْنِي وبَيْنَها لِأَسْأَلَها: أيّانَ مَنْ سارَ راجِعُ؟

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. ومُرْساها: مُنْتَهاها، وجَمْعُهُ: مَراسٍ. قالَ الكُمَيْتُ بن زَيْدٍ الأَسْدِيُّ:

والمُصِيبِينَ بابَ ما أخطَأَ النّا سُ ومُرْسي قَواعِدِ الإِسْلامِ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. ومُرْسى السَّفينةِ: حَيْثُ تَنْتَهِي. وحَفيٌّ عَنْها على التَّقْدِيمِ والتَّأْخِيرِ. يَقُولُ: يَسْأَلُونَكَ عَنْها كَأَنَّكَ حَفيٌّ بِهِمْ فتُخْبِرُهُمْ بِما لا تُخْبِرُ بِهِ غَيْرَهُمْ. والحَفيُّ: البَرُّ المُتَعَهِّدُ. وفي كِتابِ اللهِ جل ثناؤُه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ [مريم: ٤٧].

وَجَمْعُهُ: أحْفياءُ. وقالَ أَعْشى بَنِي قَيْسِ بنِ ثَعْلَبَةَ:

فَإِنْ تَسْأَلِي عَنِّي فيا رُبَّ سائِلٍ حَفِيٍّ عَنِ الأَعْشى بِهِ حَيْثُ أصْعَدا

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. والحَفيُّ أَيْضًا: المُسْتَحْفي عَنْ عِلْمِ الشَّيْءِ، المُبالِغُ في طَلَبِهِ.

[ادِّعاؤُهُمْ أَنَّ عُزَيْرًا ابنُ الله]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأتى رَسُولَ الله ﷺ سَلّامُ بنُ مِشْكَمٍ، ونُعْمانُ بنُ أَوْفى أبو أَنَسٍ، ومَحْمُودُ بنُ دِحْيةَ، وشأسُ بنُ قَيْسٍ، ومالِكُ بنُ الصَّيْفِ، فقالُوا لَهُ: كَيْفَ نَتَّبِعُكَ وقَدْ تَرَكْتَ قِبْلَتَنا، وأنْتَ لا تَزْعُمُ أَنَّ عُزَيْرًا ابنُ الله؟

فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ في ذلك مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠] إلى آخِرِ القِصَّةِ.

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابن هِشام: ﴿ يُضَـٰهِـُٔونَ ﴾؛ أيْ: يُشاكِلُ قَوْلُهُمْ قَوْلَ الَّذينَ كَفَرُوا، نَحْوَ أَنْ تُحَدِّثَ بِحَدِيثٍ فيحَدِّثَ آخَرُ بِمِثْلِهِ، فهُوَ يُضاهِيكَ.

[طَلَبُهُمْ كِتابًا مِنَ السَّماءِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأتى رَسُولَ الله ﷺ مَحْمُودُ بنُ سَيْحانَ، ونُعْمانُ بنُ أضاءَ، وبَحْرِيُّ بنُ عَمْرٍو، وعُزَيْرُ بنُ أبي عُزَيْرٍ، وسَلَّامُ بنُ مِشْكَمٍ، فقالُوا: أحَقٌّ يا مُحَمَّدُ إنَّ هذا الَّذي جِئْتَ بِهِ لَحَقٌّ مِنْ عِنْدِ الله، فإنّا لا نَراهُ مُتَّسِقًا كَما تَتَّسِقُ التَّوْراةُ؟ فقالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: «أما والله إنَّكُمْ لَتَعْرِفُونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ الله، تَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ في التَّوْراةِ، ولَوِ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ والجِنُّ على أنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ ما جاؤُوا بِهِ»، فقالُوا عِنْدَ ذلك وهُمْ جَمِيعٌ ـ فِنْحاصُ، وعَبْدُ الله بنُ صُورِيّا، وابنُ صَلُوبا، وكِنانةُ بنُ الرَّبِيعِ بنِ أبي الحُقَيْقِ، وأشْيَعُ، وكَعْبُ بنُ أسَدٍ، وشَمْوِيلُ بنُ زَيْدٍ، وجَبَلُ بنُ عَمْرِو بنِ سُكَيْنَةَ ـ: يا مُحَمَّدُ، أما يُعَلِّمُكَ هذا إنْسٌ ولا جِنٌّ؟ قالَ: فقالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: «أما واللهِ إنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ الله، وإنِّي لَرَسُولُ اللهِ: تَجِدُونَ ذلك مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ في التَّوْراةِ»، فقالُوا: يا مُحَمَّدُ، فإنَّ اللهَ يَصْنَعُ لِرَسُولِهِ إذا بَعَثَهُ ما يَشاءُ، ويَقْدِرُ مِنْهُ على ما أرادَ، فأنْزِلْ عَلَيْنا كِتابًا مِنَ السَّماءِ نَقْرَؤُهُ ونَعْرِفُهُ،

وإلّا جِئْناكَ بِمِثْلِ ما تَأْتِي بِهِ. فأنْزَلَ اللهُ تَعالى فيهِمْ وفيما قالُوا: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: الظَّهِيرُ: العَوْنُ. ومِنْهُ قَوْلُ العَرَبِ: تَظاهَرُوا عَلَيْهِ؛ أيْ: تَعاوَنُوا عَلَيْهِ. قالَ الشّاعِرُ:

يا سَمِيَّ النَّبِيِّ أصْبَحْتَ لِلدّيـ ـــنِ قِواماً ولِلْإمــامِ ظَهِيرا

أيْ عَوْناً، وجَمْعُهُ: ظُهَراءُ.

[سُؤالُهُمْ لَهُ ﷺ عَنْ ذِي القَرْنَيْنِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ حُيَيُّ بنُ أخْطَبَ، وكَعْبُ بنُ أسَدٍ، وأبو رافِعٍ، وأشْيَعُ، وشَمْويلُ بنُ زَيْدٍ، لِعَبْدِ الله بنِ سَلامٍ حِينَ أسْلَمَ: ما تَكُونُ النُّبُوّةُ في العَرَبِ، ولَكِنَّ صاحِبَكَ مَلِكٌ. ثُمَّ جاؤُوا رَسُولَ الله ﷺ فسَألُوهُ عَنْ ذِي القَرْنَيْنِ، فقَصَّ عَلَيْهِمْ ما جاءَهُ مِنَ الله تَعالى فيهِ، مِمّا كانَ قَصَّ على قُرَيْشٍ، وهُمْ كانُوا مِمَّنْ أمَرَ قُرَيْشاً أنْ يَسْألُوا رَسُولَ الله ﷺ عَنْهُ حِيْنَ بَعَثُوا إلَيْهِمُ النَّضْرَ بنَ الحارِثِ، وعُقبةَ بنَ أبي مُعَيْطٍ.

[تَهَجُّمُهُمْ على ذاتِ الله، وغَضَبُ الرَّسُولِ ﷺ لِذلك]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحُدِّثْتُ عَنْ سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ أنَّهُ قالَ: أتى رَهْطٌ مِنْ يَهُودَ إلى رَسُولِ الله ﷺ، فقالُوا: يا مُحَمَّدُ، هذا اللهُ خَلَقَ الخَلْقَ، فمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ قالَ: فغَضِبَ رَسُولُ الله ﷺ حتّى انْتُقِعَ لَوْنُهُ، ثُمَّ ساوَرَهُمْ غَضَباً لِرَبِّهِ. قالَ:

فجاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فسَكَّنَهُ، فقالَ: خَفِّضْ عَلَيْكَ يا مُحَمَّدُ. وجاءَهُ مِنَ اللهِ بِجَوابِ ما سَألُوهُ عَنْهُ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

قالَ: فلَمّا تَلاها عَلَيْهِمْ، قالُوا: فصِفْ لَنا يا مُحَمَّدُ كَيْفَ خَلْقُهُ؟ كَيْفَ ذِراعُهُ؟ كَيْفَ عَضُدُهُ؟ فغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أشَدَّ مِنْ غَضَبِهِ الأوَّلِ، وساوَرَهُمْ. فأتاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ، فقالَ لَهُ مِثْلَ ما قالَ لَهُ أوَّلَ مَرَّةٍ، وجاءَهُ مِنَ اللهِ تَعالى بِجَوابِ ما سَألُوهُ. يَقُولُ اللهُ تبارَكَ وتَعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧].

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عُتْبَةُ بنُ مُسْلِمٍ، مَوْلى بَنِي تَيْمٍ، عَنْ أبي سَلَمَةَ ابنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أبي هُرَيْرَةَ، قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ «يُوشِكُ النّاسُ أنْ يَتَساءَلُوا بَيْنَهُمْ، حَتّى يَقُولَ قائِلُهُمْ: هذا اللهُ خَلَقَ الخَلْقَ، فمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فإذا قالُوا ذلك فقُولُوا: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١-٤]، ثُمَّ لِيَتْفُلِ الرَّجُلُ عَنْ يَسارِهِ ثَلاثًا، ولِيَسْتَعِذْ باللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ».

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾: الَّذي يُصْمَدُ إلَيْهِ، ويُفْزَعُ إلَيْهِ، قالَتْ هِنْدُ بِنْتُ مَعْبَدِ بنِ نَضْلَةَ تَبْكِي عَمْرَو بنَ مَسْعُودٍ، وخالِدَ بنَ نَضْلَةَ عَمَّيْها الأسَدِيَّيْنِ، وهُما اللَّذانِ قَتَلَ النُّعْمانُ بنُ المُنْذِرِ اللَّخْمِيُّ، وبَنى الغَرِيَّيْنِ اللَّذَيْنِ بِالكُوفةِ عَلَيْهِما:

ألا بَكَرَ النّاعِي بِخَيْرَيْ بَنِي أسَدْ ... بِعَمْرِو بنِ مَسْعُودٍ وبِالسَّيِّدِ الصَّمَدْ

وذكرَ قَوْلَ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [البقرة: ١٠]، وأصلُ المرضِ: الضَّعفُ وفُتُورُ[١] الأعْضاءِ، وهُو هھُنا ضَعْفُ اليَقِينِ، وفُتُورُ القَلْبِ عَنْ كَدِّ النّظَرِ، وعَطَفَ: ﴿ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٠]، وإنْ كانَ الفِعْلُ لا يُعْطَفُ على الِاسْمِ، ولا على مِثْلِ هَذِهِ الجُمْلةِ، لَوْ قُلْت: في الدّارِ زَيْدٌ فأعْطَيْتهُ دِرْهَمًا، لَمْ يَجُزْ، ولَكِنْ لَمّا كانَ مَعْنى قَوْلِهِ: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ كَمَعْنى «مَرِضَتْ قُلُوبُهُمْ»، صَحّ عَطْفُ الفِعْلِ عَلَيْهِ.

وذكرَ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [البقرة: ٤٠]، ووهِمَ في التِّلاوةِ، فقالَ: (يا أَهْلَ الكِتابِ)؛ كَما وهِمَ في أوّلِ السّورةِ. وبَنُو إسْرائِيلَ: هُمْ بَنُو يَعْقُوبَ، وكانَ يُسَمّى: إسْرائِيلَ؛ أيْ: سَرِيُّ اللهِ، لَكِنْ لَمْ يُذْكَرُوا في القِرآن إلّا أُضِيفُوا إلى إسْرائِيلَ، ولَمْ يُسَمَّوْا فيهِ ببني[٢] يَعْقُوبَ، ومَتى ذُكِرَ إبْراهِيمُ وإسْحاقُ ويَعْقُوبُ لَمْ يُسَمَّ إسْرائِيلُ، وذَلِكَ لِحِكْمةٍ فُرْقانِيّةٍ، وهي أنّ القومَ لما خُوطِبوا بعبادة الله، وذُكِّروا بِدِينِ أسْلافِهِمْ مَوْعِظةً لَهُمْ، وتَنْبِيهًا مِنْ غَفْلَتِهِمْ، سُمُّوا بِالِاسْمِ الّذِي فيهِ تَذْكِرةٌ باللهِ؛ فإنّ إسرائيلَ اسمٌ[٣] مضافٌ إلى اللهِ في التّأْوِيلِ، ألا تَرى: كَيْفَ نَبّهَ على هَذا المَعْنى رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ دَعا إلى الإسْلامِ قَوْمًا يُقالُ لَهُمْ: بَنُو عَبْدِ اللهِ، فقالَ لَهُمْ: «يا بَنِي عَبْدِ اللهِ، إنّ اللهَ قد حَسّنَ اسْمَ أبِيكُمْ»، يُحَرِّضُهُمْ بِذَلِكَ على ما يَقْتَضِيهِ اسْمُهُمْ مِن العُبُودِيّةِ لله، وكَذَلِكَ قَوْلُهُ سُبْحانَهُ: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ إنّما ورَدَ في مَعْرِضِ التّذْكِرةِ لَهُمْ بِدِينِ أبِيهِمْ، وعُبُودِيّتِهِ للهِ، فكانَ ذِكْرُهُمْ بِهَذا الِاسْمِ ألْيَقَ بِمَقامِ التّذْكِرةِ والتّحْرِيضِ مِنْ أنْ يَقُولَ لَهُمْ: يا بَنِي يَعْقُوبَ، ولَمّا ذكرَ مَوْهِبَتَهُ لِإبْراهِيمَ، وتَبْشِيرَهُ بِإسْحاقَ ثُمّ

---

(١) في (ف): «والفتور في».

(٢) في (ف): «بنو».

(٣) «اسم» ليس في (ف).

يَعْقُوبَ، كانَ لَفْظُ يَعْقُوبَ أوْلى بذَلِكَ المَقام؛ لِأنّها مَوْهِبَةٌ تَعْقُبُ[١] أُخْرى، وبُشْرى عَقَّبَ بِها بُشْرى[٢]، وإنْ كانَ اسْمُ يَعْقُوبَ عِبْرانِيًّا، ولَكِنّ لَفْظَهُ مُوافِقٌ لِلْعَرَبِيِّ في العَقِبِ والتَّعْقِيبِ، فانْظُرْ مُشاكَلَةَ الِاسْمَيْنِ لِلْمَقامَيْنِ؛ فإنّهُ مِنْ بابِ النّظَرِ في إعْجازِ القُرْآنِ وبَلاغةِ ألْفاظِهِ، وتَنْزِيلِ الكَلامِ في مَنازِلِهِ اللّائِقةِ بِهِ.

فَصْلٌ

وذكرَ[٣] [ابنُ إسْحاقَ][٤] حَديثَ أَبِي ياسِر بنِ أخْطَبَ، وأخِيهِ حُيَيِّ بنِ أخطَبَ حين سمعا: ﴿الٓمٓصٓ﴾ [الأعراف: ١]، ونَحْوَها مِن الحُرُوفِ، وأنّهُمْ أخَذُوا تَأْوِيلَها مِنْ حساب: «أبي جاد»[٥] إلى قَوْلِهِ: لَعَلّهُ قد جُمِعَ لِمُحَمّدٍ وأُمّتِهِ هَذا كُلّهُ.

قالَ المُؤَلِّفُ رضي الله عنه: وهَذا القَوْلُ مِنْ أحْبارِ يَهُودَ، وما تَأَوَّلُوهُ مِنْ مَعانِي هَذِهِ الحُرُوفِ مُحْتَمِلٌ حتّى الآنَ أنْ يَكُونَ مِنْ بَعْضِ ما دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الحُرُوفُ المُقَطَّعةُ؛ فإنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يُكَذِّبْهُمْ فيما قالُوا مِنْ ذَلِكَ، ولا صَدَّقَهُمْ. وقالَ في حَدِيثٍ آخَرَ: «لا تُصَدِّقُوا أهْلَ الكِتابِ، ولا تُكَذِّبُوهُمْ،

---

(١) في (ف): «بعقب».

(٢) في (ف): «أخرى».

(٣) انظر «السيرة» (٤: ٣٣١). (ج)

(٤) عن (أ)، (ب).

(٥) في (ب): «حروف أبي جاد».

هذا، وحروف الهجاء لها ترتيب عند الساميِّين يخالف ترتيب نصر بن عاصم المعروف الآن، ويقال لترتيب الساميِّين: طريقة أبجد ـ بفتح الباء ـ ويقال أيضًا: أبا جاد. وتستعمل الأبجدية في حساب الجُمّل، وللمغاربة ترتيب للأبجدية غير ترتيب المشارقة، ويخالفون المشارقة أيضًا في ستة أعداد منها من حيث حسابها. انظر في هذا: «المطالع النصرية» (ص: ٢٢٠-٢٢١)، و«كتاب الإملاء» لحسين والي: (ص: ١٨) وما بعدها.

وقُولُوا: آمَنّا باللهِ ورَسُولِه»[1]، وإذا كانَ في حَدِّ الاِحْتِمالِ وجَبَ أنْ يُفْحَصَ عنه في الشَّريعةِ: هَلْ يُشِيرُ إلى صِحّتِهِ كِتابٌ أوْ سُنّةٌ؟ فوجَدْنا في التّنْزِيلِ: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

ووجَدْنا في حَدِيثِ زِمْلٍ الخُزاعِيِّ[2] حِينَ قَصّ على رَسُولِ اللهِ ﷺ رُؤْيا، وقالَ فيها: «رَأيْتُك يا رَسُولَ اللهِ على مِنْبَرٍ لَهُ سَبْعُ دَرَجاتٍ، وإلى جَنْبك ناقةٌ عَجْفاءُ؛ كَأنّك تَبْعَثُها»، ففَسّرَ لَهُ النّبِيُّ ﷺ النّاقةَ بِقِيام السّاعةِ الّتِي أنذر بِها، وقالَ في المِنْبَرِ ودَرَجاتِهِ: «الدّنْيا سَبْعةُ آلافِ سَنةٍ، بُعِثْتُ في آخِرِها ألْفًا»[3]، والحَدِيثُ وإنْ كانَ ضَعِيفَ الإسْنادِ، فقد رُوِيَ مَوْقُوفًا على ابنِ عَبّاسٍ مِنْ طُرُقٍ صِحاحٍ، أنّهُ قالَ: الدّنْيا سَبْعةُ أيّامٍ، كُلّ يَوْمٍ ألْفُ سَنةٍ، وبُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في آخِرِ يَوْمٍ مِنْها. وقد مَضَتْ مِنْهُ سِنُونَ، أوْ قالَ: مِئُونَ[4]، وقد صَحّحَ أبو جَعْفَرٍ الطّبَرِيُّ هَذا الأصْلَ، وعَضَدَهُ بِآثارٍ، وذكرَ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «بُعِثْتُ أنا والساعة كَهاتَيْنِ، وإنّما سَبَقْتُها بِما سَبَقَتْ هَذِهِ هَذِهِ»؛ يَعْنِي: الوُسْطى والسّبّابةَ[5]، وأوْرَدَ هَذا الحَدِيثَ مِنْ طُرُقٍ كَثِيرةٍ صَحّحَها، وأوْرَدَ معَها قَوْلَهُ عَلَيْهِ السّلامُ: «لَنْ يُعْجِزَ اللهَ أنْ يُؤَخِّرَ هَذِهِ الأُمّةَ نِصْفَ يَوْمٍ»؛ يَعْنِي: خَمْسَ مِئةِ عامٍ، وقد خَرّجَ هَذا الحَدِيثَ الأخِيرَ أبو داوُدَ أيْضًا. قالَ الطّبَرِيّ: وهَذا في مَعْنى ما قَبْلَهُ، يَشْهَدُ لَهُ ويُبَيِّنُهُ؛ فإنّ الوُسْطى تَزِيدُ على السّبّابةِ بِنِصْفِ سُبْعِ

---

(١) «فتح الباري»، كتاب التفسير: (٨: ١٧٠).

(٢) انظر ترجمته في: «الإصابة» للحافظ ابن حجر: (١: ١٥٦)، رقم الترجمة (٤٧٠٧)، وذكره باسم: عبد الله بن زمل الجهني، وساق الاختلاف في اسمه. (ج)

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨: ٣٠٢)، رقم (٨١٤٦)، وساق بعضه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» برقم (١٤٢)، (ص: ٧٧٤). (ج)

(٤) «تاريخ الرسل والملوك» (١: ١٠). (ج)

(٥) «تاريخ الرسل والملوك» (١: ١٢). (ج)

أُصْبُعٍ؛ كَما أنّ نِصْفَ يَوْمٍ مِنْ سَبْعةٍ نِصْفُ سُبْعٍ[١].

قالَ المُؤَلِّفُ أبو القاسم رضي الله عنه: وقد مَضَت الخَمْسُ مِئةٍ مِنْ وفاتِهِ إلى اليَوْمِ بنَيِّفٍ عَلَيْها، ولَيْسَ في قَوْلِهِ: «لَنْ[٢] يُعْجِزَ اللهَ أنْ يُؤَخِّرَ هَذِهِ الأُمّةَ نِصْفَ يَوْمٍ» ما يَنْفي الزّيادةَ على النّصْفِ، ولا في قَوْلِهِ: «بُعِثْتُ أنا والسّاعةُ كَهاتَين» ما يَقْطَعُ بِهِ على صِحّةِ تَأْويلِهِ، فقد قِيلَ في تَأْويلِهِ غَيْرُ هَذا، وهُو: أنْ لَيْسَ بَيْنَهُ وبَيْنَ السّاعةِ نَبِيٌّ غَيْرُهُ، ولا شَرْعٌ غَيْرُ شَرْعِهِ مَعَ التّقْريبِ لِحِينِها؛ كَما قالَ سُبْحانَهُ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، ولَكِنْ إذا قُلْنا: إنّهُ عَلَيْهِ السّلامُ بُعِثَ في الألف الآخر بعدما مَضَتْ مِنْهُ سِنُونَ، ونَظَرْنا بَعْدُ إلى الحُرُوفِ المُقَطّعةِ في أوائِلِ السّورِ، وجَدْناها أرْبَعةَ عَشَرَ حَرْفًا يَجْمَعُها قَوْلُك: «ألَمْ يَسْطَعْ نَصٌّ حَقٌّ كُرِهَ».

ثُمّ نَأْخُذُ[٣] العَدَدَ على حِسابِ أَبِي جاد، فنجد: «ق» مئة، و: «ر» مئتين، و: «س» ثَلاثَ مِئةٍ، فهَذِهِ سِتُّ مِئةٍ، و: «ع» سبعين، و: «ص» ستين، فهذه سبع مئة وثَلاثُونَ، و: «ن» خَمْسِينَ، و: «ك» عِشْرِينَ، فهَذِهِ ثَمان مِئةٍ، و: «م» أرْبَعِينَ، و: «ل» ثَلاثِينَ، فهَذِهِ ثَمان مِئةٍ وسَبْعُونَ، و: «ي» عَشرةٌ، و: «ط» تسعة، و: «أ» واحد، [فهَذِهِ ثَمان مِئةٍ وتِسْعُونَ][٤]، و: «ح» ثَمانِيةٌ، و: «هـ» خَمْسةٌ، فهَذِهِ تِسْعُ مِئةٍ وثَلاثةٌ[٥]، ولَمْ يُسَمِّ اللهُ تعالى في أوائِلِ السُّورِ[٦] إلّا هَذِهِ الحُرُوفَ، فلَيْسَ

---

(١) «تاريخ الرسل والملوك» (١: ١٦). (ج)

(٢) في (ف): «ولن».

(٣) في (أ): «أخذنا».

(٤) ما بين المعقوفين ليس في (أ).

(٥) وقع في (أ) تغيير لحساب بعض الحروف بحسب مذهب المشارقة، فقد جعل (ص) تسعين، وعلق في الحاشية بأن السين ستون، وما أثبته السهيلي في الحساب هو تقدير المغاربة.

(٦) في (أ)، (ف): «هذه السور».

يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَعْضِ مُقْتَضَياتِها وبَعْضِ فوائِدِها الإشارةُ إلى هَذا العَدَدِ مِن السِّنِينَ؛ لِما قَدَّمْناهُ مِن حَدِيثِ الأَلْفِ السّابِعِ الَّذِي بُعِثَ فيهِ عَلَيْهِ السَّلامُ، غَيْرَ أَنَّ هذا الحِسابَ مُحْتَمِلٌ أَنْ يَكُونَ مِنْ مَبْعَثِهِ، أَوْ مِنْ وفاتِهِ، أَوْ مِنْ هِجْرَتِهِ، وكُلٌّ قَرِيبٌ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ، فقد جاءَ أَشْراطُها، ولَكِنْ لا تَأْتِيكُمْ إِلّا بَغْتَةً.

وقد رُوِيَ أَنَّ [جعفرَ][1] المُتَوَكِّلَ العَبّاسِيَّ[2]، سَأَلَ جَعْفَرَ بنَ عَبْدِ الواحِدِ القاضِيَ العباسيَّ[3] عَمّا بَقِيَ مِن الدُّنْيا، فحَدَّثَهُ بِحَدِيثٍ رَفَعَهُ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قالَ: «إِنْ أَحْسَنَتْ أُمَّتِي، فبَقاؤُها يَوْمٌ مِنْ أَيّامِ الآخِرَةِ، وذَلِكَ أَلْفُ سَنَةٍ، وإِنْ أَساءَتْ، فنِصْفُ يوم»، ففي هذا الحديث تتميمٌ لِلْحَدِيثِ المُتَقَدِّمِ وبَيانٌ لَهُ؛ إِذْ قد انْقَضَت الخَمْسُ مِئَةٍ والأُمَّةُ باقِيَةٌ والحَمْدُ للهِ.

فَصْلٌ

ولِهَذِهِ الحُرُوفِ في أَوائِلِ السُّورِ مَعانٍ جَمَّةٌ، وفَوائِدُ لَطِيفَةٌ، وما كانَ اللهُ لِيُنَزِّلَ في الكِتابِ ما لا فائِدَةَ فيهِ، ولا لِيُخاطِبَ نَبِيَّهُ وذَوِي الأَلْباب مِنْ صَحْبِهِ بِما لا يَفْهَمُونَ، وقد أَنْزَلَهُ بَيانًا لِلنّاسِ، وشِفاءً لِما في الصُّدُورِ، ففي تَخْصِيصِهِ هَذِهِ الحُرُوفَ الأَرْبَعَةَ عَشَرَ بِالذِّكْرِ دُونَ غَيْرِها حِكْمَةٌ بَلْ حِكَمٌ، وفي إِنْزالِها مُقَطَّعَةً على هَيْئَةِ التَّهَجِّي فوائِدُ عِلْمِيَّةٌ وفِقْهِيَّةٌ، وفي تَخْصِيصِهِ إِيّاها بِأَوائِلِ السُّورِ، وفي أَنْ كانَتْ في بَعْضِ السّورِ دُونَ بَعْضٍ فوائِدُ أَيْضًا، وفي اقْتِرانِ

---

(١) ما بين المعقوفين ليس في (أ)، (ب)، (ف). هذا ومما رآه السهيلي أنه يجوز منع صرف العلم.

(٢) المتوكل هو جعفر بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد، عاش أربعين سنة، واغتيلَ سنة (٢٤٧هـ) بسامراء.

(٣) في (أ): «العباسيّ أيضًا»، وفي (ب)، (ف): «وهو عباسيّ أيضًا».

الألِفِ باللّامِ، وتَقَدُّمِها عَلَيْها مَعانٍ وفَوائِدُ، وفي إرْدافِ الألِفِ واللّام بالمِيمِ تارةً، وبالرّاءِ أُخْرى، ولا تُوجَدُ الألِفُ واللّامُ في أوائِلِ السّورِ إلّا هَكَذا مَعَ تكرارِها[١] ثَلاثَ عَشْرةَ مَرّةً فوائِدُ أيْضًا، وفي إنْزالِ الكافِ قَبْلَ الهاءِ، والهاءِ قَبْلَ الياءِ ثُمّ العَيْنِ ثم الصاد من ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ [مريم: ١] مَعانٍ أكْثَرُها تُنَبِّهُ عَلَيْها آياتٌ مِن الكِتابِ، وتُبَيِّنُ المُرادَ بِها لِمَنْ تَدَبَّرَها.

والتّدَبّرُ والتّذَكّرُ واجِبٌ على أُولِي الألْبابِ، والخَوْضُ في إيرادِ هَذِهِ المَعانِي، والتصَدِّي لِإيضاحِ ما لاحَ لِي عِنْدَ الفِكْرِ[٢] والنّظَرِ منها، مَعَ إيرادِ الشّواهِدِ على ذَلِكَ مِنْ كِتابٍ وأَثَرٍ وعَرَبِيّةٍ[٣] ونَظَرٍ، يُخْرِجُنا عَنْ مَقْصُودِ الكِتابِ، ويَنْأى بنا عَنْ مَوْضُوعِهِ والمُرادِ بِهِ، ويَقْتَضِي إفْرادَ جُزْءٍ لشرح ما أمْكَنَ مِنْ ذَلِكَ، ولَعَلّهُ أنْ يَكُونَ إنْ ساعَدَ القَدَرُ؛ واللهُ المُسْتَعانُ، [وهُو ولِيّ التّوْفيقِ، لا شَرِيكَ لَهُ][٤].

فَصْلٌ

وذكرَ[٥] تَحْوِيلَ القِبْلةِ، وما قالَتْهُ جَماعةُ يَهُودَ حِينَ قالُوا: ما ولّاكَ يا مُحَمّدُ عَنْ قِبْلَتِك؟ وهُمُ ﴿ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٢]، فيهِمْ نزلت هذه الآية.

وقالَ: ﴿ سَيَقُولُ ﴾ [البقرة: ١٤٢] بِلَفْظِ الِاسْتِقْبالِ؛ لِتَقَدُّمِ العِلْمِ القَدِيمِ بِأنّهُمْ سَيَقُولُونَ ذَلِكَ؛ أيْ: لَمْ نأمُرْكُمْ بِتَحْوِيلِها إلّا وقد عَلِمْتُ أنْ سَيَقُولُونَ ما قالُوهُ، وقد ذَكَرْنا في حَدِيثِ الهِجْرةِ وقِصّةِ البَراءِ بنِ مَعْرُورٍ فوائِدَ في مَعْنى تَحْوِيلِ

(١) في (ف): «تكرُّرها».
(٢) في (أ): «التفكر».
(٣) في (أ)، (ب): «وغريبة».
(٤) ما بين المعقوفين ليس في: (أ)، (ب)، (ف).
(٥) انظر «السيرة» (٤: ٣٣٥). (ج)

القِبْلةِ، فلْتُنْظَرْ هُنالِكَ[١].

وأنْشَدَ في تَفْسِيرِ الشَّطْرِ بَيْتَ ابنِ أحْمَرَ[٢]: [من البسيط]

تَعْدُو بِنا شَـطْرَ جَمْعٍ وهْيَ عاقِدةٌ قد قارَبَ العَقْدُ مِنْ إيفادِها الحَقَبا

وألْفيتُ في «حاشِيةِ الشّيْخِ» على هَذا البَيْتِ ما هَذا نَصُّهُ: قالَ مِنْ إيفادِها[٣]: مِنْ إشْرافِها. كَذا قالَ مُحَمّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ البَرْقِيُّ[٤]، وقالَ: «كارَبَ» مَوْضِعَ «قارَبَ»، ووقَعَ في شعرِ ابنِ أحمَرَ: [من البسيط]

تعدُو بِنا عُرْضَ جَمْعٍ وهْيَ مُوفِدةٌ قد قارَبَ الغَرْضُ مِنْ إيفادِها الحَقَبا

[وقبلَهُ:

أنْشَـأْتُ أسْـأَلُهُ عَنْ حـالِ وقفتِهِ فقالَ: حَـيَّ فإنّ الرّكْبَ قد نَصَبا][٥]

تَعْدُو: مِن العَدْوِ، بِنا؛ [أي: بي][٦] وبزميلي؛ يَعْنِي: غُلامَهُ. عُرْضَ جَمْعٍ؛ يَعْنِي: مَكّةَ[٧]، ....

(١) انظر: (٤: ١٢٣).

(٢) هو عمرو بن أحمر الباهلي، شاعر أموي، وقيل: مخضرم. والبيت في «الخزانة» (٦: ٢٥٥)، وكذلك الذي قبله، وسيأتي.

(٣) في حاشية (أ): «قال الجوهري: الإيفاد: الإسراع. وهو في شعر ابن أحمر».

(٤) هو الإمام الحافظ الثقة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم المصري البَرْقي، ونُسب إلى برقة؛ لأنه كان يتَّجر إليها، حدَّثَ عنه أبو داود والنسائي وجماعة من تلك الطبقة، وحدَّثَ بالمغازي، وله كتاب «الضعفاء». توفي سنة (٢٤٧هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٣: ٤٦-٤٧).

(٥) ما بين العقوفين مكانه في (أ)، (ب) بعد هذا النص المنقول عن الشيخ.

(٦) عن (أ).

(٧) في «اللسان»: جمع ـ بلا لام ـ: المزدلفة. وقيل: يوم عرفة. وأيام جمع: أيام منى.

وعَرْضٌ[١] أحَبُّ إلَيَّ، وعُرْضٌ: كَثْرةُ النّاسِ، عن الأصمعيِّ، [ومُوفِدةٌ][٢]؛ أي: مُشْرِفةٌ. أوْفَدَ: إذا أشْرَفَ، ورَوى غَيْرُهُ: «وهْيَ عاقِدةٌ»، يُرِيدُ: عُنُقَها لاوِيَتُها[٣]. والغَرْضُ: البِطانُ وهُو حِزامُ الرَّحْلِ. مِنْ إيفادِها؛ أيْ: من[٤] إشْرافِها، قد اقْتادَتْ[٥]: نَصَبَتْ عُنُقَها، وعَسَرَتْ بِذَنَبِها، وتَخامَصَتْ بِبَطْنِها فقَرُبَ كُلُّ واحِدٍ مِن الغَرْضِ والحَقَبِ مِنْ صاحِبِهِ بِذَلِكَ. هُنا انْتَهى ما كَتَبَهُ[٦] الشَّيْخُ على هَذا البَيْتِ وأوْرَدْتُهُ[٧].

فَصْلٌ

وذكَرَ[٨] ما أنْزَلَ اللهُ في بَنِي قَيْنُقاعٍ، وقَوْلَهُمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: لَوْ حارَبْتنا لَعَلِمْتَ أنّا نَحْنُ النّاسُ: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ ﴾، إلى قوله: ﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ﴾ [آل عمران: ١٢، ١٣]، فمَنْ قَرَأهُ[٩]:

(١) في حاشية (أ): «أي عَرَض ـ بفتح العين ثم الراء ـ هو كثرة الناس، أحب إليَّ من رواية شطر». ولعل للفتح وجهًا؛ فقد قيلَ في العَرَض ـ بالفتح ـ: الجيش الضخم شبه بالجبل.

(٢) ما بين المعقوفين ليس في (ص).

(٣) الضمير عائد على العنق، وقد يؤنَّث.

(٤) «من» ليست في (ف).

(٥) اقتادت: سلس قيادها، يقال: قُدتها فانقادت واقتادت. «المخصص» (٧: ١٠٥-١٠٦). نصبت عنقها: رفعته، وعسرت بذنبها: رفعته كذلك. وتخامصت ببطنها: بدا بطنها ضامرًا، والحَقَب: الحزام الذي يلي خصر البعير.

(٦) في (ف): «كتب».

(٧) بعده في (ف): «وقبل البيت:

أنشأتُ أسألهُ عن حالِ رُفقتِهِ ... فقالَ: حيَّ فإنّ الرَّكْبَ قد نَصَبا»

(٨) انظر «السيرة» (٤: ٣٣٨). (ج)

(٩) في (ف): «قرأ».

﴿يَرَوْنَهُم﴾ بالياءِ، فمَعْناهُ: أنّ الكُفّارَ يَرَوْنَ المُؤْمِنِينَ مِثْلَيْهِمْ وإنْ كانُوا أَقَلَّ مِنْهُمْ، لَمّا كَثّرَهُمْ بِالمَلائِكةِ.

فإنْ قِيلَ: وكَيْفَ وهُو[1] يَقُولُ في آيةٍ أُخْرى: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤]؟!

قيل: كان هذا قبلَ القتالِ عندما حزَرَ الكفّارُ المؤمنين، فرأوهم قَلِيلًا، فتَجاسَرُوا عَلَيْهِمْ، ثُمّ أَمَدّهُم اللهُ بِالمَلائِكةِ، فرَأَوْهُمْ كَثِيرًا، فانْهَزَمُوا.

وقِيلَ: إنّ الهاءَ في ﴿يَرَوْنَهُم﴾ عائِدةٌ على الكُفّارِ، وإنّ المُؤْمِنِينَ رَأَوْهُمْ مِثْلَيْهِمْ، وكانُوا ثَلاثةَ أَمْثالِهِمْ، فقَلّلَهُمْ في عُيُونِ المُؤْمِنِينَ.

وأمّا مَنْ قَرَأَها بِالتّاءِ، فيجُوزُ أنْ يَكُونَ الخِطابُ لِلْيَهُودِ؛ أيْ: تَرَوْنَ[2] المُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ مِثْلَي المُؤْمِنِينَ، وذَلِكَ أَنّهُمْ كانُوا أَلْفًا، فانْخَزلَ عنهم الأَخْنَسُ بنُ شَرِيقٍ بِبَنِي زُهْرةَ، فصارُوا سَبْعَ مِئةٍ أَوْ نَحْوَها، ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ الخِطابُ لِلْمُشْرِكِينَ؛ أيْ: تَرَوْنَ أيّها المُشْرِكُونَ المُؤْمِنِينَ مِثْلَيْهِمْ حِينَ أَمَدَّهُم اللهُ بِالمَلائِكةِ. فيعُودُ الكَلامُ إلى المَعْنى الأوّلِ الّذِي قَدّمْناهُ في قِراءةِ مَنْ قَرَأَ بالياءِ[3].

وفي الآيةِ تَخْلِيطٌ عَنِ الفَرّاءِ[4] أَضْرَبنا عَنْ ذِكْرِهِ، وجُلُّ ما ذَكَرْناهُ آنِفًا موجودٌ في التّفاسِيرِ بِأَلْفاظٍ مُخْتَلِفةٍ.

---

(١) «وهو» ليست في (ف).

(٢) في (ف): «يرون».

(٣) في (ف): «بالتاء».

(٤) «معاني القرآن» للفراء: (١: ١٩٤-١٩٥).

وذكرَ ابنُ هِشامٍ في «الرّبّانِيِّينَ» أنّهُم العُلَماءُ الفُقَهاءُ السّادةُ، وفي «البُخارِيّ» عَنْ بَعْضِ أهْلِ العِلْمِ، قالَ: الرّبّانِيّونَ: الّذِينَ يُرَبُّونَ النّاسَ بِصِغارِ العِلْمِ قَبْلَ كِبارِهِ[1]، وقِيلَ: نُسِبُوا إلى عِلْمِ الرّبّ والفِقْهِ فيما أنْزَلَ، وزِيدَتْ فيهِ الألِفُ والنُّونُ لتفخيم الاسم، وأنشد ابن هشام: [من البسيط]

لَوْ كُنْتُ مُرْتَهَنًا في القُوسِ أفْتَنَنِي مِنْهــا الــكَلامُ ورَبّانِــيَّ أحْبــارِ

وقــالَ: القُــوسُ: الصّوْمَعــةُ، ومِنْ كَـلامِ العَرَبِ: أنا بِالقُوسِ، وأنْتَ بِالقَرَقُوسِ[2] فمتى نتفق؟! [أي، فكَيْفَ نَجْتَمِعُ؟][3]. وقالَ في أفْتَنَنِي: هِيَ لُغةُ تَمِيمٍ، وفَرّقَ سِيبَوَيْهِ[4] بَيْنَ فَتَنْتُه وأفْتَنْتُهُ، وجَعَلَهُ مِنْ قَوْلِ الخَلِيلِ، قالَ: أفْتَنْتُهُ[5]: صَيّرْتُهُ مُفْتَتَنًا ونَحْو هَذا، وفَتَنْتُهُ: جَعَلْتُ فيهِ فِتْنةً[6]؛ كَما تَقُولُ: كَحَلْتُه؛ أي: جَعَلْتُ في عَيْنَيْهِ كُحْلًا، ومَآلُ هذا الفَرْقِ: إلى أنّ فَتَنْتُهُ: صَرَفْتُهُ، فجاءَ على وزْنِهِ؛ لِأنّ المَفْتُونَ مَصْرُوفٌ عَنْ حَقٍّ، وأفْتَنْتُهُ بِمَعْنى: أضْلَلْتُهُ وأغْويْتُه، فجاءَ على وزْنِ ما هُو في مَعْناهُ[7]، وأمّا فَتَنْتُ الحَدِيدةَ في النّارِ، فعلى وزْنِ فَعَلْتُ لا غَيْر؛ لِأنّها[8] في مَعْنى: خَبَرْتُها وبَلَوْتُها ونَحْوِ ذَلِكَ.

---

(١) «فتح الباري»، كتاب العلم: (١: ١٦٠).

(٢) القَرَقُوس ـ كحَلَزُون ـ: القاع الأملس المطمئن.

(٣) عن (أ)، (ب).

(٤) «الكتاب» (٤: ٥٦-٥٧).

(٥) بعده في (أ): «هي لغة».

(٦) «جعلت فيه فتنة» في (ف): «جعلته مفتتنا».

(٧) انظر: «شرح الشافية» للرضي: (١: ٨٧).

(٨) في (أ)، (ف): «لأنه».

فَصْلٌ

وذكرَ(١) ابنُ هِشامٍ في تَفْسِيرِ: ﴿ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ ﴾ [آل عمران: ١١٣]، قالَ: واحِدُ الآناءِ: إِنْيٌ، واسْتَشْهَدَ عَلَيْهِ ببيتِ الهُذَلِيّ(٢)، ثُمّ أغْرَبَ بِما حَدّثَهُ بِهِ يُونُسُ، فقالَ: ويُقالُ: إِنًى فيما حَدّثَني [به](٣) يُونُسُ بنُ حَبِيبٍ، وهَذا الّذِي قالَهُ آخِرًا هُو(٤) لُغَةُ القُرْآنِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

فَصْلٌ

وذكرَ(٥) ابنُ إسْحاقَ(٦) جُمَلًا مِن الآياتِ المُنَزَّلَةِ في قَصَصِ الأخْبارِ ومَسائِلِهِمْ، كُلُّها واضِحةٌ، والتّكَلُّمُ عَلَيْها يُخْرِجُ عَنْ غَرَضِ الكِتابِ إلى تَفْسِيرِ القُرْآنِ، وفي جُمْلَتِها قَوْلُهُ تَعالى: ﴿أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقالَ الفَرّاءُ(٧) في «أيّانَ»: هِيَ كَلِمَتانِ جُعِلَتْ واحِدةً، والأَصْلُ: أيَّ آنٍ، والآنُ والأوانُ بِمَعْنًى

(١) انظر «السيرة» (٤: ٣٤٤). (ج)

(٢) البيت في «ديوان الهذليين» (٢: ٣٥)، وفيه يروى:

حلوٌ ومرٌّ كعَطفِ القِدْحِ مِرّتهُ … بكل إنْيٍ حَذاهُ اللّيــلُ يَنتعِلُ

(٣) عن (أ)، (ب).

(٤) في (ف): «هي».

(٥) انظر «السيرة» (٤: ٣٥٧). (ج)

(٦) في (ب): «ابن هشام».

(٧) لم يتحدث الفراء في الطبعة المنشورة من «معاني القرآن» عن «أيّان»، وإنما عن «الآن» وأنّ أصلها: «أوان» وغيرت واوها إلى الألف، وحذفت ألفها الثانية، ومَثَّل لذلك بـ«راح» و«رَياح». ولعل حديثه عن «أيان» في إملاءٍ آخرَ مِن «أماليه» لـ«معاني القرآن»، وأن المطبوع منها يمثل إحدى هذه الأمالي. انظر: «معاني القرآن» (١: ٤٦٨). وانظر: «لسان العرب»، و«تاج العروس» (أين).

واحدٍ؛ كما يُقال: راح ورَياح، وأنشد[1]: [من الطويل]

نَشاوى تساقَوْا بالرِّياحِ المُفَلْفَلِ

وقد ذكرَ الهَرَوِيُّ[2] في «أيّانَ» وجْهًا آخَرَ، قالَ: يَجُوزُ أنْ يَكُونَ أصْلُهُ: أيْوانَ فانْدَغَمَتِ الياءُ في الواوِ مِثْلَ: قُيّامٍ.

وذكرَ آيَةَ[3] التِّيهِ وحَبْسِ بَنِي إسْرائِيلَ [فيهِ][4] أرْبَعِينَ سَنةً؛ عُقُوبةً مِن اللهِ سبحانه لِمُخالَفَتِهِمْ أمْرَهُ حِينَ فزِعُوا مِن الجَبّارِينَ لِعِظَمِ أجْسامِهِمْ، وقالَ لَهُمْ رَجُلانِ، وهُما: يُوشَعُ بنُ نُونٍ مِنْ سِبْطِ يُوسُفَ، وكالِبُ بنُ يُوحنا مِنْ سِبْط يامين: ﴿ ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة: ٢٣]، فلَمّا عَصَوْهُما دَعا عَلَيْهِمْ مُوسى، فتاهُوا؛ أي: تَحَيّرُوا، وكانُوا سِتَّ مِئَةِ أَلْفِ مُقاتِلٍ، فتاهُوا في ستّةِ فراسخَ مِن الأرْضِ، يَمْشُونَ النَّهارَ كُلَّهُ، ثُمّ يُمْسُونَ حيثُ أصبحوا، ويصبحُون حيثُ أمسَوا، وفي تلك السِّنِينَ أنْزَلَ عَلَيْهِم المَنَّ والسّلْوى؛ لِأنّهُمْ شُغِلُوا عَن المَعاشِ بِالتِّيهِ في الأرْضِ، وأُبْقِيَتْ عَلَيْهِمْ ثِيابُهُمْ لا تَخْلَقُ، ولا تَتّسِخُ، وتَطُولُ مَعَ الصّغِيرِ إذا طالَ، وفيها اسْتَسْقى لَهُمْ مُوسى، فأُمِرَ أنْ يَأْخُذَ حَجَرًا مِن الطُّورِ، فيضْرِبَهُ بِعَصاهُ، فانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرةَ عَيْنًا، وفيها ظَلّلَ عَلَيْهِم الغَمامُ؛ لِأنّهُمْ كانُوا في البَرِّيّةِ، فظُلِّلُوا مِن الشّمْسِ، وذَلِكَ أنّ مُوسى عليه السلام كانَ نَدِمَ حِينَ دَعا عَلَيْهِمْ؛ لِما رَأى مِنْ جَهْدِهِمْ وحَيْرَتِهِمْ في التِّيهِ، فكانَ يَدْعُو اللهَ لَهُمْ في هَذِهِ الأُمُورِ؛ لِئَلّا يَهْلِكُوا في التّيهِ جُوعًا أوْ

(١) البيت لامرئ القيس من معلقته، «ديوانه» (ص: ٦٨)، وصدره:

كأنَّ مكاكِــيَّ الجِواءِ غُدَيّةً

(٢) انظر «الغريبين» للهروي: (١: ١٢٣). (ج)

(٣) لم تقع لي آية التِّيه. وانظر: «السيرة» (١: ٥٦٤).

(٤) عن (ب).

عُرْيًا أوْ عَطَشًا، فلَمّا آسى عليهم، قال الله تعالى له: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦]؛ أي: الذين فسَقُوا؛ أيْ: خَرَجُوا عَنْ أمْرِك.

وماتَ في أيّامِ التّيهِ جَمِيعُ كِبارِهِمْ إلّا يُوشَعَ وكالِبَ، فما دَخَلَ الأرْضَ على الجَبّارِينَ إلّا خُلُوفُهُمْ وأبناؤُهُمْ، وقِيلَ: إنّ مُوسى ماتَ في تِلْكَ السّنِينَ أيْضًا ولَمْ يَشْهَد الفَتْحَ مَعَ يُوشَعَ، وقِيلَ: بَلْ كانَ مَعَ يُوشَعَ حِينَ افْتَتَحَها.

فَصْلٌ

وذكرَ[١] المَرْجُومةَ مِن اليَهُودِ، وأنّ صاحِبَها الّذِي رُجِمَ مَعَها حَنا عَلَيْها بِنَفْسِهِ لِيَقِيَها الحِجارةَ. حَنا بِالحاءِ[٢] تَقَيّدَ في إحْدى الرّوايَتَيْنِ عَنْ أبِي الولِيدِ، وكَذَلِكَ في «المُوطّأ» مِنْ رِوايةِ يَحْيى، فجَعَلَ يَحْنِي عَلَيْها[٣]، وفي الرّوايةِ الأُخْرى عَنْ أبِي الولِيدِ: جَنَأ بِالجِيمِ والهَمْزِ، وعلى هَذِهِ الرّوايةِ فسّرَهُ أبو عُبَيْدٍ، والجَنَأُ: الِانْحِناءُ[٤]، قالَ الشّاعِرُ: [من السريع]

وبَدّلَتْنِي بِالشَّطاطِ الجَنا ... وكُنْتُ كالصَّعْدةِ تَحْتَ السّنانْ

وفي حُنُوِّهِ عَلَيْها مِن الفِقْهِ: أنّهما لَمْ يَكُونا في حُفْرَتَيْنِ؛ كَما ذَهَبَ إلَيْهِ كَثِيرٌ مِن الفُقَهاءِ في سُنّةِ الرّجْمِ، وكَذَلِكَ رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللهُ: أنه حَفَرَ لِشُراحةَ بِنْتِ مالِكٍ الهَمْدانِيّةِ حِينَ رَجَمَها. وأمّا الأحادِيثُ فأكْثَرُها على تَرْكِ الحَفْرِ لِلْمَرْجُومِ.

---

(١) انظر «السيرة» (٤: ٣٥٣). (ج)

(٢) يقال: حناه يحنوه، وحناه يحنيه. انظر: «تاج العروس» (حنو ـ حنى)، ويقول ابن سيده في معتل الياء: «والأعرف في كل ذلك الواو».

(٣) «الموطأ»، كتاب الحدود: (٢: ٨١٩).

(٤) «غريب الحديث» (٣: ٣١٤).

واسْمُ هَذِهِ المَرْجُومةِ: بُسْرةُ[١] فيما ذكرَ بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ، [وفي قِصّتِهما أنْزَلَ اللهُ تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ ﴾ [المائدة: ٤٣]، الآيةَ إلى قَوْلِهِ: ﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ ﴾ [المائدة: ٤٤]؛ يَعْنِي: مُحَمّدًا ومَنْ حَكَمَ بالرّجْمِ قَبْلَهُ؛ لِأنّهُ حَكَمَ بِالرّجْمِ لِأُولَئِكَ اليَهُودِ الّذِينَ تحاكَمُوا إلَيْهِ. والرَّبّانيُّون؛ يَعْنِي: عَبْدَ اللهِ بنَ سَلامٍ وابنَ صُورِي مِن الأحْبارِ، ﴿ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة: ٤٤]؛ لِأنّهُمْ حَفِظُوا أنّ الرّجْمَ في التّوْراةِ، لَكِنّهُمْ بَدّلُوا وغَيّرُوا، ﴿ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾؛ لِأنّهُمْ شَهِدُوا بِذَلِكَ على اليَهُودِ إلى قَوْلِهِ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤٤]، فحَكَمَ بِالرّجْمِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وهَذا يُبيِّنُ لَك أنّ الرّجْمَ في القُرْآنِ، وعلى هَذا فسّرَهُ مالِكٌ فيما بَلَغَنِي؛ ولِذَلِكَ قالَ عَلَيْهِ السّلامُ لِلرّجُلَيْنِ: «لَأحْكُمَنّ بَيْنَكُما بِكِتابِ اللهِ»، فحَكَمَ بِالرّجْمِ كَما في الكِتابِ المُنَزَّلِ على مُوسى ومُحَمّدٍ[٢] صَلّى اللهُ عَلَيْهِما وسلم، وقد قِيلَ في مَعْنى الحَدِيثِ أقْوالٌ غيرُ هذا، والصَّحيحُ ما ذكَرْنا][٣].

واسْتَشْهَدَ[٤] ابنُ هِشامٍ في تَفْسِيرِ الجَهْرةِ[٥] بِقَوْلِ أبِي الأخْزَرِ الحِمّانِيّ، واسْمُهُ: قُتَيْبةُ، وحِمّانُ[٦] هُو..

(١) في (ص): «يسرة»، بالياء. وقال السهيلي في «التعريف والإعلام»: «وأما اسم «بُسرة» هذه فأخبرنا به شيخنا أبو بكر بن العربي في «أحكام القرآن» له». وفي «أحكام القرآن» (ص: ٦١٨): «يسرة» بالياء، على أنّ في «فتح الباري» عن السهيلي: أنها بضم الباء، وسكون المهملة. «الفتح» (١٢: ١٦٧).

(٢) في (ف): «وعلى محمد».

(٣) عن (أ)، (ب).

(٤) انظر «السيرة» (٤: ٣١٧). (ج)

(٥) في حاشية (أ): «أي: أرِنا الله جهرة».

(٦) انظر: «جمهرة ابن حزم» (ص: ٢٢٠).

كَعْبُ[١] بنُ سَعْدِ بنِ زَيْدِ مَناةَ بنِ تَمِيمٍ، فقالَ: [من الرجز]

يَجْهَـرُ أفْواهَ المِياهِ السُّـدَّمِ

يُقالُ: ماءٌ سِدامٌ: إذا غَطّاهُ الرّمْلُ، وجَمْعُهُ: سُدُمٌ، وجَمْعُهُ على «سَدُم» غَريبٌ. ويُقالُ أيْضًا: سَدِمٌ وأسْدامٌ. ونَحْوٌ مِنْ قَوْلِهِ: «يَجْهَرُ» قَوْلُ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها في أبِيها: «واجْتَهَرَ لهم عينَ الرَّواءِ»[٢].

وأنشَدَ[٣] في تفسيرِ الفُومِ وأنَّه البُرُّ: [من الخفيف]

فَوْقَ شِيزى مِثْلِ الجَوابِي عَلَيْها قِطَـعٌ كالوَذِيلِ في نِقْـيِ فُومِ

الشِّيزى: خَشَبٌ أسْودُ تُصْنَعُ مِنْهُ الجِفانُ، والوذِيلُ: جَمْعُ وذِيلةٍ، وهِيَ السّبِيكةُ مِن الفِضّةِ. قال الشاعرُ[٤]: [من الكامل]

وتُريكِ وجهًا كالوذيلةِ لا رَيّـانُ مُمْتَلِـئٌ ولا جَهْمُ

وفي العينِ: الوذيلةُ: المرآةُ[٥]، ومنه قولُ عَمْرِو بنِ العاصِي لِمُعاوِيَةَ: أما واللهِ لَقد ألْفَيْتُ أمْرَك، [وهُو أشَدّ انْفِضاجًا][٦] مِنْ حُقِّ الكَهْوَلِ. [كذلك

---

(١) في (ف): «ابن كعب».

(٢) في «غريب الحديث» لابن قتيبة: (ص: ٤٥٦، ٤٦٤): «واجتهر دُفُنَ الرَّواءِ»، ومثله في «النهاية» و«تاج العروس» و«اللسان»، على أنه ضبط في «اللسان»: دَفْن، بفتح فسكون. يقول أبو عبيد: «تريد: أنه كبحه، يقال: جهرتُ البئر: إذا كانت مندفنة الماء، فأخرجت ما فيها من الحمأة والطين والماء الآجن، حتى يظهر طيب الماء ويثوب».

(٣) انظر «السيرة» (٤: ٣١٩). (ج)

(٤) المخبَّل السعدي، واسمه: ربيع بن مالك، شاعر مخضرم. والبيت في «غريب ابن قتيبة» (٢: ٣٧٧)، و«المفضليات» للضبي: (ص: ١١٥).

(٥) ما بين المعقوفين مكانه في (أ)، (ب)، (ف) بعد قوله الآتي: «إنه ثدي العجوز».

(٦) ما بين المعقوفين سقط من (ج)، وفي غير (أ)، (ف): «انفضاحًا»، بالحاء المهملة. وفي =

رَواهُ الهَـرَوِيُّ، وقالَ ابنُ قُتَيْبَةَ: الكَهْدَلُ][1]، فما زِلْتُ أَرُمُّهُ بِوذائِلِهِ، وأَصِلُهُ بِوصائِلِهِ[2]، حتّى تَرَكْتُه على[3] مِثْلِ فلْكةِ المُدِرِّ[4].

حُقُّ الكَهْوَل [أو الكَهُولِ[5]][6]: بَيْتُ العَنْكَبُوتِ[7]، وكَما رواه[8] الهَرَوِيّ قالَهُ أبو عُمَرَ الزّاهِدُ[9] في كِتابِ «الياقُوتِ»، وكَما[10] وقَعَ في «غَرِيبِ الحَدِيثِ» لِلْقُتَبِيّ قالَهُ أبو عَبْدِ اللهِ القَزّازُ[11] في «الكِتابِ الكَبِيرِ»، قالَ: الكَهْدَلُ: العَنْكَبُوتُ، وقِيلَ في الكَهْدَلِ: إنّهُ ثَدْيُ العَجُوزِ.

وقِيلَ في الفُومِ: إنّهُ الثُّومُ، واخْتارَهُ ابنُ قُتَيْبَةَ[12]، واحْتَجَّ بِأنّهُ في مُصْحَفِ

= «غريب ابن قتيبة» (٢: ٣٧٦): «والانفضاح: الاسترخاء، ومنه يقال: انفضح بطنه».

(١) ما بين القوسين عن (أ)، (ب).

(٢) قال ابن قتيبة: «الوصائل: ثياب يمانية، يريد: أنه رمّه بقطع الفضة، ووصله بهذه الثياب. وهذا مثل لإحكامه إياه وتحسينه له. ويجوز أن يكون أراد بالوصائل: الصلات، جمع: وصيلة».

(٣) «على» ليس في (ف).

(٤) قال ابن قتيبة: «والمُدِرّ: الجارية إذا فلّك ثدياها ودَرَّ فيها الماء. يقول: كان أمرك ساقطًا مسترخيًا فأقمته، حتى صار كأنه حلمة في ثدي امرأة قد أدَرَّ». هذا وانظر: «غريب الحديث» للخطابي: (٢: ٤٩٠-٤٩١)، و«الفائق» (٢: ٤٤١)، و«النهاية» (٢: ١١٣).

(٥) في (ف): «الكهدل».

(٦) عن (أ)، (ب). يريد: أن له ضبطين كجَوْهَر أو كصَبُور.

(٧) بعده في (ص): «كذلك رواه الهروي».

(٨) في (ف): «قاله».

(٩) هو محمد بن عبد الواحد المطرز، غلام ثعلب، أحد أئمة اللغة، له مؤلفات كثيرة، توفي سنة ٣٤٥هـ.

(١٠) في غير (أ): «وكذا».

(١١) هو محمد بن جعفر القيرواني، نحوي لغوي أديب، من كتبه «الجامع في اللغة».

(١٢) «غريب الحديث» لابن قتيبة: (٥: ٣٧٨).

عَبْدِ اللهِ[١]: «وثُومِها»، ولا حُجّةَ في هَذا؛ لِما ذكرَهُ أبو حَنِيفةَ في «النّباتِ»: أنّ الثُّومَ هُو البُرّ، وأنّهُ يُقالُ بِالفاءِ والثّاءِ[٢] معًا[٣]، ومِن الشّاهِدِ على الفُوم وأنه البُرُّ قـولُ أُحَيحـةَ بنِ الجُلاح، [وقيل: لأبي مِحْجَنٍ الثَّقَفيِّ][٤]: [من الكامل]

قد كُنْتُ أغْنى النّاسِ شَخْصًا واجدًا ... سَـكَنَ المَدِينةَ عَنْ زِراعـةِ فُومِ[٥]

وأنْشَدَ[٦] في بَعْضِ ما فَسَّرَ بَيْتَ الأخْطَلِ، قالَ: وهُو الغَوْثُ بنُ هُبَيرةَ بنِ الصَّلْتِ، يُكَنّى: أبا مالِكٍ، والمَعْرُوفُ: غِياثُ بنُ الغَوثِ بنِ هُبيرةَ بنِ الصَّلْتِ، وسُمِّيَ: الأخْطَلَ لِقَوْلِهِ[٧][٨]: [من الوافر]

لَعَمْرُكَ إنّني وابنَيْ جُعَيْلٍ ... وأُمَّهما لإسْـــتارٌ لَئِيمُ

كُلُّ أرْبَعةٍ إسْتارٌ[٩]. وقِيلَ: إنّ كَعْبَ بنَ جُعَيْلٍ قالَ لَهُ في خبرٍ جرَى بينهما،

(١) في (ف): «عبد الله بن مسعود».

(٢) في (ف): «وبالثاء».

(٣) «تفسير القرطبي» (١: ٣٤٤)، وانظر: «اللسان» (١٥: ٣٥٨).

(٤) في (أ)، (ب)، والبيت في «الأغاني» (٢١: ٧٢٢٥) منسوبًا إلى أبي محجن، وفيه يروى:

قد كنتُ أحسبني كأغنى واحد ... ورد المدينــة عن زراعة فول

وهو في «المحتسب» (١: ٨٨)، وفيه: «عن زراعة فوم». ومثله في «اللسان» (فوم).

(٥) في النسخ: «شخصًا واحدًا» بالحاء، وكأنّ الجيم أنسب بالمعنى.

(٦) انظر «السيرة» (٤: ٣٤٨). (ج)

(٧) في (ف): «بقوله».

(٨) انظر: مقدمة محقق «الديوان» (ص: ١٥). والبيت في «ديوانه» (ص: ٥٠٩).

(٩) قال الجواليقي في «المعرب» (ص: ١٥١): «سمعت العرب تقول للأربعة: إستار؛ لأنه بالفارسية جِهار، فأعربوه فقالوا: إستار». وذهب د. ف عبد الرحيم إلى أنه يوناني، وأخذه العرب من السريانية.

والأَخْطَلُ يَوْمَئِذٍ غُلامٌ يُقَرْزِمُ[1]؛ أيْ: كَما[2] يَبْتَدِئُ يَقُولُ[3] الشِّعرَ: [من الرجز]

قُبِّحَ ذاكَ الوجْهُ غِبَّ الحُمّهْ[4]

فقالَ الأخْطَلُ، ولَمْ يَكْنِ[5]: [من الرجز]

وناكَ كَعْبُ بنُ جُعَيْلٍ أُمَّهْ[6]

فقال جُعَيلٌ[7]: إنّك لأخطلٌ[8].

[تمَّ الجزء الرابع بعون الله تعالى ورِعايته][9]

---

(١) كذا في (ص)، (ج)، (ف)، وفي (أ): «يُقرمز»، وفي (ب): «يعرزم». والمثبت عن «الأغاني»، قال: «والقرزمة: الابتداء بقول الشعر». وفي «اللسان» (قرزم): «والقِرْزام ـ بالكسر ـ: الشاعر الدُّون».

(٢) أي: كالذي يبتدئ يقول الشعر.

(٣) في (ف): «بقول».

(٤) الحُمّة: الحُمّى، والغبُّ من الحُمّى، أن تأخذ يومًا وتدع يومًا.

(٥) بعده في (أ) إضافة مُخِلّة: «بعد شاعرًا». ومعنى «لم يَكْنِ»: أنه صرَّح بفُحْش القول.

(٦) في (ج)، (ص): «وفعل كعب».

(٧) في (ف): «كعب بن جعيل».

(٨) «الأغاني» (٨: ٣٠٢٧-٣٠٢٨).

(٩) هذه العبارة من صنيعنا. (ج)

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

